
شمس الشموس
ســـرّ الحياة وبهجة الخلاص
علاء الحلبي

شمس الشموس

ســـرّ الحيـاة وبهجــة الخــلاص

الجزء العاشر من مجموعة من نحن

تأليف

علاء الحلبي

الفهرس

الفصل الأوّل

الفصل الثاني

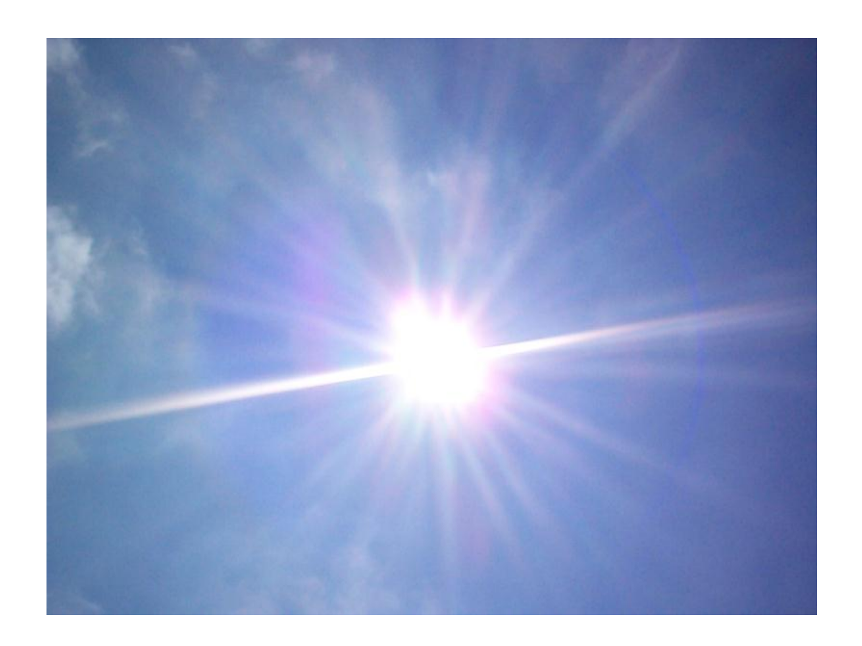
الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

في النهاية

عبادة الشمس



تعتبر عبادة الشمس إحدى أقدم أشكال الممارسة الدينية. حتى الأديان العصرية التي مهما بدا لاهوتها مختلفاً إلا أنها مجرّد امتداد مُطوّر لهذه العبادة القديمة. لقد قدر الإنسان منذ الزمن الأوّل مدى أهمية وفائدة الشمس وبجّلها بصفتها نائباً عن الإله الأعلى [جلّ جلاله]. عن أصول عبادة الشمس كتب أحد الفلاسفة المطلعين قائلاً:

".. مثلت الشمس بالنسبة للقدماء مبدأ وليس شيء محدد، هي النار الداخلية في كافة الأجسام، هي مبدأ النار في الطبيعة (أي المبدأ المحفّز). هي مسيّر الحياة ومحفّزها. هي سبب كل التوالد والتجدد. من دونها لا يوجد حركة ولا وجود ولا هيئة أو شكل. كانت الشمس بالنسبة للقدماء هائلة، غير قابلة للتجزئة، أبدية غير قابلة للفناء، وكلّية الوجود. جميع البشر (والمخلوقات عموماً) شعروا بحاجتهم الدائمة إلى نورها وطاقتها الخلاقة وما من شيء أكثر رعباً بالنسبة لهم من فكرة غيابها عن الوجود. تأثيراتها الخيّرة جعلتها تمثّل مبدأ الخير بالنسبة للقدماء..".

لذلك نرى كل الشخوص المقدسة التي تتمحور حولها ديانات العالم القديم، مثل "براهما" BRAHMA عند الهندوس، و"ميثراس" MITHRAS عند الفرس، و"آتوم" ATHOM و"آمون" AMUN و"بتاه"

PHTHA و"أوزيــريس" OSIRIS و "رع" RA عنــد المصــريين، و"بعــل" BEL عنــد الكلــدانيين، و"أدونـاي" ADONAI عند الفينيقيين، و"أدونـيس" ADONIS و"أبوللـو" APOLLO عند الإغريق،.. إلى آخره، هي مجرّد تشخيصات لمبدأ الشمس، مبدأ التوالد الدائم ومبدأ الخصوبة الغزيرة التي تخلّد وتجدّد الوجود بشكل دائم ومستمر.

القدماء إذاً لم يعبدو الشمس بذاتها، بل اعتبروها الرمز الأنسب لمصدر الحياة والنور.. الإله الأعلى [جلّ جلاله]. بحثاً عن أوصاف أو شعارات مناسبة يمجدون بها الإله الأعلى المانح للحياة لم يجد القدماء أنسب من هذا الكوكب المشعّ.. الشمس. لهذا السبب نجد أنه على مرّ العصور وفي كافة الحضارات كان للشمس علاقة وثيقة بالدين. يمكن تلخيص سبب هذه العلاقة الوثيقة من خلال اقتباس وصف أخناتون للشمس قائلاً:

".. هـي المنعشـة ومانحـة الحياة وتشـع نورها فوق العـادل والظـالم معاً، لا تميّز أبداً بين الأعراق والألـوان والطوائـف، هـي ليست محرّمـة علـى شعب وممنوحـة لشعب، حيث بـذور المـؤمنين وغيـر المؤمنين المزروعة في الأرض تنتش وتنمو بفضل ضوء الشمس..".

الشمس إذاً هي مفهوم كوني. لا تنتمي إلى أي زمان. لا تمثّل رمز محدود ينتمي إلى حضارة أو أخرى، بل للجميع. هي كوكب النهار الساطع أبداً. هي التي خلصت الإنسان من إرهاب الليالي المظلمة.. حيث كان البشر في العصور القديمة يخافون من الظلام.. إذ كانوا يلتجؤوا مسرعين إلى كهوفهم وأكواخهم عند بدء ساعات الليل الطويلة والمظلمة.. خائفين من حيوانات غريبة ووحوش ضارية.. والكوارث التي حلّت على أولئك الذين تجولوا في ظلمة الليل هي كثيرة. لكن عند شروق الشمس عاد عالم الواقع ينكشف من جديد.. فتختفي الأشباح وتضعف الشياطين.. وأرواح الموتى تعود إلى المقابر.. والفجر يجلب معه أمل جديد فتحل البهجة في قلوب الناس.. وأصبح بمقدورهم رؤية وجوه بعضهم مرة أخرى.. دون ريبة أو قلق. هذه الشمس الكريمة كانت تبعث الدفئ في الأجسام الباردة.. رغم أن سطوة أشعّتها سببت حرارة عالية لكن في المناطق المعتدلة التي نشأت في ربوعها الفلسفات الأولى كانت الشمس تعتبر صديق.. صديق يجلب معه الخصوبة.. موعد الزراعة.. الصديق الذي يجلب نضوج المحصول.. هو الصديق الذي يسبب فراقه في فصل الشتاء أسى كبير.. وإعادة ولادة هذا الصديق من جديد في الاعتدال الربيعي هو سبب البهجة العالمية الدائمة. إذاً الشمس بذاتها تمثّل شعار رائع ومذهل بالنسبة للقدماء.

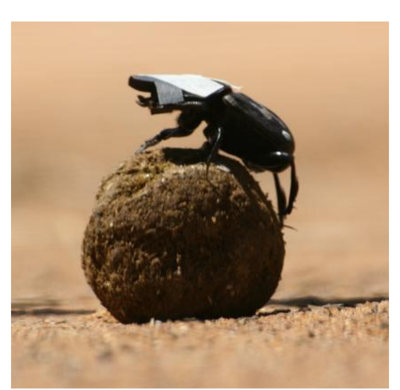
إن نظرة متفحّصة للأنظمة الدينية الوثنية تكشف عن حقيقة أن الكهنة كانوا يعبدون طاقة الشمس المشعّة حيث الإله الأعلى بالنسبة لهم يمثّل تشخيص لهذا النور الإشعاعي المقدس. كل الآلهة الرئيسية في العالم القديم مثلت النار المتوهّجة للشمس، مثلت المبدأ الإلهي الخلاق الذي ترمز له الشمس. هذا ما مثله كل من "أبوللو" Apollo و"باخوس" Bacchus و"دايونيسوس" Dionysos و"سابازيوس" Sabazius و"هرقل" Hercules و"جاسون" Jason و"يوليسيس" Ulysses و"زيوس" Zeus و"فولكان" Vulcan و"ميثرا" Mithra في الأساطير اليونانية والرومانية، إذ كل من هذه الشخوص لعب دوراً معيناً لأحد خصائص الشمس الظاهرية أو الباطنية. أما في النرويج فقد اعتبروا "بالدر" Balder الجميل إله الشمس، وكذلك "أودين" Odin صاحب العين الواحدة. ولدى المصريين نجد "أوزيريس" Osiris و"رع" Ra و"أنوبيس" Anubis و"هرمز" Hermes و"آمون" Ammon، وفي زمن البطالمة برز في مصر إله الشمس باسم "سيرابيس" Serapis. وفي الهند نجد "كريشنا" Krishna و"بوذا" Buddha و"براهما" Brahma. وفي حضارات أمريكا الوسطى آلهة الشمس مثل "تزكاتليبوكا" Tezcatlipoca و"كويتزالكوتل" Quetzalcoatl.. وقائمة الأسماء ستكون طويلة جداً إذا شملنا كافة الثقافات حول العالم، لكن المهم ذكر حقيقة أنه حتى الشخصيات المقدسة الواردة في روايات العهد القديم، مثل سيدنا ابراهيم وداوود وسليمان وشمشون ويوسف.. إلى آخره، تمثل مبدأ الشمس أو أحد خصائصه كما سنرى لاحقاً.

بالإضافة إلى ذلك، كان الكهنة القدامى يستخدمون أشياء كثيرة كرموز ممثلة للشمس أهمها النار وبالتالي عندما نقرأ عن طقوس عبادة النار علينا معرفة أنها عبارة عن طقوس تعبد المبدأ الشمسي المحفّز على الحياة. وقد ارتدى الكهنة المصريون في الكثير من شعائرهم جلود الأسود، حيث كان الأسد من الرموز المهمة للشمس. أما الأدوات الدينية التي استخدمها الكهنة في طقوسهم وشعائرهم فقد كانت مصنوعة من معدن الذهب، لأن هذا المعدن يرمز إلى الطاقة الشمسية، وكذلك التاج الذهبي الذي كان يوضع على رؤوس الملوك يمثل رمز للشمس وبتلات التاج مثلت أشعّة الشمس. كان لعبادة الشمس في مصر القديمة رموز كثيرة لكن أهمها هي حشرة الجعل scarab التي تمثل المبدأ الخالق للشمس.

خلال تفحّص المصريين للبيئة الطبيعية المحيطة بالنيل حيث الضفاف الرملية المنحدرة إلى مياه النهر، والتي يكثر فيها الوحل في المواسم الجيدة، لاحظوا أمر مثير للاهتمام يتعلق بحشرة صغيرة من فصيلة الخنافس، تسمى السقرب scarab أو الجعل. هذا الخنفس الصغير كان مجتهداً في

عمله. هو يضع بيوضه في كرة من الوحل أو روث البقر، ثم يدفع هذه الكرة برجليه الخلفيتين صاعداً إلى قمة منحدر صغير بجانب النهر، وذلك بمسيرة خلفية. عندما يصل إلى قمة المنحدر يقوم الجعل بإفلات الكرة لتتدحرج نحو الأسفل. ثم يعود ويدحرجها صعوداً إلى القمة مرة أخرى، ثم يفلتها.. وهكذا. ما يحاول الجعل فعله خلال هذه العملية الشاقة والمملة هو جعل كرة الوحل تتخذ الشكل الكروي بأكبر درجة ممكنة. وينجح بالفعل في جعلها تبدو في النهاية كروية تماماً. بعد انتهاءه من هذه العملية يدحرجها بعيداً عن ضفة النهر وإلى مكان مناسب لتفقيس البيوض التي بداخلها.





مثّلت هذه الحشرة رمز مهم جداً بالنسبة للمصريين القدامى وقد ربطوها بطريقة معيّنة بالشمس. مثلوا الشمس بكرة الوحل التي يدحرجها الجعل، فالشمس أيضاً تحتوي بذور الحياة. أصبح الجعل معروف لاحقاً باسم ""خفي رع"" Khepera، وهذه الكلمة الأخيرة لها معنيين مختلفين في اللغة المصرية القديمة. هي تمثل أحد الألقاب لإله الشمس، حيث "رع" يمثل أحد أسماء الشمس، وبالتالي يمثل الجعل رمز مرتبط بشكل وثيق بالشمس. المعنى الآخر لهذه الكلمة هو "الصيرورة"، أي ".. الشيء الذي يصير.."، أو ".. الشيء الذي على وشك أن يكون..". وأحياناً يستخدموا الكلمة للاشارة إلى ذلك الذي هو كليّ الروعة وكليّ البهاء. يمكننا استنتاج معنى آخر يشير إلى عملية ".. تحوّل.." حيث تنتج في النهاية كائن حيّ جديد، وهذا بالضبط ما يحصل مع كرة الوحل التي يدحرجها الجعل وتحوي بداخلها البيوض التي هي بذور حياة جديدة. الجعل إذاً لا يمثّل الشمس بل يمثل القوة التي صنعت الشمس وزرعت بذور الحياة فيها، ولهذا أصبح الجعل يتمتع بقدسية رفيعة المستوى لدى المصريين.

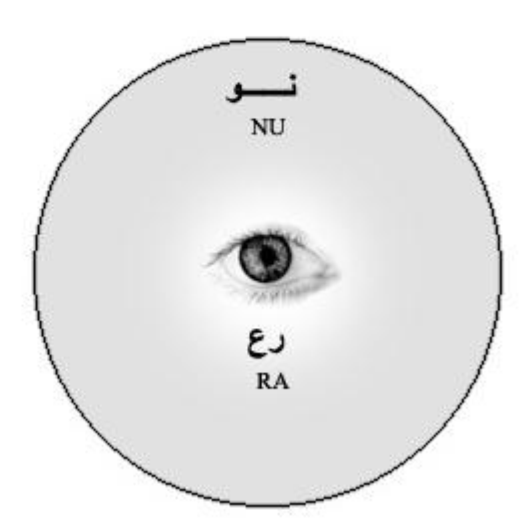
كان المصريون يمثلون الشمس أحياناً في الكتابات التصويرية والأعمال الفنية بحيث يظهر الجعل في مركز الشمس. كان الجعل يصور أحياناً فارداً جناحيه الملونة بألوان جميلة تمثيلاً لفصول معيّنة، وأحيان أخرى يُصور وهو يخفيها تحت قشرته القاسية تمثيلاً لفصول أخرى. نرى صور ومنحوتات ممثلة لهذه الحشرة في الكثير من المتاحف الأثرية وأكبرها وأكثرها روعة هي تلك المنحوتة البازلتية الموجودة في المتحف البريطاني والتي يبلغ طولها متر ونصف المتر، وهي محفورة بطريقة مذهلة، وتمثل إله الشمس أو الإله "خفي رع" Khepera.

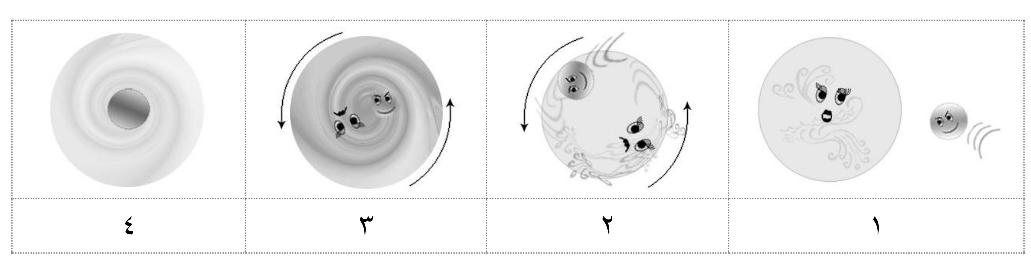


الجعل هو رمز الإله ""خفي رع"" الذي يمثل الباعث الروحي العازم للخلق، أو العامل المجدّد أو المجسّد أو المسيّر للخلق. يعتبر الجعل عموماً لدى المصريين بأنه رمز القيامة أو البعث من جديد وذلك بسبب العمل الذي تميز به في دحرجة كرة الوحل المحتوية على بيوضه التي سوف تفقس لاحقاً حيث تنبعث الحياة من جديد. هذه العملية تمثّل المستوى الأصغر لما يحصل على المستوى الأكبر، إذ كما في الأسفل كذلك في الأعلى، وكما حالة كرة الوحل الحاوية على البيوض والتي يدحرجها الجعل كذلك الحال مع الشمس المحتوية على بذور الحياة والتي تسيّرها القوة الإلهية أو ""خفي رع"".

هناك فكرة مهمة يمكن استنتاجها بخصوص الإله "خفي رع" الذي يمثله رمز الجعل، وهو مبني على المقولة المصرية التالية المأخوذة من أحد النصوص الهيروغليفية: أنا "خفي رع" في الصباح ورع في الظهيرة وتامو في المساء. هذا يذكرنا بالحركة ثلاثية الأطوار للمحتوى الإلهي (أي طور الدفع

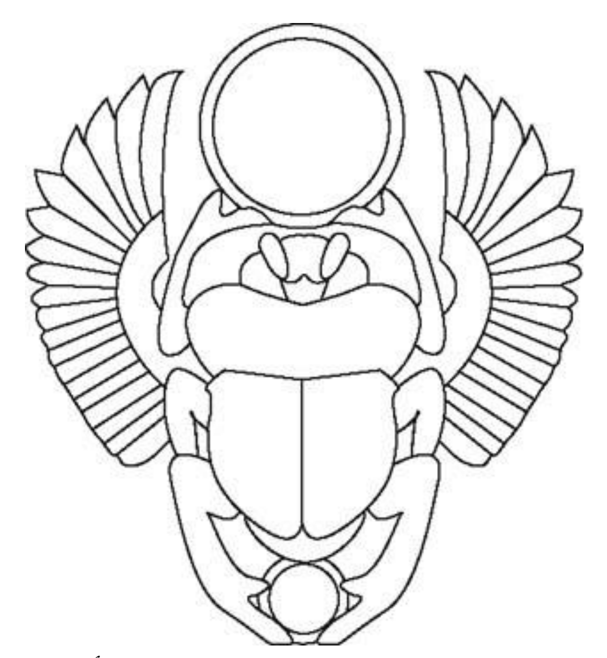
وطور الحركة وطور العطالة) والذي هو قانون يحكم كافة أنواع الحركة في الوجود بما في ذلك حركة الشمس التي تمرّ في ثلاثة أطوار قبل أن تختفي بعد الغروب حيث الطور الرابع. أي أن "خفي رع" يمثل النبضة الأولى التي حفّزت المحتوى الكوني، أي الدفعة الأولى لعملية الخلق. وبالتالي هو يمثل القوة المحفّزة لكل النشاطات الحاصلة على كافة المستويات، أي هو يمثل عنصر النار وفق مفهوم العناصر الأربعة، أو العنصر المحفّز أو المهيمن وفق مبدأ الثالوث، هو القوة التي كانت أوّل شيء تجلى في مسرح الكون الذي سماه المصريون "نو" Nu ويعتبر هذا الأخير ("نو") والد أوّل زوج من الآلهة الوليدة في عملية الخلق وهما "شو" Shu و"تفنوت" Tefnut، وتعتبر الشمس المركزية ("رع") بأنها تمثّل عين "نو" (الشكل التالي) فنستنتج بأن "نو" يمثّل كامل الدائرة الكونية التي تتألف بدورها من تفاعل "شو" و"تفنوت" فنتج من تزاوجهما ولادة "رع" Ra القابع في مركز الكرة الكونية.





يعتبر شو القوة الذكرية التي حفّزت المحتوى السيولي الأنثوي تفنوت مما أدى إلى ولادة رع (مبدأ الشمس). كامل هذه العملية حدثت في رحاب "نو" وبتحفيز من "خفي رع" (المبدأ الخالق للشمس)

هذا التفاعل بين شو وتفنوت حصل داخل نطاق نو الذي يعتبر والدهما أو الكيان الذي يشملهما معاً. وبالتالي لا بد من محفّز أولي أعلى مستوى والذي أطلق هذا التفاعل بين قطبي نو، وهو الذي يسميه المصريون "خفي رع". ورد في النصوص الهيروغليفية العبارة التالية: ".. أنا هو الذي جاء إلى الوجود بهيئة الإله "خفي رع"..."، والتصوير الهيروغليفي للاسم ""خفي رع"" جاء على شكل جعل يعلوه دائرة. يمكن استنتاج حقيقة أن ""خفي رع"" يمثّل القوة المحرّكة الأولى للنشاط الكوني ويتجلى عبر كافة المستويات. يمكن استنتاج فكرة مهمة أخرى: كل شمس مركزية مؤلفة من قطبين متفاعلين ينتج منهما مولود جديد يمثل شمس أخرى، وهذه الشمس المركزية هي مولودة أصلاً من تفاعل قطبين ينتميان إلى شمس أعلى مستوى.. وهكذا إلى لا نهاية. هذا بسبب الطبيعة الهولوغرافية للكون.



الجعل يمسك بقرص الشمس. هذا هو رمز "خفي رع"، المبدأ الخالق للشمس

الجعل إذاً يرمز إلى القوة المحفّزة على التجدّد الدائم والولادة من جديد، القوة الدافعة للحياة. كما أنها تعتبر لدى المصريين القوة وراء عملية التجسيد مرة أخرى بعد الموت الجسدي، أي التناسخ. هذا الرمز الذي كان الأكثر تقديساً لدى المصريين القدامى يثبت دون شكّ بأنهم كانوا يؤمنون بظاهرة التقمّص أو تناسخ الأرواح أو إعادة تجلّي الذات الأبدية بشكل متكرر بصيغة مادية عبر سلسلة من

الحيوات الدنيوية المختلفة. وهذه العقيدة التي تأخذ بها التعاليم السرية كانت سائدة بين كافة الحلقات الكهنوتية في معابد كل الحضارات التي ازدهرت حول العالم في العصور القديمة.

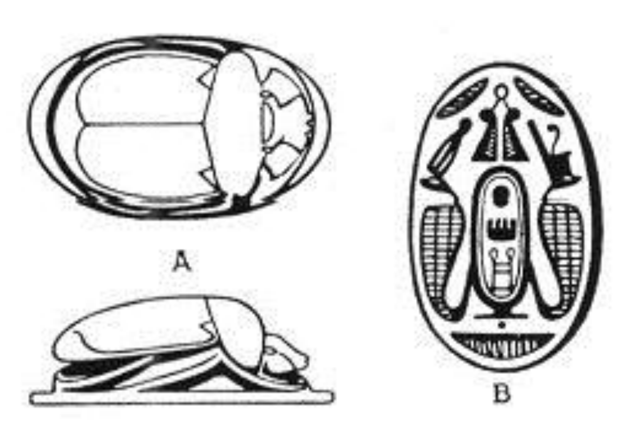
خلال ممارستهم الدينية استخدم المصريون الجعل بأكثر من طريقة. تتمثّل أحدها باستبدال القلب في جثة المومياء بمنحوتة على هيئة جعل ويبلغ طولها سبعة سنتيمتر تقريباً وتسمى "جعل القلب"، كانت توضع في تجويف القلب بعد نزع هذا الأخير من الجثة. كان يُكتب على هذه المنحوتة مقاطع مأخوذة من نصوص كتاب الأموات وتشكّل نوع من الصلوات تسأل إله "أمنتب" أن يسمع صلاة قلب الميت وينقله بأمان عبر غموض الموت إلى العالم الأبدي الجميل. بالتالي كان الجعل يمثل رمز للبعث من جديد.





تميمة بهيئة الجعل ومحفور على خلفيتها كتابات هيروغليفية

هو كائن ينتمي للأرض لكنه يستطيع فتح جناحيه والطيران بعيداً في السماء. لقد أصبح الجعل شعار يمثل الشمس. وتصور سفينة الشمس في اللوحات الفنية وهي مدعومة بأطراف الجعل الذي يمثل الإله "خفي رع". وقد ارتدى الفراعنة تمائم على شكل جعل بصفتها تمثل رمز لسلطتهم الروحية والدنيوية معاً.

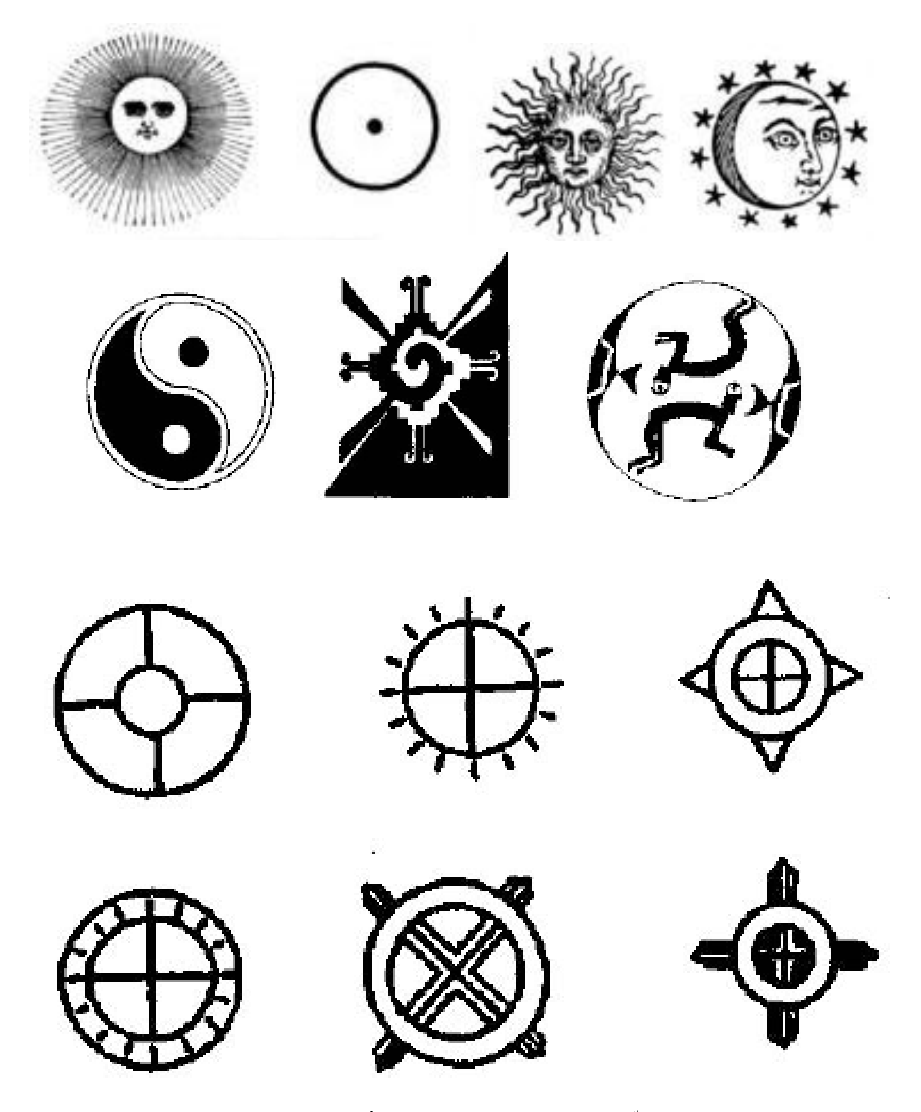


تميمة بهيئة الجعل ومحفور على خلفيتها رموز دينية

أصبح لدينا الآن رمز للشمس وهو الجعل، لا يمثل فقط الشمس التي نراها في السماء بل الأبدية بعينها، الانبعاث من الموت، إعادة تجلي النفس، تطهير أولئك الذين عبروا إلى الحياة الأخرى. لذلك يعتبر الجعل رمز للإله الذي يحفظ والذي يرعى والذي يرفع كل الأشياء من الظلمة نحو النور. وفق هذا السياق أصبحت الشمس لا تمثل فقط رمز للحياة بل ترمز إلى إعادة تجدّد الحياة، رمزاً للأمل بانبعاث كل شيء كان مظلم وغامض. خلال شروقها بكامل مجدها كانت تمثّل انتصار الحكمة على الجهل، انتصار النفس على الجسد، انتصار الخير على الشر، انتصار الحقيقة على التظليل، أصبحت الشمس ترمز إلى البعث الكلّي للعالم المثالي الكامل الذي تم تشخيصه بإله الشمس ذاته.

من الصعب جمع ودراسة تفاصيل كافة الأساطير والآلهة الممثلة للشمس، لكن في جميع الأحوال نرى ذات النمط الذي يجمع بينها، حيث السيناريو ذاته وشخصية البطل هي ذاتها في كل مكان وزمان. على البطل في كل من هذه الأساطير مواجهة الوحش الذي يمثل الظلام الشرير، وتخليص الإنسان من خطايا وشرور الوجود الدنيوي. تناولت عينات مختلفة من هؤلاء الأبطال في الجزء السابق، إذ نرى أبولو وهرقل وشمشون وحورس ودايونيسوس... والقائمة طويلة. هذه الأساطير موجودة في كل مكان حول العالم، ويتم التعبير عنها في المنحوتات الفنية المنتشرة في كافة المواقع الأثرية، من شمال أوروبا إلى جنوب أفريقيا، من الصين واليابان مروراً بالشرق الأوسط وأوروبا حتى نصل إلى أمريكا الشمالية والجنوبية. جميعها تعبّر عن ذات القصة التي تتناول ذلك الشيء المانح للنور والمجدد للحياة، وهذا ما عبر عنه أوزيريس عندما صوّروه أحياناً في الفنون المصرية على

شكل مومياء ملقاة على سرير وتنبت من كل أنحاء جسده أنواع مختلفة من النباتات، وهذا يجعله يرمز إلى الانبعاث من الموت أو إعادة الإحياء من جديد.

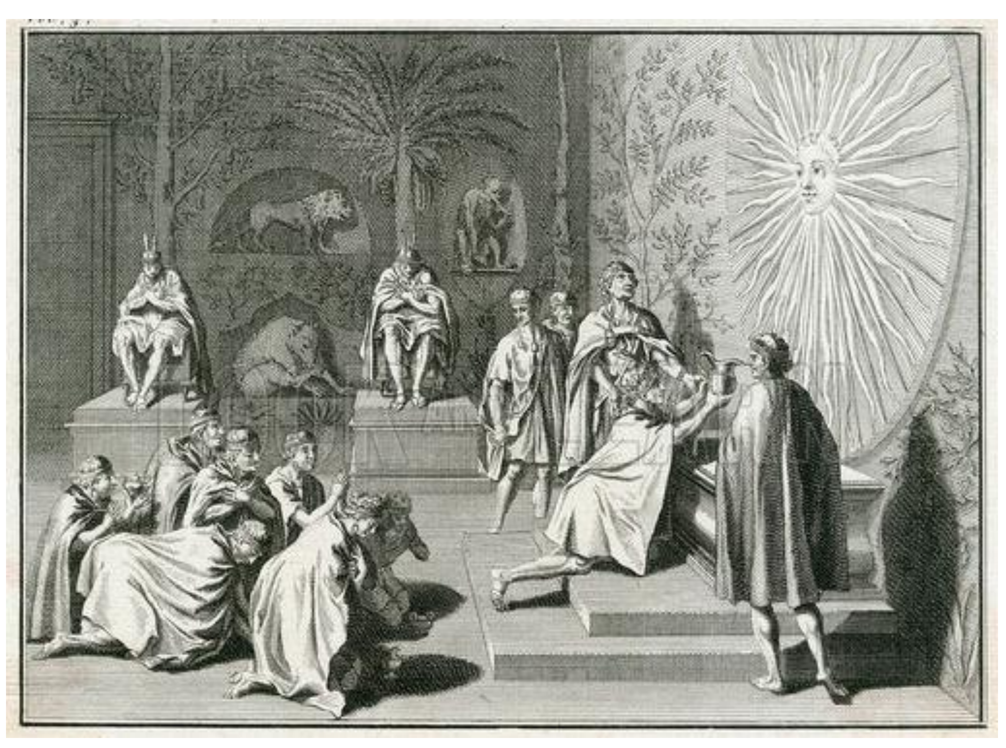


رموز من حضارات مختلفة تمثّل الشمس. بعضها يظهر أطوار الشمس الرباعية، وبعضها يظهر أطوارها الاثنى عشرية، وهناك من يكتفي بإظهار قطبيها



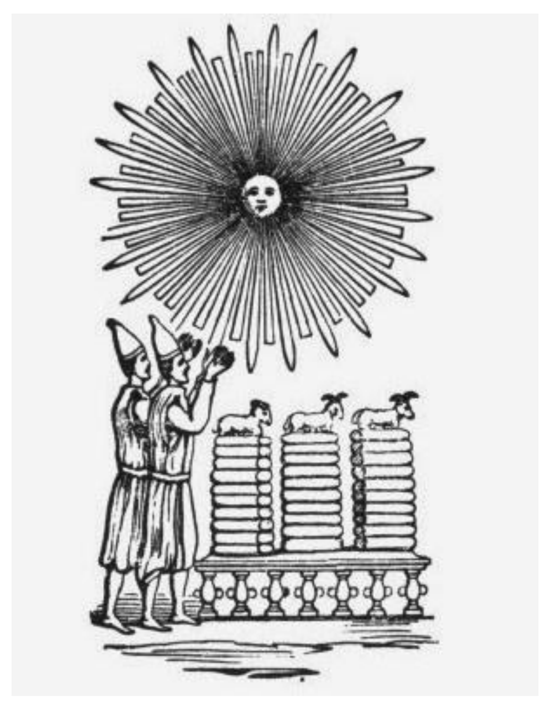


كانت الشمس محور عبادة الكثير من هنود العالم الجديد (أمريكا) فترة وصول الأوروبيين إليها



معابد الشمس لدى حضارة الإنكا كانت تزخر بالأواني الذهبية وصور الأسود وبالإضافة إلى المحافظة على استمرارية النار المستعرة في الشعلة الكامنة في حرم المعبد، وجميع هذه الأشياء كانت تمثل رموز مختلفة للشمس





كانت الشمس محور عبادة كافة الحضارات القديمة

قبل إدخال عملية التحنيط إلى مراسم الدفن لدى المصريين كان يسود طريقة مختلفة للدفن، إذ تبيّن الآثار العائدة إلى فترة سابقة بأن الميت كان يُدفن في قبر بيضاوي الشكل ويكون بوضعية الجنين الذي لازال في رحم الأم. وهذا يرمز إلى فكرة أن الموت هو في الحقيقة ولادة جديدة. أي، بعد الحياة هناك موت.. وبعد الموت هناك ولادة في حياة جديدة. اعتبر المصريون بأن الموت هو نوع من الولادة الجديدة في حياة أخرى. لقد وجدوا تشبيه مناسب لهذه الظاهرة في الحياة اليومية للشمس.

فالشمس التي تغرق في الأفق عند الغروب لم تمت رغم حلول الظلام حيث أنها تحيى من جديد في الصباح التالي وتمارس نشاطها كما في اليوم السابق. الأمر ذاته ينطبق على الحياة السنوية للشمس، حيث تموت في الشتاء وتحيى من جديد في الربيع وتصل أوجّ نشاطها في الصيف ثم تضعف في الخريف، فتموت مرة أخرى لتحيى من جديد.. وهكذا. الأمر ذاته ينطبق على الطبيعة بمجملها، إذ لاحظوا كيف أنه رغم موت الأشجار وفقدانها لأوراقها في فصل الشتاء إلا أنها تحيى من جديد لاحقاً في فصل الربيع. بالنسبة للمصريين القدامى، الموت هو مرحلة انتقالية بين حياة وحياة. وقد وجدوا إثبات على هذه الحقيقة في سلوك الطبيعة من حولهم بكل ما فيها من ظواهر وأشكال حيوية متنوعة. كل شيء في الوجود تتبع مسيرته الحيوية نمط إيقاعي رباعي الأطوار. وضّحت هذه الفكرة جيداً في موضوع "الإرادة الإلهية في حالة دفع مستمر إلى الأمام" [الجزء الثامن].

لقد مثّل القدماء هذه المسيرة الحيوية الإيقاعية رباعية الأطوار بالسلوك الإيقاعي للشمس. هذه الأخيرة خلال غيابها وعودتها من جديد أصبحت تشكّل أهمية عظيمة، لأن الإنسان أدرك مدى اعتماده الكلّي عليها. من خلال التنظير الفلسفي والأخلاقي استنتج القدماء حقيقة أن الإله أو المبدأ الكوني المسؤول عن ظاهرة الشمس يمثل بطريقة معيّنة شيء غير أناني، يعطي دون مقابل. يمكن استنباط هذه الطريقة في التفكير من خلال تعبيرات عظماء مصريين مثل "أخناتون" و"أمنحوتب" وغيرهم الذين أدركوا بأنه، بطريقة معيّنة، الإنسان بحاجة إلى الشمس لكن هذه الأخيرة لا تحتاج إلى الإنسان. بدى واضحاً لدى القدماء بأن عودة نشاط هذه الشمس كان لصالح الإنسان والطبيعة عموماً وليس لصالحها هي. لذلك اعتبروها كائن معطاء دون مقابل، شيء متفاني في إحسانه. لم تطلب شيء لذاتها بل منحت كل شيء من ذاتها.

مع عجز الإنسان عن إيجاد طريقة لرد الجميل للشمس إلا أنها استمرت في العطاء دون توقف. لذلك لم يرى الإنسان سبيلاً سوى تبجيل الشمس وتقديم الصلوات لها تعبيراً عن شكره وامتنانه لعطائها اللامحدود. مع أن الشمس لا تحتاج كل هذه الممارسات لأنها ستستمر بعملها في جميع الأحوال. هذا العرفان بالجميل المبالغ به أدى في النهاية إلى ظهور ممارسات دينية مختلفة تتمحور حول عبادة الشمس. ومع مرور الوقت تحولت إلى ممارسات دينية منحرفة وبعيدة كل البعد عن الهدف الأساسي. تختلف هذه الممارسات بين ثقافة وأخرى وبين حضارة وأخرى وبين فترة تاريخية

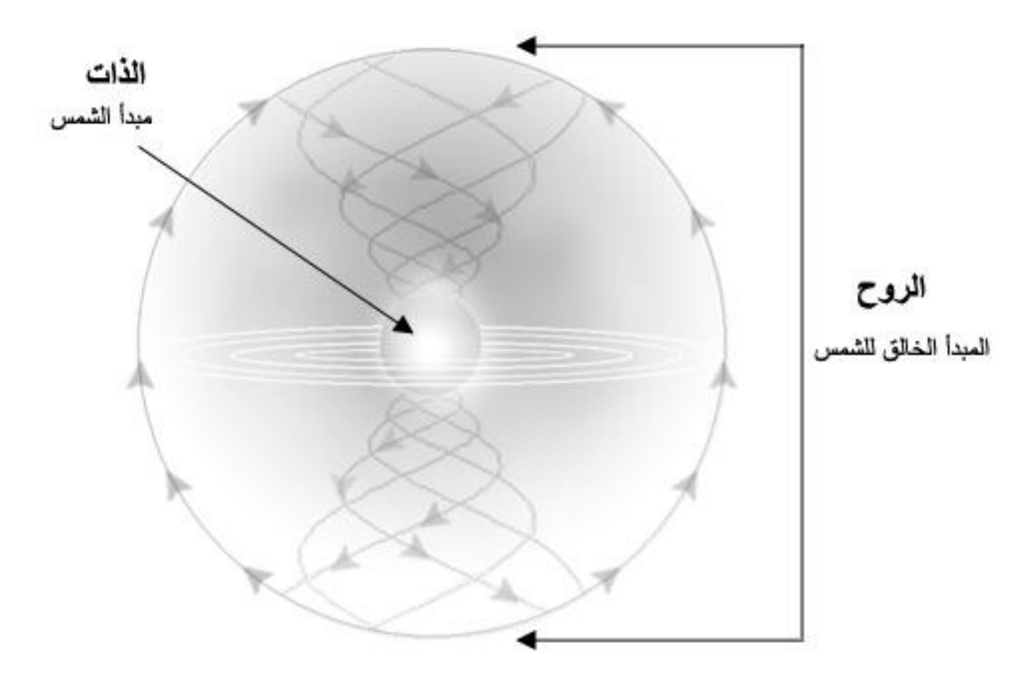
وأخرى. رغم أن كافة الأديان السائدة اليوم حول العالم والتي تبدو ظاهرياً بأنها بعيدة كل البعد عن عبادة الشمس وكل ما يتعلق بها إلا أنها في الحقيقة تتمحور بشكل جوهري حول عبادة الشمس.

هناك مشكلة أساسية اليوم يعاني منها التفكير العصري. لازالوا منشغلين في محاولة إيجاد تعريف أو وصف نهائي لله أو سيّد الكون [جلّ وعلا] أو وصف حقيقي للسبب الأوّل حيث يتجادلون ذهاباً وإياباً حول إذا كان الله شخص أو كيان أو مبدأ أو جوهر أو محتوى أو مجرّد امتداد لمبدأ ميكانيكي في الكون. رغم أن الجواب موجود في كل الأديان، وثنية وسماوية، باطنية أو ظاهرية، فلسفية أو لاهوتية،.. حيث جميعها تتمحور حول ذات العقيدة والمفهوم. كل من هذه المذاهب الدينية تفرعت من أصل واحد. لكن الذي يجعلنا نعجز عن إدراك الحقيقة هو أن كل من هذه المذاهب منح الشمس اسم أو وصف أو لقب مختلف عن المذهب الآخر، وأتباع كل مذهب يرفضون أسماء وأوصاف وألقاب المذهب الآخر. انه أمر غريب فعلاً، لكن عندما نعرف السبب يبطل العجب... إنه الجهل طبعاً، ممزوج مع التعصب الأعمى الذي يتغذى على الحماقة. وهاتين الحالتين، الجهل والحماقة، يعززهما التظليل الدائم والمستمر للحشود البشرية التي تتحكم بها مجموعة صغيرة من النخبة المسيطرة المحتكرة للحقيقة.

لكن هذه الحالة المزرية لم تكن سائدة في العصور القديمة. أي في الفترة التي سبقت ظهور الكهنة المنافقين الذين فرضوا على الرعايا معتقدات كاذبة وممارسات شاذة تتمحور حول عبادة الشمس بعينها، أو التسويق لفكرة إله لئيم وحقود يراقب الرعايا ويتلهف لمعاقبتهم بحيث وجب إرضاءه دائماً عبر تقديم العطايا والقرابين والصلوات عديمة الجدوى. في تلك الفترة السابقة، لم تكن الشمس التي نراها في السماء هدف العبادة، بل المبدأ المسؤول عن وجودها. هذا المبدأ ليس مسؤول عن خلق هذه الشمس فقط، بل كافة الشموس في الكون، بكل أشكالها وأنواعها وتجلياتها المختلفة. هو المبدأ الذي رمزوا إليه بشعار الجعل، الخنفساء التي تدحرج كرة الوحل أو الروث. كرة الوحل تمثّل مبدأ الشمس، والجعل يمثّل المبدأ الخالق للشمس.

خلال اجتهادهم لفهم هذه المسألة توصل الحكماء القدامى إلى فكرة مهمة هي أن الذات والروح لا تمثلان الشيء نفسه. الذات هي الشمس المركزية في كل مخلوق والتي تفعمه بنور الحياة. الروح هي المحتوى الذي تكمن فيه كافة المقومات التي تدخل في عملية تشكّل الشمس واستمرارية نشاطها. الشمس هي الابن المبعوث من والده. وبالتالي عندما ننظر إلى الشمس نرى الوالد الذي يقبع خلفها

وما وراءها. وفق التعاليم المصرية القديمة، الذات التي هي المولود الوحيد، تتقدم إلى الأمام كمخلّص للجسد، كما الشمس التي في السماء خلال دورتها السنوية تولد من جديد وتبعث الحياة مرة أخرى في الطبيعة. لقد كان المصريون على يقين بأن كل الحياة في الكون لم تأتي من الشمس التابعة لنظامنا الشمسي، وكانوا يدركون جيداً بأن الشمس التي نراها في السماء لا تمثّل مصدر الحياة بل مجرّد شيء يتقدم إلى الأمام.. الشاهد.. الابن المبعوث من والده. الأمر مماثل لنور الفانوس الذي يتوهّج بفضل الزيت الذي بداخله. النور لا يتجلّى هكذا دون سبب، بل هناك آلية تكمن خلف كل ظاهرة. هكذا هي العلاقة بين الوالد والابن، بين "خفي رع" ورع، بين المبدأ الخالق للشمس ومبدأ الشمس. هذا هو الفرق بين الروح والذات.



الذات هي المبدأ الشمسي القابع في المركز، والروح هي المبدأ الخالق للشمس وتتضمن المقومات والمجريات التي تدخل في آلية تشكّل الشمس واستمرارية نشاطها

الشمس في جسم الإنسان

أحد التجليات العديدة لمبدأ الشمس يقبع في جسم الإنسان، لكنه لا يشبه الشمس التي نراها في السماء. لقد حدد الحكماء القدامى موقعاً لتجلّي مبدأ الشمس في قلب الإنسان والذي يستمد حيويته من ذلك المبدأ الكوني الخالق للشمس. نحن نرى القلب ونشاطه التلقائي لكننا لا نرى مصدر نشاطه الذي يقبع في الخفاء. بسبب إلمام المصريين القدامى بهذه الحقيقة وضعوا الجعل (وهو شعار الإله "خفي رع"، المبدأ الخالق للشمس) في تجويف القلب في جثة المومياء. بهذه الطريقة ارتبط رمز الجعل بـ"قلب" الإنسان. إذاً، استنتج القدماء بأنه إذا تجلّى مبدأ الشمس في جسم الإنسان فلا بد من أن يكون في قلبه الذي هو مصدر حياته وحيويته، وأكثر من ذلك، قلب الإنسان هو مصدر تنوره، حيث تنور الإنسان لا يأتي من فكره بل من حبه. ومع إدراكهم هذه الحقيقة الروحية جعل الحكماء القدامى القلب رمزاً للشمس في جسم الإنسان.

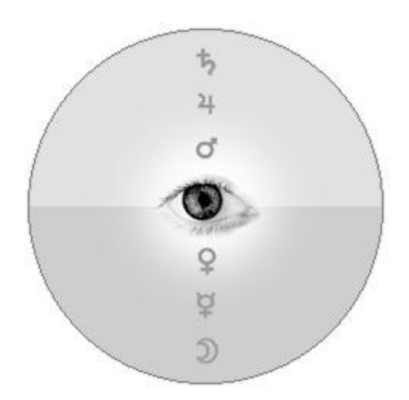
لطالما مثل القلب الاستمرارية الروحية للإنسان. لقد أكّد المصريون منذ ذلك الزمن حقيقة مهمة جداً: إذا كان النور الإلهي المجيد متجلي فعلاً في جسد الإنسان أو له مقعداً في جسمه، فلا بد من أن يتواجد في قلبه. لهذا السبب نسبوا القلب في الجسد إلى "الذات"، الشمس الباطنية في الكائن الحي. كلنا نعرف رمزية القلب المألوفة والتي هي مرتبطة دائماً بالمحبة والتفاني، لكن هناك الكثير مما يمثّله هذا العضو الجسدي.



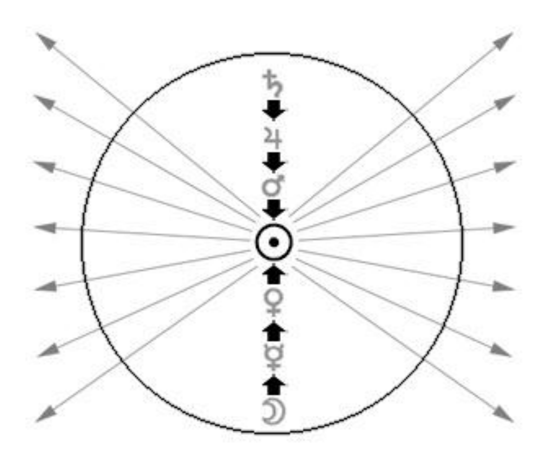
ورد في الفلسفات الباطنية أن القلب هو سباعي البنية. يقبع فيه الآلهة السبعة أي المبادئ السبعة أو الأرواح السبعة أو الأسياد السبعة. وتزعم أيضاً بأن للقلب أسياده العلويين ووكلاءه الخاضعين

لأمرته. لديه ملائكته وأسياد ملائكته ومبادئه الخاصة به. هو هيكل عجيب وغامض. هو يتولى إدارة عدد كبير جداً من الوظائف الجسدية والعقلية معاً. هذا الوصف يشبه تماماً ذلك الذي تناول الشمس الكونية. فهذه الأخيرة تعتبر القلب النابض للكون، والعالم المتجلّي (المجرات والأنظمة الشمسية...) يمثل العقد الموزعة على ضفاف عروقه المنتشرة في كل مكان (أذرع المجرات..).

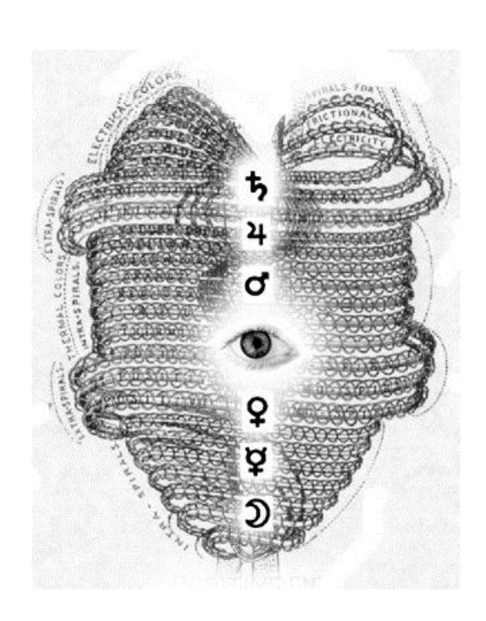
خلال تناولها موضوع الشمس تحدثت التعاليم المصرية عن السرّ الغامض المتعلق بالآلهة العظماء السبعة الأزليين. الأسياد الذين لم يظهروا أبداً، لأنهم محجوبون خلف نور الشمس. هم الأوائل، الوحيدين. يسميهم المصريين بـ"سابي"، الذين يبقون في عتمة الظلام.. في مهجعهم الغامض في الشمال الأزلي الذي لا تطاله نور الشمس أبداً. هؤلاء الآلهه الخفيون هم أسياد الفضاء والأبدية (أي الزمان والمكان) وهذا يجعلهم خارج نطاق الزمان والمكان، وهذا بالتالي يجعل تأثيرهم يطال كل مكان وكل زمان. عندما نشط هؤلاء الآلهة الأوائل كانت الشمس ثمرة نشاطهم. فظهرت الشمس بين السماء والأرض فوصلت بينهما. لكنها مع ذلك شكلت فاصل بينهما. رغم أن هؤلاء الآلهة الأوائل يقبعون في الخفاء لكن تأثيرهم العظيم ينبعث عبر نور الشمس.



يمكننا إيجاد نفس المفهوم في الكثير من الأديان الأخرى، رغم اختلاف صيغة الوصف وأسلوب الشرح. فنجد مثلاً مفهوم الـ"دهيان كوهان" Dhyani-chohan في التعاليم التبتية، وفكرة أسياد الملائكة وكائنات سماوية أخرى تتخذ للشمس مهجعاً لها، وهذه الفكرة سائدة في بعض مذاهب الأديان السماوية. وبين بعض الجمعيات السرية مثل أعضاء محفل الإلوميناتي Illuminati (المتنورون) ومحفل الصليب الوردي Rosicrucians نجد وصف آخر لهذه الملائكة وأسياد الملائكة حيث يجعلهم يشبهون شموس صغيرة تشعّ بالطاقة النورانية.



الوصف العلمي للكائنات النورانية السبعة التي تبعث تأثيرها عبر نور الشمس



القلب أيضاً يخفي بثناياه قوى خفية، كما حالة الشمس تماماً. كما في الأعلى كذلك في الأسفل. الكل يشبه الجزء والجزء يشبه الكل. الشمس يسكنها الأسياد السبعة العظماء والقلب أيضاً تسكنه قوى سبعة عظيمة. كل الأشياء مدعومة ومعزّزة من قبل قوة تكون غايتها الرئيسية هي المحافظة على كل شيء حيّ واستمرارية بقاءه. في صدر الإنسان يقبع هذا المدير الذي يعزف نغمة الحياة. القلب هو أساس الحياة. والقلب يخدم كل الحياة دون تمييز. هو الشمس المركزية للجسد المادي.

سر القلب هو شيء لا نفطن له أبداً ولا نقدر مدى قيمته إلا بعد أن نصاب بعلّة أو مرض قلبي. حينها نعرف أهميته الحقيقية. هذه الحالة تشبه فشل الحضارات وانحطاطها إذ بعدها فقط يمكن تقدير المعنى الحقيقي للحب والتفاني بين الناس. يمكننا القول بأن له مميزاته الذاتية لكنه في النهاية لا يميّز بين أعضاء الجسم المختلفة بل هو القوة الواحدة التي تمنحها الحياة ويجعله ممكناً استمرارية بقاءها. هذا ما يجعله رمز الإله الأعلى أو حضوره المتجلّي في جسد الإنسان. ورد في أحد الكتب

الهرمزية بأن *".. القوة الخالدة تجلّت في الهرم الغامض للقلب. وهرم الجيزة في مصر هو عبارة عن معادلة رياضياتية تمثّل قلب الحياة.."*.

في التعاليم الباطنية والصوفية يتجلّى التنور بفعل القوة الكامنة في القلب. فالتنوّر هو الحياة. والحياة الموجّهة بشكل سليم ومُعبّر عنها بشكل صحيح هي التنوّر بحد ذاته. شاكرا القلب في التعاليم الهندوسية (اليوغية، البوذية،.. إلى آخره) تمثّل مفهوم القوة المشعّة، الشمس. هو عرش بوذا المتجلّي في الإنسان. هو انتصار الحب على الرغبة، انتصار التعاطف والمودة على العاطفة الغريزية، انتصار التخلّي على التملّك، انتصار الحب على الكره، انتصار كافة الخصائص بطبيعتها الروحية الأصيلة على طبيعتها الدنيوية المزيّفة. يتجلى الانتصار بعودة الأشياء إلى أصلها. القلب هو مقعد الخير، وعليه أن ينتصر على وهم النزعة الدنيوية، ويتم ذلك بعد تحوّل الإنسان من الأنانية إلى التفاني، من الفكر الأناني إلى الفكر الجماعي، من الشخصي إلى الكوني. وبعد أن ينجح الإنسان بتحقيق هذا التحوّل تبدأ طاقة القلب بالتدفق والإشعاع بأقصى قوتها. وطبيعة هذه الطاقة ممثلة بالبتلات الإثنا عشرة لزهرة القلب. أي أن الوعي انتصر على النيدانا الإثنا عشرة وهي شروط الوجود الدنيوي والتي يمكن تجاوزها جميعاً بواسطة الحب الحقيقي.



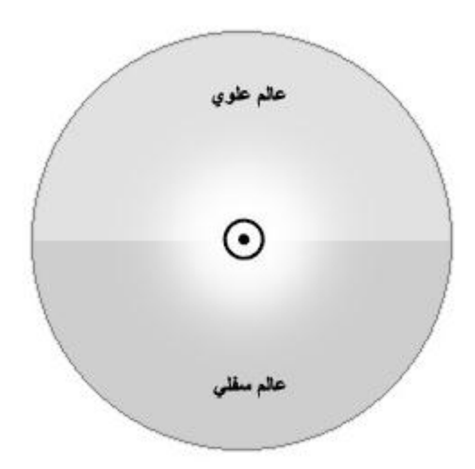
شاكرا القلب في التعاليم الهندوسية تمثّل الشمس في جسم الإنسان

انتصار طاقة القلب إذاً يعني انها أصبحت مكرّسة للحلّ والمصالحة وليس للتعقيد والفوضى. هو ذاته انتصار هرقل على التحديات الاثنا عشرة التي فرضها عليه الآلهة. هرقل هو الذات، هو نور الشمس الساطعة في داخلنا، هو حورس وهو دايونيسيوس وهو سيدنا يسوع.

هذه الشمس المركزية في جسمنا (القلب) تمثّل نقطة التقاء الجزء مع الكل، أي هي بوابة الفردي إلى الكلّي، وبالتالي من خلالها فقط يتحوّل المحدود إلى لامحدود، ويصبح اللامخلوق مخلوقاً، والكوني يصبح فردي، واللامرئي يصبح مرئي. هي النقطة التي تتجلّى عندها الحياة وليس هناك أي حدود لهذه الحياة التي يستطيع القلب توليدها. بعد معرفتنا بأن طريقة التفكير، أي تحقيق التناغم في المنظومة العقلية، تؤثر على أداء هذه الشمس المركزية (القلب) نستنتج بأنها تخضع بطريقة أو بأخرى لسيطرة الوعي. وبالتالي فإن جودة الأفكار التي يجسّدها وعينا هي التي تقرّر جودة أداء هذه الشمس وقوة إشعاعها ومدى تأثيرها على جسمنا وعلى البيئة المحيطة بنا.

مبدأ الشمس يقبع دائماً في الوسط بين عالمين

من خلال النظر إلى المخططات القديمة الممثلة للكون المتجلي، أو أوصاف هذا الأخير الواردة في المراجع الفلسفية المنحدرة إلينا من تلك الفترة الغابرة (مثل مخطط الكون لبطليموس والوتر الأحادي لفيثاغورث) نجد أن موقع الشمس يأتي دائماً في الوسط بين مستويين: علوي وسفلي. أو كما توصفها المراجع، نجدها معلّقة بين السماء والأرض.



هذا المفهوم كان سائداً في كافة الثقافات المختلفة في العالم القديم. إذا كانت الشمس معلّقة فعلاً في الوسط بين عالمين فهذا يؤكّد حقيقة أن كينونة الإنسان معلقة بطريقة ما بين عالمين علوي وسفلي.. تجاوزي ومتجلّي.. روحي ومادي.

بالنسبة للحكماء القدامى، فوق موقع الشمس يقبع العالم العلوي وتحتها يقبع العالم السفلي. بالنسبة لهم أيضاً، الشمس لا تمثّل خالق الكون بل مولوده الوحيد. وبطريقة معيّنة هي تمثّل الإنسان أيضاً، حيث الإنسان يمثل بطريقة ما كينونة شمسية لأنه هو أيضاً يقبع في الوسط بين عالمين علوي وسفلي. رأسه في السماء وقدمه على الأرض، ولديه القدرة على تحويل حواسه من المستوى العلوي إلى المستوى السفلي.. إلى متاهة العالم المادي. كما أن لديه القدرة على تحويل حواسه وقواه الإدراكية من الأسفل الخارجي إلى الأعلى الباطني مما يمكّنه من الاطلاع على أسرار خالقه.

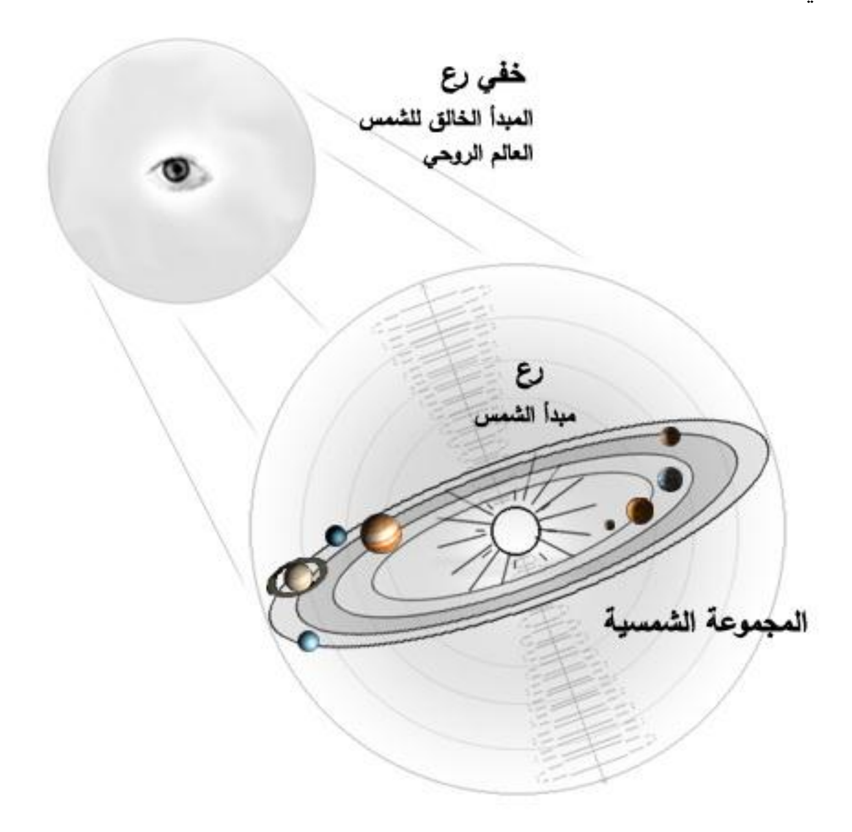
الشمس الباطنية

بعد التسليم بحقيقة أن الشمس هي المنعم الأوّل للعالم المادي والمولود الوحيد للعالم التجاوزي وتجلياتها بأشكال وهيئات مختلفة في الوجود، تحدث القدماء عن شمس من نوع آخر وهي ذات طبيعة باطنية مسؤولة عن حاجات القسم الإلهي التجاوزي للطبيعة والمخلوقات والكون عموماً. يشيرون إليها أحياناً في المراجع باسم "شمس الليل"، وترمز إلى تلك الشمس المركزية القابعة في القسم الخفي من كينونة الإنسان، أي في جانبه الباطني. توصف بأنها تشعّ عبر ظلام جسده المادي. لا يستطيع الإنسان العادي رؤية هذه الشمس إلا إذا كان متنوراً. كتب "باراسلسوس" Paracelsus واصفاً الفرق بين الشمسين الظاهرية والباطنية: *".. يوجد شمس أرضية (ظاهرية) تمثل مصدر الضوء والحرارة وهي مرئية بالنسبة لكل من يستطيع الرؤية، بينما بالنسبة للعميان الذين يعجزون عن رؤيتها فيستطيعون تحسس حرارتها.. في الوقت ذاته يوجد شمس داخلية (باطنية) تمثل مصدر الحكمة وكل من كانت حواسه الروحية صاحية لديه يستطيع إدراكها ويتيقّن وجودها الفعلي، بينما الذين لم يحرزوا الصحوة الروحية لا يدركونها لكن مع ذلك يستطيعون تحسّس قوتها عبر ملكة فطرية نسميها البديهة أو الحدس.."*

في أحد المخطوطات النادرة لأعضاء محفل الصليب الوردي Rosicrucians، ورد وصف لهذه الشمس وفق صيغة خيميائية: *".. هي رمز الحكمة. هي مركز القوة في قلب الأشياء. الشمس هي مركز الطاقة ومخزن القوة. كل كائن حيّ يحتوي بداخله على مركز حياة، يمكنه أن ينمو ويصبح شمس. في قلب الإنسان المولود من جديد تنمو القوة الإلهية بتحفيز من نور اللوغوس فتصبح شمساً تنير عقله.."*

وفي مخطوط آخر من نفس المرجع ورد الوصف التالي: *".. الشمس الأرضية هي مجرّد صورة أو انعكاس للشمس السماوية الخفية.. الأولى تقبع في العالم المادي والثانية تقبع في العالم الروحي، والأولى تستمد قوتها من الثانية.."*

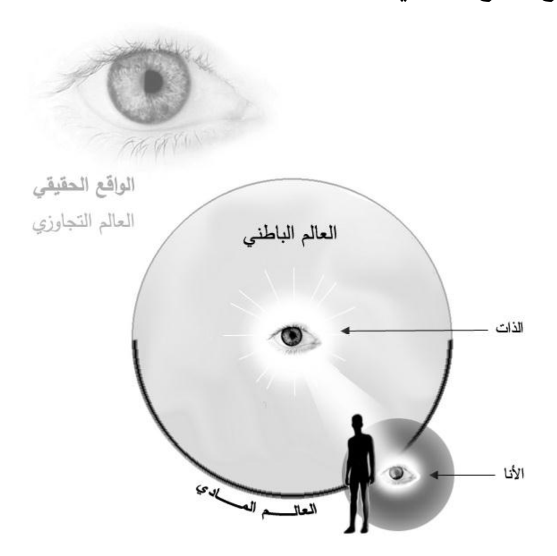
في معظم الحالات، تتفق أديان العالم القديم على أن الشمس المادية المرئية هي مجرّد انعكاس للقوة الإلهية وليست المصدر الرئيسي لها. لهذا السبب نراها أحياناً مُمثلة في الأساطير بصورة درع يحمله إله الشمس بيده، كما حالة الإله "فراي" Frey وهو أحد آلهة الشمس عند الشعوب الاسكندينافية. الشمس الظاهرية تعكس ضوء القوة الباطنية التي هي المصدر الحقيقي للحياة والنور والحقيقة. الطبيعة المادية للكون تمثّل الجانب المتلقّي، الجانب المفعول، هي تمثل عالم النتائج النهائية لمسببات خفية. المسببات الخفية لهذه النتائج تقبع في الجانب المانح، أو الجانب الفاعل الذي يمثل العالم السببي، وهذا الأخير يمثل الطبيعة الروحية للكون.



الشمس التي نألفها في مركز المنظومة الشمسية هي انعكاس للقوة الإلهية وليست مصدرها

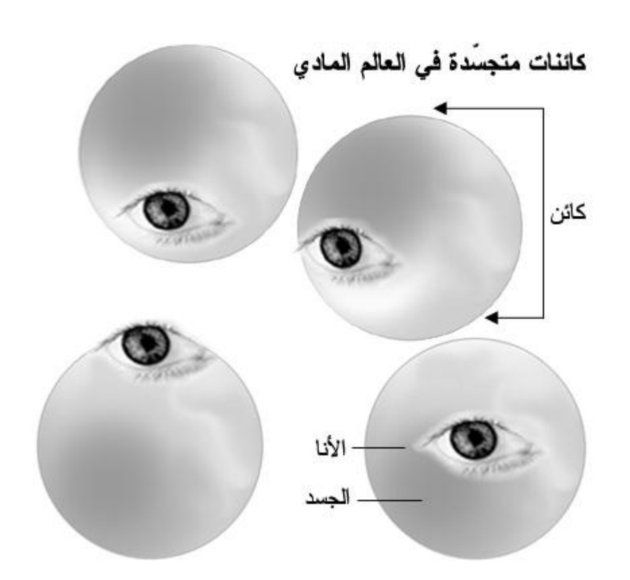
الإنسان هو الحيوان الوحيد الذي نعرف بأنه يسعى إلى فهم الخالق. ربما الحيوانات الأخرى ليست بحاجة إلى هذا السعي لأنها تعرفه أصلاً. لكن الإنسان يكرّس معظم حياته للبحث عن الحقيقة. حتى كل الفساد الذي حلّ بعالمه لم يستطع أن يمنع تقدمه البطيء والتدريجي نحو نور المعرفة وبعيداً عن ظلام الجهل. بالتالي فالإنسان لديه القدرة على فهم غوامض الروح بنفس قدرته على فهم عجائب الجسد. معلقاً بين العالمين الروحي والمادي، نجد لدى الإنسان ما يمكن أن نسميه وفق المفاهيم العصرية بـ"الذات" وهي البؤرة المحورية لكينونته. هذه "الذات" هي الشمس القابعة في مركز كينونة الإنسان. والإنسان قابع بطريقة معيّنة بين الواقع والوهم.

وجب أن تنال هذه الفكرة اهتمام علماء النفس الذين لازالوا يصرون على أن "الأنا"، أو مركز الإدراك الذاتي، هو الجوهر النهائي لكينونة الإنسان.. أي هو أعلى قسم في الإنسان. لكن القدماء يؤكدون عدم صحة هذه الفكرة.. حيث أشاروا إلى ما يمكن تسميته الذات المركزية وقالوا أنه حتى هذه الأخيرة ليست الجوهر النهائي للإنسان بل هي مجرّد شيء يقبع في الوسط بين الخالق والمخلوق.. هذا الشيء ليس الإله الأعلى بل خادمه.. ليس سيد القدر بل مسيّر مجريات القدر.. إذ فوق وماوراء هذه الذات يقبع الواقع الحقيقي.



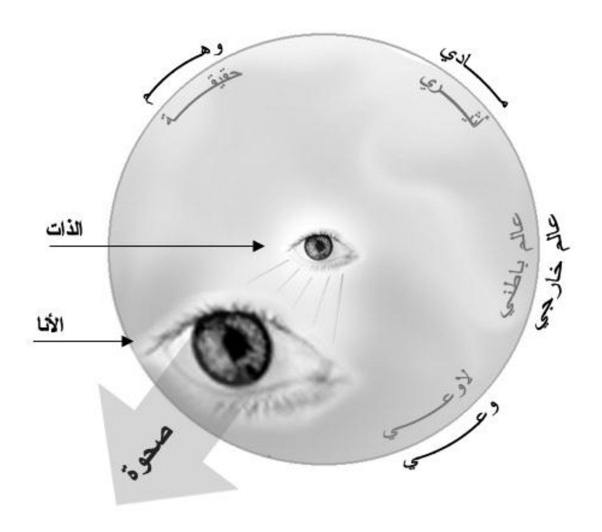
صورة رمزية تمثل الجوانب المختلفة التي يتألف منها الإنسان: [١] الجانب الجسدي (المادي) الذي يتمحور حوله الأنا. [٢] الجانب الباطني الذي يتمحور حول الذات الحقيقية للفرد (الشمس المركزية). [٣] الجانب التجاوزي المتحرر من عاملي المكان والزمان وهو يمثل العالم الحقيقي.

الشكل السابق يمثل اختصار الجوانب التي يتألف منها الكائن، لكنه عبارة عن صورة رمزية ثنائية الأبعاد، وبالتالي كيف نترجم هذه الحالة فعلياً على كائن ثلاثي الأبعاد، أي كيف تتجلى في التجسيد المادي للكائن؟



لكي نتمكن من توضيح المسألة بطريقة ثلاثية الأبعاد دعونا نفترض بأن الكائن المتجلّي مادياً هو عبارة عن كرة دائرية صلبة تمثل الجسد المادي، وله عين واحدة تمثّل صحوة الكائن ونافذته الإدراكية إلى العالم الخارجي المحيط به وبالتالي تمثّل الأنا لديه.

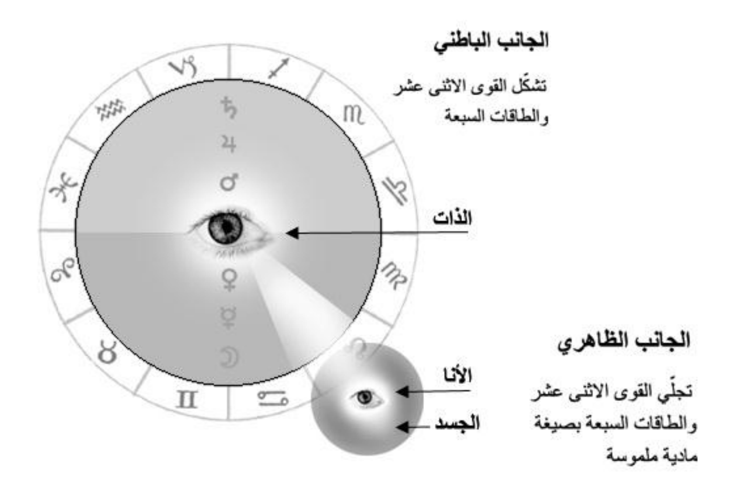
نحن لا نرى ظاهرياً سوى الجسد والشخصية التي يتميز بها الكائن. لكن هذا يبدو لنا ظاهرياً فقط، إذ في الجانب الباطني للكائن يوجد أشياء كثيرة لا ندركها، كالعوامل المبيّنة في التشريح التالي.



كما هو مبيّن في التشريح المقابل، الجسد الخارجي للكائن هو عبارة عن قشرة خارجية تحجب داخلها الكثير من المقومات الخفية. أهم العناصر التي تقبع في هذا الجانب الباطني هو الذات المركزية التي تشكّل جوهر الكائن وأساس وجوده.

وفقاً للشرح التصويري السابق لدينا مركزين للذات في كياننا: [١] الذات الحقيقية القابعة في القسم الخفي (الباطني) من الكيان، و[٢] الذات الوهمية أو الأنا التي نألفها جيداً في حياتنا اليومية ونظن بأنها تمثلنا فعلياً. الأولى هي غير مشروطة وخالدة، بينما الثانية هي مشروطة وفانية. الأنا هي عبارة عن وعي منعكس للذات الحقيقية كما تنعكس الصورة على المرآة. هذا الوعي المنعكس في المرآة الوهمية للوجود المادي يظن بأنه كيان منفصل قائم بذاته والوجود المادي الوهمي هو الواقع الحقيقي. إذاً، الأنا لا تمثّل الذات الحقيقية في الفرد بل انعكاس لها في العالم المادي الزائل والوهمي.

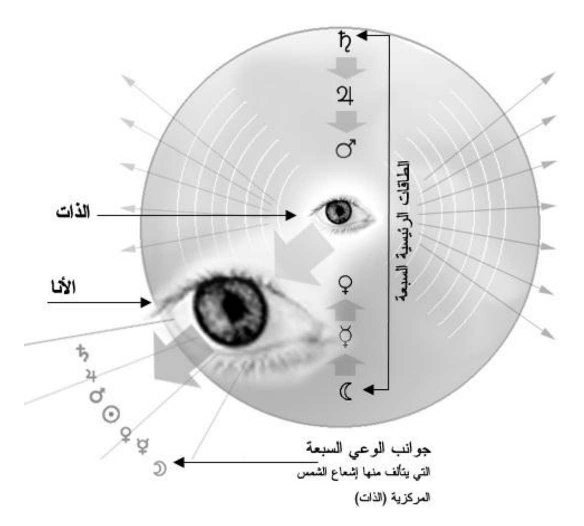
ما نعتبره الأنا في الكائن البشري هو انعكاس لصورة الذات الممثلة بالشمس المركزية. هذه الأنا هي شيء مركّب، أي مؤلفة من عدة مقومات. بالإضافة إلى تجسيدها المادي الذي هو عبارة عن جبلة مؤلفة من عدة مكونات (القوى الاثنى عشر)، نجد أن إشعاع الذات المركزية يمرّ عبر عدة ستائر (الحلقات السبعة) قبل أن تصل إلى حالة التجلّي، وهذا يؤدي إلى خلق حالات عقلية متنوعة (نوازع وميول) نظنها تابعة لفرديتنا، مع أنها في الحقيقة عبارة عن تأثيرات خارجة عن نطاق فرديتنا وتجري داخلاً وخارجاً من عقلنا، فنزعم بأنها حالات عقلية من بنات أفكارنا كالقول مثلاً: ".. أنا غاضب.." بدلاً من القول ".. أنا اختبر حالة غضب..".



كل نبضة شمسية تمر عبر ١٢ طور قبل أن تتجلّى في المستوى المادي، بالإضافة إلى أن القوة الشمسية تتضمن في طياتها ٧ طاقات مختلفة (المبدأ السباعي). هذه الأطوار والطاقات تتجلى بهيئات وأشكال مختلفة في الكائن المادي. تم التعبير عنها رمزياً بهذا الشكل

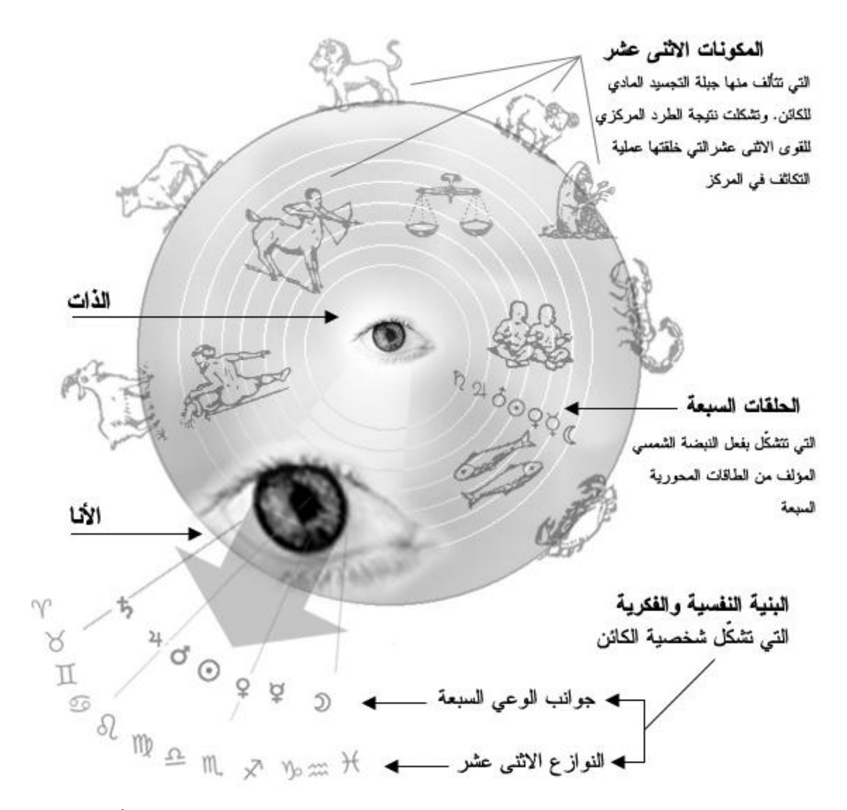
إذاً، كل نبضة شمسية تتألف من قطبين وأربع أطوار وسبعة طاقات واثنى عشر قوة. وقد تعرفنا على آلية تشكّل هذه الأطوار والطاقات والقوى في الجزأين السابقين. هذه الأطوار والقوى والطاقات تدخل في التكوين النفسي والفكري والجسدي للمخلوق بأكثر من صيغة وطريقة. لكن الشكل السابق هو عبارة عن صورة رمزية ثنائية الأبعاد، وبالتالي كيف نترجم هذه الحالة فعلياً على كائن ثلاثي الأبعاد، أي كيف تتجلى هذه القوى والطاقات في التجسيد المادي للكائن بطريقة ثلاثية الأبعاد؟ يمكن التعبير عن هذه الحالة كما يلي:

بالنسبة للطاقات السبعة التي تدخل في التكوين النفسي والفكري والجسدي للفرد، وهي التي تشكل أساس مفهوم الشاكرات السبعة مثلاً وكذلك جوانب الوعي السبعة للإنسان، فيمكن اختصارها بالصورة التشريحية المقابلة:



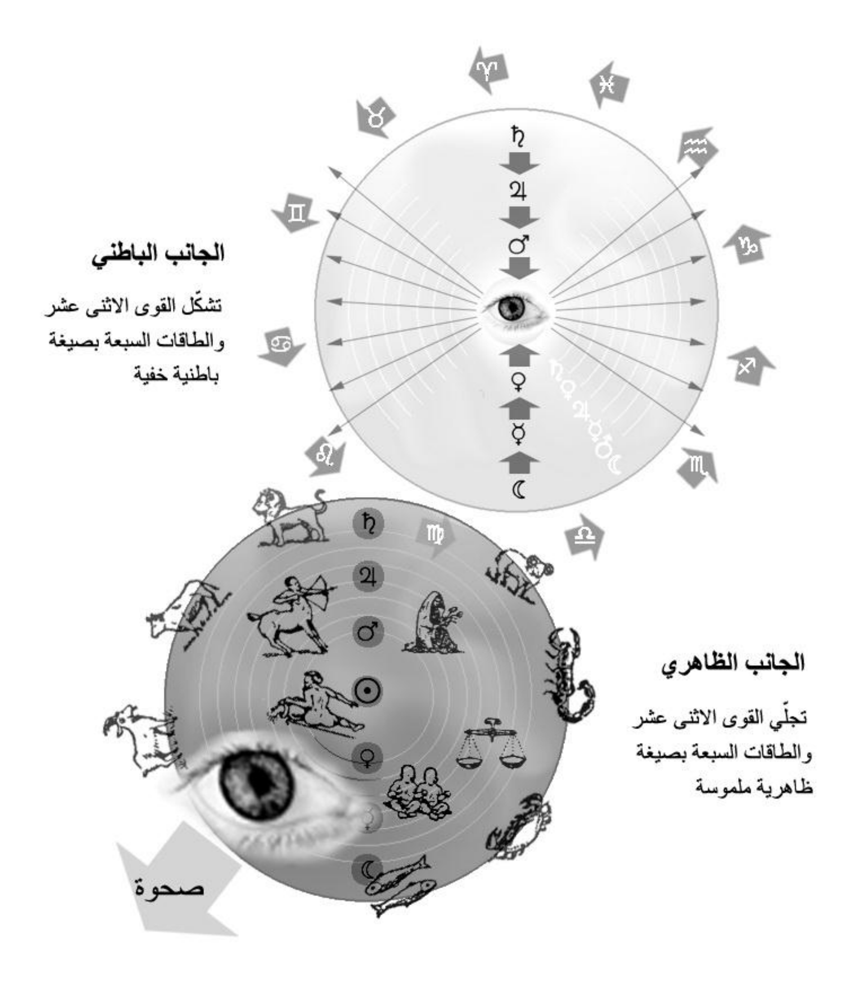
أما بالنسبة للقوى الاثنى عشر التي تدخل في التكوين النفسي والفكري والجسدي للفرد، وهي التي تشكل أساس مفهوم ارتباط الأعضاء الجسدية بالأبراج مثلاً وكذلك النوازع والميول الاثنى عشر في الشخصية، فيمكن اختصارها بالصورة التشريحية المقابلة:

<u>الذات</u> هي عبارة عن وحدة روحية تماماً، هي الجوهر الإلهي، هي الشمس المركزية في كيان الفرد وتكون متشابهة مع جميع الذوات (الشموس) في كل المخلوقات الفردية. بينما <u>الأنا</u> تكون متنوعة ومختلفة بين فرد وآخر. <u>الأنا</u> تمثل انعكاس غير مباشر <u>للذات</u> كما انعكاس الصورة في المرآة، إذ ترى نفسها مختلفة ومنفصلة عن <u>الأنا</u> لدى الآخرين، وترى كل <u>أنا</u> بأنه لديها خصائصها وسماتها الخاصة التي تميّزها عن <u>أنا</u> الآخرين. لكن <u>الذات</u> تمثّل أقوى حدس وأنقاه بخصوص كونها مبدأ كوني وأعلى مرتبة في المخلوق. الذات هي وعي نقي تماماً، المبدأ الجوهري الذي يمنح كل فرد المعرفة والذاتية. بما أنه ليس لديها أي وعي بالأنانية تبدو بالنسبة لنا بأنها حالة لاوعي. لكي تصبح الذات واعية بنفسها فهي بحاجة إلى أداة بحيث تستطيع رؤية صورتها معكوسة أمامها كما المرآة فتشكّلت الأنا. لكن هذه الأنا مغلفة بحجاب من المقومات والعوامل التي تثقل كاهلها مما تجعل الفرد يعتقد بأنها تدخل في التركيبة الجوهرية لذاته مع أن هذه الأخيرة نقية تماماً.



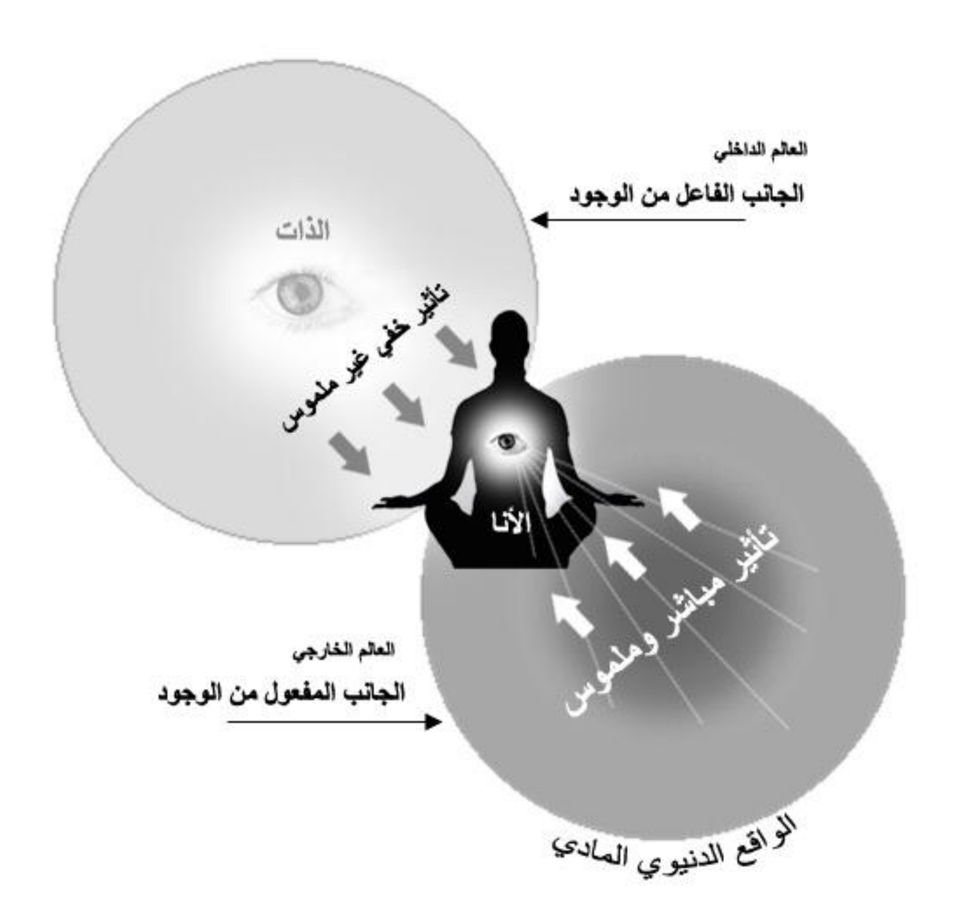
هذا الشكل يمثل صورة رمزية للمكونات الباطنية للكائن الافتراضي وتجليها ظاهرياً بحيث تتحوّل إلى مقومات وعوامل أثقلت كاهل <u>الأنا</u> الكامنة في الجانب الظاهري للكائن

بعض المراجع تشرح هذه الحالة من خلال فصل الجانب الباطني عن الجانب الظاهري، أي بدلاً من فقاعة شمسية واحدة تمثل الجانبين جعلوها تبدو بهيئة فقاعتين منفصلتين: الأولى تمثل الفقاعة الباطنية والثانية تمثل الفقاعة الظاهرية وذلك لتوضيح المجريات الحاصلة في كل من الجانبين وبطريقة خالية من التعقيد. بناء على هذا النموذج من الشرح سوف تبدو الفكرة السابقة على الشكل التالي:



طالما أن للإنسان جوهر روحي بداخله، وقد أدرك علاقته الصميمية مع المبدأ الشمسي (الذات)، فلا بد من أن يستنتج بأن النور المنبعث من داخله يضيء العالم الخارجي المحيط به. إذاً، الواقع المادي الذي يعيشه الإنسان تخلقه قوة روحية منبعثة من داخله، لكنه يجهل هذه الحقيقة، لأنه

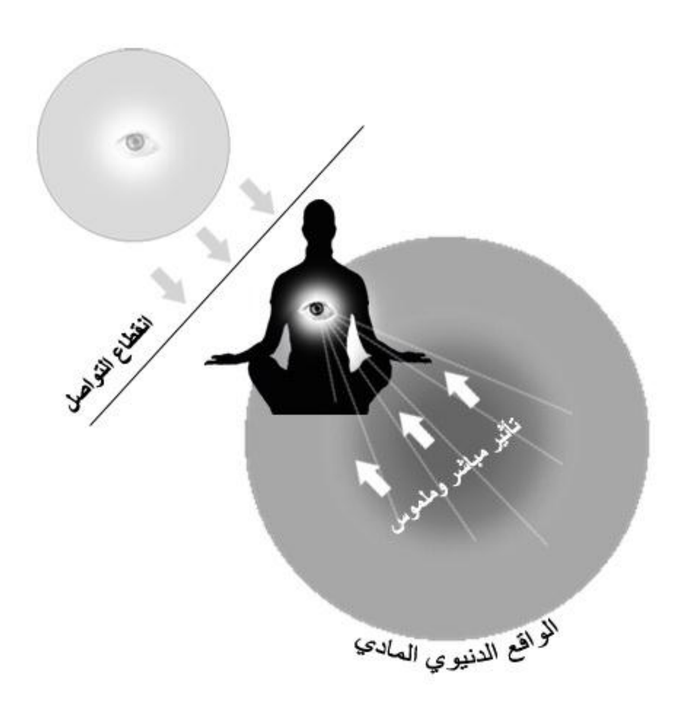
تعرّض للغدر وتجرّد من معرفة الحقيقة عبر القوى الشريرة الثلاثة (الجهل، المعلومات المزورة، الخوف) وبالتالي أصبحت حالته كما حالة مشاهد فيلم سينمائي وسط صالة كبيرة مظلمة، إذ يستحوذ عليه الفيلم كما لو أنه منوّم مغناطيسياً. يراقب مجريات حياته ويعيش أحداثها اليومية ويتألم بمآسيها مقتنعاً بأنها شيء محتوم لا يمكن تفاديه مع أن الأمر غير ذلك تماماً، حيث هو الذي يملي سيناريو الفيلم أصلاً، وسيناريو الحياة التي يعيشها قد تلقاه عبر الإيحاء الصادر من البيئة الدنيوية المحيطة به (ذويه ومحيطه الاجتماعي مثلاً).



الواقع الدنيوي المادي (العالم الخارجي) هو الذي له تأثير مباشر وملموس على الفرد (الأنا) وبالتالي هو الذي يستحوذ على انتباهه كلياً فيتجاهل وجود أي واقع تجاوزي خلف ستار مجريات حياته، مع أن هذا الأخير هو الواقع الحقيقي، ورغم أن تأثيره خفي وغير الملموس إلا أنه تأثير أقوى وأكثر فعالية من التأثير المباشر والملموس للواقع الدنيوي المادي.

إذاً، الفيلم الوهمي الذي يستحوذ على انتباه الإنسان ووعيه يمثّل واقع مزوّر تم تلقينه له من قبل بيئته الاجتماعية التي ولد فيها. والمشكلة تكمن في أن ما تم تلقينه به تحوّل لديه إلى واقع مسلّم به، وهذا الإيمان الراسخ بواقعيته حوّله إلى أوامر إيحائية قامت ببرمجة الجانب الباطني لديه (لاوعي) بالتماشي مع هذا الواقع المزوّر وجعله يبدو واقعاً حقيقياً، ذلك لأن التأثير الخفي غير الملموس للجانب الباطني هو الذي يصنع واقع الفرد وليس التأثير المباشر والملموس الذي يختبره الفرد في عالمه المادي.

مع حصول تغييرات جذرية في طريقة تفكير الإنسان عبر عصور طويلة من التضليل والجهل ظهرت عقيدة تتمحور حول الخطيئة، لكن يُقصد بهذه الفكرة ما يمكن اعتباره الانفصال. الإنسان الخاطئ هو الذي فصل نفسه عن الإله الخيّر. وبالتالي عبر السقوط أو الافتراق روحياً أو أخلاقياً أو جسدياً من المكانة الأصيلة صنع الإنسان حاجز بينه وبين إله الخير.



لم يعد الإنسان قادراً على رؤية الإله الذي سار معه في حديقة الوجود. أصبح يعيش في عالم من نوع آخر. عالم مليء بأبناء جنسه. والعالم العلوي الغامض، الحياة الحقيقية، أصبح خفياً عن نظره. شعر بأنه منفي، مخلوق غريب ويتيم يجول الأرض في الظلام الموحش.

لازالت عقيدة الخطيئة الأولى تسيطر على عقول الكثيرين الذين يؤمنون بأن ما يعانوه من عذاب وضياع هو نتيجة غضب الرب الذي طرد الإنسان الأوّل من الجنة بسبب فعل محرّم أو مشين. هذا الاعتقاد الشائع هو تفسير خاطئ لوصف عملية السقوط التي تحدثت عنها التعاليم السرية التي عالجت هذا اللغز وكشفت سرّه. (سوف أشرح عملية السقوط بالتفصيل لاحقاً).

إذاً، وفق المنطق الذي تبناه الحكماء القدامى، الأنا لا تمثّل الجوهر النهائي لكينونة الإنسان بل مجرّد انعكاس للذات المركزية أو الشمس الباطنية القابعة في جوهره. بالتالي هناك فرق كبير بين الأنا والذات.

من أجل معالجة هذه المسألة وكشف سرّها ابتكر الحكماء القدامى ثقافة الطقوس الشعائرية التي كانت عبارة عن مسرحيات وشعائر مقدسة يؤديها كل من رغب في خوض رحلة العودة إلى عالم النور الرباني. لذلك نجد دائماً في الحرم المقدس الذي يقبع في أعمق أقسام المعبد شكل من أشكال رموز الشمس.. رمز الحياة أو رمز القوة. أحد أوائل هذه الرموز نجد شعار الصليب. لأنه، كما قال أفلاطون، اللوغوس أو القوة الخلاقة تجلّت على شكل صليب، وذلك في الفترة التي بدأ فيها خلق العوالم. هكذا تجلّى الخالق في خلقه. أي عبر أربعة أطوار التي يمثلها رمز الصليب.

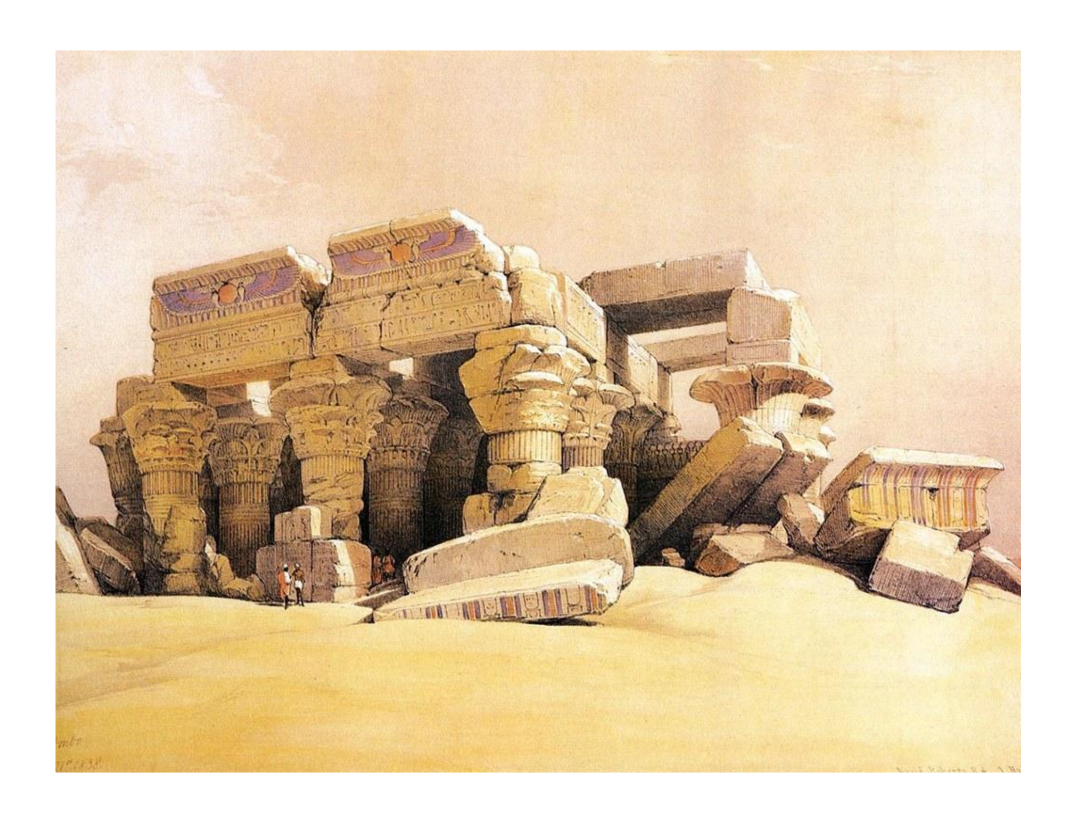
هكذا نجد هذا النوع من الرموز في المعابد. رموز تمثّل أيضاً الآلية التي تجري وفقها رحلة عودة الإنسان إلى موطنه الأصيل. هذه الرحلة التي تسير عبر ظلام الجهل، عبر التجربة والاختبار، والارتقاء أخيراً إلى نور الحرم الداخلي الذي يحيطه الكهنة وكل الذين سبق وحققوا رحلة العودة. كان المنتسب الجديد يُقلّد برموز وشعارات مختلفة للشمس، وهي شعارات تمثل ولادته من جديد أو عودته إلى مكانته الأصيلة كإنسان. كان أيضاً يُسلّم الحجر الأبيض الذي كُتب بداخله اسمه السرّي، حيث قد ولد من جديد ودخل إلى نور الحقيقة. هذا النوع من الممارسات الشعائرية التي كانت تجري في المعابد دامت من حوالي ثلاثة آلف سنة قبل الميلاد حتى بدايات العصر المسيحي. ولازالت تجري شعائر شبيهة لها اليوم في بعض المحافل السرية العصرية، لكنها تجري بشكل فلكلوري فارغ المضمون. يوجد أشكال مختلفة لهذه الشعائر التي كانت تجري في المعابد القديمة، لكن في جميع الأحوال كان المنتسب الجديد يمثّل الشمس. هناك شعائر يلعب فيها المنتسب دور إله الشمس الذي يمرّ في مأساة رهيبة، مأساة الغدر والاعتداء والقتل والاستشهاد (وقد تم التعبير عن هذه الحالة جيداً خلال آلام المسيح في الكتاب المقدس)، خلال هذه المسرحية الشعائرية يُقاد المنتسب الجديد (الممثل

للشمس) إلى المذبح كما الحمل الوديع، نراه يتعرّض للغدر. وإذا نظرنا إلى الوراء في التاريخ يمكننا حينها استيعاب شيئاً عن هذا الغدر. في الكثير من هذه المسرحيات الشعائرية، نجد أن الغدر ناتج من ثلاثة قوى تمعن في تدمير هذا الرمز الشمسي أو الاستيلاء على السلطة السماوية، وهي: الجهل، المعلومات المزورة، والخوف.

يمكن تصوّر هذا الغدر الذي تعرّضت له الذات الحقيقية للإنسان على الصعيدين، الفردي والجماعي. يتعرّض الإنسان على الصعيد الفردي للغدر عند نشأته في بيئته الاجتماعية، إذ تُقاد الذات لديه أثناء طفولته إلى المذبح كالحمل الوديع. لقد قدمه والديه كأضحية للإله مولوك، إله العالم المادي، أي الشيطان. وبالتالي بعد بلوغه تصبح اهتماماته منصبة على الأشياء الوهمية الفانية، المسرات الدنيوية التي تستحوذ كلياً عليه. فيستنزف طاقته في ذلك الاتجاه. كلنا نتعرّض للغدر منذ أن نولد إلى هذه الحياة، حيث التربية الدنيوية الخاطئة والتعليم الموجّه وفق مصالح السلطات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المسيطرة، فتتشوّه نظرتنا تجاه الحياة وتجاه أنفسنا ونعيش حياة موهومة وبعيدة كل البعد عن الواقع الحقيقي. نحن لا نشعر بذلك طبعاً لأن طريقة التفكير التي نشأنا عليها، بالإضافة إلى غياب خيارات معرفية بديلة، لا تساعدنا على إدراك العيوب التي وبئت بها هذه الطريقة في العيش. نحن لسنا جاهلين فحسب بل نجهل بأننا نجهل وهنا تكمن المصيبة.

أما على الصعيد الجماعي، سوف نعتبر بأن إله الشمس مسؤول عن حرم الحكمة العظيم، أي بمعنى آخر، الشمس تمثل المعرفة الأصيلة التي بواسطتها فقط يتنوّر الإنسان ويرتقي فوق ظلام الجهل. بهذه الطريقة يصبح إله الشمس الرمز الفعلي للحقيقة، أو يصبح ممثلاً للواقع الفعلي الذي لا تؤدي إليه سوى المعرفة الجوهرية بالحياة. لذلك أصبح بإمكاننا فهم كيف يمكن اعتبار عملية تدمير المعابد القديمة ونظمها التعليمية وكذلك حرق المكتبات عبر التاريخ بأنها عملية اعتداء على جسد إله الحكمة والذي هو ذاته إله الشمس. لقد تم اقتراف أبشع المجازر بحق الجسم المعرفي القديم، حيث حُرقت المئات من المكتبات العظيمة وقُتل الآلاف من الفلاسفة والحكماء.. كل ذلك على يد ثلاثة قوى، وهي التي نسميها قوة الجهل وقوة الخرافة وقوة الخوف. إنه جهل الحشود، وخرافات المعتقدات الكاذبة، والخوف من الأذى الذي يجعل الإنسان خانعاً وتابعاً للمتجبّرين. هذه هي الأشياء التي دمرت وأفسدت المؤسسات العلمية العظيمة التي ازدهرت يوماً في أحد العصور الذهبية الغابرة. لقد تم تعذيب وقتل الحكماء بأبشع الطرق.. صلباً، شنقاً، سحلاً، حرقاً... إلى أن اندثرت ثقافة

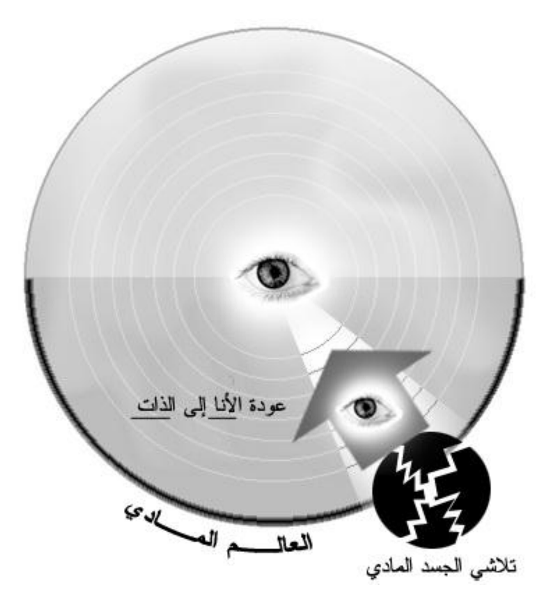
طقوس الانتساب إلى الحرم الداخلي للمعابد.. شعائر العودة إلى عالم النور، التي من خلالها يستعيد الإنسان مكانته الحقيقية في الكون.



في إحدى الفترات من الماضي البعيد، عندما سقطت الأرض في أيدي الأبالسة وأعوانهم الطغاة المتسلّطين وكهنتهم المنافقين، انهار مقام الحكمة وانهار معه صرح المعرفة الأصيلة. والعالم الحالي الذي سبق وشوّه ودنّس تعاليم المعابد الأصيلة أصبح الآن واهن وضعيف ومظلم ويعيش في حالة دائمة من الخوف والشكّ. يعيش حالة عدم يقين أخلاقي وأدبي.. يعيش في ظلام كاحل، يجهل إلى أي جهة يسير. ورغم ذلك لازال هذا العالم مغروراً يتباهى بمعرفته الدنيوية المتطورة.. لكنه مع ذلك كله يبقى خائفاً من ظلام المجهول.

العودة للاندماج مع الذات بعد موت الجسد

ورد في أحد النصوص المصرية القديمة وصفاً لطقس شعائري يتكلم عن عودة الأنا للاندماج مع الذات. يُذكر كيف قام "آني" وهو كاهن الفرعون بالدخول إلى العالم التحتي، فلم يعد بعدها يمثل "آني"، أي لم يعد يمثل نفسه. أصبح بعدها يُشار إليه في الطقس باسم الإله. أي بمعنى آخر، بعد دخول "آني" إلى العالم الباطني أصبح يمثل "أوزيريس". لكي يساعد كاتب المخطوط على توضيح الفكرة للقارئ في تلك الأيام، حيث قد يواجه هذا الأخير مشكلة في استيعاب الفكرة، كان يدخل عبارات توضيحية بين الحين والأخرى في النص، مثل: *".. والآن.. أوزيريس الذي كان آني مستشار الفرعون.."*، أي كأنه يقول: "الذات" التي كانت تمثّل "آني". ما قصده كاتب النص هو التالي: فرعون هو شخصية الفرد بينما جسده المادي هو مملكته، و"آني" هو [الأنا] الدنيوية التي يتمحور حولها تفكير الفرد وتصرفاته خلال حياته الدنيوية، لهذا جعلوا [الأنا] مستشارة الفرعون أو كاهن الفرعون الذي يوجهه وفقاً لما يظنه صائباً، لكن بعد موت الفرد تزول [الأنا] وتدخل إلى العالم الباطني لتندمج مجدداً مع "الذات" التي هي الشمس المركزية للكينونة. يمكننا ملاحظة نقطة مهمة جداً وهي أن كلمة "آني" لازالت تستخدم حتى اليوم بين بعض المجتمعات العربية للإشارة إلى الأنا، أي يقول الشخص مثلاً: آني مريض، أو آني محمود.. إلى آخره.



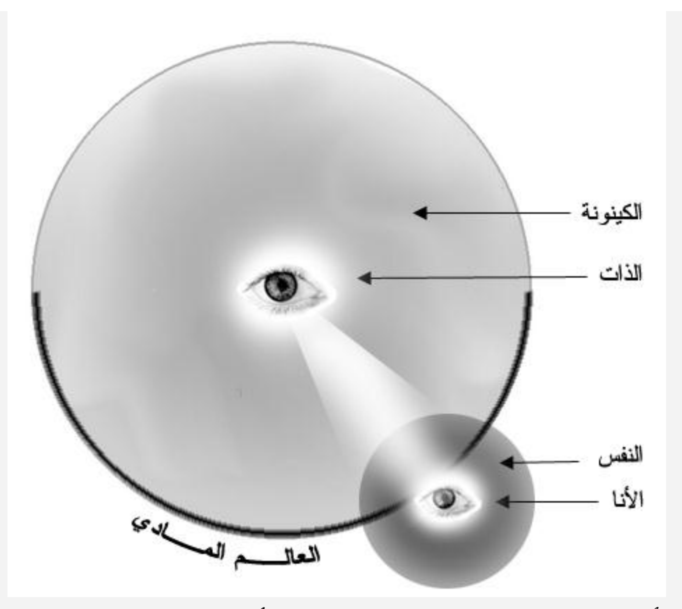
بعد موت الجسد المادي تنتقل الأنا إلى الداخل فتنزول مع اندماجها مع الذات (أوزيريس)

بالعودة إلى الطقس الموصوف في المخطوط المصري، يوصفون فيه كيف أن الفرد بعد موته يصبح نوع من الإله أو الكائن الروحي، وبهذه الطريقة يدخل إلى حضرة الإله العظيم. يتحول إلى شبيه الإله بذاته.. يأتي متكلماً باسم ذلك الذي اتخذ هيئته وشكله. هذا أمر مهم جداً في طريقة التفكير الديني. هذه الطريقة التي كانت سائدة في الماضي لم تعد موجودة اليوم.

ملاحظة: إذا عدنا إلى الجزء السادس من هذه المجموعة (جولة في عالم النور) واطلعنا على ما وصفه الأشخاص الذين اختبروا تجربة "الاقتراب من الموت" نجد أن ما شاهدوه واختبروه خلال حالة الموت المؤقت كانت متطابقة تماماً مع ما يوصفه المخطوط المصري عن "آني" الذي ينتقل إلى العالم التحتي ويحضر أمام الإله الأعلى. لقد تحدث المقتربون من الموت كيف انتقلت شخصيتهم الدنيوية معهم، أي "الأنا" لديهم (وهي التي أشار إليها المخطوط باسم "آني") وحضرت أمام الكائن النوراني الذي هو عبارة عن نور نقي يشعّ بالمحبة والحنان. والأمر الأهم هو أن هذه الأنا، بعد حضورها أمام الكائن النوراني، هي التي تصدر أحكامها على نفسها بعد مراجعة سريعة لمجريات حياتها الدنيوية (التي تظهر كما الشريط السينمائي السريع)، أي أن "الأنا" هي التي تحكم على نفسها وليس الكائن النوراني، وهذا ما أكده المخطوط المصري الذي قال عن "آني" بعد أن اتخذ هيئة الإله الأعلى: ".. يأتي متكلماً باسم ذلك الذي اتخذ هيئته وشكله..".

هذه الطريقة في التفكير الديني والتي كانت سائدة في الماضي تسلط الضوء على نقطة مهمة لم يعد لها وجود في نمط تفكيرنا العصري، وهي أنه على الفرد خلق وتنمية السمات الضرورية للنفس لديه لكي تساعده هذه الأخيرة في عالم النور أثناء حضوره أمام الكائن النوراني. نحن لازلنا نعتقد اليوم بأن النفس لدينا تستطيع تدبر أمورها لوحدها، أي إذا كانت جيّدة بما يكفي فسوف تكون آخرتها جيدة وإذا لم تكن جيّدة فلا حيلة لدينا سوى التسليم بالأمر الواقع والدعاء بحسن الآخرة. هذه النظرة المستسلمة تجاه النفس لم تكن قائمة لدى القدماء.

يوجد فرق بين النفس والأنا، حيث النفس تعتبر كائن واعي وحيّ قائم بذاته لكنها تبقى مجرّد مركبة أو أداة للأنا خلال تجليها في العالم المادي، وعند موت الجسد تعود النفس وتندمج مع محتوى الكينونة التي تمثل مركبة الذات في القسم التجاوزي (الشكل التالي). اندماج النفس مع الكينونة تمثل عودة "بيرسيفون" إلى أمها "سيريز" في الأسطورة اليونانية، وهذا ما سوف نتعرف عليه لاحقاً بالتفصيل.

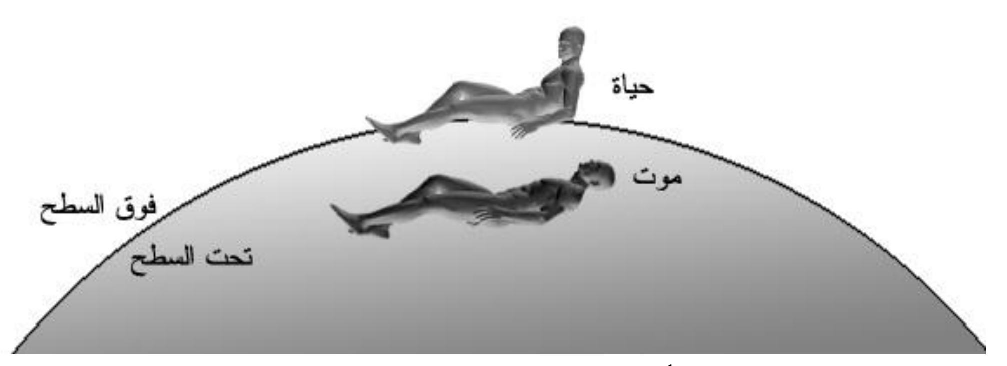


النفس بالنسبة للأنا هي كما الكينونة بالنسبة إلى الذات، أي عبارة عن محتوى واعي وحيوي. هي تمثل مبدأ أنثوي حاضن للمبدأ الذكري



عند موت الجسد وزوال الأنا بعد حضورها أمام الذات، تعود النفس للإندماج مع محتوى الكينونة

كان المصريون يعتقدون بأن النفس بعد تركها الحياة المادية تدخل إلى العالم التحتي حيث تقبع "شمس الليل" المعلقة في مركز الكرة. لقد أسيء تفسير هذا الوصف واعتُبرت الكرة التي أشار إليها الحكماء القدامى بأنها تمثل الكرة الأرضية فبدأ منذ حينها يسود اعتقاد يصوّر نزول النفس بعد الموت إلى العالم تحت الأرضي حيث الظلام الغريب. وراح خيال المفسرين الجهلاء يخلق واقع وهمي حول ذلك العالم تحت الأرضي الذي تنزل إليه النفس وتُحاكم على أفعالها خلال وجودها الأرضي. هناك مذاهب جعلته يمثل الجحيم ذاته، بينما مذاهب أخرى جعلته يمثل عالم الحساب الأخير. هذا الاعتقاد الخاطئ عن العالم التحتي انتشر بشكل واسع حول العالم القديم ومنه نشأت عادة الدفن تحت الأرض إذ هي محاكاة رمزية لمعتقد يفترض عودة النفس بعد موت الجسد إلى تحت السطح بعد عيشها فوق السطح. وهو كما ذكرت سابقاً، ناتج من سوء تفسير التعاليم السرية التي تتحدث عن نزول النفس من فوق سطح الكرة الوجودية إلى تحت السطح، أي من الخارج إلى الباطن حيث "شمس الليل" أي الشمس المركزية القابعة في لبّ الفقاعة الوجودية.



يعتمد تقليد الدفن تحت سطح الأرض على اعتقاد خاطئ ناتج من سوء تفسير التعاليم السرية حول نزول النفس من فوق السطح إلى تحت السطح. لكن السطح الذي قصده الحكماء القدامى هو سطح الكرة الوجودية للفرد وليس الكرة الأرضية.

جميعنا نعلم كأفراد منطقيين وعقلانيين بأن ما تفترضه بعض المعتقدات حول وجود الجحيم في الأسفل، تحت سطح الأرض، هو خاطئ وليس له أي أساس واقعي. والأمر ذاته ينطبق على الاعتقاد الذي يفترض وجود محكمة إلهية تحت الأرض حيث يُسأل الميّت عن أفعاله ويُحاسب عليها. هذه المفاهيم لم تعد مقبولة بالنسبة للانسان العصري مهما كانت درجة التزامه الديني.

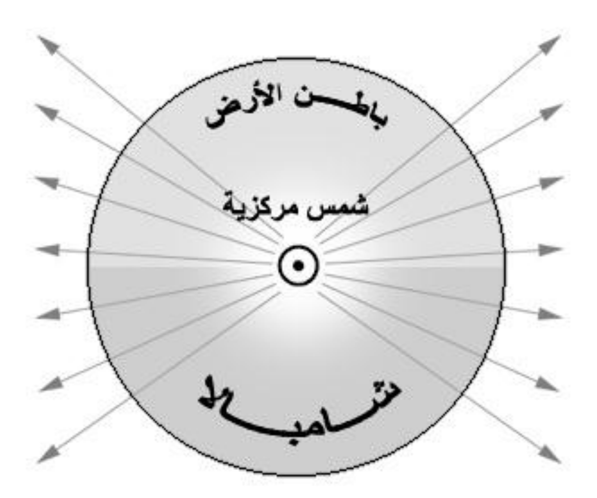
لقد تحدث الحكماء القدامى عن أن الإنسان بعد الموت يذهب إلى أسفل، أنه يترك السطح ويتوجّه إلى الداخل، لكنهم لم يتحدثوا عن الكرة الأرضية بل عن الفقاعة الوجودية لكينونة الإنسان. والفرق بين الأمرين كبير جداً. لقد حصل خلط كبير بين المفهومين. كانوا يقولون مثلاً: ".. خلال صحوته كان الفرد يعيش فوق السطح تحت نور الشمس الأرضية، بينما بعد الموت كان ينتقل إلى تحت السطح، حيث النور الداخلي..". لم يؤمن القدماء بأي حساب أو محاكمة بالطريقة التي توصفها المعتقدات الحالية. كانت النفس بالنسبة لهم إما تبقى قابعة هناك في الداخل أو تعود إلى السطح مرة أخرى، أي تعود لتتجسّد مرة أخرى (تقمص) حتى يتم تطهيرها بالكامل من ملوثات الدنيا المادية وفقط عند التطهير التام تبقى في العالم الباطني ولم يعد هناك ضرورة لعودتها مرة أخرى للتجسيد المادي. هذه الفكرة ستتوضح جيداً في هذا الكتاب.

الخلط بين فكرة العالم الداخلي (جوف الأرض) والعالم الباطني (داخل الفقاعة الشمسية)

غالباً ما يلجأ المنظرون لفكرة الكرة الأرضية المجوفة إلى التقاليد الشعبية والأساطير القديمة والنصوص المقدسة والتعاليم الروحية المختلفة لإيجاد ما يدعم فكرتهم، حيث تزخر تلك الموروثات القديمة بإشارات وأوصاف عن العالم الباطني الذي تقبع فيه الشمس التي لا تغيب وحيث النعيم والبهجة الأزلية، مما أدى إلى حصول خلط كبير في الموضوع. يؤكد مناصرو نظرية الأرض المجوّفة بأن حديث القدماء عن ذلك العالم الباطني يشير بشكل جازم إلى الأرض المقدّسة الكامنة داخل الكرة الأرضية المجوّفة، والتي من المنطقي أن تبقى قائمة حتى نهاية حياة الكرة الأرضية. وكذلك من ناحية أخرى، إن عبارات مثل "*.. الأرض المباركة ذو النور الأبدي الدافئ..*" وكذلك العبارة "*.. أرض الشمس الأبدية..*" جميعها يمكن أن تشير إما إلى الأرض القابعة في جوف الكرة الأرضية والتي تنيرها شمس مركزية داخلية، أو العالم الباطني الذي يتمحور حول شمس مركزية.

يوجد مثلاً المملكة الروحية السرية التي تحدثت عنها النصوص المقدسة في التبت والتي تُدعى "شامبالا" التي يُقال أنه منها سيأتي ملك مستقبلي عظيم على رأس جيش عظيم ليحرّر العالم من البربرية والطغيان وسيبشّر بعصر ذهبي يسود العالم من جديد. هذه في الحقيقة إحدى الصيغ التي استخدمها القدماء للحديث عن المخلّص. فنصوص "البوروناس" الهندوسية أيضاً تحدثت عن مخلّص للعالم يُدعى "كالكي أفاتارا"، وهو التجسيد العاشر والأخير لروح "فيشنو"، سيأتي قادماً من "شامبالا". كلا التقليدين البوذي والهندوسي يوصفان شامبالا بأنها تحتوي على قصر مركزي فاخر وجليل يشعّ نوراً قوية تشبه لمعان الألماس.

تُعرف جنّة شامبالا الأسطورية بأسماء كثيرة مختلفة. أطلق عليها اسم الأرض المحظورة، بلاد المياه البيضاء...، أرض الأرواح المشعّة، بلاد النار الحيّة، أرض الآلهة الأحياء، أرض العجائب، وغيرها. عرفها الهندوس باسم "أريايارشا"، الأرض التي جاءت منها تعاليم "الفيدا". سماها الصينيون "هسي تيان" أو جنّة "هسي وانغ مو" الغربية، وقد وصفوها بنفس أوصاف شامبالا التي تعني أيضاً "قصر السلام والهدوء". هي المركز الحقيقي للأرض، وتمثّل المركز الروحاني للعالم. يُقال أن في أواخر أيامه، عاد المعلّم الصيني الطاوي (نسبة لمذهب الطاوية) "لاو تزو" إلى هذا العالم الداخلي الذي كان يشير إليه باسم بلاد "تيبو".



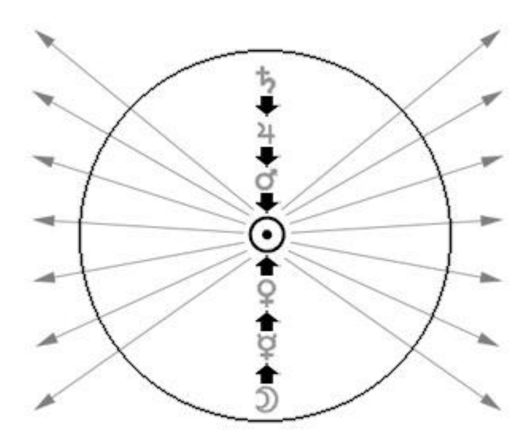
يظن المعتقد العام بأن شامبالا تقبع في جوف الكرة الأرضية حيث تكون الشمس المركزية، لكنها في الحقيقة تقبع في العالم الباطني حيث الشمس المركزية (الذات)

تقول النصوص البوذية بأنه يمكن الوصول إلى شامبالا بعد رحلة طويلة وشاقة. وتحذّر النصوص بأنه فقط الذين تم مناداتهم حيث أصبحوا محضّرين روحياً يستطيعون إيجادها. أما الآخرين فسيجدون فقط العواصف الحاجبة للرؤية وجبال خاوية أو حتى الموت.

بعض النصوص وضحت الصورة بشكل أكبر حيث وصفت مملكة شامبالا بأنها دائرية الشكل، لكن غالباً ما تُصوّر على شكل زهرة اللوتس ذات الأوراق الثمانية (وهي رمز الشاكرة الخاصة بالقلب). أي أن "مملكة شامبالا موجودة في قلبك"، تقبع في عالمك الداخلي.

معظم التقاليد الروحية القديمة تحدثت عن "الأرض المقدسة الخالدة" القابعة داخل دائرة العالم الداخلي. لكن معظمها تم تفسيرها على أنها تمثل أرض موجودة فعلاً في جوف الكرة الأرضية.

في الرواية الكلدانية لسفر التكوين، نقرأ: ".. الذين خلقهم الإله، وفي داخل الأرض خلق الإله لهم مكان للإقامة.. في داخل الأرض نمو وكبروا وأصبحوا عظماء، وازداد عددهم، سبعة ملوك، إخوة من نفس العائلة...". لقد صوّر الكلدانيون بأن للأرض شكل قارب دائري الشكل لكنه مقلوب رأساً على عقب وهو مفرغ من الداخل.



هذا هو الوصف العلمي للملوك السبعة ومكان إقامتهم وفق النصوص الكلدانية. وقد أشارت إلى هذا الموقع في مركز الأرض مراجع تاريخية كثيرة: هندية، إيرانية، صينية، اسكندنافية، وكذلك الأزتك في أمريكا الجنوبية. لكن مجرّد أن استبدلنا الكرة الأرضية التي تحدثت عنها المراجع بدائرة العالم الباطني حيث الشمس المركزية حينها نعلم عن ماذا كانوا يتحدثون.

هذا العالم الباطني هو الفردوس الذي وصفته المراجع القديمة. وقد وصفت الفردوس الصينية بأنها دائرية الشكل أيضاً. لدى شعب الاسكيمو أساطير تقول بأنهم جاؤوا من أرض خصبة وأشعّة شمس أزلية، وأنه بعد الموت تهبط الروح إلى جوف الأرض، أولاً إلى مكان للتطهير الروحي، لكن الأرواح الخيّرة تهبط أكثر إلى مكان ذو بركة كاملة مثالية، حيث الشمس لا تغرب أبداً.

تحدث كتاب الـ"أفيستا" Avesta (الكتاب المقدس عند الزردشتيين) عن مهد الشعب الفارسي، وهي أرض ليست موجودة في أي من المناخات السبعة للكوكب، بل في منتصف المنطقة المركزية. ويبدو في الوصف بأن كل سنة تبدو وكأنها نهار واحد فقط (أي انه ليس هناك ليل ونهار، بل نهار دائم بسبب نور الشمس الداخلية الذي لا يمكن حجبه أبداً عن المحيط). هذه الأساطير التي تتحدث عن أصول الأسلاف من العالم الأرضي هي شائعة جداً أيضاً في كل من أفريقيا وأستراليا.

يُسمى العالم الأرضي الفرعوني أو مملكة الأموات بـ"دوات" Duat، الذي يحكمه أوزيريس. في رحاب الـ"دوات" توجد حقول السلام، والتي عادلها الإغريق بحقول "أليسيا". يوصف الـ"دوات" أحياناً بأنه "عالم معاكس" أو "مديرية معكوسة" (العالم الباطني معاكس للعالم الظاهري)، وفي نصوص

الأهرامات نقرأ: ".. يا أوزيريس الملك، أنا إيزيس، لقد جئت إلى جوف هذه الأرض، إلى المكان الذي أنت فيه..". كان أوزيريس يمثل طائر الفينيق المصري الذي كان جالب رحيق الحياة، الـ"هايكي"، وهو مفهوم مشابه لمفهومنا حول السحر، الذي جلبه الطائر السماوي العظيم إلى مصر من مكان سحري بعيد، ما وراء العالم الأرضي. كان هذا المكان "جزيرة النار"، مكان النور السرمدي الكامن وراء حدود العالم الظاهري، حيث يولد الآلهة أو ينشطون في ذلك العالم الباطني ثم يُرسلون إلى هذا العالم. هكذا كانوا وصفون "داوت".



الداوت

في كتاب "كريتياس" Critias، يقول أفلاطون بأن المسكن المقدّس لزيوس هو في مركز العالم. وفي كتاب "الجمهورية" (الجزء الرابع) يقول بأن أبوللو، المفسّر التقليدي للشؤن الدينية، يسلّم تفسيراته "من مقعده الكامن في مركز الأرض".

نستطيع الحديث عن هذه الموروثات القديمة إلى لا نهاية لكن أعتقد أن الفكرة أصبحت واضحة. أنا شخصياً مقتنع بأن الكرة الأرضية مجوفة من الداخل، لكن يوجد فرق شاسع بين الموضوعين. الأوصاف القديمة كانت تستهدف العالم الباطني الذي تقبع داخله الشمس المركزية (الذات) وليس الكرة الأرضية.

الشمس الخالدة

وفق الحكمة المصرية القديمة، من المهم جداً للإنسان أن يستوعب حقيقة أن الذات لديه خالدة. هذه الفكرة تشكّل أساس التعاليم الشرقية أيضاً مثل البوذية. اعتقد المصريون بأن خلود النفس (أي بعد اندماجها مع الذات) وجب اكتسابها عبر الاجتهاد. وبالتالي فإن هذا الرمز الشمسي (الذات) لا يحمل الوعد فقط بل الواجب أيضاً أو الكاهل الثقيل. لكن مهما كانت الحال تبقى هذه الشمس مؤدية عملها لصالح الفرد. هذه الشمس لها طبيعة إيقاعية أي أنها تولد وتموت بشكل دوري. أي كما حالة الشمس العادية خلال مسيرتها اليومية في السماء تموت بعد الغروب وتنتقل إلى العالم السفلي، أو في مسيرتها السنوية تموت في فصل الشتاء، أو في دورتها الكبرى التي تنتقل من عصر التنوّر والخصوبة إلى عصر الجهل والقحل، نجد أنه دائماً الموت يتبع الحياة والحياة تتبع الموت.. وهكذا إلى الأبد. كان القدماء يؤمنون بهذه الفكرة بشكل حاسم. كلما بدى الموت على الشيء يكون الوقت قد حان لولادته من جديد. كلما ولد شيء ما علينا أن نتذكر بأنه لا بد من أن يموت في النهاية. علينا تذكّر دائماً العكس في كل حالة، لأن كل من هاتين الحالتين مرتبطة بالأخرى في سلسلة إيقاعية أبدية. الموت بالنسبة للقدماء هو مجرّد انتقال مؤقت إلى الداخل ثم العودة للانبعاث إلى الخارج مرة أخرى لتبدأ حياة جديدة و"أنا" جديدة وخبرة دنيوية جديدة.

بالنسبة للمصريين القدامى لم يكن هناك جحيم ولا نار ولا لعنة إلهية من أي نوع. كان العالم التحتي يُضاء بنور الشمس الداخلية. أي العالم التحتي هو عالم داخلي أو باطني. إذا تُرجمت الكتابة الرمزية بشكل صحيح سوف نرى أنهم يقصدون بأنه بعد الموت تتراجع النفس إلى داخل الكينونة.. إلى الجوهر. تتراجع إلى طبيعتها الأصيلة في العالم الباطني. الانتقال إذاً هو إلى الداخل وليس إلى الأسفل. من خارج الشيء إلى جوهره. وفقاً للطقوس المصرية، العالم الباطني المظلم الذي تدخله النفس هو الحياة الداخلية للفرد. عندما يموت الجسد المادي وتموت معه الحواس الجسدية تنقطع الأوصال بينه وبين الوعي الخارجي فتبقى النفس واعية لكن يكون وعيها من نوع آخر، حيث تتحول إدراكاتها الحسية للعمل في مستوى وجودي مختلف. هذه الإدراكات الحسية الجديدة لم تعد قادرة على إدراك العالم الأرضي ولا رؤية الشمس الأرضية، لكنها تدرك العالم الباطني بوضوح وترى الشمس المركزية بكامل روعتها وجلالتها. هذا هو عالم النور الذي ينتقل إليه الفرد بعد موت جسده. لكن عالم النور هذا يكون مظلماً بالنسبة للعين الجسدية.

لقد سادت أيضاً بين جميع الشعوب، تقاليد وموروثات شعبية تناولت أرض مقدّسة أو فردوس، حيث تسود المثل الإنسانية العليا والنموذج الحقيقي للإنسان والحيوان والنبات. هذه الأرض لا تفنى ولا تزول. منها ينبثق الإنسان وإليها يلتجئ. هذا المفهوم موجود أيضاً في جميع المخطوطات والنصوص التي تعود للحضارات القديمة، الفرعونية والصينية والهندية وغيرها.. هذا العالم الذي قالوا بأنه يكمن في الأسفل تم تفسيره خطأً بأنه كامن في جوف الكرة الأرضية. لكنهم كانوا يقصدون داخل الفقاعة الشمسية لكل إنسان. أي عالمه الباطني. (عالجت هذا الموضوع في فقرات سابقة)

النفس فقط هي التي تنتقل للداخل وتبقى، بينما "الأنا" تزول فوراً بعد الدخول. لهذا على الفرد الاعتماد على النفس في هذه الحالة، وكذلك على نور الشمس الباطنية حيث هذه الأخيرة تمثل الذات المركزية للفرد. عندما ينام الفرد يتراجع إلى العالم الداخلي حيث تقبع هذه الذات المركزية وعندما يصحو يطفو إلى السطح مرة أخرى إلى العالم الخارجي الذي يألفه. لقد مثّل القدماء هذه الحالة الفردية (النوم والصحوة) بمسيرة الشمس التي تحلّق في السماء نهاراً ثم تغرق في الأرض ليلاً، أي أن نورها يضيء العالم الخارجي نهاراً ثم تغرق في الأفق لتضيء العالم الداخلي ليلاً. هذا ما يحصل في حالة الحياة والموت، حيث تضيء الشمس العالم الخارجي خلال الحياة ثم تغرق إلى تحت السطح لتضيء العالم الداخلي عند الموت. الإنسان إذاً بعد موته يعتمد على الشمس الباطنية خلال عيشه في العالم الداخلي لكينونته.

بالنسبة للمصريين القدامى، مثّلت الشمس الأرضية حالة الصحوة العادية لدينا، بينما الشمس الباطنية تمثل صحوتنا الداخلية. لقد اهتم المصريون بأن تشعّ الشمس الباطنية بسطوع في ظلمة الحياة الداخلية. عليها أن تكون قوية وساطعة لكي لا تسود العتمة في العالم الداخلي. في حالة الحياة يتدفق الفرد من الداخل إلى الخارج، بينما في حالة الموت ينطوي الفرد إلى الداخل ليعيش في جوهره، ليندمج مع الذات المركزية. هذه الرحلة التي تجريها النفس خلال انتقالها إلى العالم الداخلي تم محاكاتها في الطقوس الشعائرية التي جرت في المعابد المصرية القديمة. يتم خلالها محاكاة النفس أثناء استكشافها العالم الداخلي، فيدخل المريد عبر متاهات متعددة من الاختبارات والتجارب الغامضة ليصل أخيراً إلى الحرم الداخلي، إلى معبد الأماكن المحجوبة، الذي يحكمه سيّد المنزل السرّي. هنا يصل المريد إلى حضرة "شمس الليل"، الشمس الداخلية، فيرى بعدها بواسطة الوعي لديه شمساً تسطع في السماء المركزية. ووفقاً للمراجع المصرية القديمة يختبر الفرد أثناءها تجربة غريبة، حيث كما في حالة الصحوة العادية في العالم الخارجي الأمر ذاته يحصل مع الفرد حيث يفتح عينيه

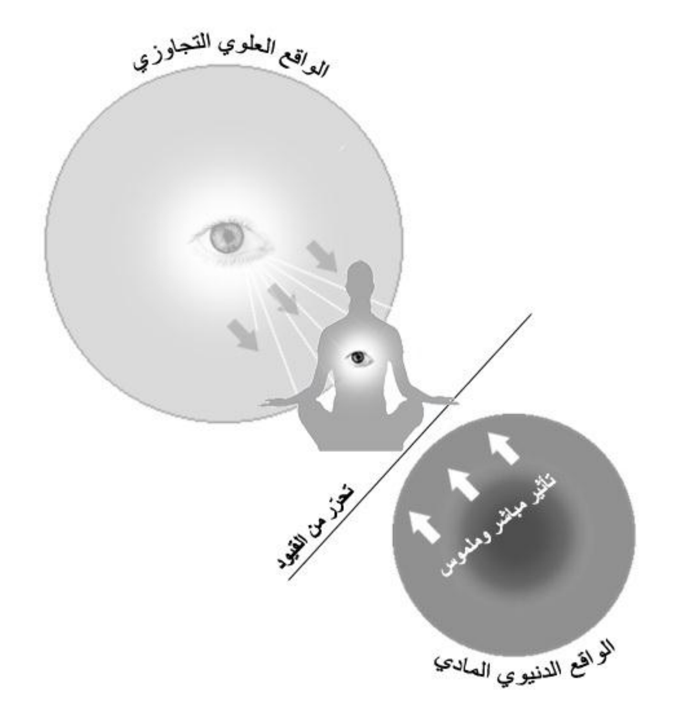
ويرى عالم واسع من حوله. عالم رائع ومذهل يمتدّ إلى لانهاية وتكون طبيعته شبيهة بالعالم الأرضي المحيط بنا. ووسط هذا العالم الداخلي البهيج تبرز الشمس الداخلية بكامل مجدها. تسطع هناك أمام النفس الساجدة المسلّمة.

لازالت تتعاظم قوة الأغلال الدنيوية التي تكبّل الإنسان وتأسره ضمن نطاق جسده المادي وما تفرضه عليه الحياة اليومية من مغريات ومسؤوليات وأحزان ومآسي. لقد نسي الإنسان بأن طبيعة النفس لديه نقية وسامية وجليلة وموطنها الحقيقي هو في العالم السماوي وليس الأرضي، لكنها تدنست بمجموعة من الملوثات الدنيوية التي قيّدتها وعطّلت توقها الباطني للحريّة والعودة إلى أصلها الحقيقي. إن اتباع درب التحرّر من أغلال العالم المادي يساهم في تخليصنا بالتدريج من هذه الحالات الذاتية الزائفة. هذه الدرب تساعدنا على التخلي عن بدعة الانفصال ورؤية الذات الحقيقية بداخلنا والتي هي متطابقة مع الذات في كل مخلوق آخر.

....

الخلاص ومفهوم المخلّص

من أجل النجاح في الارتقاء الروحي، أي التحرر من أوهام العالم الدنيوي والعودة للاندماج مع الذات الحقيقية، على الفرد أن يؤمن بوجود هذه الأخيرة ويتصرف على هذا الأساس، أي السعي من أجل إعادة بعث إله الشمس من جديد واستعادة عرشه في كيانه بعد أن اغتصبه الشيطان الممثل بالحياة المادية ومغرياتها. وقد ذكرت في الجزء السابق فكرة عن التطور الروحي وفق المنهجية الاثنى عشرية (تحديات هرقل) وكذلك المنهجية السباعية (المدارات السبعة). علينا أن نخلّص النفس (الأميرة الجميلة) من الأسر في زنزانة الوحش وذلك عبر الاجتهاد في تنقيتها من ملوثات الحياة الدنيوية التي حجبت عنا نور الشمس الباطنية. في هذا الكتاب سوف تتوضح هذه العملية جيداً بعد التعرف على مفهوم "المخلّص" والمعنى الحقيقي لفكرة "الخلاص". لقد استهلكنا كامل اهتماماتنا وقوة انتباهنا على المغريات الدنيوية الوهمية التي تمثّل أشباك تأسر كينونتنا وتمنعها من التعبير عن ذاتها بحريّة. عند هذه النقطة بالذات علينا التعرف على المعنى الحقيقي للخلاص ومفهوم "المخلّص".



مفهوم المخلّص يمنحنا بُعد آخر لمقاربة التعاليم القديمة المتعلقة بالشمس. لأن أشعّة الشمس تصنع المعجزات حيث تحيي كل الأشياء وترفع بالأحياء في جوهرها لهذا السبب أصبحت رمزاً لإعادة البعث من الموت وتجدّد الحياة والخلاص. مثّلت الشمس بالنسبة للقدماء الوعد الكلّي الأبدي. هي تكشف عن حقيقة أن قوة الإله لا تخفق أبداً وأن سرّه يبقى قائماً إلى الأبد وأن نوره باقي دائماً ويشعّ قوته من خلال المخلوقات. نورها المتجلّي ظاهرياً في العالم يخفي قوة باطنية غامضة. لازال الإنسان العادي عاجز عن إدراك سرّ القوة الشمسية. الشمس الباطنية هي فعلياً المخلّص. الشمس معلقة بين السماء والأرض (أي تقبع في الوسط في الكائن بين المستوى الروحي والمستوى المادي)، وبالتالي يمكن اعتبار المخلّص وسيطاً بين الإله والإنسان. ما من شيء أتى من الإله إلا وكان عن طريق الشمس (المخلّص). هذا المفهوم كان راسخاً في كل مكان في العالم القديم. بين كل الثقافات والمعتقدات. هذا المفهوم يساعدنا على فهم قوة الحياة وآلية الخلاص.

إذاً، المخلّص موجود داخل كل فرد منا. هو نور الشمس الباطنية القابعة في مركز كياننا، أي إشعاع الذات المركزية.. هو القدرة الباطنية الكامنة على التفهّم والتطور والنمو.. هو النور اللطيف الخفي غير المرئي الذي يتقدم من الداخل ويغمر الفرد في الخارج. من الناحية الفلسفية، هو القدرة على الإدراك السليم والفهم الصحيح، هو التنوّر بكل ما تعنيه الكلمة. من الناحية الصوفية، هو قوة الحب الخلاقة. أما كيفية الاندماج مع هذه القوة المنبعثة من الإله القابع في داخلنا فهذا من اختصاص المدارس السرية التي ازدهرت يوماً في معابد الحضارات القديمة. هذا الإله الباطني هو الشمس الداخلية، الذات المركزية القابعة في جوهر الفرد. هذه هي شمس المسيح التي تخلّص الفرد بنورها. هذه هي الشمس التي على الفرد تقديرها والاعتراف بها والمكافحة من أجلها، لأنه عند ظهورها وشروقها في جوهره تمنحه الخلود. وكما تقول إحدى الشعائر المصرية القديمة: ".. لا يمكن أن يكون هناك موت عندما تمنح الشمس نورها خلال شروقها..". الخلود إذاً مرتبط بشروق الشمس الباطنية في جوهر الفرد.

الانتصار النهائي بالنسبة للمصريين القدامى لم يكن انتصار الخير على الشر أو النور على الظلام، حيث هذه المواضيع مهمة بدرجة معينة لكنها مرتبطة بأمور قدرية أكثر من كونها إرادية. الانتصار بالنسبة لهم كان انتصار الحياة على الموت. هو الانتصار الكامل في وعي الإنسان.. هو إنجاز عملية وصل النفس مع العالم السرمدي الداخلي.. هو معرفة الإنسان فجأة عند شروق الشمس الداخلية بأنه كائن خالد وأبدي.. فيكرّس نفسه لخدمة العالم الأعظم بدلاً من العالم الأقل شأناً.

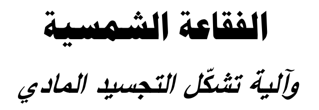
شروق الشمس الداخلية في جوهر الفرد تجلب معها نور الحقيقة الأبدية. كان المصريون يرمزون إلى حالة التنوّر بصعود "خفي رع" (الجعل المجنّح) فوق الأفق كما تصعد الشمس في الفجر. النور الذي ينبثق من هذه الشمس الباطنية لا يضيء الأسطح الخارجية للأشياء فقط بل يتغلغل إلى بنيتها الداخلية أيضاً، أي تُغمر الأشياء تماماً بالنور. هذا النور الداخلي وهذه الحياة الداخلية هي تأكيد على الاستمرارية الأبدية. لتحقيق هذه النهاية المجيدة على الفرد أن لا يكتفي بالتقوى والزهد في الحياة الدنيوية فحسب، بل أن يقدم نفسه كأضحية من أجل الشمس الباطنية. أي أن يكرّس نفسه تماماً. مثلاً، وفقاً للنصوص القديمة، على الفرد أن لا يكتفي بفعل الخير بل أن يكون خيراً بذاته، والفرق بين الحالتين كبير جداً. أي، لا يكفي أن نلتزم بشعائرنا وتقاليدنا وفرائضنا الدينية وكأنها فرائض إجبارية بل هناك المزيد في الأمر. علينا أن نسعى إلى اختبار الحالة التي تصعد بها الشمس بداخلنا. أي خلال عيشنا حياتنا الدنيوية علينا أن نكون مدركين لوجود هذا المصدر الداخلي للنور. مجرّد الاعتراف بوجوده يكفي لحصول تغييرات جذرية في حياتنا اليومية، فما بالك السعي للاندماج معه.



إن شروق الشمس الباطنية في جوهر الفرد يؤدي إلى زيادة في تقديره للأمور بطريقة سليمة وإدراكه لجوانب كثيرة من الحقيقة والتي لم تكن مُدركة سابقاً. أوّل ما نلاحظه هو أن ارتباطه بالشؤون الدنيوية ينحسر ثم يتلاشى تماماً. هذا الشروق للشمس الداخلية ينهي نزعة الصراع للبقاء في الحياة الدنيوية وبالتالي يزول الإجهاد النفسي والمعنوي الذي يترتب من ذلك. ينهي أيضاً المخاوف

والإحباطات والهواجس والأحزان. شروقها يجلب معه الدفئ والهدوء والسلام والتجدّد وكل الأشياء الجيدة في نفس الإنسان. لن يعد الفرد يعيش بظلام الحياة الجسدية كالسابق لأن هذه الحياة قد غُمرت بنور الحقيقة. في حياته الجسدية العادية يعيش الإنسان في حالة دائمة من ظلام الشك مثقلاً بمشاكل وهواجس ومسؤوليات يومية وبالتالي لا يجد سعادة في مسيرة حياته ولا يستطيع حماية القيم التي يتمتع بها لأنه معرّض في أي لحظة للتخلّي عنها في سبيل المحافظة على البقاء الدنيوي. يرى العالم من حوله على شفير الحرب أو الكوارث المختلفة، يرى كيف تعمل المعرفة المتطورة على تدمير السلام والأمل. وبالتالي هو كما أسلافه المتوحشين، مع تلاعبه بالنار الصغيرة التي بيده يبقى خائفاً من الظلام الكبير الذي يحيط به. النار التي بيده تمثل معرفته وإيمانه وأمله الوحيد. لكن عند حضور فجر الصبح العظيم لم يعد هناك ظلام. النور هو خلاصه الوحيد. النور هو السلاح الذي استخدمه أبطال الأساطير للقضاء على الوحوش. هو النور العظيم للفهم الباطني.. التنوّر. هذا النور هو العنصر الخيميائي العجيب الذي لديه قدرة تحويلية هائلة بحيث يُستبدل الجهل بالحكمة، التوهّم بالبصيرة، الشك باليقين، الخوف بالاطمئنان، الحقد بالتسامح، والبغض بالمحبة.. إلى آخره. يحرز الإنسان كل هذه الأمور وأكثر بعد شروق "خفي رع" في قمة مجده فتسطع الشمس المركزية في داخل الانسان.

....

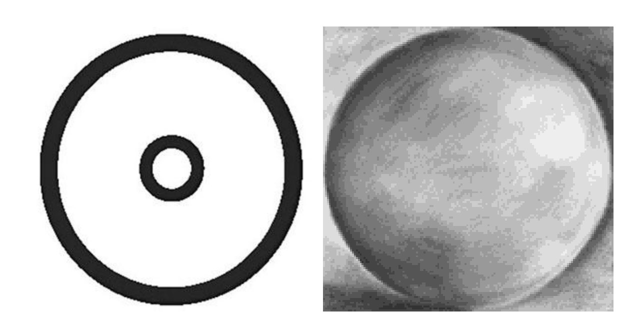


الفقاعة الشمسية

وآلية تشكّل التجسيد المادي

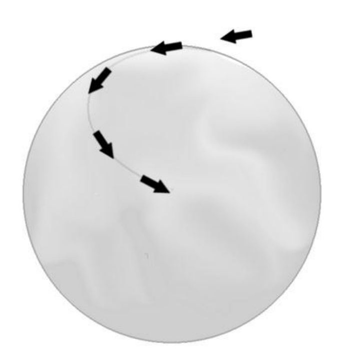
سبق وتعرفنا في الجزء الثامن على عملية الخلق وكيف حصلت في البداية خارج نطاق المكان والزمان، أي في عالم الأفكار والأنماط الأولية. وقد اختار الخالق [جلّ وعلا] مسرحاً كروياً لعمله. الشكل الكروي هو أبسط الأشكال وأكثرها كمالاً. الكرة هي التعبير النهائي للوحدة والكمال والتكامل. لهذا يُعتبر الشكل الكروي عموماً الممثّل الهندسي للواحد المتجلّي، للوحدة الجامعة، للشمولية، للبساطة، وكذلك للتناظر. يمثل هذا الشكل أيضاً الرحم اللامحدود للكون المتجلّي والذي يُرمز له في المخطوطات بالدائرة. هذه الكرة تشبه تماماً فقاعة الصابون، حيث تخلقها حالة توازن بين قوى دافعة من المركز وبين قوى دافعة نحو المركز. هذا المركز والمحيط الخارجي يمثلان أقطاب متعاكسة حيث بينهما تنبعث قوى متمددة وأخرى متقلصة. كافة النقاط على محيط الكرة قابلة للوصول بشكل

متساوي من منظور المركز الذي منه يتأصل كل شيء. كافة الأشياء تحاكي مبدأ الاحتواء الكروي الكامل: الذرات، الخلايا، البذور، الكواكب، الأنظمة النجمية.. إلى آخره. الشكل الكروي هو الشكل الأوّل والوحيد الذي تم خلقه في الوجود. الشكل الكروي هو النتيجة النهائية لكل النشاطات. داخل هذا الشكل الكروي خلقت الأشياء، مهما بدا شكلها غير ذلك. الأشياء تولد وتنمو وتتطور داخل الشكل الكروي. الأشياء النامية تظهر في البداية من لا شيء، ثم تنمو إلى قمة الكمال، لكن ما تلبث أن تبدأ بالزوال والعودة ثانية إلى اللاشيء، بحركة إيقاعية متناسقة ومتناغمة. اللا شيء لا يعني الاختفاء إلى الأبد بل هو حالة اختفاء وقتي تتبع كل ظهور وقتي، وهذا الأخير يكون مسبوقاً باختفاء وقتي.. وهكذا.

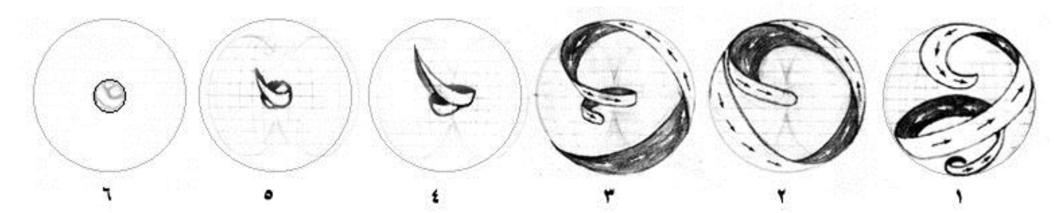


أما الدائرة، فهي تمثيل هندسي ثنائي الأبعاد للشكل الكروي. تعتبر الدائرة عبر التاريخ الثقافي القديم أيقونة تمثل الوحدة التي يتعذر إدراكها فكرياً أو وصفها بكلمات. هي تمثل الإنجاز غير المجزأ للكون. كافة الرموز والأشكال الهندسية الأخرى تعكس المظاهر المتنوعة للكمال المكتمل والعميق لشكل الدائرة أو الكرة. عند مركز الكرة أو الدائرة يوجد نقطة مركزية. هذه النقطة لا تحتاج إلى أي من الأبعاد لكنها رغم ذلك تشمل كل الأبعاد. عند هذه النقطة بالذات تكاثف محتوى البيضة الكونية بعد تلقيحها من قبل النفس الإلهي.

ذكرت كيف تم تلقيح البيضة في الجزء الثامن، وكيف حصل تكاثف للمحتوى من محيط البيضة إلى مركزها. لكن حركة الخلق أدت إلى نشوء عامل الزمن حيث راحت عملية التكاثف في مركز البيضة تتكرر على الدوام. المسيرة اللولبية المتكررة للمحتوى نحو التكاثف في المركز أدت إلى نشوء دوامتين متعاكستين تلتقيان في مركز الدائرة مما أدى إلى حصول حالة نبض دائم في المركز. هذه الحالة النابضة في مركز الكرة ولّدت ما نسميها الشمس المركزية. يمكن اختصار كامل العملية في الشروح المصورة التالية:



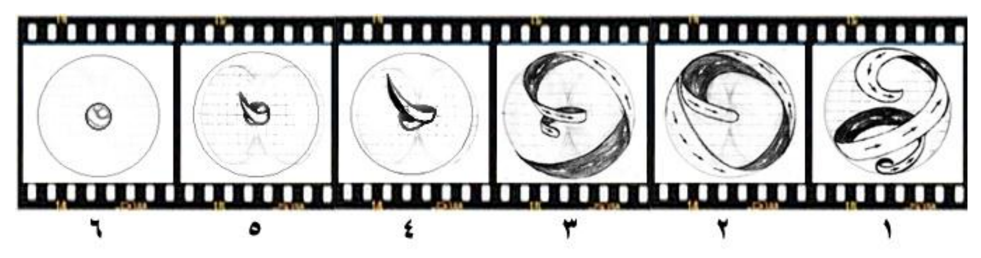
انطلاق قوة ذات حركة لولبية باتجاه مركز البيضة الكونية



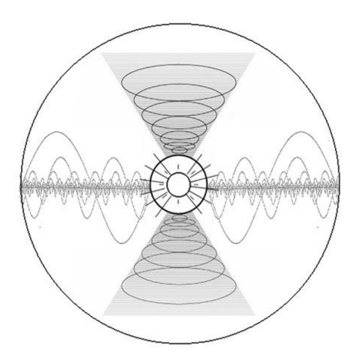
مسيرة التكاثف عند مركز البيضة الكونية على شكل حركة لولبية



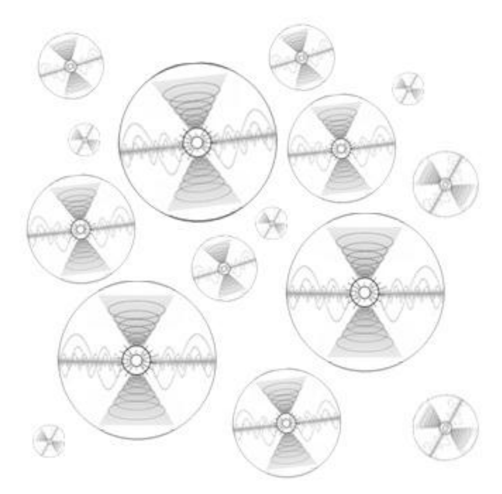
تكاثف المحتوى في مركز البيضة



نشوء عامل الزمن مما أدى إلى تكرار عملية التكاثف في مركز البيضة



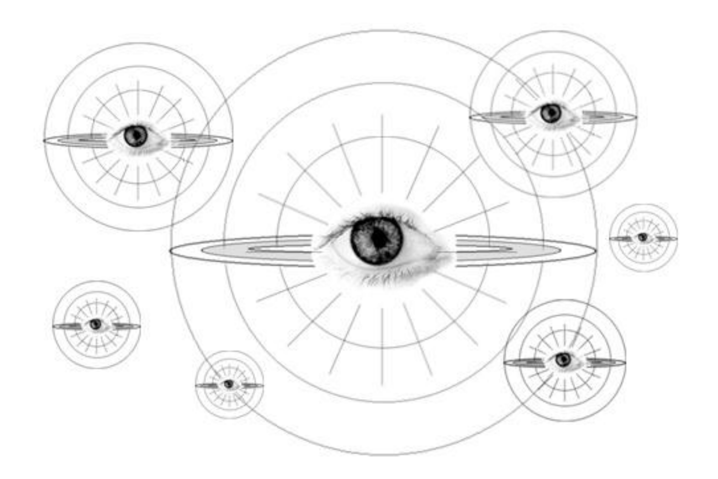
التكرار المستمرّ للحركة اللولبية نتيجة نشوء عامل الزمن أدى إلى نشوء دوامتين ولدتا حالة تذبذب أو نبض عند نقطة التقاءهما في المركز. هذه الحالة النابضة هي الشمس المركزية.



نشوء عامل المكان مما أدى إلى تكرار الحركة اللولبية في كل زمان ومكان (نشوء التعددية) وهذا يجعل وجود شموس مركزية في كل مكان وعلى كافة المستويات ابتداء من المستوى الكوني نزولاً إلى المستوى الذري، ومن المستوى المادي إلى المستوى الطاقي.

النمط الأوّلي للشيء هو حالة افتراضية لذلك الشيء وليس له وجود مادي بعد. وفقاً للطبيعة التراكبية للكون، أي ".. الجزء يمثل الكلّ والكل يمثل الجزء.."، نستنتج أن كل نقطة في الكون المتجلي هي بؤرة مركزية تتمحور حولها كافة المبادئ التي ولدت في اللامكان واللازمان. الكائن الأسمى [جلّ جلاله] هو تجاوزي ومتأصل بشكل مطلق. هو متجاوز الأشياء لكنه بنفس الوقت متأصّل في كل الأشياء وعلى كافة المستويات (من المجرّة الكونية نزولاً إلى الذرة). علينا إدراك "الكلّ" الكامن في كل شيء بصفته الكائن المتواجد في كل مكان وكل زمان. لهذا السبب علينا

التسليم بأن كل نقطة في الكون المتجلّي تمثل شمس مركزية قائمة بذاتها. وهذا يعني بالتالي أن كل نقطة في الكون المتجلّي تمثل مركز للوعي. أينما يوجد مركز تكاثف للمحتوى الكوني لا بد من وجود وعي. وقد رأينا كيف أن الوعي الذي يقصده الحكماء هو مبدأ الشمس (المُمثّلة برمز العين). وبالتالي، فإن كافة أشكال الحياة "الفردانيّة" هي عبارة عن "شموس" (مراكز انبعاث للوعي) بحيث تمثّل انعكاسات مختلفة للشمس الكونية المركزية. بالتالي، عندما يتحدث القدماء عن الشمس ويشرحون مظاهرها وقواها المختلفة فالأمر لا يقتصر على الشمس الكونية المركزية، أو تلك التي تقبع وسط نظامنا الشمسي، بل يشمل كل الشموس في الوجود، أي كافة الكائنات الفردية في الكون، وهذا لا يستثني الجسيمات الذرية التي هي أيضاً تعتبر شموس دقيقة. ما ينطبق على الشمس الكونية ينطبق على باقي الشموس في الوجود.



إذاً، وفقاً للفكرة السابقة التي تتحدث عن الطبيعة التراكبية للكون بحيث كل نقطة في رحابه تمثل بؤرة مركزية تتمحور حولها كافة المبادئ التي ولدت في اللامكان واللازمان، نجد أن أهم مظاهر المبدأ الشمسي المتجلّي هو الفقاعة دائرية الشكل التي تمثل الوعاء الذي يحوي نشاطات النواة الشمسية. بما أن عملية التكاثف في العالم التجاوزي حصلت داخل مساحة كروية الشكل (سماها الحكماء البيضة الكونية) فهذا بالتالي يجعل كل نشاط شمسي في العالم المتجلّي يحصل ضمن إطار دائري الشكل وقد سميتها فقاعة ومن هنا جئت بمفهوم الفقاعة الشمسية، ذلك تماهياً مع نموذج البيضة الكونية القابعة في العالم التجاوزي.

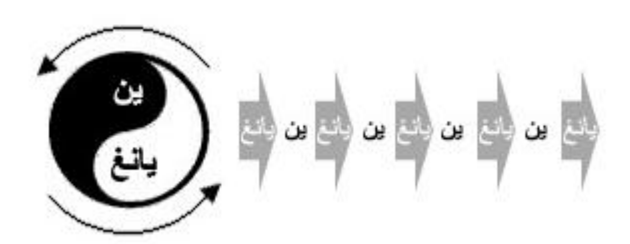


الكون المتجلّي لا يتألف من محتوى سيولي انسيابي كما نراه ظاهرياً بل هو عبارة عن بحر من الجسيمات الذرية الدقيقة، أي بمعنى آخر فقاعات شمسية دقيقة تملأ الوجود ويسمونها اليوم ذرات.

النواة الشمسية النابضة

وفقاً للشرح السابق نستنتج أنه داخل كل فقاعة شمسية يوجد نواة شمسية نابضة. هي نابضة على الدوام وبوتيرة مستقرة وإيقاع ثابت. توصف التعاليم الصوفية هذه العملية بالتنفّس المستمرّ داخلاً وخارجاً. هذا هو نفس "براهما" الذي تحدث عنه الهندوس. جميع التعاليم الباطنية حول العالم أشاروا إليه بـ"تنفّس الإله الأعلى" (شهيق وزفير) أو "نبضات القلب الكوني". أما الفيزياء الحديثة فتسمي هذا التنفس الإلهي طاقة كهرومغناطيسية، وهي طاقة متذبذبة (+/_ +/_)، وجميعنا طبعاً نعلم بأن الطاقة الكهرومغناطيسية تمثّل حجر بناء كل شيء في الكون المادي، بما في ذلك الضوء والصوت والمادة الملموسة.

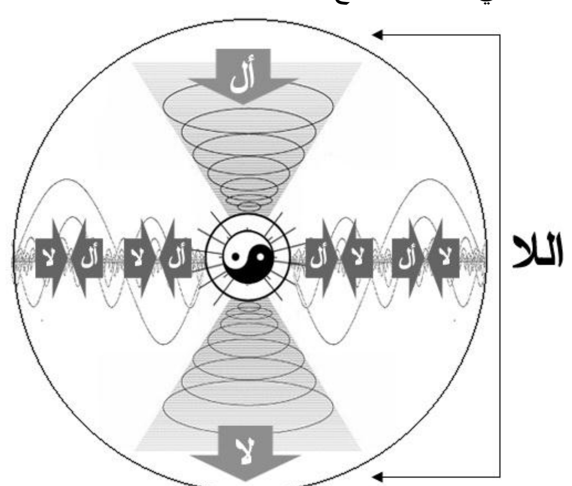
هنا يكمن أساس مبدأ الـ"ين/يانغ" وفقاً للتعاليم الصينية، حيث الـ"يانغ" يمثل القطب الموجب بينما الـ"ين" يمثل القطب السالب. ومثلوا نبضات الشمس بدوران قرص الـ"تايجيتو" Taijitu مما يؤدي إلى حالة تناوب بين القطبين بصيغة +/- +/- +/- +/- ... إلى آخره.



دوران قرص الـ"تايجيتو" يؤدي إلى تدافع نبضات متناوبة بصيغة ين/يانغ. الأمر ذاته ينطبق على النبضات الشمسية

وفقاً لتعاليم القبالة العبرية، عند انطلاق الحركة اللولبية داخل الكرة الكونية انقسمت إلى قسمين: [١] قسم علوي يمثل المحتوى الإلهي (حضور الذات الإلهية)، و[٢] قسم سفلي يمثل انعدام المحتوى الإلهي (غياب الذات الإلهية). بالتالي أشاروا إلى القسم العلوي بالمصطلح [أل] AL، والقسم السفلي سموه [لا] LA (أي كلمة [أل] بالمقلوب).

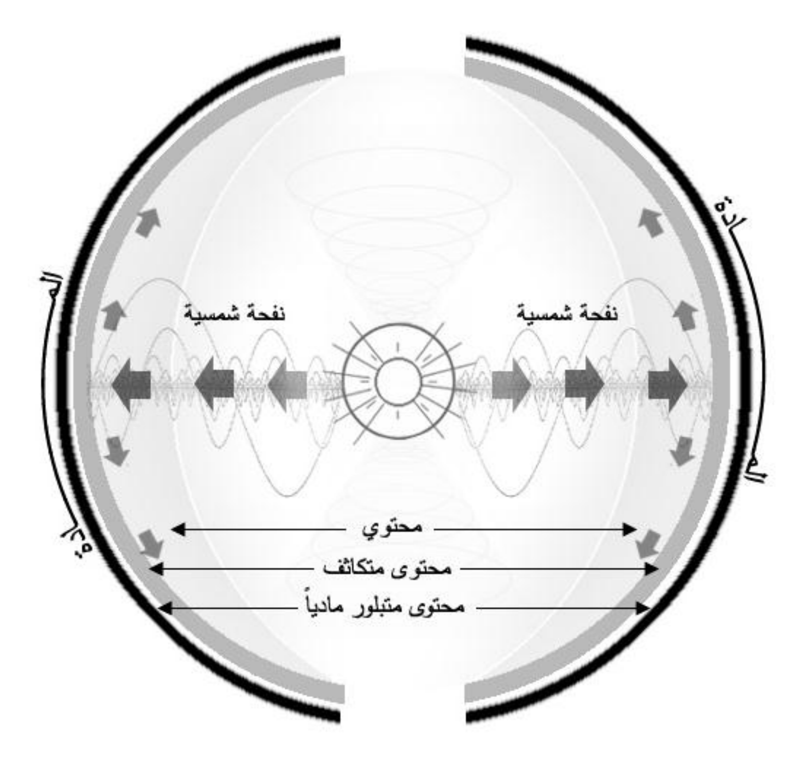
هذا يجعل القوة المتذبذبة المتشكلة في المركز بين الدوامتين العلوية والسفلية تتذبذب بصيغة ال/لا ال/لا ال/لا... وهكذا. ومن هنا جاء الاسم الشهير الذي استخدمه قدماء الشرق الأوسط بما فيهم العرب القدامى للإشارة إلى أكبر آلهتهم، حيث نجد أسماء مثل: اللات، اللاة، اللة.. إلى آخره. تبين أن هذا أحد أسماء الشمس التي عبدها الجميع.



اللات أو اللاة أو اللة... وهو أحد أسماء الشمس التي عبدها الجميع في العالم القديم، وهذا الاسم بالذات هو الذي استخدمه العرب القدامى للإشارة إلى أكبر آلهتهم

ملاحظة: عندما نتحدث عن شمس معينة إنما نتحدث عن كل شمس في الوجود وليس فقط شمس مجموعتنا. مع العلم أنه حتى الخلية أو الذرّة منبعثة من شمس قائمة بذاتها. لهذا السبب النموذج الشمسي الذي أتناوله في هذا الكتاب لا يمثل بالضرورة الشمس التي نراها في السماء من فوقنا والتي تقبع وسط مجموعتنا الشمسية، فهذا النموذج هو نموذج عام يشمل كل الشموس في الوجود وعلى كافة مستوياته. كل ما أوصفه من مبادئ ونشاطات تتعلق بهذا النموذج الشمسي ينطبق على كافة الشموس الأخرى.

أصبح لدينا نواة شمسية نابضة تقبع في مركز فقاعة كروية الشكل، والتنابض المستمر للنواة الشمسية يدفع بالمحتوى ليتكاثف على محيط الفقاعة الشمسية. كما في الشكل التالي:



هذا هو النمط الأولي للمبدأ الشمسي الذي سوف أتناوله في الكتاب. هذا النمط ينطبق على كافة الشموس في الوجود. هو عبارة عن نواة شمسية نابضة تقبع في مركز فقاعة كروية الشكل، والتنابض المستمر للنواة الشمسية يدفع بالمحتوى ليتكاثف على محيط الفقاعة الشمسية.

من خلال شرح هذا النموذج الشمسي سوف نتعرف على الآلية الفعلية للتجسيد المادي الذي تسببه النواة الشمسية النابضة على الدوام. المادة الصلبة تنشأ أساساً نتيجة النبض الشمسي الذي يدفع بالمحتوى الأثيري ليتكاثف على محيط الفقاعة الشمسية. هذا التنابض هو الذي يجعل الذرّة تتناوب بين حالة طاقية وحالة مادية، أي حالة اختفاء وظهور متناوب على مسرح الوجود.

كان القدماء يعلمون بأن المادة هي عبارة عن محتوى أثيري متبلور مادياً، أي هي تبدو صلبة لكنها غير ذلك. المادة هي منتوج تنابض نفحة شمسية مستمرّة، نفس إلهي (زفير/شهيق)، نبضة قلبية كونية، حركة متناوبة صعوداً/نزولاً.. تجلّي/اختفاء.. إلى آخره. بالإضافة إلى ذلك، المادة تمثل أيضاً الطور الرابع لمسيرة التجسيد (دفع، تسارع، عطالة، توقف).



المبادئ الأربعة متجلية بوضوح في مسيرة النبضة الشمسية نحو التجسيد المادي. تندفع النبضة من الشمس، فتتسارع نحو المحيط، لكن ما تلبث أن تتباطأ (عطالة) بسبب تكاثف المحتوى عند جدار الفقاعة، فتتوقف النبضة عند جدار الفقاعة جاعلة المحتوى المتكاثف يتبلور مادياً.

المحتوى الأثيري داخل الفقاعة الشمسية (البيضة الكونية) قد تجمّع بفعل قوة الدفع المنبعثة من المذبذب المركزي (أي الشمس) فنشأ ما يمكن اعتباره تدرّج متكاثف للمحتوى الأثيري على محيط الفقاعة. هذا المحتوى المتكاثف هو نابض بطبيعته وذلك تجاوباً مع النبضة الشمسية. من هنا جاء المفهوم القائل بأن المادة هي محتوى أثيري متذبذب أصبح في درجة معيّنة من الصلابة. هذا المخطط للتجسيد المادي ينطبق على كافة الشموس في الوجود، بكل تجلياتها ومظاهرها ومستوياتها. تنطبق على المستوى الذري كما على مستوى المجرّات.. في الجانب الظاهري كما في الجانب الباطني.. المبدأ ذاته متجلي في كل مكان وزمان.

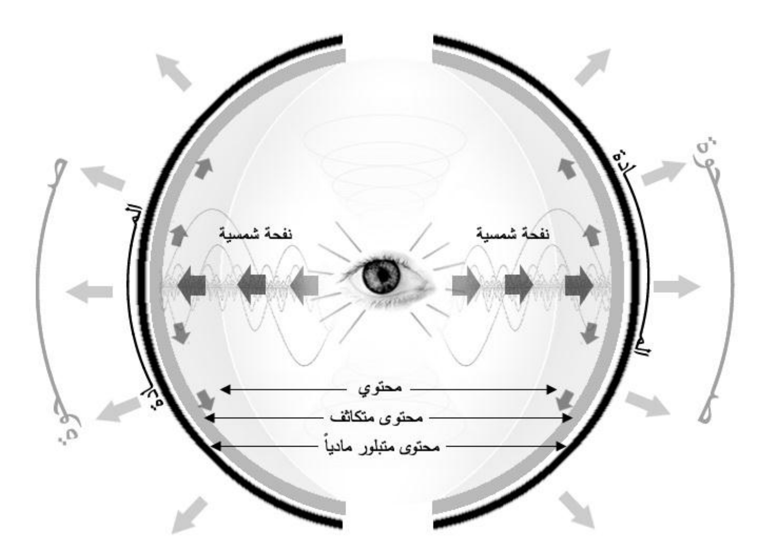
الشكل التالي يبيّن تدرّج لوني بين قطبين رئيسيين يمثلان الشمس المركزية (أبيض) والتجسيد المادي (أسود) ويمتد بينهما تدرّج متكاثف للمحتوى الأثيري الذي تعرّض للضغط نتيجة الدفع الدائم والمستمر لنبض الشمس المركزية.



مقطع عرضي للنواة الشمسية والنفحة الشمسية وتدرجات المحتوى الأثيري للفقاعة الشمسية

لكن هذا الوصف للتجسيد المادي يبقى ناقصاً لأنه يفتقد لأهم العناصر الداخلة في عملية التجسيد وهو عنصر العقل، حيث كما أصبحنا نعلم، من أجل حصول تبلور مادي وجب حضور عناصر ثلاث: عقل، حركة، محتوى. تعرفنا في الفقرة السابقة على المحتوى المتحرّك الذي تبلور وصار مادة، لكن تجاهلنا المكوّن العقلي تماماً وهذا الموضوع الأخير يكشف لنا عن الآلية الواقعية لتدرّج الوعي وعملية سقوط وعي الإنسان من وعي تجاوزي إلى وعي مادي، أي مجرّد صحوة دنيوية.

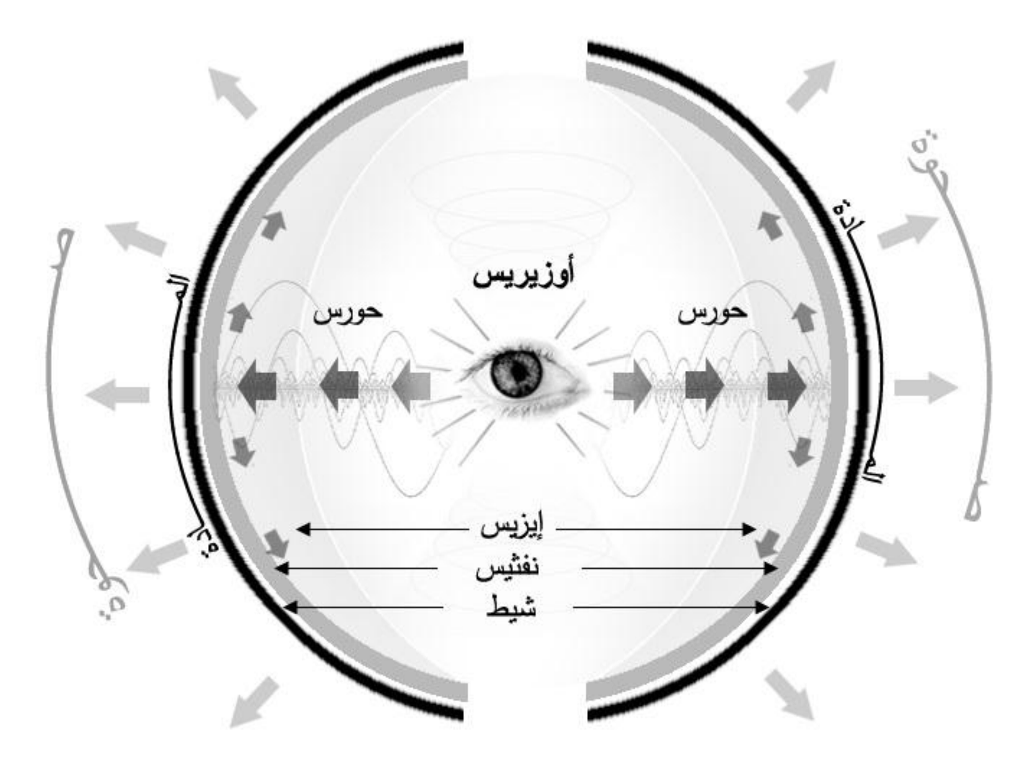
إذاً، النبضة الشمسية مؤلفة من مكون عقلي أو بتعبير آخر محتوى عقلي. عندما نتحدث عن المكون العقلي وجب إجراء تغييرات في صور الشرح وسوف نبدأ بالشكل التالي حيث نستبدل الشمس بالعين التي ترمز إلى الذات المركزية والتي هي مصدر الوعي:



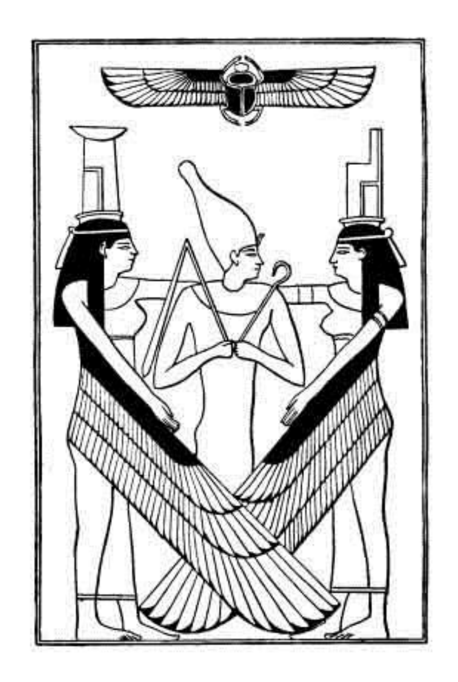
النبضة الشمسية المستمرة تشكّل تكاثف للمحتوى العقلي على جدار الفقاعة الشمسية، وبما أن النبضة الشمسية تشمل محتوى عقلي فهذا يجعلها طاقة واعية. وهذا بالتالي يجعل تكاثف المحتوى العقلي عند جدار الفقاعة يخلق حالة صحوة معيّنة على محيط الفقاعة الشمسية.

أسطورة أوزيريس وإيزيس

وصفت التعاليم المصرية هذه الحالة بدقة من خلال أسطورة رمزية أبطالها أربعة: أوزيريس Osiris وإيزيس Isis ونفثيس Nephthys وشط Set. جميعهم أولاد "سب" Seb و"نوت" Nut وهذا يجعلهم أخوة وأخوات. لكن بنفس الوقت تقول الأسطورة أن إيزيس زوجة أوزيريس بالإضافة إلى كونها أخته. وبنفس الطريقة، نفثيس هي زوجة شط بالإضافة إلى كونها أخته. هذه الحالة لا تمثل واقع فعلي بل مجرّد حكاية رمزية لمعنى باطني بالغ الأهمية (سوف أشرحه لاحقاً). هي توصف التشريح المبيّن في الشكل السابق، أي توصف الشمس المركزية والمحتوى الأثيري المتدرّج إلى أن تبلور مادياً. هذا التدرج للمحتوى الأثيري جعله متنوعاً وبالتالي اتخذ كل تدرّج دور مختلف في العملية. وفقاً للأدوار التي لعبها أبطال الأسطورة يمكن إعادة صياغة الشكل السابق كما يلي:

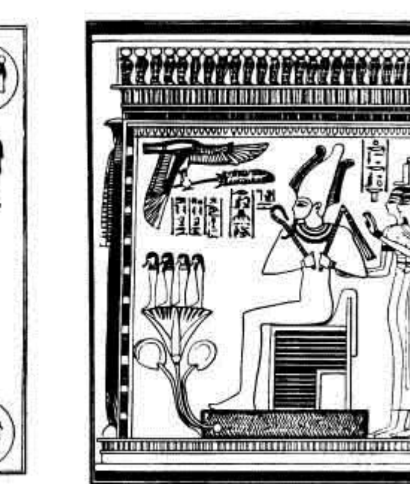


<u>أوزيريس</u> يمثل الشمس المركزية، <u>حورس</u> يمثل النفحة الشمسية، <u>إيزيس</u> تمثل المحتوى، <u>نفثيس</u> تمثل المحتوى المتكاثف، <u>شيط</u> يمثل المحتوى المتبلور (المادة الصلبة).



وفقاً للتعاليم السرية، المحتوى يمثّل المبدأ الأنثوي وقد رمز إليه المصريون بصورة مرأة. وبما أنه لدينا محتويين مختلفين بسبب حالة التدرّج فهذا يعني ضرورة وجود امرأتين مرافقتان لأوزيريس في الرموز والصور الهيروغليفية. كما الصورة المقابلة:

أوزيريس Osiris (مبدأ الشمس) بين إيزيس Isis (المحتوى الإلهي النقي) ونفثيس Nephthys (المحتوى الإلهي الملوّث بالمادة). لاحظ وجود الجعل في أعلى الصورة وهو يمثل المبدأ الخالق للشمس





نموذجين آخرين لصور تظهر أوزيريس Osiris (مبدأ الشمس) و إيزيس Isis (المحتوى الإلهي النقي) ونفثيس Nephthys (المحتوى الإلهي الملوّث بالمادة).

لكي نفهم جيداً مغزى التعاليم المصرية بخصوص المحتويين "إيزيس" و"نفثيس" علينا أولاً التعرف على مواقعهما وأدوارهما في عملية النبض الشمسي والتي تنتهي بالتجسيد المادي. والشرح التالي كفيل بتوضيح الفكرة جيداً.



الشكل السابق يبيّن تدرّج لوني بين قطبين رئيسيين يمثلان الشمس المركزية (أبيض) والتجسيد المادي (أسود) ويمتد بينهما تدرّج متكاثف للمحتوى الأثيري الذي تعرّض للضغط نتيجة الدفع الدائم والمستمر لنبض الشمس المركزية. المحتوى ذو اللون القاتم والأقرب للقطب المادي يمثل "نفثيس" في الأسطورة المصرية ولهذا السبب جعلوها زوجة "شيط" (المادة)، بينما المحتوى ذو اللون الفاتح والأقرب للقطب الشمسي يمثل "إيزيس" في الأسطورة ولهذا السبب جعلوها زوجة "أوزيريس" (الشمس). أما النفحة الشمسية فيمثلها "حورس" إبن أوزيريس.

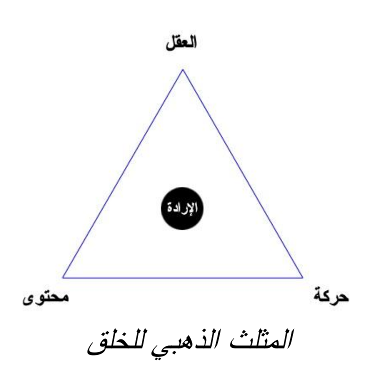
لازال الأمر مبكراً للحديث عن الأساطير القديمة حيث هناك الكثير مما وجب توضيحه بخصوص الفقاعة الشمسية والتجسيد المادي.

الفقاعـة الشمسيـة &

مبدأ الذكر والأنثى



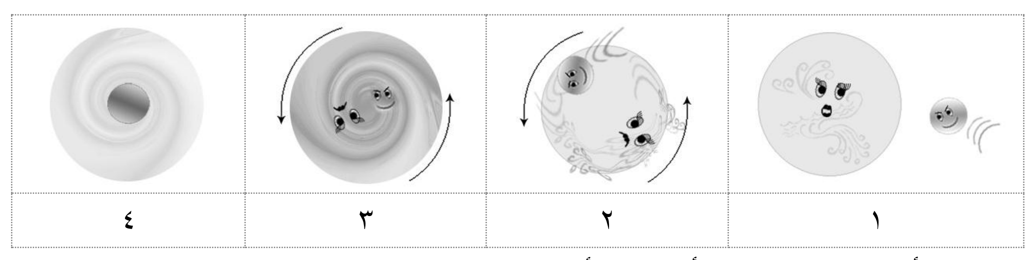
تعرفنا في الجزأين السابقين على الثالوث الذهبي للخلق، حيث عندما أراد الكلّ العظيم خلق الكون لا بدّ من حضور ثلاثة عناصر أساسية لذلك وهي: [١] العقل، [٢] الحركة، و[٣] المحتوى. كافة التجليات المتنوعة والمختلفة في الكون تمثل في حقيقة أنماط لامحدودة من تفاعل العناصر الثلاثة: العقل والحركة والمحتوى. هذه المبادئ الثلاثة تشكل أساس كل التجسيدات والتجليات في الكون، من أدنى مستوى حتى أعلى مستوى، ومن أبسطها حتى أكثرها تعقيداً، في العوالم الداخلية والخارجية، التجاوزية والمادية، العلوية والدنيوية، في العالم الكبير والعالم الصغير. أينما وجدت تجسيداً في الكون لا بد من أن تجد حضوراً لهذه المبادئ الثلاثة لكن مع تفاوت في درجة التجلّي والنشاط والتطوّر. بالإضافة إلى أنها توفر للذكاء الإنساني مفتاح ثمين لفهم الطبيعة الحقيقية لكل الأشياء. لهذا نرى أنه يتم ذكرها دائماً في كافة المجالات الفكرية، في العلم والدين والفلسفة والصوفية وغيرها.



المثلث الذهبي للخلق

لكن خلال خلق الأشياء في الكون نجد أن هذا الثالوث الذهبي، أي حركة، المحتوى، العقلي، ينشط وفق صيغة محددة. وهذه الصيغة محكومة بمبدأ الجندر. مبدأ "الجندر" متجلي في كل شيء. عناصر "الذكر" و"الأنثى" حاضرة وفاعلة دائماً في كافة جوانب ووجوه الظواهر الطبيعية وفي كل مستوى من مستويات الحياة. الدور الذي يلعبه مبدأ "الذكر" في الطبيعة هو توجيه قوة معيّنة نحو مبدأ "الأنثى" مما يؤدي بالتالي إلى إطلاق العنان لعملية خلق معيّنة. هذا بالضبط ما يفعل عنصر الحركة بعنصر المحتوى في الثالوث الذهبي للخلق. الحركة تمثل المبدأ الذكري بينما المحتوى يمثل المبدأ الأنثوي.

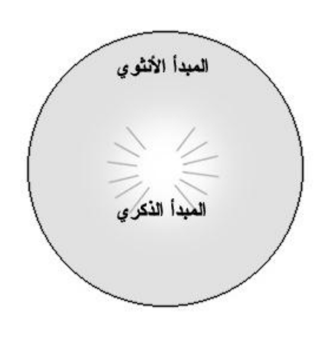
جميع المدارس الباطنية، رغم اختلاف مذاهبها ومشاربها، تتحدث في النهاية عن مبدأين رئيسيين كمصدر لكل الأشياء. المبدأ الأوّل ذو طبيعة ذكورية بينما الثاني ذو طبيعة أنثوية. المبدأ الذكري يتخذ دائماً دور مصدر القوة بينما المبدأ الأنثوي يلعب دور المحتوى الحاضن لهذه القوة، فهذه الأخيرة تلعب دور المركبة التي تحمل القوة أو الغلاف الذي يكسوها أو الوسيط الذي ينقلها. لهذا السبب نادراً ما يتم التفريق بين المبدأين خلال تفحّص طاقة معيّنة أو مادة ما أو كائن. الطاقة مثلاً هي عبارة عن محتوى أثيري تحرّكه قوة معيّنة، أي أصبح لدينا عاملين في ظاهرة الطاقة: [١] قوة، و[٢] محتوى أثيري. أما المادة فهي عبارة عن تكاثف محتوى لدرجة الصلابة لكن هذا التكاثف مدفوع من قبل قوة ما، وهنا لدينا عاملين لظاهرة المادة: [١] قوة، و[٢] محتوى أثيري متبلور. أما الكائن فهو عبارة عن كينونة أو كيان تحييه نواة مركزية، وهنا أيضاً لدينا عاملين لظاهرة الكائن: [١] قوة إحيائية، و[٢] محتوى حيوي.



ولادة المبدأ الشمسي نتيجة تفاعل مبدأي الذكر والأنثى وهما مكونان رئيسيان يدخلان في خلق كل شيء في الوجود.

تعرفنا سابقاً كيف ولدت الشمس نتيجة تفاعل مبدأي الذكر والأنثى (الممثلة في الشكل السابق) فأصبح لدينا شمس مركزية تمثل المولود الأوّل، أو الإبن المقدس. لكن هذا المولود أصبح لاحقاً يلعب دور الذكر بينما المحتوي المحيط به يلعب دور الأنثى. وصفت الفلسفات الباطنية المختلفة

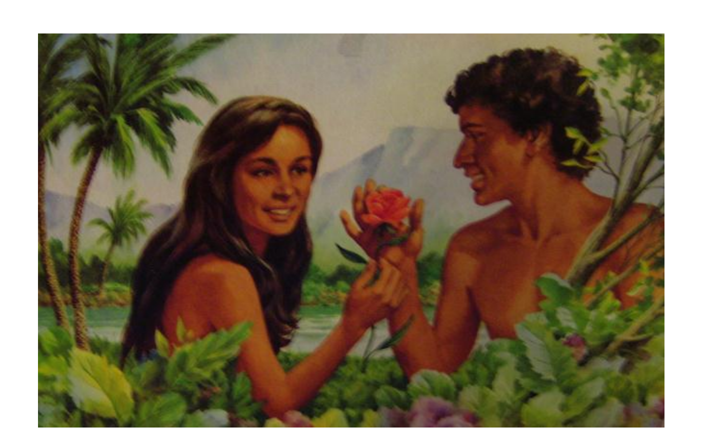
هذه الحالة جاعلة المبدأ الذكري قوة مركزية (شمس) تقبع وسط فقاعة كروية الشكل يملأها محتوى سيولي يمثل المبدأ الأنثوي (الشكل التالي).



وفقاً للفلسفات الباطنية المختلفة، كل ظاهرة (طاقة أو مادة أو كيان) تتألف من: [١] قوة مركزية (ذكر)، و[٢] محتوى سيولي (أنثى).

بعد ولادة الشمس المركزية تلعب هذه الأخيرة دور الذكر بينما المحتوى المحيط يلعب دور الأنثى. لهذا السبب منحوا الشمس اسم ذكري عندما أشاروا إليها بالابن المقدس.





وفقاً للأديان الإبراهيمية الثلاثة، يُعتبر آدم وحواء أوّل رجل وامرأة في الوجود وبالتالي يمثلان أسلاف البشرية. هذه القصة تعرضت للكثير من الإسهاب والاستفاضة من قبل التقاليد الإبراهيمية حيث ساهم فقهاء الأديان الثلاثة في تعقيد الأمر بدلاً من تبسيطه كما هو مفروض. وبالتالي فإن التفسيرات والمعتقدات المتعلقة بآدم وحواء والروايات المتمحورة حولهما تختلف بين الأديان الرئيسية ومذاهبها المتعددة. لقد زخرت الفنون والآداب بتعبيرات مختلفة لقصة آدم وحواء وهذا ساهم في تكريس المعتقدات المتمحورة حولهما. رغم أن العلم لم يجد أي دليل يثبت حقيقة وجودهما الفعلي إلا

أن الرأي العام الشعبي يصرّ على أنهما حقيقيان ولهما أساس تاريخي. الأغلبية لا ترغب في التسليم بحقيقة أن قصتهما تمثل استعارة رمزية لحقائق كونية باطنية.

أوّل ما وجب معرفته هو أن وجود الاسم آدم يسبق اللغة العبرية بفترة طويلة، حيث نجده مثلاً وارداً في قائمة الملوك الأشوريين (آدمو). ووفقاً لبعض الباحثين فإن كلمة آدم مشتقة من الكلمة السنسكريتية "آديمو" التي تعني "السلف" أو "الأوّل" أو "القديم". في الحقيقة يوجد الكثير من الأمثلة التي تؤكد قدم هذه الكلمة واستخدامها من قبل شعوب أخرى، لكن المهم هنا هو التعرف على المعنى الفعلي لكلمة آدم وبالتالي الفكرة الأساسية التي يمثلها هذا الاسم في التقاليد الإبراهيمية.

قصة الخلق التي تأخذ بها النصوص الدينية تروي أن آدم هو الإنسان الأوّل وقد خلقه الله من تراب وجعله على شاكلته، ثم من ضلعه تشكّلت المرأة التي اسمها حواء فأصبحت زوجته. من الناحية الدينية، اللغة العبرية هي أوّل من ذكر اسم آدم وقصته في النصوص الدينية (אָדָם). صحيح أن المعنى الرسمي لهذه الكلمة في الأدبيات العبرية هو "الإنسان" أو "الإنسان الأوّل" (وقد تبعتها الأديان الأخرى على هذا النمط) لكن يوجد في الحقيقة معاني كثيرة لهذه الكلمة في اللغة العبرية مثل "أحمر" و"دم" و"تراب"، لكن هناك معاني أخرى مثل "جميل" و"حسن الخلقة" وغيرها. وحتى باللغة العربية القديمة نجد معاني أخرى لهذه الكلمة مثل "الدائم الأزلي" أو "رئيس القوم وبه يعرفون".

أما كلمة "حواء" التي تبنت في اللغة العبرية معنى "المرأة الأولى" (חַוָּה)، فلها معاني كثيرة في هذه اللغة أيضاً، مثل "الشيء الحيّ" و"مصدر الحياة" ولها علاقة بمعنى "العيش" أي "العائشة" مثلاً، وهناك معنى آخر هو "الهواء" أي التنفّس بمعنى الإنعاش أو الإحياء.. إلى آخره. مع العلم أن كلمة "حواء" أيضاً وردت في لغات كثيرة قبل العبرية ولا مكان لذكرها هنا. أما باللغة العربية القديمة، فهناك معاني عديدة لكلمة حواء مثل "المكان الذي يحوي الشيء ويضمه" (شبيهة بكلمة حاوية مثلاً أو محتوى) وسنكتفي بهذا المعنى الأخير لأنه يخصّ موضوعنا.

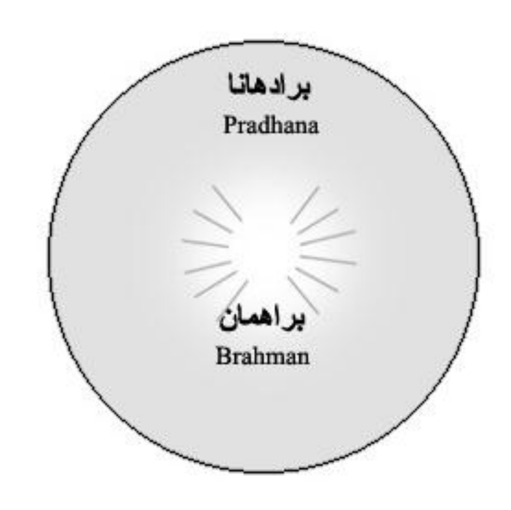
المهم أن المعنى الذي ألفناه عن آدم وحواء في الأدبيات الدينية لا يمثل واقع الأمر عندما يتعلق بالتعاليم السرية. لكننا نستطيع بناء صورة واضحة عن الحقيقة من خلال استخدام المعاني التي تم إقصاءها أو تجاهلها خلال تعريف كل من آدم وحواء في الأدبيات الدينية، كتلك التي ذكرتها في الفقرات السابقة. يمكن توضيح الفكرة من خلال الشرح المصوّر التالي:



***آدم** هو الابن الحسن، السلف الأوّل، الدائم الأزلي، رئيس القوم، هو الشمس المركزية.*
*بينما **حواء** هي مصدر الحياة، الشيء الذي يحيي، الحاضن والحاوي، هي المحتوى الحاضن للشمس. وهي بالفعل خارجة من ضلعه أي تتباعد عنه أفقياً وفق منظور هندسي. كما أضلاع القفص الصدري التي تحيط بالقلب وكأنها تحضنه.*

هذا الشرح المصوّر البسيط الذي يصور المبدأ الشمسي الذكري القابع وسط محتوى سيولي أنثوي داخل فقاعة دائرية الشكل يوضح لنا الكثير من الغوامض التي فرضتها الشروحات الميتافيزيقيا في كافة المذاهب والأديان حول العالم، بما في ذلك الشروحات الهندية المعقدة والقاسية على مخيلتنا لدرجة تدفعنا إلى النفور منها أحياناً بسبب طبيعتها الزئبقية والالتفافية. لو أن الفلسفات الهندية المتعددة (وهي كثيرة جداً) أرفقت شروحاتها بصور توضيحية لاكتشفنا حقيقة مهمة جداً، جميعها تتحدث عن الشيء ذاته. لكن اختلاف العبارات والتوصيفات والاجتهادات أدى إلى نشوء هذه العصفورية التي ليس لها بداية ولا نهاية في التعاليم الباطنية الهندية. الأمر ذاته ينطبق على جميع التعاليم الباطنية حول العالم. إن الدخول في متاهات بعضها قد يدفع الفرد إلى الجنون فعلاً، رغم أن الفكرة الرئيسية تكون بسيطة ولا تتطلب كل هذا الشرح الالتفافي والمعقّد وعديم الجدوى.

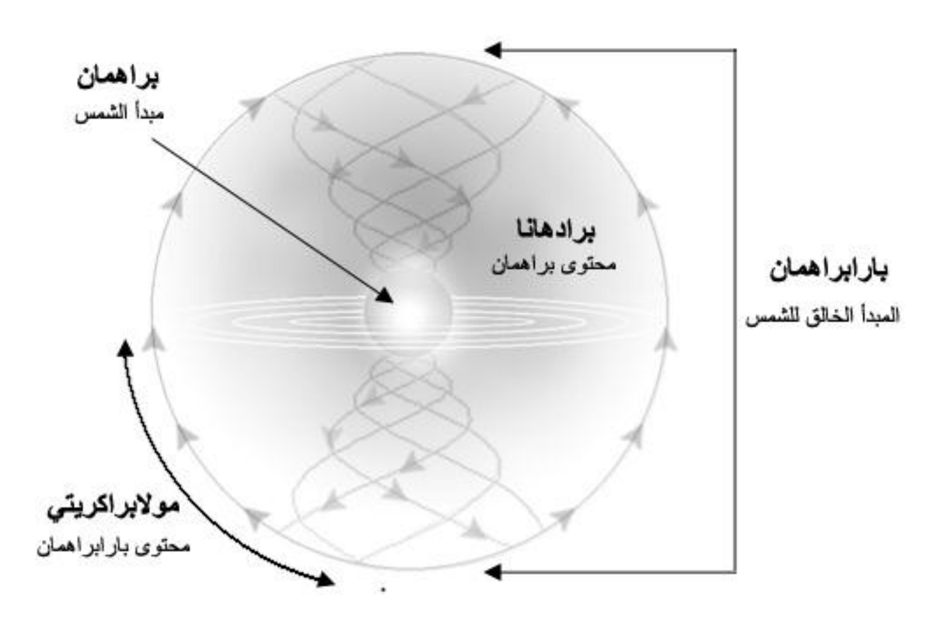
تحدثت التعاليم الهندوسية (الأوبانيشاد Upanisad) مثلاً عن "براهمان" Brahman الذي وصفته بأنه المبدأ الجوهري للكون، هو الجوهر السرمدي اللامحدود الذي ينبعث منه كل شيء وإليه يعود. هو سبب كل المسببات. هو مصدر كل الوعي والحياة. هو يمثل الذات الكونية، أي بمعنى آخر يمثل الشمس المركزية للكون. بينما على المستوى الفردي، أي في حالة المخلوق الفردي، فهو يمثل "كشيتراجنا" kshetrajna الذات المركزية للفرد، وهذا المبدأ ينطبق على مفهوم "أتماتن" Atman أيضاً والذي يمثل الذات المركزية أو الوعي المركزي، أي يمثل بطريقة ما الشمس المركزية في الإنسان وكل الأشياء الفردانية، من المستوى الكوني إلى المستوى الذري. المحتوى الذي يقبع وسطه "براهمان"، أي المبدأ الأنثوي، يُسمى "برادهانا" Pradhana، وهو المحتوى الكوني غير المتمايز الذي ولدت من رحمه كل الأشياء. هو الحجاب الملفوف حول "براهمان" بحيث هذا الأخير يبقى خفياً بينما نشاطاته يعبر عنها حجاب الـ"برادهانا". وفقاً للوصف السابق، يمكننا تصور براهمان على الشكل التالي:



"براهمان" يمثل شمس مركزية وسط محتوى الـ"برادهانا"

علمنا سابقاً بأن كل شمس مركزية هي مولود قوتين، ذكرية وأنثوية، مما يجعلها ثنائية الجندر (أي أنثى وذكر) وبالتالي هذا يجعل براهمان مؤلف من قوتين تمثلان سبب وجوده. تحدثت التعاليم الهندوسية عن ذلك الذي يسبق "براهمان" في الوجود وأشاروا إليه باسم "بارابراهمان" Parabrahman. وهو الذي يسبق كل الأشياء وكل المسببات في الكون. هو الجوهر الحيوي العقلي الذي يخلق مركز قوة العقل الأوّل (مبدأ الشمس). "بارابراهمان" لا يمثل كيان فرداني قائم بذاته، بل مبدأ فلسفي أو تقني ووجوده ضروري لشرح آلية خلق أوّل كيان فرداني. إذا كان "براهمان" يمثل قمة الهرم الكوني، أي الشمس المركزية الكونية، فإن "بارابراهمان" هو كل شيء سابق لوجود "براهمان" أي هو المبدأ <u>الخالق للشمس</u>. وفقاً لفلسفة الـ"فيدانتا" Vedanta فإن "بارابراهمان" هو

المبدأ الكوني الذي يمثل المسبب الأوّل للقوة الخلاقة التي تنبعث مشعّة من ذلك المكان الذي يتعذر إدراكه عند بداية كل دورة كونية جديدة (يسمونها "ماهامنفنتارا" mahamanvantara). هذه الفكرة قريبة من تلك التي شرحتها سابقاً، أي "بارابراهمان" هو الروح التي تسبق الذات، هو المبدأ الخالق للشمس (الشكل التالي).



"براهمان" هو المبدأ الشمسي القابع في المركز، و"بارابراهمان" هو المبدأ الخالق للشمس.
خُلِق "براهمان" من تفاعل قوة "بارابراهمان" ومحتوى "مولاراكريتي"، لكن الفقاعة التي شكلها حوله أصبحت تتألف من محتوى ذو طبيعة مختلفة تسمى "برادهانا".

لكن "بارابراهمان" كما غيره من المبادئ الكونية الأخرى يمثل المظهر الذكري من المبدأ، أي القوة المحرّكة الموصوفة سابقاً، بينما المظهر الأنثوي يمثل المحتوى الذي ينشط وسطه ويسمى "مولابراكريتي" Mulaprakriti. هذا هو المحتوى الكوني بأعلى درجة من النقاوة. هذا هو مصدر المادة الكونية. هو الجوهر الروحي للمادة. هو المصدر الذي تنبعث منه "أكاشا" بسبب جوهره العقلي. "مولابراكريتي" و"بارابراهمان" يمثلان مظهرين لمبدأ كوني واحد، وقد سميناه سابقاً المبدأ الخالق للشمس.



الـ"بوروورشا" والـ"براكريتي" وفق أوصاف السنخيا

تحدثت فلسفة "السنخيا" Sankhya (أو "السمخيا") خلال وصفها للطبيعة الإلهية للإنسان عن الـ"بوروورشا" Purusha (الذات المركزية) والـ"براكريتي" Prakriti وهي البيئة التي يقبع وسطها "بوروشا"، أي بمعنى آخر المحتوى الذي يشع عبره قواه ونشاطاته. حال هذه المدرسة كما حال المدارس الأخرى، إذ لو أنهم رافقوا شروحاتهم الفلسفية بصور توضيحية لسهّلوا الأمر علينا كثيراً، لكن ماذا علينا فعله سوى الغوص جاهدين في متاهات شروحاتهم حتى نخرج بالفكرة الجوهرية.

تُعلّم فلسفة "الفيدانتا" (مذهب الـVisishtadvaita) بأن كل ذرّة أو جزيء من البراكريتي (المحتوى المادي) هو مفعم بالحيوية الإلهية (جيفا Jiva) وهذه الذرة تمثل أصلاً جسد الـ"جيفا" الذي تحويه (ساريرا sarira). أي بمعنى آخر، كل ذرة هي عبارة عن فقاعة من البراكريتي التي يقبع في وسطها شمس مركزية تمثل الحيوية الإلهية (جيفا).

يبدو أن التشابهات بين الديانات المختلفة حول العالم لا تتوقف عند المفاهيم فقط بل تشمل أيضاً بعض الشخوص الواردة في النصوص المقدسة لتلك الديانات وهي كثيرة لكنني سأتناول مثال واحد وهو التشابه الكبير بين كل من <u>براهما</u> في التعاليم الهندوسية وسيدنا <u>إبراهيم</u> المذكور في نصوص الديانات السماوية الثلاث.

تحدثت سابقاً عن "براهما" بصفته أحد مكونات الثالوث المقدس الهندوسي، وهي القوى الأولية أو الأطوار الثلاثة التي ينشط وفقها "براهمان"، ويمثل "براهما" العنصر المحفّز في هذا الثالوث. أي هو الإله الأوّل الذي يخلق أو ينتفض أو يتوسّع أو يولّد. براهما هو القوة المنشّطة المتمددة في الطبيعة. هو يمثل طاقة الوعي المطوّرة والمجددة في المنظومة الشمسية (البيضة الكونية). بعد ولادته من رحاب السبب الأوّل يندمج مع الطبيعة الكونية ويبعث الخلق من ذاته. هو غير منفصل عن الطبيعة الكونية بل مندمجاً معها بحيث يعتبر براهما والكون ممثلان للشيء ذاته. كل ذرّة في الكون تمثّل براهما بذاته والذي خرج من ذاته. وقد لعب أدواراً مختلفة في نصوص مختلفة، حيث وفقاً لنصوص الـ"أيتاريا برهمانا" Aitareya-Brahmana تجلّى براهما في البداية بصيغة اثنى عشر قوة

أو جسم أو خاصية والتي يمثلها اثنى عشر إله. وفي نصوص أخرى مثل براهما في البداية الـ"بورورشا" Purusha (الذات المركزية) والـ"براكريتي" Prakriti (المحتوى) معاً، لكنه انفصم لاحقاً إلى قسمين حيث أصبح "براهما فاتش" (أنثى) و"براهما فيراج" (ذكر). إحدى الصيغ اللاحقة للقسم الأنثوي لبراهما هي "سارا سفاتي" Sarasvati، التي أصبحت تمثل في الأساطير الهندوسية زوجة براهما واعتبرت إلهة العلوم الباطنية أو المعرفة المحجوبة أو الحكمة، ومثلت لاحقاً إلهة الكلام والفن والمعرفة عموماً.



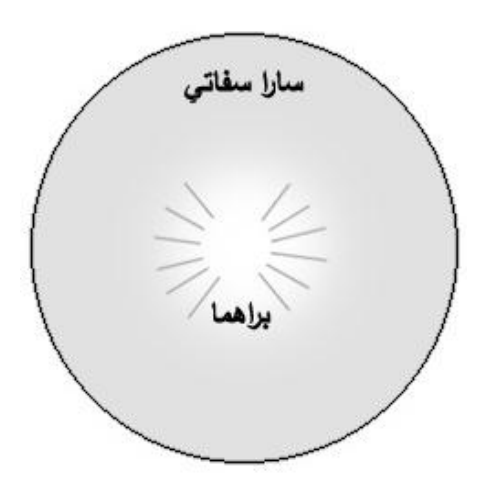
إحدى اللوحات الفنية التي تصور الإلهة "سارا سفاتي"

اعتبر براهما عند الهندوس نبي أو مبشر وإليه نُسبت نصوص الفيدا. والكهنة الهندوس يُعرفون باسم البرهميين. أما التشابه بين شخصية كل من براهما في التعاليم الهندية وإبراهيم في التعاليم الشرق أوسطية فلا يعتمد على التشابه في الأسماء فحسب بل يتجاوز ذلك ليشمل جوانب كثيرة. نبدأ بالتشابه في معنى كل من الاسمين، حيث معنى كلمة إبراهيم باللغة العبرية هو الجامع أو المراكم، بينما اسمه في البداية كان "أبرام" ويعني الوليد أو الخصيب أو مطلق العنان. بينما معنى براهما باللغة السنسكريتية هو الخصيب المنطلق المتنامي، وهذا يمنح معنى واحد لكل من الاسمين.

أما زوجة إبراهيم التي اسمها "سارا" أو "ساراي" ("سارة" بالعربية) فهو مطابق لاسم زوجة براهما باللغة السنسكريتية أي "سارا"، وذلك بعد إزالة اللاحقة "فاتي" الدالة على النسب المقدس. وقد وصفت

كل من نصوص الفيدا والعهد القديم كيف كانت هذه الزوجة فائقة الجمال، بالإضافة إلى أن كلا النصوص تحدثت عن أنها كانت مصدر الثروة التي اعتمد عليها الزوج. كما أن معنى الاسمين متشابه في كل من اللغة العبرية والسنسكريتية، حيث تعني بالعبرية أميرة أو رفيعة المقام، وهذا بالضبط ما يعنيه اسم "سارا سفاتي" إذ يعني "الرائعة المقدسة".

من بين الحوادث المتشابهة في الروايتين نذكر حادثة إلقاء إبراهيم في النار وهذا ما حصل مع براهما أيضاً. وقد تشابهت في الروايتين طريقة العبادة وتقديم القرابين عبر إحراقها وغيرها من أمور كثيرة لا يمكن اعتبارها مصادفات. جميع أحداث الروايتين هي تشبيهات رمزية لحقائق كونية عظيمة لا يمكن استيعابها إذا أخذنا النصوص بمعناها الحرفي.



هذه هي العلاقة القائمة بين براهما وساراسفاتي التي توصفها النصوص الهندية. هي ذاتها العلاقة القائمة بين ابراهيم وسارا. أي علاقة مبدأ الشمس مع مبدأ المحتوى الحاضن.

ثنائي أوزيريس وإيزيس

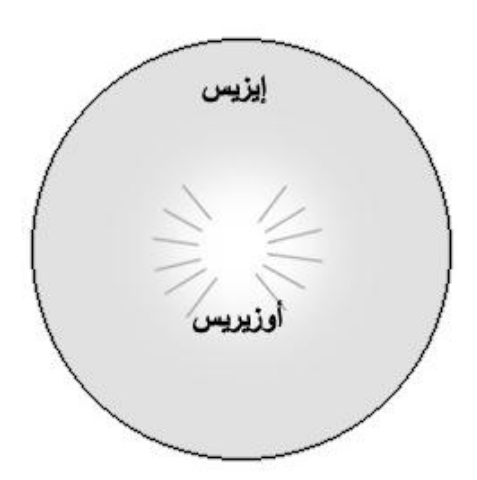
من بين كل الحضارات التي عرفناها عبر التاريخ تُعتبر الحضارة المصرية الأكثر إدهاشاً وسحراً بالإضافة إلى كونها الأكثر غنىً في مجال الماورائيات رغم أنه لازال الكثير مما علينا اكتشافه بعد. قال المؤرخ هيرودوتس مؤكداً: *".. المصريون تجاوزوا كل الحدود بدقّتهم في تناول كل ما يتعلق بالدين.."* ، رغم أن الواقع يوحي لنا غير ذلك حيث بقايا فتات الموروث الديني المصري التي صمدت

عبر الزمن تبدو للوهلة الأولى متناقضة وغريبة، لكن من الضروري تذكّر حقيقة أن التعاليم الدينية المصرية كانت مقسومة إلى قسمين: قسم باطني وقسم ظاهري. والتعاليم الباطنية هي الأصيلة وتخفي جوهر الحقيقة لكنها محجوبة عن العامة ولم يُسمح بالإطلاع عليها سوى للمنتسبين الشجعان الذين نجحوا في اختبارات الانتساب القاسية واجتازوا مرحلة طويلة من التحضير وتطهير النفس. لهذا السبب لم يبقى لدى الباحث سبيل سوى الغوص في متاهات الموروث الميثولوجي الذي انحدر إلينا عبر العصور الطويلة متخذاً هذه الصيغة المشوهة.

من بين أشهر الشخوص الأسطورية المصرية التي ألفناها نجد إيزيس آلهة القمر والملكة المصرية التقليدية وزوجها أوزيريس، وعندما نقرأ بأن إيزيس هي أخت أوزيريس بالإضافة إلى كونها زوجته وأمه فلا بد من أن نسعى إلى البحث عن المعنى الباطني لهذه العلاقة الغريبة والمستحيلة عملياً (سوف نعالج هذا اللغز لاحقاً عبر توالي المواضيع).

لكن الأمر لم يقتصر على هذه الشخوص الأسطورية في الموروث الديني المصري بل هناك المزيد. نجد مثلاً إله آخر أكثر قدماً وتمجيداً من أوزيريس وهو الإله رع، إله الشمس، الذي دمجت عبادته مع تلك التي تمحورت حول أوزيريس وإيزيس وحورس. شهدت إحدى الفترات صعود كهنة رع الذين أصبحوا الأقوى والأكثر نفوذاً، وقد أسسوا معبدهم الشهير في "هيلوبوليس" (مدينة الشمس) وأوجدوا نظامهم الخاص لعبادة الشمس. عبادة الشمس عريقة جداً في مصر، ومع سيطرة منظمات كهنوتية مختلفة على البلاد عبر العصور أدى ذلك إلى ظهور عدد كبير من آلهة الشمس. بعضها بقي قائماً بذاته والبعض الآخر تم دمجه والبعض تم استبداله وغيرها من إجراءات منطلقة من أسباب سياسية. فمثلاً، مع سيطرة كهنة رع إبان فترة السلالة الخامسة تم دمجه مع إله "تم" وهو إله الشمس في مدينة "هيلوبوليس" سابقاً، فأصبح يُسمى "رع تم". رغم النفوذ السياسي الكبير لكهنة رع في مصر في أواخر فترة السلالات الحاكمة، إلا أن عامة الناس تمسكوا بمعتقداتهم المتمحورة حول أوزيريس، فما كان على الكهنة سوى جعل أوزيريس إله للشمس بدلاً من رع. ماذا سيخسرون طالما بقي الجانب الباطني للتعاليم قائماً دون تحريف. وهناك فترة تم خلالها ربط حورس مع رع من خلال الرمز إليهما بالصورة ذاتها، أي كل منهما صوّر برأس الصقر. كان الكهنة الذين يسيطرون على البلاد يصيغون تقليدهم الديني وفقاً للمزاج الاعتقادي للشعب وبالتالي يجرون تغييرات جذرية في مراتب ووظائف وخصائص الآلهة القائمة بعد إدماجها مع آلهتهم الجديدة وهذا أدى إلى ظهور أعداد كبيرة من الآلهة في تاريخ الحضارة المصرية الطويل. كان الفراعنة ينسبون بعض شخوص الأساطير الدينية

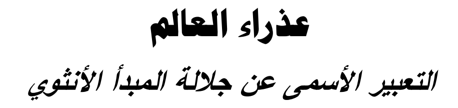
إليهم ولعائلاتهم مما أدى إلى تعقيد المسألة. هذا بالإضافة إلى التعقيدات التي نتجت من الغزوات الخارجية (أهمها فترة احتلال الهيكسوس لمصر) وتبني معتقدات غريبة وعبادات بعيدة كل البعد عن الفلسفة الدينية المصرية، مما أدى إلى هذا المشهد الحالي المعقّد للديانة المصرية التي يسودها التناقضات والمفاهيم غير المنطقية. هذه الحالة التي عانت منها مصر عبر العصور تنطبق على باقي الحضارات القديمة حول العالم.



تعتبر أسطورة أوزيريس وإيزيس من بين أشهر الروايات الدينية القديمة التي تحدثت بشكل رمزي عن العلاقة بين مبدأ الشمس (الذكر) و مبدأ المحتوى الحاضن (الأنثى).

نستطيع الحديث طويلاً وذكر أمثلة عديدة لكن أعتقد بأن الفكرة أصبحت واضحة. كافة الفلسفات حول العالم هي ذاتها في الجوهر بينما تختلف في الظاهر. اختلفت طريقة الشرح والتفسير والترميز لكن الفكرة الأساسية تبقى ذاتها. تذكر أن الحقيقة تبقى واحدة بينما الأضاليل هي كثيرة.

فإذا رغب الفرد في الغوص بمتاهات الديانات المختلفة والمعتقدات المتشابكة والمتناقضة سوف لن يصل إلى مكان، لكن إذا عرف كيف يستخلص المبادئ الرئيسية التي مثلتها الرموز الدينية سوف يتوصل إلى نتيجة مجدية حيث يعلم في النهاية أن كل هذا التشابك والتعقيد الذي شاب معتقدات العالم عموماً يتمحور في الحقيقة حول مجموعة قليلة من المبادئ الكونية وبالتالي يمكنه استخلاص القصة المشتركة التي تجمع كل الأديان في العالم دون استثناء.



عذراء العالم

التعبير الأسمى عن جلالة المبدأ الأنثوي



هي دائمة العذرية، المعصومة عن الخطيئة، الشفيعة، الولادة وفيرة الإنتاج إذ كل شيء في الكون خرج من رحمها بما في ذلك الشمس، ورغم ذلك بقيت عذراء طاهرة عفيفة. هذه هي الأم العالمية، عذراء العالم التي عبدتها وبجلتها كافة أديان العالم القديم. عُرفت بالإلهة صاحبة عشرة آلاف لقب يمجّدها ويوصف مدى جلالتها.

هي إيزيس، ومريم، وديفاكي، ومايا، وعشتار، وحواء، وسيبيل، وصوفيا، وبليتا، ودامكينا، وآنا، وسيريز، وأرتميس، وديميتر،... إلى آخره. رغم استخدام أسماء مختلفة للإشارة إليها، بسبب اختلاف الحضارات والثقافات، لكنها تشير في النهاية إلى الشيء ذاته. كل أمّة من الأمم القديمة كانت تعبد إلهة رئيسية، وهي الإلهة الأم أو الإلهة العظيمة.



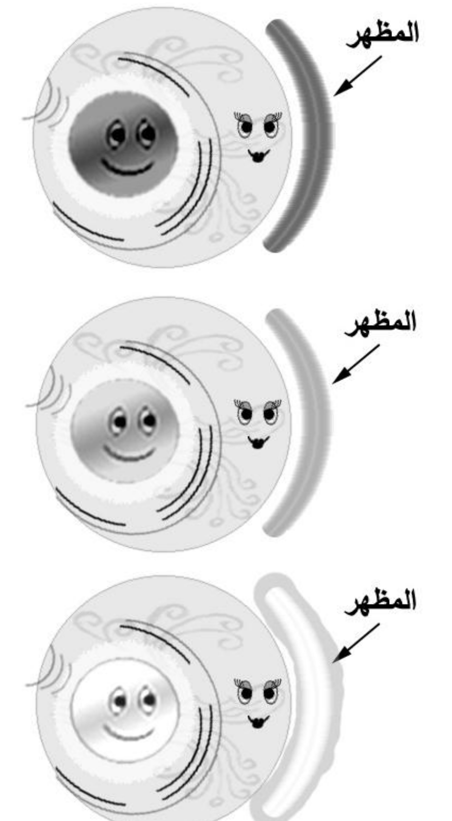
إيزيس هي النموذج المصري للأم العالمية، هي التجسيد الفعلي للطبيعة الأم التي تولّد وترعى كل المخلوقات، لهذا غالباً ما صور الفنانون القدامى الأم العالمية بهيئة الأم التي ترضع طفلها.

المبدأ الأنثوي وارتباطه بعنصر الماء

مفهوم العذراء الذي تبنته الكنيسة والمتمحور حول شخصية السيدة مريم العذراء جاء من مصادر سابقة لفترة ظهور المسيحية بزمن بعيد جداً وهو مفهوم كان منتشر بين كافة ثقافات العالم. كلمة "ماري" تعني "بحر" ("مار" Mare باللاتينية)، والاسم "مريم" جاء من مصطلح سرياني مركب من كلمتين: "مار" و"يم"، وكلمة "مار" معناها السيد (أو السيدة) وكلمة "يم" معناها البحر. وهذه الكلمة في الحقيقة تمثل مفهوم مستمد من تعاليم سابقة تتحدث عن البحر الأثيري الكوني الذي يمثل المبدأ الأنثوي أو الأم الكونية العذراء. هي المحتوى الكوني الذي يمثّل أحد العناصر الأساسية لثالوث

الخلق (عقل، حركة، محتوى). هو ذاته محتوى البيضة الكونية التي تحضن وتنمّي البذرة الأولى. لقد ربطوا هذا المحتوى الكوني الذي يملأ الكون بعنصر الماء بسبب طبيعته السيولية وما يرافقها من خصائص تشبه الماء التي نعرفها مثل النقاوة والطيعية وغيرها.

يوجد سبب وجيه جعل القدماء يربطون عذرية المبدأ الأنثوي (الأم العذراء) بالماء (أو البحر) وهو أن الماء مهما كان ملوثاً يبقى بجوهره نقياً. فالماء الملوثة لا تكون كذلك بجوهرها بل تبدو معكّرة بسبب الرسوبيات التي تصبغ محلولها المائي. لكن إذا تم تصفية المحلول المائي الملوث من الرسوبيات التي تعكر صفاوته فسوف يعود إلى نقاوته المعهودة. لهذا السبب يشيرون إلى النفس أيضاً بأنها دائمة العذرية، لأن طبيعتها الجوهرية تكون طاهرة تماماً وخالية من أي لطخة خطيئة.

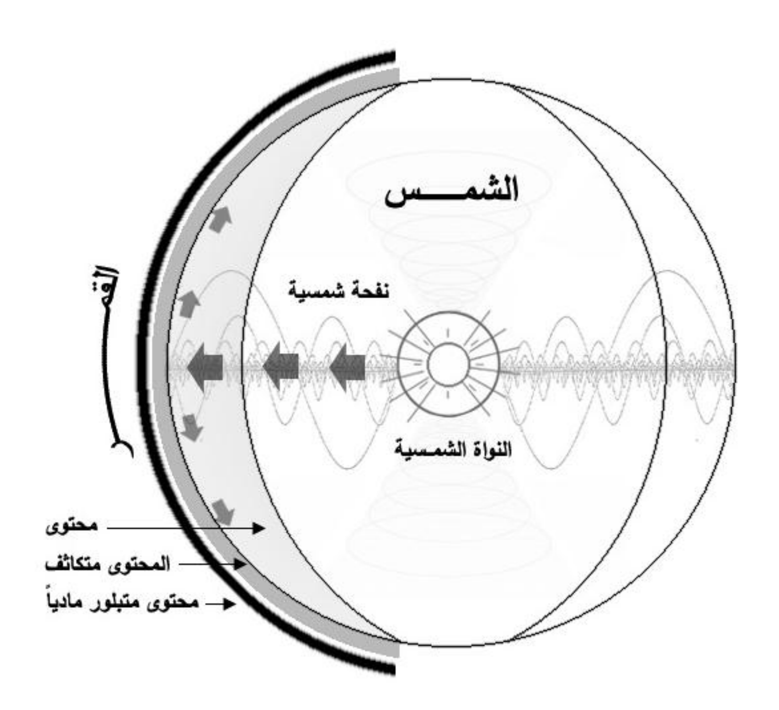


المحتوى الأنثوي يكون نقياً تماماً في الحالة العادية. لكن ما أن يتزاوج مع عنصر ذكري فسوف يتقمص سماته وخصائصه والتي عبرت عنها في الصور المقابلة بصيغة ألوان مختلفة.

لهذا السبب ما نراه من مظاهر مرئية من حولنا هي غير حقيقية لأننا لا نرى التفاعل الذكري/الأنثوي الذي أدى إلى خلق هذا المظهر. على هذا المفهوم استندت الفلسفة الهندية عندما تحدثت عن "مايا" والتي ترمز للطبيعة الوهمية للحياة الظواهرية. هي وهمية لأنها زائلة لكن مع ذلك يبقى المحتوى السيولي الذي تنشأ منه أوهام الحياة الظواهرية. الكلمة السنسكريتية "مايا" تعني "وهم". من المثير معرفة أن لكلمة "مايا" السنسكريتية صلة معيّنة بكلمة "ماي" بالعربية العامية أي ماء.

المبدأ الأنثوي وارتباطه برمز القمر

ذكرت سابقاً بأن جميع التعاليم الباطنية تناولت مبدأين رئيسيين كمصدر لكل الأشياء. المبدأ الأوّل ذو طبيعة ذكورية بينما الثاني ذو طبيعة أنثوية. المبدأ الذكري يتخذ دائماً دور مصدر القوة بينما المبدأ الأنثوي يلعب دور المحتوى الحاضن لهذه القوة، فهذه الأخيرة تلعب دور المركبة التي تحمل القوة أو الغلاف الذي يكسوها أو الوسيط الذي ينقلها. لهذا السبب نادراً ما يتم التفريق بين المبدأين خلال تفحّص طاقة معيّنة أو مادة ما أو كائن. المبدأ الذكري يمثل قوة مركزية (شمس) تقبع وسط فقاعة كروية الشكل يملأها محتوى سيولي، وهذا الوصف عمومي في كل الأشياء، أي ينطبق على الذرة كما على الكون، أو يمثل التركيبة الباطنية لأي مخلوق في الوجود. لهذا السبب نجد في كافة التعاليم أن إله الشمس لديه رفيقة أو زوجة أو أخت، هذه الرفيقة أو الزوجة أو الأخت تمثل المظهر الأنثوي للشمس. هي ليست إلهة القمر كما أصبح يُعتقد لاحقاً، بل المحتوى الذي ينقل نور الإله (الأثير)، واتخذ هذا المحتوى شكل الهلال عندما تكاثف على جدار الفقاعة الشمسية بفعل تدافع النبضات الشمسية. هذه الإلهة لم تكن شيء ثانوي أو أقل شأناً من زوجها بل بالعكس حيث تلعب أحياناً الدور الأهم في كافة النشاطات (كما سنرى لاحقاً).



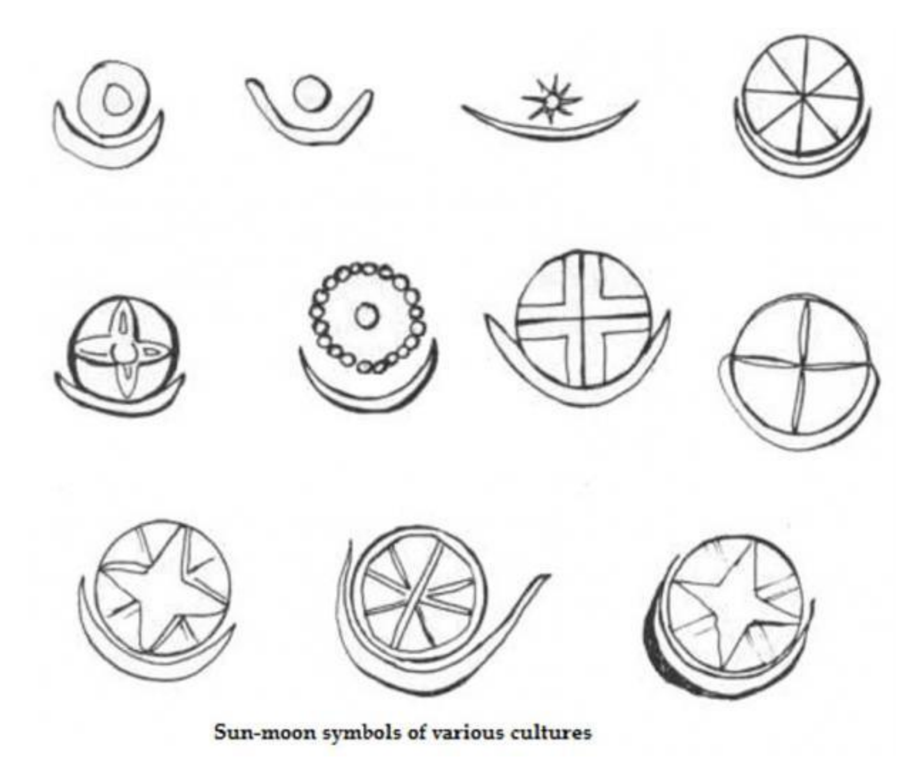
إذاً، الهلال الذي يمثل رمز المبدأ الأنثوي للآلهة ليس له علاقة بالقمر بل بشيء آخر مختلف تماماً رغم وجود تشابهات كثيرة مع القمر. فالهلال المتشكّل على جدار الفقاعة الشمسية يمثل القطب المعاكس للشمس المركزية، وهذا بالضبط ما يمثله القمر الحقيقي بالنسبة للشمس الأرضية حيث يمثل القطب العاكس للضوء المنبعث منها. هذا التشابه في الأدوار بين القمر وهلال الفقاعة الشمسية جعل القدماء يرمزون إلى المبدأ الأنثوي بالقمر الهلال في كل من الهند والصين ومصر وأمريكا واليونان.. إلى آخره، لكن مع مرور الوقت تم الخلط بين المفهوم الحقيقي الذي يرمز إليه الهلال وبين مفاهيم أخرى ليس لها علاقة بالموضوع. فمثلاً، تظهر الإلهة "إيزيس" عموماً في الصور وعلى رأسها قوسين يشبهان قرون الثور أو الحمل ويحيطان بقرص الشمس (الشكل التالي) وغالباً اتخذ القوسين هيئة القرون فعلاً (الصورة على اليسار) لكن في الحقيقة لا يوجد صلة من أي نوع بالقرون بل بشيء آخر مختلف تماماً وهو المحتوى الإلهي الذي يحيط بالشمس المركزية مشكّلاً هلال (الصورة على اليمين).



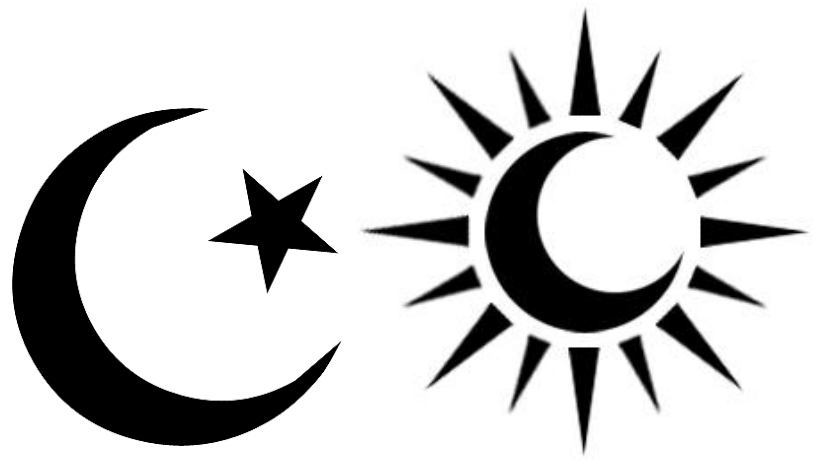

"إيزيس" هي النموذج المصري للأم العالمية. وكما باقي الآلهة الأمهات في الحضارات الأخرى، يُرمز إليها بالقمر الهلال. تظهر في الصورة (اليمين) وعلى رأسها هلال يحضن قرص الشمس، لكن أسيء تفسير هذه الرمزية مع مرور الزمن فجعلوا الهلال بهيئة قرنين كما تبينه الصورة (اليسار).



Sun-moon symbols of Proto-Turks

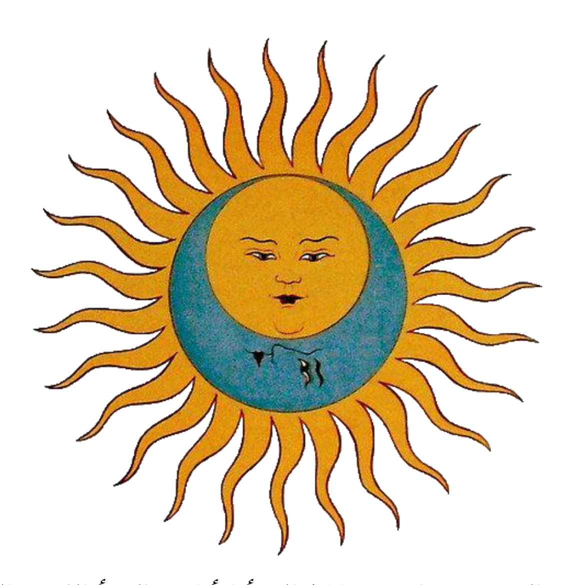


مجموعة من الرموز التابعة لحضارات قديمة مختلفة تبين الهلال الحاضن للشمس



رموز مختلفة تبيّن حقيقة أن الهلال يمثّل فكرة المحتوى المتكثف على جدار الفقاعة الشمسية



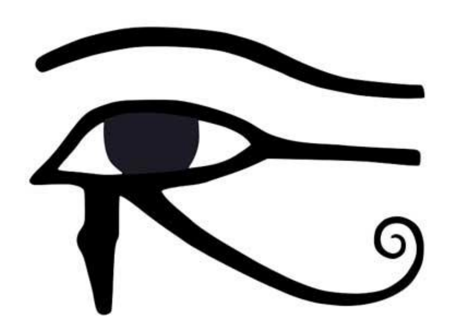


صيغ فنية مختلفة يتم التعبير وفقها عن علاقة المبدأ الأنثوي بالمبدأ الذكري المكونان الرئيسيان للفقاعة الشمسية.

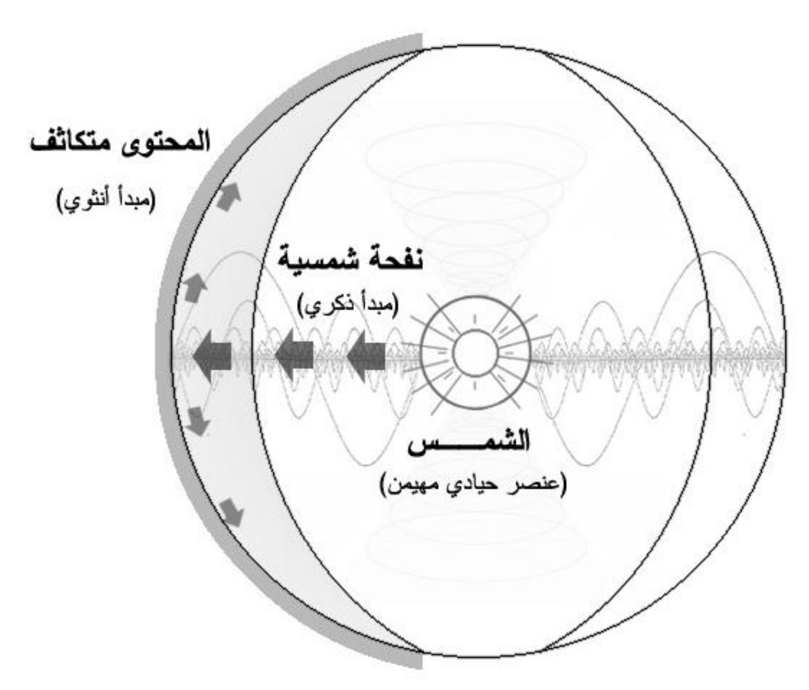
مبدأ الشمس

وثالوث الأب والابن والأم المقدسة

نلاحظ دائماً في الأساطير الدينية القديمة كيف يجتمع زوج وزوجة لينجبان مولود مقدس (أشهرها الثالوث المقدس المصري أوزيريس وايزيس وحورس) ولهذه الحالة معنى باطني ذو أهمية بالغة خصوصاً بعد اعتبار الثالوث كمبدأ عام يحكم الآلية التراتبية لعملية الخلق. كل ظاهرة لا بد من أن تولد من تزاوج مبدأ ذكري ومبدأ أنثوي. لكن هذه الظاهرة الوليدة تتحول لاحقاً إلى لعب دور الأب بدلاً من الابن فينتج زواجه مع المبدأ الأنثوي وليد جديد، ثم تتكر العملية وهكذا إلى لا نهاية. لهذا السبب نرى المراجع التاريخية تختلف بشكل كبير في اشارتها للشيء ذاته، أشهرها هي تلك الإشكالية المتعلقة بشعار العين الذي يرمز للشمس، حيث هناك مراجع تسميه عين حورس وأخرى عين أوزيريس، رغم أنه معروف بأن حورس يعتبر ابن أوزيريس. المطلعين على التعاليم السرية يقرّون بأن أوزيريس وحورس يمثلان الشمس فعلاً، لكن كل منهما يمثل مكوّن من مكونات المبدأ الشمسي. أوزيريس يمثل النواة الشمسية النابضة وبالتالي هو الأب، بينما حورس يمثل النفحة الشمسية المنبعثة من النواة وبالتالي هو الابن. هذه الفكرة ستتوضح جيداً عبر الفقرات التالية.



وفقاً للتعاليم السرية، النواة الشمسية مؤلفة من ذكر وأنثى معاً (شرحت سابقاً كيفية تشكل الشمس من تفاعل هذين المبدأين) لكن بنفس الوقت، بعد أن نشطت هذه النواة الشمسية نتج زوج جديد مؤلف من ذكر وأنثى أيضاً وهما: [١] القوة المندفعة من النواة الشمسية (سميتها نفحة شمسية) ولها طبيعة ذكرية، و[٢] المحتوى الأنثوي المتكاثف على جدار الفقاعة الشمسية بفعل القوة الذكرية المندفعة. (الشكل التالي):



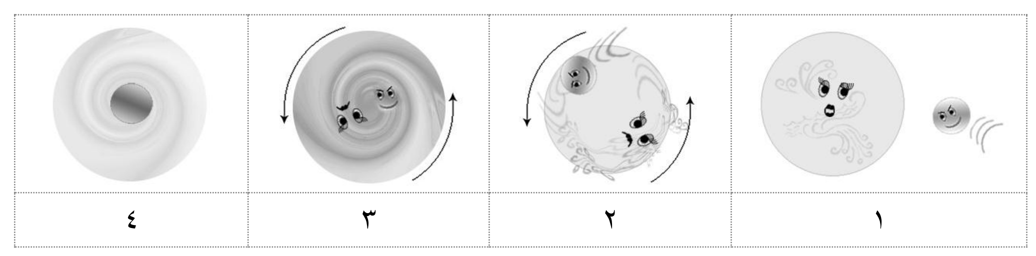
فقاعة شمسية مؤلفة من شمس مركزية ونفحة ومحتوى متكاثف على شكل هلال

لقد أصبح لدينا صيغة جديدة من مبدأ الجندر التي تجلّت مع نشوء المبدأ الشمسي. النفحة الشمسية المندفعة من النواة المركزية تمثل الذكر، والمحتوى المتكاثف على جدار الفقاعة الشمسية يمثل الأنثى. بهذه الطريقة تتجلى حقيقة أن المبدأ الأنثوي يلعب دائماً وفي جميع الأحوال دور المحتوى الحاضن للقوة الذكرية المندفعة أو تمثل المركبة التي تحمل هذه القوة أو الغلاف الذي يكسوها أو الوسيط الذي ينقلها. لكن السؤال هو: بما أن النفحة الشمسية اتخذت دور الذكر فما هو دور النواة الشمسية في هذه الحالة؟

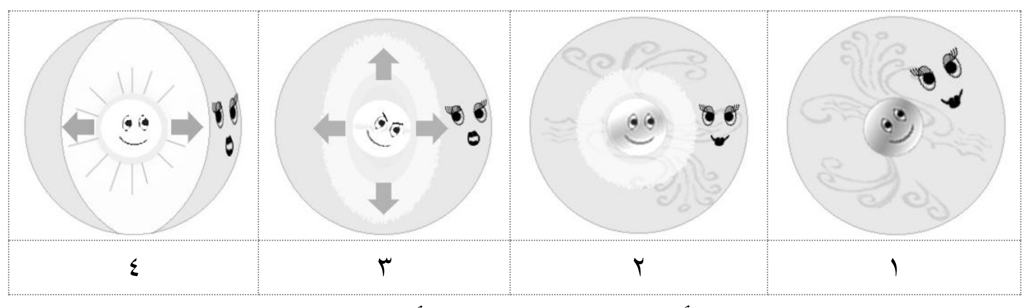
عندما يكون هناك مصدر محفّز لقوة ما، لا بد من أن يتبعه مبدأ ذكري يمثل حركة هذه القوة ومبدأ أنثوي يحضن هذه القوة، بينما المصدر المحفّز يتخذ دور حيادي مهيمن. في حالة المبدأ الشمسي، عندما تبدأ النواة الشمسية بالنبض وينبعث منها قوة شمسية (نفحة) تتحول النواة الشمسية إلى عنصر حيادي (لكنه مهيمن) بينما تصبح النفحة الشمسية عنصر الذكر والمحتوى الحاضن يحافظ على طبيعته الأنثوية. وبالتالي وفقاً للتعاليم السرية تبقى النواة الشمسية محافظة على طبيعتها الذكرية لكن باتخاذ دور الأب، بينما النفحة الشمسية تتخذ دور الابن. أما المحتوى الحاضن فينقسم

خلال تدافعه إلى تدرجات تتراوح بين محتوى لطيف (الأم) ومحتوى كثيف (البنت) لكنه في جميع الأحوال يحافظ على طبيعته الأنثوية. (سوف أشرح دور كل من هذه التدرجات لاحقاً).

أعتقد أنه أصبح سهلاً علينا الآن توضيح كيف تكون إيزيس في البداية والدة أوزيريس ثم أخته ثم زوجته، فهذا سهل التفسير والشرح إذا كنا مطلعين على الموضوع الحقيقي الذي يقصده هذا التشبيه الرمزي. يمكننا تلخيص الفكرة من خلال الشرح المصور التالي:



شرحنا سابقا كيف تم تلقيح البيضة عبر قذف أو نفخ عنصر ذكري في محتواها الأنثوي فتكاثف قسم من المحتوى، مخلوطاً مع القوة الذكرية، في مركز البيضة. هذا التكاثف في مركز البيضة يمثل المولود الأوّل والذي نتج من تزاوج المحتوى الأنثوي مع القوة الذكرية.



المرحلة التالية للحالة السابقة تبدأ من احتضان المحتوى الأنثوي للمولود الجديد (الصورة رقم [١]) وهذا يجعل المحتوى يلعب دور الأم في هذه المرحلة. في المرحلة الثانية يبدأ المولود الجديد بالنمو والتعاظم حتى أصبح مساوياً للمحتوى الأنثوي (الصورة رقم [٢]) فأخذ دور الأخ الشقيق. في المرحلة الثالثة يبدأ نشاط هذا المولود (الأخ) يتزايد ويتغلب على المحتوى الأنثوي ويطغي عليه (الصورة رقم [٣]) بدأت هذه المرحلة تشهد عملية تحوّل المولود إلى زوج طاغي وليس مجرّد أخ متساوي. المرحلة الرابعة تشهد عملية التزاوج حيث بدأت عملية التنابض الشمسي (الصورة رقم [٤]) وهي تمثل عملية قذف النفحة الشمسية (النطفة التي ستنجب حورس) وتلقيح المحتوى الأنثوي.

ملاحظة: لهذه القصة تكملة وسوف نرويها لاحقاً مع توالي الأفكار (أنظر في موضوع النفحة الإلهية). لكن المهم معرفة حقيقة أن هذه العملية التفاعلية المتسلسلة بين مبدأي الذكر والأنثى هي التي ألهمت القدماء إلى الحديث عن الابن الذي صار أخ شقيق ثم زوج. ليس هناك أي دوافع شاذة أو غير أخلاقية وراء أقوالهم أو أوصافهم. لقد حصل الكثير من الأعمال الشاذة عبر العصور التي تبعت زمن الحكماء الأوائل، كزواج الملوك والأمراء من خواتهم وأمهاتهم وبناتهم، وكان ذلك بإملاء من كهنة جهلاء ومنحطين أخلاقياً قاموا بتفسير التعاليم الدينية بشكل حرفي بدلاً من الأخذ برمزيتها العلمية فقط.

قصّة العذراء الأمّ، التي أنجبت إله الشمس، هذه القصة التي حافظت عليها مجموعة كبيرة من الأديان بأمانة وإخلاص، تذكّر بالكتابات التي تناولت النسخة المصرية للأم العذراء، وهي "إيزيس" Isis، التي ظهرت في معبد "سايس" Sais قائلة: "..الثمرة التي جلبتها هي الشمس..". بالرغم من أن العذراء كانت مرتبطة بالقمر عند الوثنيين الأوائل، لكن ما من شكّ أنهم فهموا جميعاً موقعها الحقيقي في الوجود. كافة شعوب العالم القديم يعتبرون العذراء بأنها أمّ الشمس، وعرفوا جيداً بأن القمر لا يستطيع القيام بهذه المهمة (ولادة الشمس) حيث هذا الأخير لا يمثل القمر الفعلي بل شيء آخر مختلف تماماً. لكن عن أي عذراء كانوا يتكلمون؟ إنها العذراء العالمية، التعبير الأسمى عن جلالة المبدأ الأنثوي، وهذا ما تعرفنا عليه في فصل سابق.

خلال الاطلاع على المظاهر المختلفة لمبدأ الثالوث في الجزئين السابقين تعرفنا على صيغ مختلفة من الثواليث. رأينا مثلاً كيف أن الوجود مؤلف من ثلاثة عناصر أساسية: العقل والحركة والمحتوى. والمادة مؤلفة من ثلاثة مكونات: مبدأ محفّز ومبدأ نشِط ومبدأ مقيّد. بينما الثالوث الإيقاعي الذي تتألف منه مسيرة التجسيد المادي فهو: الاندفاع، التسارع، والعطالة قبل أن تتوقف تماماً.. وهكذا إلى آخره. نلاحظ بأنه في كل هذه الثواليث، المبدأ الذكري يمثل العنصر الثاني بينما المبدأ الأنثوي يمثل دائماً العنصر الثالث فيها. من هنا جاءت السمات والخصائص التي أُنسِبت لهذين المبدأين. دعونا نتعرف على المزيد من خصائص وأوصاف هذين المبدأين من خلال الجدول التالي:

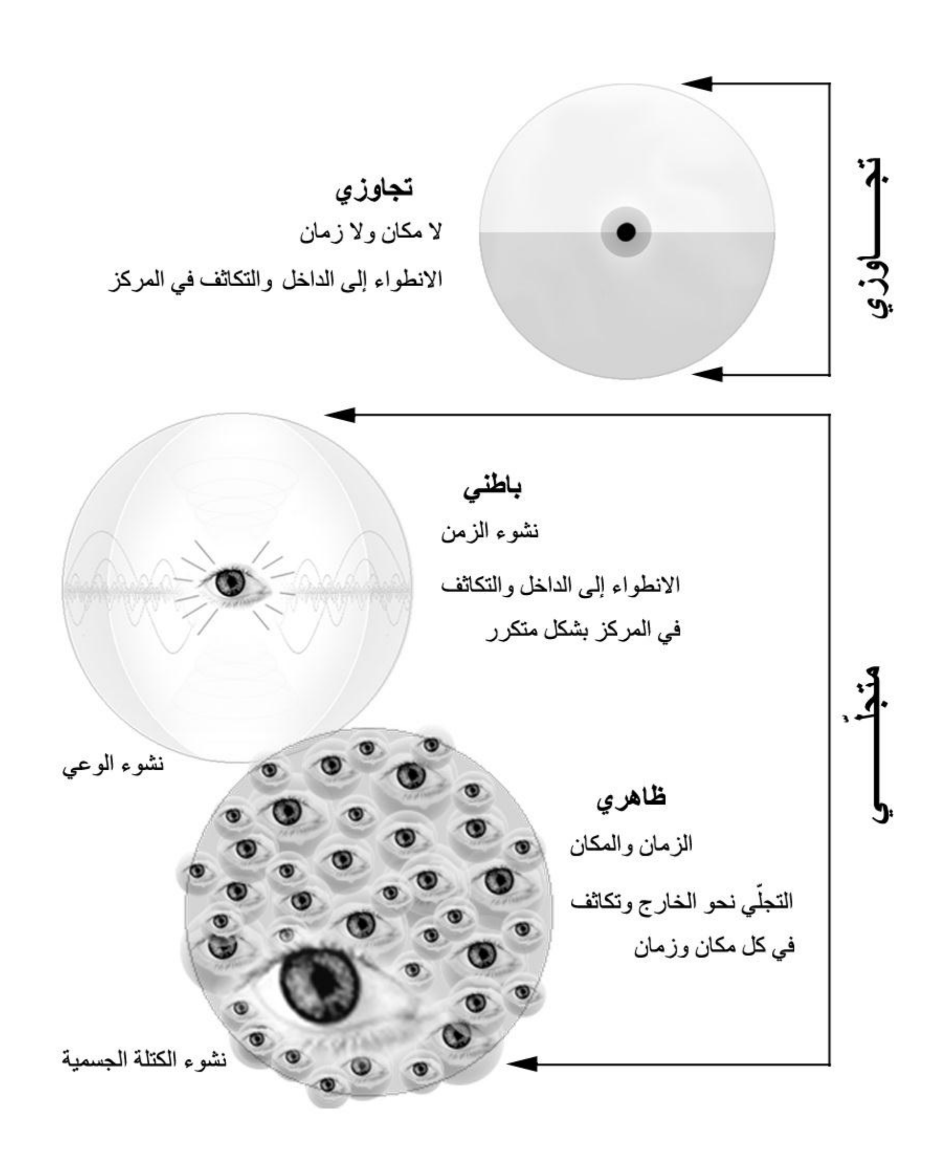
٤	٣	٢	١
مستفعل	***مفعول***	***منفعل***	***فاعل***
محتوى متبلور	محتوى	نفحة شمسية	شمس
أنثى [البنت]	أنثى [الأم]	ذكر [الإبن]	ذكر [الأب]
تراب	ماء	هواء	نار
جلاء	بينة	حكمة	عقل
توقف	تباطؤ (تثاقل)	تسارع	انطلاق
زمكان	مكان	زمان	تجاوزي
جمود	تقييد	نشاط	تحفيز
تلاشي وزوال	مشتّت وضعيف	قوي ومتوازن	خاطف وعنيف
حس	رغبة	فكر	إرادة
كائن	كينونة	وعي	عقل
أثر أو تأثير	محتوى أثيري	حركة قوة	مصدر قوة

يوجد الكثير من الأمثلة الأخرى لكن أعتقد أن هذه العينات تكفي لإثبات الفكرة. كما نلاحظ في الجدول، يوجد أربعة أعمدة والعمود الأول يمثل العنصر الحيادي الدافع، والثاني يمثل العنصر الذكري المندفع، والثالث يمثل العنصر الأنثوي المدفوع، والعمود الرابع يمثل الحالة الناتجة من هذا الاندفاع والتدافع الحاصل بين العناصر الثلاثة السابقة. وتعتمد النتيجة على الحالة التي نخضعها للدراسة.

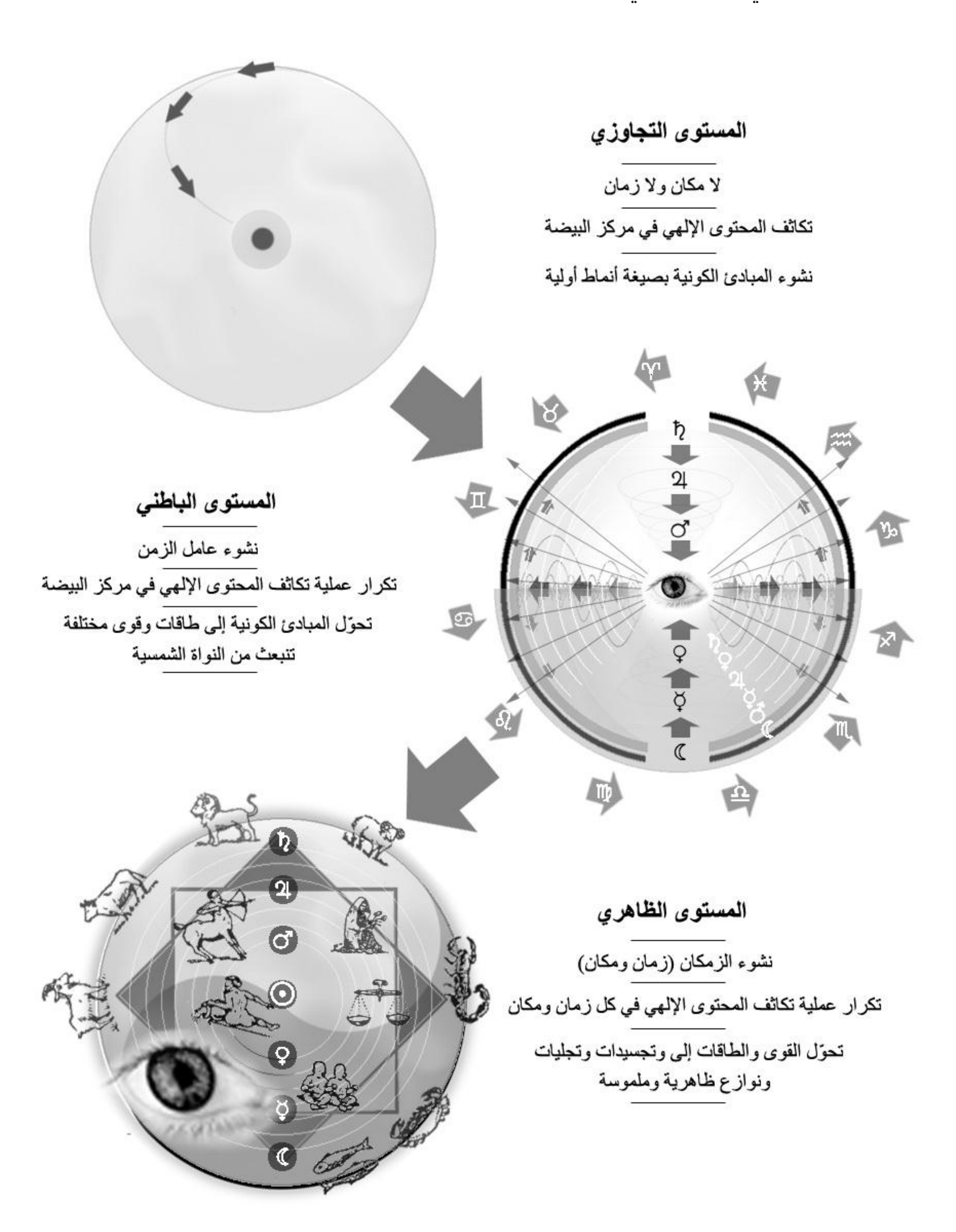
....

الفقاعة الواحدة صارت اثنين

في الجزء الثامن من هذه المجموعة، استوعبنا كيف يمكن أن يكون العالم المتجلي مجرّد انقسام وهمي للمصدر الحقيقي. المصدر الحقيقي يقبع في العالم التجاوزي بينما الانقسام الوهمي يقبع في العالم المتجلّي. العالم المتجلّي مقسوم إلى قسمين: [١] باطني محكوم بعامل الزمن، [٢] ظاهري محكوم بعامل الزمان والمكان. يمكن التعبير عن هذه الحالة باختصار في الشكل التالي:

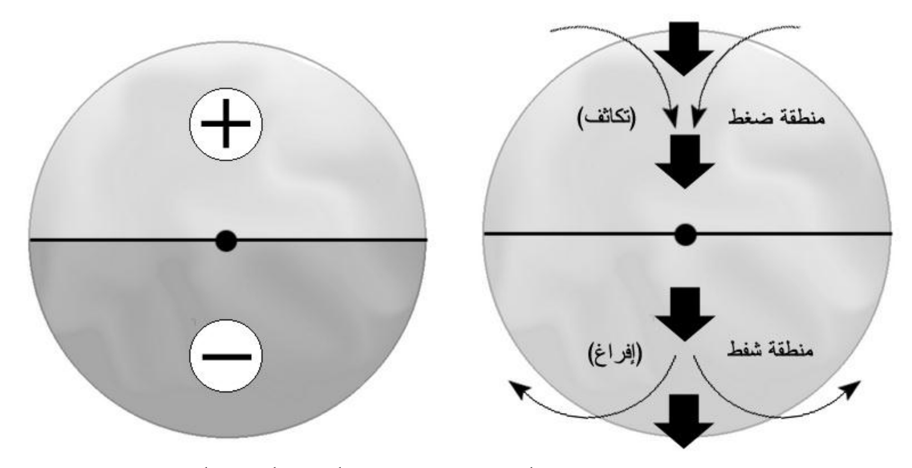


يمكن التعبير عن هذه الحالة أيضاً مع إضافة آلية تشكّل وتجسيد القوى والطاقات في كل من المستويات، وذلك في الشكل التالي:



إذاً، النمط الأوّلي لعملية الخلق الحاصلة في المستوى التجاوزي تفرض وجود ازدواجية للفقاعة الشمسية في المستوى المتجلّي وذلك لأن هذا المستوى محكوم بعاملي الزمان والمكان. لكن هذا ليس السبب الوحيد الذي يفرض ازدواجية الفقاعة الشمسية حيث هناك سبب آخر مهم له علاقة بمبدأ القطبية.

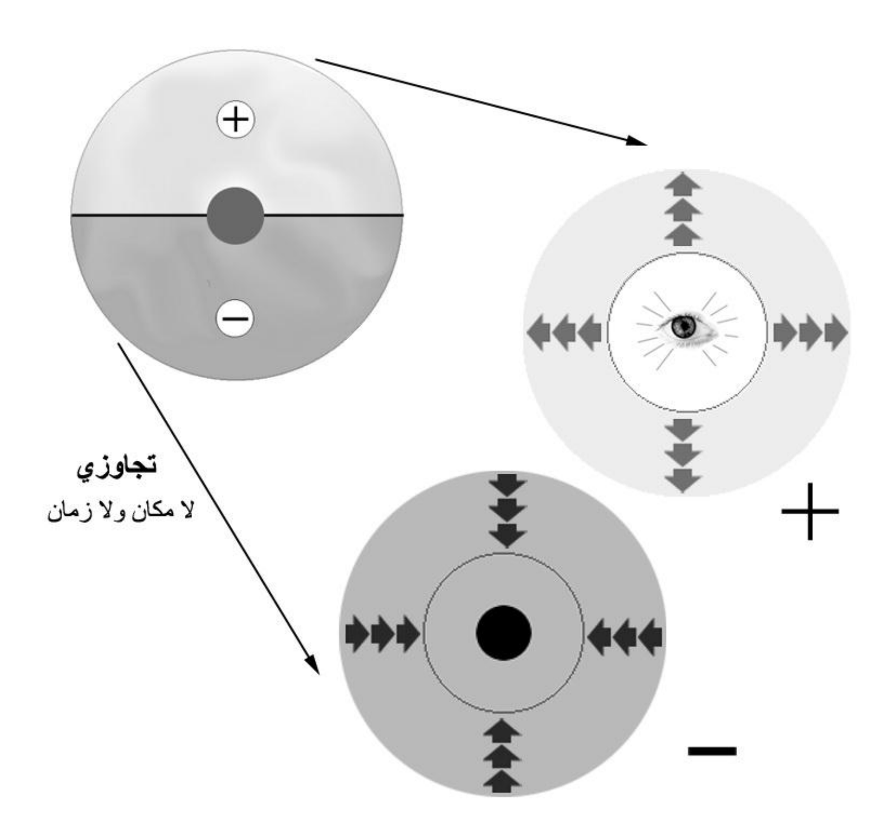
رأينا في الجزء الثامن كيف أنه خلال عملية الخلق حصلت حالة انفصام في البيضة الكونية. أي هناك شيء ما ميّز نفسه من الكائن الكوني. حصلت هذه الحالة تحديداً خلال نشوء مبدأ القطبية، حيث القسم السفلي من البيضة الكونية شكّل جانب آخر منفصل عن القسم العلوي لكنه بقي متمماً له. يمكننا اعتبار هذا الجانب الصورة السلبية للواقع الحقيقي. هو الانعكاس، أو الظلّ للعالم الحقيقي. هذا هو العالم المنعكس كما يسمونه أو العالم الوهمي. يمكن التعبير هن هذه الفكرة باختصار من خلال الشكل التالي:



انزياح المحتوي الكوني من محيط الكرة والتوجّه لولبياً إلى المركز اتخذ مساراً صاعداً ثم نزولاً من الأعلى باتجاه المركز. هذه العملية خلقت منطقة إفراغ في الأسفل ومنطقة تكاثف في الأعلى. أي قوة شفط في الأسفل وقوة ضغط في الأعلى. هذا جعل الكرة في النهاية مقسومة إلى قسمين: القسم العلوي الموجب [+]، والقسم السفلي السالب [−].

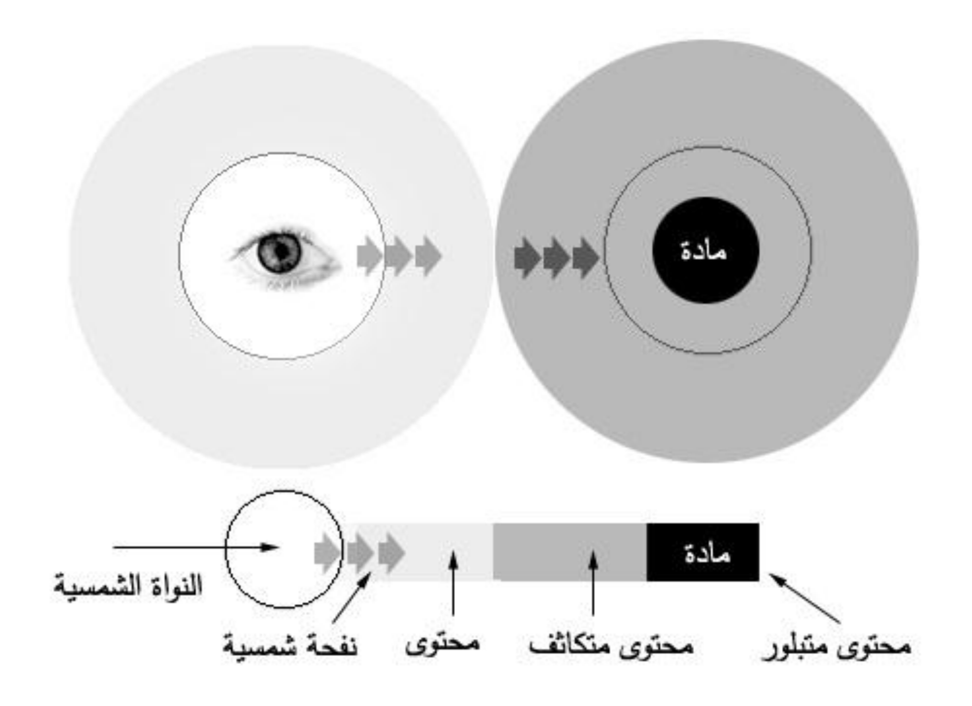
بما أن هذا الانقسام حصل خارج المكان والزمان فهذا بالتالي يجعله قابل للحدوث في كل مكان وكل زمان. جميع التعاليم الباطنية حول العالم تحدثت عن القطبية الثنائية التي تشكلت بعد انقسام الواحد إلى قسمين، وقد أشاروا إليها بأسماء كثيرة ورمزوا إليها بطرق مختلفة. يمكننا ملاحظة هاتين القوتين في كل مكان في الطبيعة وفي كافة مجرياتها.

بعد التسليم بسواد مبدأ القطبية في كل مكان وزمان، علينا التسليم منطقياً بأنه عندما ولدت الشمس المركزية (نشوء الزمن)، بدلاً من ولادة فقاعة واحدة نشأت فقاعتين: الأولى هي الفقاعة الشمسية الممثلة لصورة مطابقة للعالم الحقيقي، والثانية تمثل عالم وهمي معاكس للعالم الحقيقي. العالم الحقيقي يمنح بينما العالم الوهمي يسلب، وهاتين الخاصيتين لهما أهمية كبيرة سوف أشرحها لاحقاً. يمكن توضيح هذه الحالة من خلال الشكل التالي:



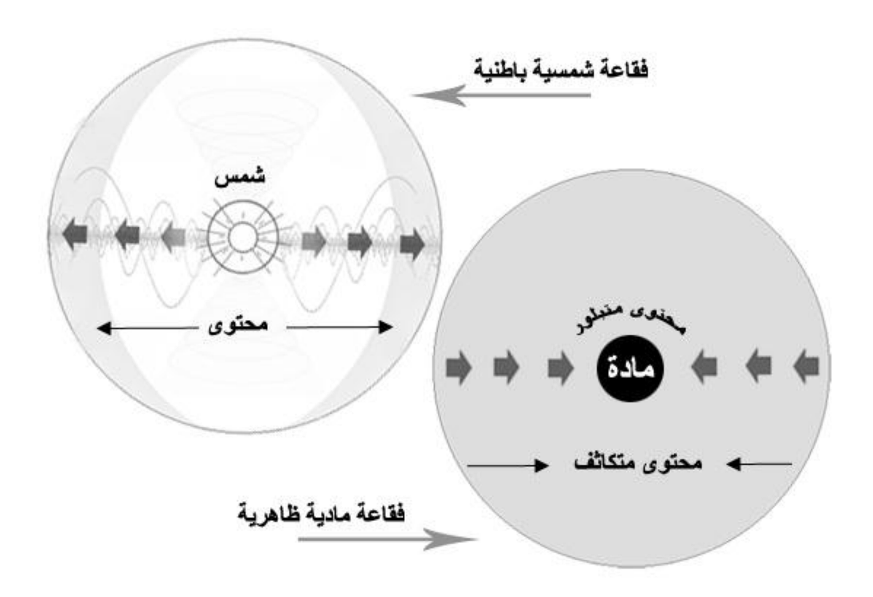
النمط الأوّلي لعملية الخلق الحاصلة في المستوى التجاوزي تفرض وجود ازدواجية للفقاعة الشمسية وذلك انصياعاً لمبدأ القطبية الذي نشأ في العالم التجاوزي بعد انقسام البيضة الكونية إلى قسمين، القسم العلوي يمثل القطب الموجب بينما القسم السفلي يمثل القطب السالب.

لهذا السبب عندما نتناول الفقاعة الشمسية بتدرجاتها الأربعة علينا اعتبارها مؤلفة من فقاعتين تتمحوران حول قطبين متناقضين، القطب الأوّل يمثل الشمس والقطب الثاني يمثل المادة. أي كما في الشكل التالي:



بدلاً من تسلسل خطّي واحد لتدرّج المحتوى بين الشمس والمادة نجد أن هذا التدرّج انقسم إلى قسمين. أي بدلاً من امتداد متدرّج لكيان واحد أصبح لدينا كيانين، أي فقاعتين، الأولى تتمحور حول الشمس المركزية والثانية تتمحور حول المادة.

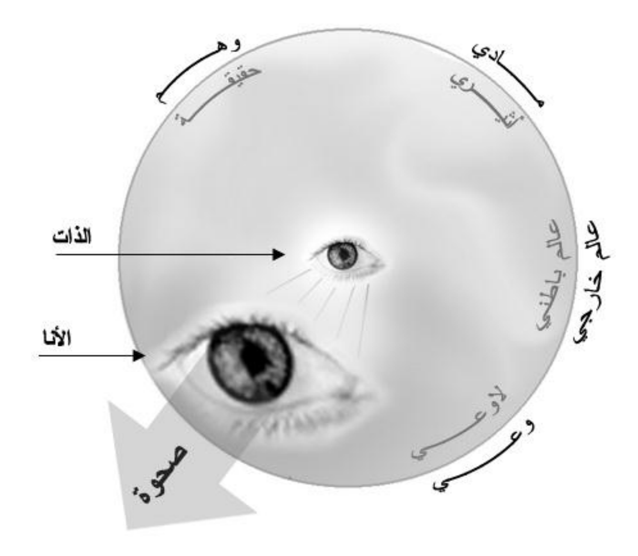
الأمر الذي قد لا ننتبه له هو أن هذا التدرّج المقسوم إلى قسمين أصبح كل قسم فيه له خاصية تميزه عن الآخر. القسم الأوّل التابع للنواة الشمسية يبعث إشعاعه للخارج (أي يعطي أو يمنح)، بينما القسم الثاني التابع للمادة يتلقى الإشعاع الشمسي (يأخذ أو يسلب)، كما في الشكل التالي:



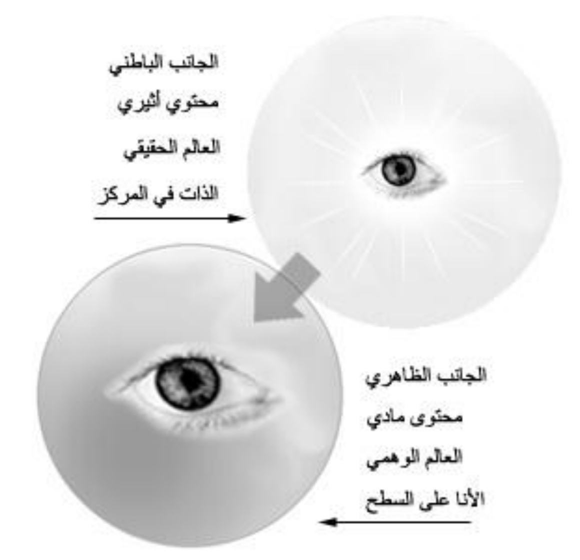
بما أن الجانب الباطني (الشمس المركزية) يمثل صورة مطابقة للعالم التجاوزي، أي متشابه معه في الصفات وخصائص (متكاثف في المركز ومشعّ نحو المحيط) فهذا يجعله ممثلاً له في العالم المتجلّي (لهذا السبب أشاروا إليها بالابن المقدس). بينما الجانب الظاهري يحافظ على قطبيته المعاكسة لأنه كما المرآة العاكسة، أي كل ما يحصل في العالم الحقيقي يحصل بالعكس في العالم الوهمي. التكاثف في المركز يصبح تكاثف على المحيط مثلاً، الإشعاع نحو المحيط يصبح إشعاع نحو المركز، أو الدوران لليمين يصبح دوران لليسار، أو التقلّص يصبح تمدد، أو الانفجار الخارجي يصبح انفجار ضمني.. وهكذا. بما أن الجانب الباطني يمثل صورة مطابقة للعالم التجاوزي، ولهذا أشاروا إليه بالابن المقدس أصبح بإمكاننا إنساب كامل صفاته إليه وبالتالي يمكننا العودة إلى قائمة المتعاكسات الواردة في الجزء الثامن من هذه المجموعة لكن بدلاً من كلمة تجاوزي نضع كلمة باطني، وبدلاً من متجلي نضع كلمة ظاهري، بالإضافة إلى إجراء بعض الاستبدالات الأخرى تتعلق بالمكان والزمان مثلاً، فنخرج بالجدول التالي:

	العالم العلوي	العالم الدنيوي
١	باطني	ظاهري
٢	متكاثف في المركز	منتشر نحو المحيط
٣	انطواء إلى الداخل	انفراج إلى الخارج
٤	فردانية	تعدد
٥	الحقيقة	وهم
٦	مثالية	دونية
٧	واحد	كثير
٨	روحي	مادي
٩	فكري	حسّي
١٠	كمال	نقص
١١	غير محدود	محدودية
١٢	صفاوة	شوائب
١٣	لطيف	كثيف
١٤	لا مكان	محكوم بالمكان والزمان
١٥	أبدية، خلود	مؤقت، زائل

بالإضافة إلى العوامل المذكورة سابقاً بخصوص السبب المنطقي لانقسام الفقاعة إلى اثنين، يوجد سبب آخر وهو سبب إدراكي أكثر من كونه مادي. القابع في داخل الفقاعة لا يرى سوى مكونات الفقاعة من الداخل، بالإضافة إلى أنه لا يختبر سوى الظروف المتجلية داخل الفقاعة. بينما القابع خارج الفقاعة سوف لن يرى سوى المكونات من الخارج، ولا يختبر سوى الظروف والحالات التي تتجلى في الخارج. بالتالي فإنها فكرة جيدة أن يتم تصوير فقاعتين بدلاً من واحدة خلال دراستهما، وذلك من أجل تمكين الدارس من رؤية مكونات الجانبين وكذلك اختبارات الحالات المتجلية في الجانبين أيضاً.



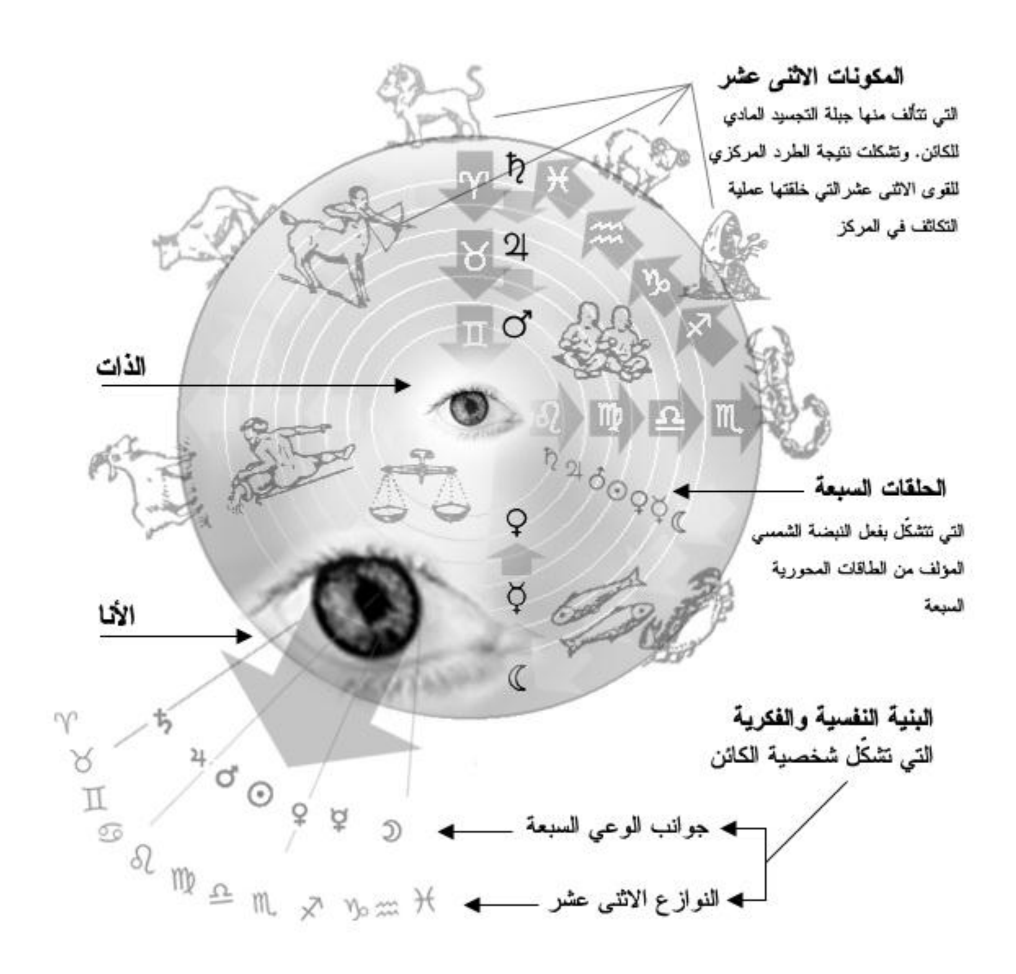
كما هو مبيّن رمزياً في التشريح المقابل، الجسد المادي للكائن هو عبارة عن قشرة خارجية تحجب داخلها الكثير من المقومات الخفية. أهم العناصر التي تقبع في هذا الجانب الباطني هو الذات المركزية التي تشكّل جوهر الكائن وأساس وجوده. بينما الأنا تنتمي للقشرة الخارجية للكائن.



الشكل المقابل يبين انفصال بين الجانب الباطني والجانب الظاهري، وهذا يساعد على فهم الفرق بين هذين الجانبين. الأمر المهم الذي سوف نكتشفه في هذا الانفصال بين الجانب الباطني والجانب الظاهري هو الفارق المنطقي بين ثنائية الذات والأنا. وهذا ما سوف نبحث فيه في فصول لاحقة.

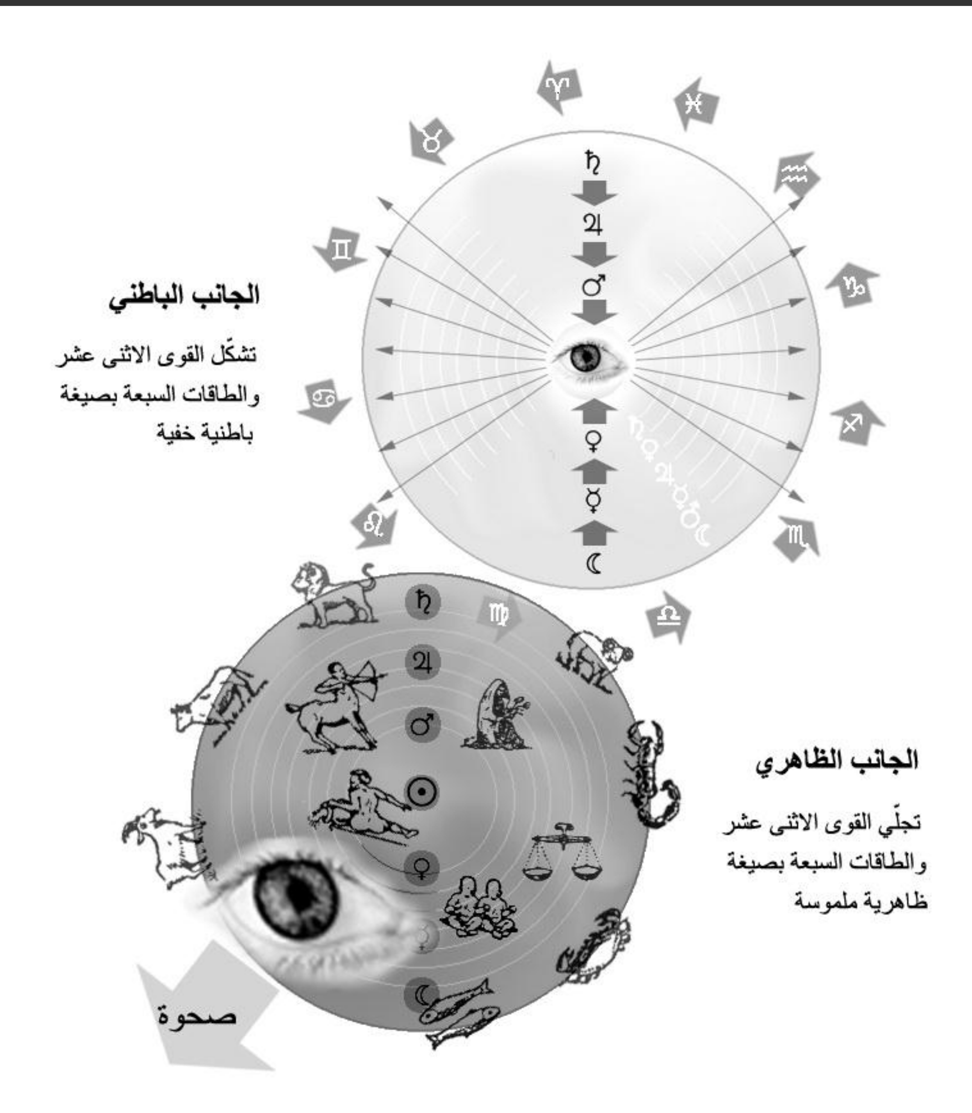
دون هذه الطريقة في تشريح الفقاعة الشمسية لا يستطيع المريد فهم واستيعاب الشرح المتعلق بآلية عمل وأداء الشمس المركزية وكيفية التجسيد المادي وغيرها من مجريات وأحداث وصفتها التعاليم المتعلقة بالجانبين الباطني والظاهري.

طريقة تجلّي وتفاعل الطاقات والقوى المختلفة في المستوى الباطني تختلف تماماً عن المستوى الظاهري مما يجعل شرحها معقداً إذا جمعناها في فقاعة واحدة (الشكل التالي) وبالتالي نحن بحاجة إلى فقاعتين لكي تبدو سهلة وواضحة.



صورة تشريحية تبن الجانبين الباطني والظاهري معاً

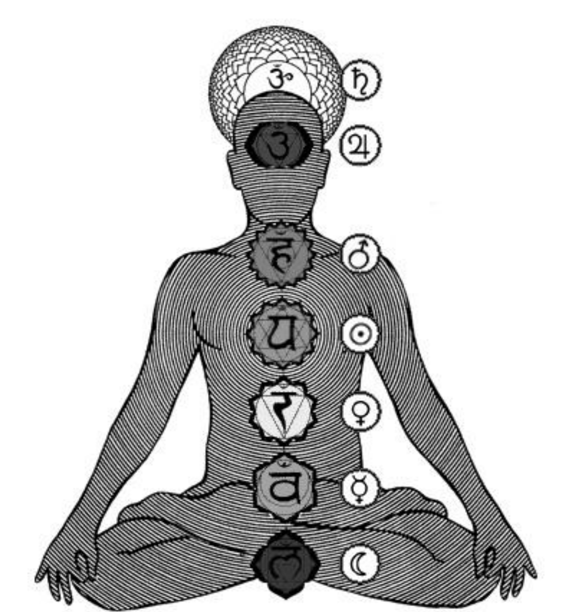
بينما إذا فصلنا الجانب الباطني عن الظاهري بحيث وصفناهما بصبغة فقاعتين بدلاً من فقاعة واحدة سوف يبدو الأمر أكثر وضوحاً (الشكل التالي):



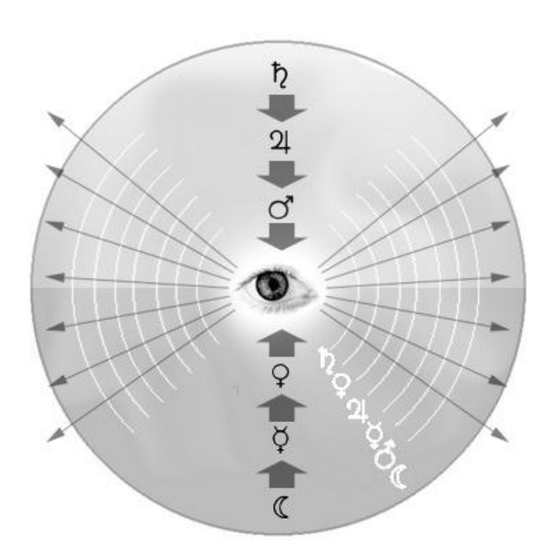
صورة تبين الفقاعة الباطنية والظاهرية ويبدو واضحاً الفروقات في محتويات كل منهما، فالعين مثلاً، وترمز للوعي، تبدو مركزية في القسم الباطني، بينما هي موجودة على السطح في القسم الظاهري وهذا يشير إلى الوعي السطحي الذي يتمتع به القسم الظاهري لدينا. كما ذكرت سابقاً، كل ما يحصل في القسم الباطني يجد معاكس له في القسم الظاهري. التكاثف في المركز يصبح تكاثف على المحيط، الإشعاع نحو المحيط يصبح إشعاع نحو المركز،.. وهكذا إلى آخره. أما القوى والطاقات التي تنشأ وتتوالد في القسم الباطني فتتجلى بصيغة ملموسة في القسم الظاهري ويكون هذا التجلّي بأكثر من طريقة وقد أوردت مثالين في الشكل التالي.



يوجد صيغ كثيرة يمكن أن تتجلى وفقها القوى الاثنى عشر والطاقات السبعة في التجسيد المادي للكائن. مثل ربط الأبراج الفلكية بأعضاء الإنسان وفق منهج علم الفلك والطب الهرمزي. وكذلك ربط الطاقات السبعة بمواقع الشاكرات في الجسم وفق منهج اليوغا، أو ربطها بمرتفعات الكف وفق منهج علم فراسة اليد والتي تمثل عموماً جوانب الوعي السبعة.

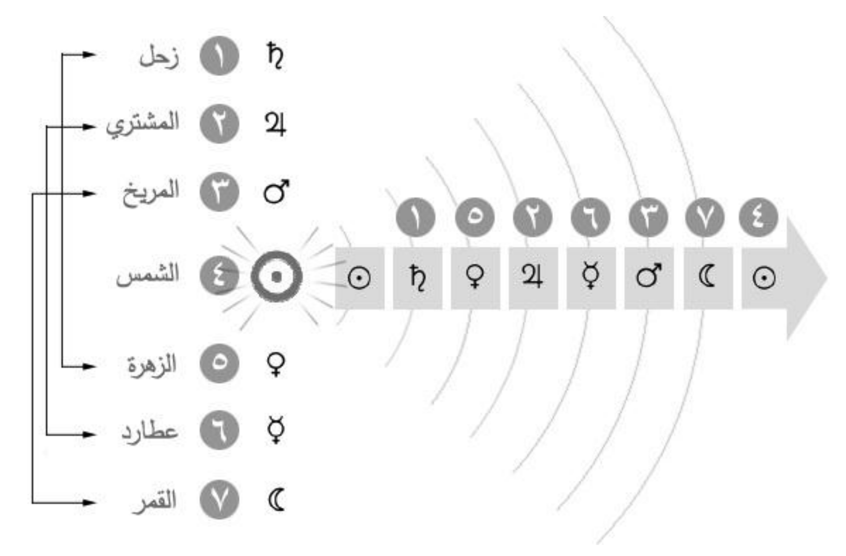


بالإضافة إلى تجلّي هذه القوى بصيغة مادية في المستوى الدنيوي، نجد أنها تخضع أيضاً لعامل الزمان خلال مسيرة التجلّي، أي تتجلى وفق ترتيب زمني متسلسل. فمثلاً، تعرفنا سابقاً على الطاقات السبعة المختلفة التي تنبعث من النواة الشمسية (الشكل التالي). لكن السؤال هو بأي صيغة تنبعث من النواة الشمسية؟ وما هو ترتيب اصطفاف هذه القوى خلال انبعاثها من النواة؟ أي بمعنى آخر، لقد تعرفنا على ترتيب هذه الطاقات في حالتها الثابتة (عمودياً) لكن كيف سيكون ترتيبها خلال تحركها (أفقياً) خلال انبعاثها من النواة؟ أي بعد أن يحكمها عامل الزمن؟



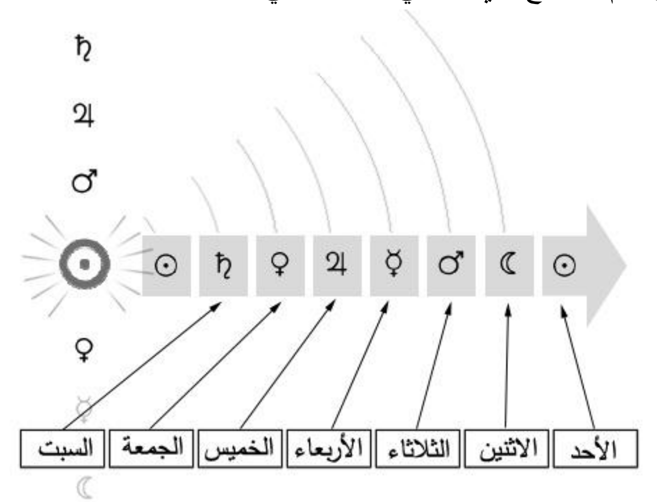
ترتيب الطاقات السبعة في حالتها الثابتة (عمودياً). لكن هذا الترتيب يختلف خلال انبعاثها من النواة الشمسية على شكل حلقات موجية متذبذبة

الشكل التالي يجيب على السؤال السابق بشكل مختصر وبسيط إذ يبين الصيغة الفعلية للترتيب الزمني للطاقات السبعة المنبعثة من النواة الشمسية:



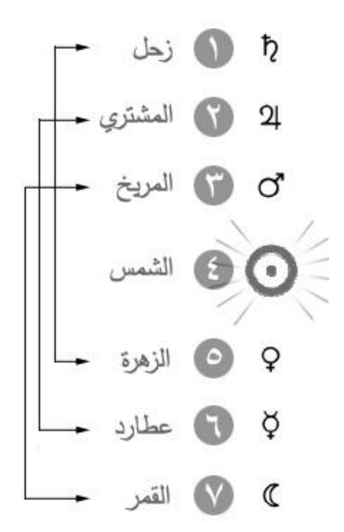
الترتيب الزمني الفعلي للطاقات السبعة خلال انبعاثها من النواة الشمسية

قد يبدو ترتيب الطاقات السبعة المنبعثة من النواة الشمسية عشوائياً للوهلة الأولى لكنه ليس كذلك. هذا الترتيب منظّم ومدروس ويستند على أساس منطقي. يذكرنا بالطريقة التي أنسب فيها علماء الفلك الكواكب إلى أيام الأسبوع. أي كما في الشكل التالي:

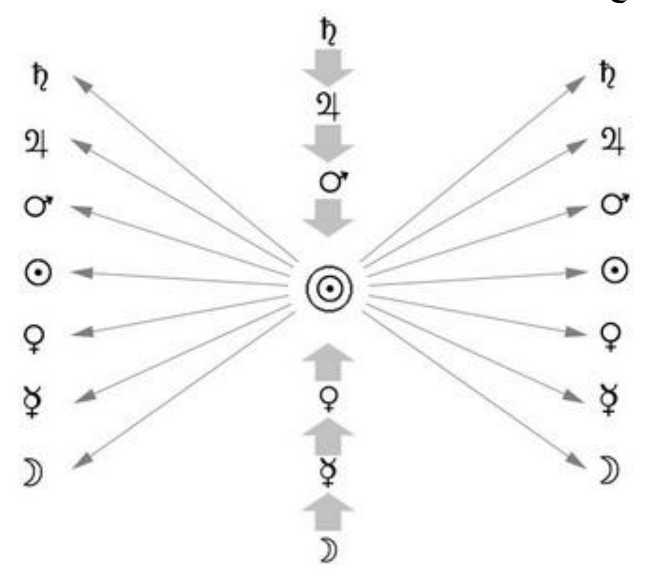


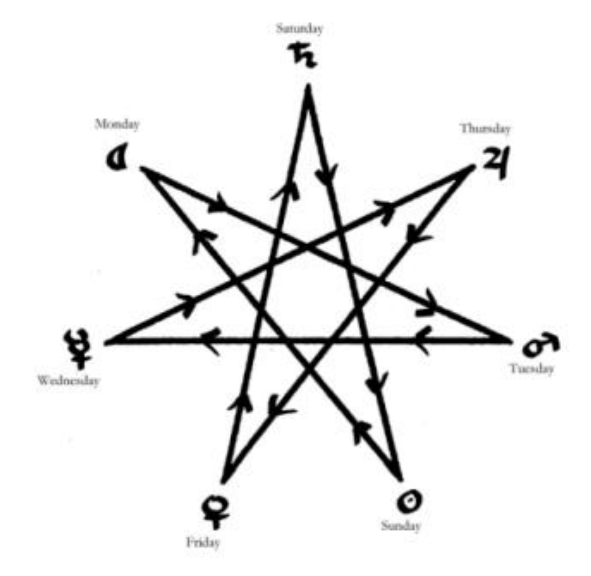
كما هو مبين في الشكل السابق. كل يوم من أيام الأسبوع أنسب إلى كوكب معيّن واتفق علماء الفلك في جميع الحضارات القديمة على هذا الترتيب تحديداً. جميع الفلكيين حول العالم اتفقوا على أن يوم الأحد منسوب لكوكب الشمس، ويوم الاثنين منسوب للقمر، ويوم الثلاثاء منسوب للمريخ، ويوم الأربعاء منسوب لعطارد، ويوم الخميس منسوب للمشتري، ويوم الجمعة منسوب للزهرة، ويوم السبت منسوب لزحل.

الآن أصبحنا نعلم لماذا اتخذ علماء الفلك هذا القرار الذي يبدو عشوائياً للوهلة الأولى حيث تبين أنهم اتبعوا طريقة منطقية لمعالجة المسألة حتى توصلوا إلى هذه النتيجة. كانوا يعرفون أن الطاقات السبعة مؤلفة من قطبين مختلفين، ثلاثة فوق الشمس وثلاثة تحت الشمس، وخلال تحرّكها (أفقياً) سوف يختلف ترتيب اصطفافها لأنه يخضع لمبدأ القطبية إذ كل طاقة عليا سوف تصطحب معها الطاقة الدنيا التي تمثل قطبيتها المعاكسة. كوكب زحل (السبت) مثلاً يصطحب معه الزهرة (الجمعة)، وكوكب المشتري (الخميس) يصطحب معه عطارد (الأربعاء)... وهكذا.



إذاً، عندما يسيطر عامل الزمن على المبدأ السباعي سوف يتحول ترتيب اصطفاف الطاقات السبعة بطريقة خطية زمنية وذلك تماشياً مع قانون التسلسل الزمني. لكن ما أن يدخل عامل المكان إلى المعادلة سوف يعود الترتيب العمودي للطاقات السبعة كما كان في السابق. وقد رأينا هذا التجلّي في طريقة ترتيب الشاكرات في الجسم مثلاً أو ترتيب ألوان الطيف خلال مرور الضوء في موشور أو ترتيب ألوان قوس قزح.

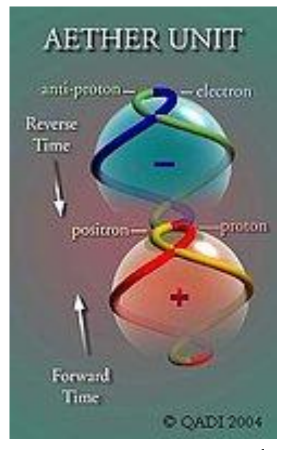




نجمة سباعية كان يستخدمها القدماء للاستدلال خلال معالجة مسائل فلكية. يبدو أنهم كانوا يعلمون جيداً الاختلاف في ترتيبها بين الحالتين: التحرّك الزمني والثابت المكاني.

الجانبين، الباطني والظاهري، على المستوى الذري

الأمر الآخر الذي لا يقل أهمية والذي سوف نكتشفه في هذه الثنائية (الفقاعتين الباطنية والظاهرية) يتعلق بمجال الذرّة حيث سنرى الفارق المنطقي بين الذرّة في حالتها الصلبة والذرّة في حالتها الطاقية. على هذا المنطق بالذات اعتمدت الفيزياء الأثيرية Aetheric Physics التي تقول بأن للذرة وجهين أو جانبين (أي عبارة عن فقاعتين)، الأولى متجلية ظاهرياً والثانية متجلية باطنياً. الظاهرية صلبة ومحكومة بعاملي الزمان والمكان، بينما الباطنية مخفية من مسرح الوجود لكنها موجودة ولها تأثير كبير على سلوك القسم الظاهري وهذا ما تنحى إليه الفيزياء الكمية Quantum Physics في الوقت الحالي.



الذرّة وفقا لمفهوم الفيزياء الأثيرية. لأن القسم السفلي هو الظاهر بالنسبة لنا جعلوه يمثل القطب الموجب، بينما القسم الباطني اتخذ القطب السالب. هذا الترتيب للأقطاب يبدو منطقياً إذا رأينا الأمر من منظور دنيوي.

يبدو أن هذه الصيغة الثنائية للذرة ليست اكتشاف جديد بل تعود إلى زمن قديم جداً. لطالما تحدث فلاسفة العالم القديم عن وجود قسم ظاهري وباطني للذرة التي تمثل أصغر شيء في الوجود والذي يتعذر تقسيمه أو تجزئته. سوف نتعرف في الموضوع التالي على الطريقة التي وصف بها القدماء الذرة وكيف شرحوا مكوناتها وخصائصها، وذلك من خلال الموضوع التالي:

علم الذرّة عند القدماء

هناك الكثير مما نستطيع تعلمه من خلال إلقاء نظرة متفحصة على إنجازات أسلافنا القدماء. ليس صعباً القيام بتطبيق جديد ومفيد لبعض المبادئ المقدّرة والمعروفة سابقاً، لكنه ليس سهلاً اكتشاف مبدأ جديد. ليس سهلا أبداً البناء دون العودة إلى أساسات ما تم بناءه من قبل. لهذا السبب لدينا إعجاب كبير تجاه أولئك المفكرين الرئيسيين للعرق البشري الذين ازدهروا في مراحل مختلفة عبر التاريخ القديم وكانوا مجرّدين من أي من تلك السبل والوسائل التي نستعين بها اليوم. علينا بالتالي التساؤل كيف استطاعوا اكتشاف تلك المبادئ الأساسية التي اعتمدت عليها كافة المعارف التي نشأت فيما بعد، ولازالت قائمة حتى اليوم. ليس هناك سوى جواب واحد ممكن، وهو وجود مصدر للمعرفة يكمن في باطن النفس. قوة عقلانية فطرية تستطيع اكتشاف وبرهنة هكذا حقائق علمية ثابتة. قوة حدس عجيبة بحيث تستطيع فهم وإدراك حقيقة المسائل، رغم أن هذه الحقيقة لا يمكن أن تكون في البداية قابلة للإثبات العلمي.

لا نعرف تحديداً كيف ظهرت فلسفة الذرّة إلى الوجود. من المؤكد أن أوّل علماء الذرّة مجهول وأصبح في غياهب النسيان. لكن إذا انطلقنا من السجلات الإغريقية القديمة، يُعتقد أن نظرية الذرّة انتشرت في الثقافة الغربية انطلاقاً من بلاد الفينيقيين، ومن الممكن أنها تعود إلى تاريخ سابق لحرب طروادة. وهذا يعني، بعد تفحّص عام، أن مفهوم الذرّة جاء إلى اليونان في القرن الثامن عشر قبل الميلاد، وهذا يعني أنه يسبق تاريخ العصر الذهبي للفلسفة اليونانية.

لقد ساهم هذا المفهوم بشكل كبير في إغناء الفلسفة اليونانية، لكن الفلسفة اليونانية كانت تعتمد أساساً على تقاليد فكرية عريقة جداً، وبالتالي لا نستطيع سوى القول أن ما نشير إليه اليوم بالفلسفة الذريّة كان موجوداً قبل ٤٠٠٠ سنة على الأقل. ونعلم أيضاً أن المنشأ الأصلي كان على الأغلب ذو طابع ديني. كان أحد الثوابت الدينية التي تسربت تدريجياً إلى مجال الفلسفة. كما حالة الفلسفة التي بدورها خضعت لسيادة العلم في القرن السابع عشر والثامن عشر ميلادي.

نحن نعلم طبعاً أن هؤلاء المفكرين الأوائل لم يكن لديهم وسائل البحث والاستنتاج التي تساعد على التعامل مع هذا الموضوع. قد لا يسلم الإنسان العصري بأن كل ما توصلوا إليه من آراء واستنتاجات هو صحيح، لكننا قد ندرك بأن الكفاءة الفلسفية والروحية العالية التي مكنتهم من وضع أسس لهذه

المفاهيم والنظريات الأساسية ربما منحتهم قدرة حدسية مكنتهم من استيعاب المعاني الأكبر والتي نحن اليوم نتجاهلها أو نجهلها تماماً.

من المؤكد أنه في تاريخ مبكر جداً أصبح علم الذرّة يمثل فلسفة قائمة بذاتها. فلسفة لها قيمة روحية وفكرية وأخلاقية وفيزيائية. مع تطورنا العصري في مجال الذرّة، يمكننا بالتالي أن نتأمّل في إمكانية تشييد مرّة أخرى هيكل فلسفي وروحي يستند على مفهوم علمي. لقد ساهم كل من الفلسفة والدين في جعل هذا المفهوم ممكناً فلا بد للفلسفة والدين أن يكملا ما تم إنجازه حديثاً في مجال العلم.

من أجل أن نستطيع بناء صورة عامة عن الموضوع لا بد من اختيار نقطة للبدء في الحديث عنه. لا نستطيع العودة إلى الفترة التي كانت فيه فلسفة الذرّة في حالة تناثر وضياع وتناقض، إذ لا بد من البدء من ذلك التاريخ الذي تم تجميعها في سياق أقرب إلى الاستيعاب والتوافق المنطقي. أول المفكرين وأهمهم الذي يأتي أولاً في البال كان فيثاغورث، ويمكن أن نعتبره أعظم الفلاسفة الإغريق الذين بحثوا في موضوع الذرّة.

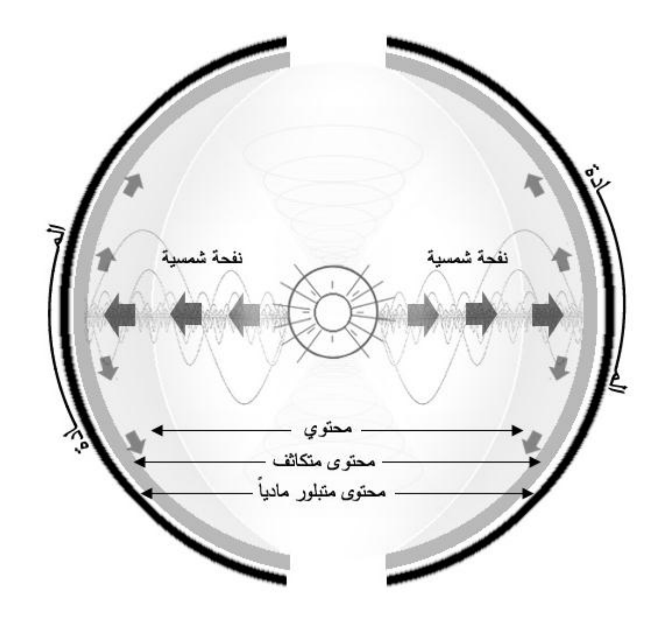
نحن لا نميل إلى حصر إنجازات فيثاغورث في هذا المجال إذ إنجازاته عديدة، بالإضافة إلى أن فيثاغورث كان متصوفاً ومفكّر تأمّلي عظيم، متديّن بشكل كبير، وبنفس الوقت، بفضل قدرته الذهنية المميّزة ظهرت في زمانه الكثير من المبادئ والوسائل العلمية العظيمة.

استمدّ فيثاغورث مفاهيمه بخصوص الذرّة من مصدر أكثر قدماً. كلمة "أتوم" atom وتعني "الذرّة" باللغة اللاتينية تعود إلى أساس يوناني. كلمة "توماس" tomas تعني بالإغريقية "يقطع" أو "يقسم"، بينما كلمة "أتوماس" atomas تعني الشيء الغير قابل للتقسيم أو التقطيع. وهذه نقطة مهمة إذ تعني الكثير بخصوص مفهوم الذرّة، حيث الاسم يوصف الذرّة بأنها جسيم لا يمكن تقسيمه أو تقطيعه بأي وسيلة من الوسائل.

هذا المفهوم الذي اسمه "آتوم" والمتمثل بعدم قابلية التقسيم أو التجزئة أصبح له أهمية كبيرة بالنسبة للكثير من الفلاسفة الإغريق الآخرين. وخلال فترة حكم البطالمة في مصر، أصبح الاسم "آتوم" atum يمثل مصطلح مناسب للإشارة إلى الإله الأعلى، وذلك بسبب المفهوم الذي يجعل الإله غير قابل للتقسيم أو التجزئة.

خلال بحثه عن مصطلح جديد لهذا المفهوم، أوجد فيثاغورث اسم "الميحاد" monad. وبالتالي بالنسبة لفيثاغورث "الميحاد" هو ذاته "الذرّة"، لكن مع بعض الإضافات في هذا المفهوم. الميحاد وفقاً للمفهوم الفيثاغورثي يمثل وحدة غير قابلة للانقسام. لكن وجب أن لا نعتبره متعلقاً بالرقم واحد أو غيره من قيم رقمية. الميحاد هو بذرة الأرقام. الميحاد يمثل الرقم لكن بصفته غير قابل للانقسام بحيث يمثل وحدة مطلقة ونهائية. بالتالي وفقاً لتفكيره أصبحت "الذرّة" تمثل الرمز الأعلى مكانة لذلك الذي لا يتغيّر في جوهره، وهو حتمي وغير منقسم ولانهائي ومطلق. وقد أشار فيثاغورث أيضاً بأن هذا الوصف الذي ينفرد به الإله الأعلى [جلّ وعلا] قابل للتطبيق، ليس لكتلة معيّنة كبيرة، بل لشيء دقيق جداً لدرجة تجعله غير مرئي بالنسبة للإنسان. "الميحاد" يمثل "ذرّة" فلسفية والتي اعتبرها فيثاغورث الحالة الأصغر لعدم قابلية الانقسام.

الذرّة هي الوحدة الأكثر صغراً في الوجود. لقد منحنا فيثاغورث نقطة فلسفية مهمة أيضاً، والتي وجب أن يكون لها أثر على تفكيرنا العصري، وهو أن هذه الوحدة الدقيقة جداً أصبحت تمثّل الرمز الرئيسي للكليّة الوجودية. الذرّة تتمتع بنفس الأوصاف والخصائص التي يتمتع بها الكلّ العظيم. هذا لا يستثني خصائص مثل القدرة والوحدة والكمال مثلاً. بالتالي فإن "الذرّة" لا تمثل فقط أصغر الأشياء بل أكثرها كمالاً أيضاً.

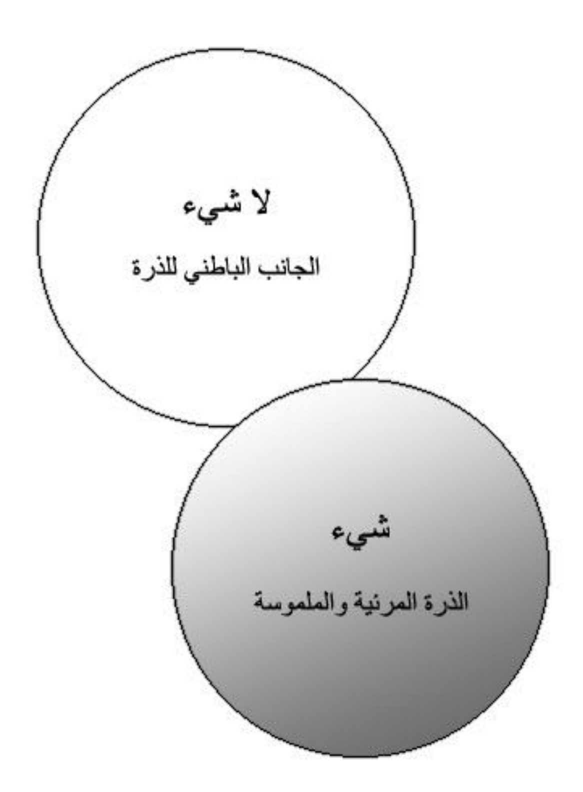


الذرّة هي عبارة عن نواة شمسية نابضة تقبع في مركز فقاعة كروية الشكل، والتنابض المستمر للنواة الشمسية يدفع بالمحتوى ليتكاثف على محيط الفقاعة الشمسية. كما في الشكل المقابل: هذا النموذج هو نموذج عام يشمل كل الشموس في الوجود وعلى كافة مستوياته، حتى المستوى الذري.

باعتبار الذرة الأكثر كمالاً فهذا يجعلها الأكثر قرباً من المطلق ذاته [جلّ وعلا]. بالتالي أصبحت "الذرة" تمثل رمز البذرة المستمرة للوجود. البذرة الأكثر صغراً والتي منها تنمو كل الأشياء في الوجود. وبالتالي أشار إلى هذا الميحاد باسم المبدأ التبذيري (التلقيحي أو المنوي) PRINCIPLE SEMINAL وهو مبدأ يستطيع الاستمرار في التكشّف والتجلّي وفقاً لنمط محدد. كان فيثاغورث على إلمام بالمبادئ الرئيسية للكون، مما جعله يدرك أن تكشّف الذرة أو البذرة الأوّلية يمكن أن يتحقق لأن هذه البذرة تستطيع تجميع وجذب إلى نفسها ذرات مشابهة لها. وبالتالي النمو هو عبارة عن تجمّع متزايد ومستمر لوحدات ذرية متشابهة. نقصد بذلك أن الذرّة في الحقيقة لم تتمدد أو تمتدّ لالتقاط الذرات الأخرى، بل مارست نوع من التأثير أو القوة بحيث يمكنها من جذب أو نفر الذرات الأخرى وذلك حسب طبيعتها.

الجذب المستمر للذرات يعني تزايد الكتلة. أما انقسام الذرات فيما بينها أو تنافرها يعني تناقص الكتلة. تجاذب وتنافر الذرات يعود سببه إلى مبدأ آخر ويسمى مبدأ الطاقة أو القوة (يشيرون إليه قديماً بمبدأ الحركة أو مبدأ الضرورة). بالتالي فإن ازدياد منسوب الطاقة يعمل على تنشيط البنية الذرية، بينما تناقص منسوب الطاقة يضعف البنية الذرية. في اللحظة التي يجتمع فيها ذرتين أو أكثر يحصل تغيير حيث من هذا الاجتماع ينتج أساس الكتلة. لم تعد الكتلة مؤلفة من أجزاء بل هي فلسفياً عبارة عن وحدة متطورة باستمرار. وبالتالي فإن الكتلة تمثل نوع جديد من البنية، لكن هذه البنية تمثل بطبيعتها وحدة أو ميحاد، لكنها تختلف عن الذرّة الأساسية من ناحية واحدة، هذا التجمّع قابل للتلاشي أو الانقسام حيث كل الأشياء تتألف من أجزاء قابلة للتلاشي بعد تفكك أجزاءها. عندما تستمر عملية التلاشي إلى أقصى درجاتها بحيث لم يبقى شيء قابل للتقسيم، ما يبقى في النهاية هو الذرة التي هي غير قابلة للتقسيم.

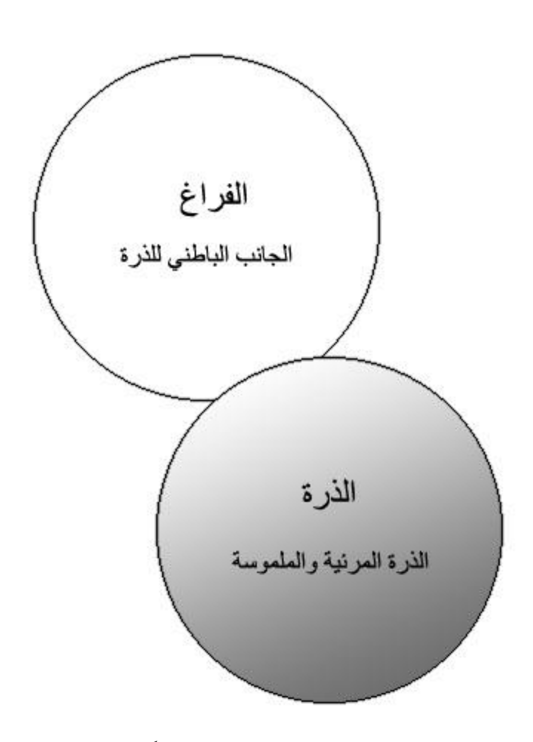
هذا المفهوم الفيثاغورثي تبناه الفيلسوف لوسيفوس الذي جاء بعد فيثاغورث لكن يسبق فترة كل من أفلاطون وأرسطو. ساهم لوسيفوس بأفكار إضافية إلى هذا المفهوم. كان أوّل من أشار إلى أن الكون بذاته مؤلف من خاصيتين جوهريتين أو حالتين أساسيتين. سما الحالة الأولى بحالة النهايات بينما الثانية سماها حالة اللانهايات. النهايات تمثل شيء موجود، بينما اللانهايات تمثل لاشيء موجود. ذلك الذي هو لاشيء لا يمثل شيء ملموس. أما ذلك الذي هو شيء وجب أن يكون موجوداً إلى الأبد. وكل تغيير يحصل في الحالة التي نسميها شيء لا بد من إرجاعها إلى الرمز الأساسي للـ"شيء" وهذا الرمز الأساسي هو الذرّة. هذا يمثل أهم مساهماته لمسألة الذرة.



وفقاً للفيلسوف لوسيفوس، الذرة مؤلفة من جانبين: باطني وظاهري، الأوّل سماه "شيء" أو نهاية الشيء، والثاني أشار إليه باسم "لاشيء" أو لانهائية الشيء.

لكن لوسيفوس لم يذهب بعيداً أكثر من فيلسوف آخر سابق له اسمه "ديموقريطوس" والذي أعطانا النظرية التي نربطها اليوم بالفلسفة الذرية لـ"ديموقريطوس". هذه الفلسفة تتعلق بالتنظيم النهائي لكامل مفهوم النهايات واللانهايات. من هذا الفيلسوف بالذات استمد كل من أفلاطون وسقراط مفاهيمهما بخصوص الذرة.

بالعودة إلى المفهوم الأساسي للوسيفوس، وهو وجود نهايات ولانهايات، والتي تحمل المصطلحات البسيطة المتمثلة بـ"ذرة" و"فراغ". الفراغ طبعاً يمثل اللانهايات. إذاً، الوجود يتألف من خاصيتين رئيسيتين: الذرة، وغياب الذرة. وجب أن نتذكر بأن القدماء استخدموا كلمة فراغ بطريقة مختلفة عن ما نألفه، أي وفق مفهوم مختلف تماماً وسوف يتوضح لاحقاً.



أكّد الفلاسفة الإغريق على وجود جانبين للذرة، والوجود عموماً، الجانب الأوّل مرئي وملموس بينما الجانب الثاني غير مرئي وملموس لكنهما متممان لبعضهما البعض.

وفقاً لديموقريطوس، إن لكل من الذرة والفراغ خاصية واحدة مشتركة، حيث كلاهما لانهائيان. الذرة لانهائية في العدد، بينما الفراغ لانهائي في المكان (أي غير محكوم بعامل المكان) وما وراء هاتين الخاصيتين لا يمكن استيعاب شيء آخر.

الفلاسفة الإغريق لم يكونوا مستعدين للقول بأن الفراغ جاء من أي شيء. ولا كانوا مستعدين للقول بأن الذرة جاءت من أي شيء. أكّدوا بأن الذرّة مطلقة. ومصطلح مطلق لا يقتصر على العدد فحسب بل على التوقيت أيضاً. بالتالي لدينا عدد مطلق ومساحة مطلقة وزمن مطلق. الزمن لا يمثل شيء بذاته، بل هو مقياس نشاط الذرة في الفراغ.

تذكر أننا لا نتحدث وفق مصطلحاتنا العصرية بل وفق مفاهيم الإغريق القدامى، أي قبل ٢٥٠٠ سنة حيث كانوا يتناولون هذه النظرية في نقاشهم. السؤال هو: ما هو مصدر هذا الفراغ أو هذه الذرة؟ يقول لنا الفلاسفة الإغريق بأنه لا يوجد مصدر لهما. هما موجودان بشكل مطلق وأبدي،

بحيث لا يمكن أن يوجد وقت معيّن لا وجود فيه للفراغ، ولا يوجد وقت تغيب فيه الذرة عن الوجود والتي تعتبر الرفيق الأبدي للفراغ. وفقاً للإغريق، الذرات لا تتطور من حالة بدائية سابقة، ولا أنها تنتهي إلى حالة مستقبلية من أي نوع، حيث تبقى كما هي مهما كانت الشروط والظروف. هذا يعني أن لها أهمية روحية معينة. وفقاً لفلاسفة الذرة، إذا كان هناك إله أعلى، فلا بد من أن تتماثل طبيعته مع طبيعة الذرة. أو وجب أن تمثل الذرة الرمز الأنسب لقوة ذلك الإله الأعلى. بالتالي من الضرورة أن نساوي تفكيرنا بتفكير الإغريق بخصوص الذرة ونقول بأن الذرّة لم تُخلق، بل تمثل بنية مطلقة وتوجد في موقع مطلق يناسب استمرارية وجودها.

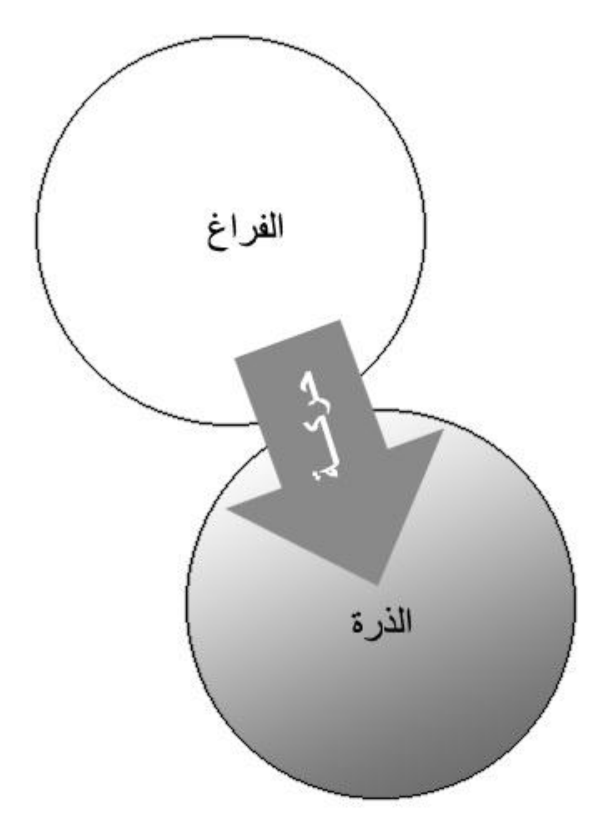
هذا كان رأي الفلاسفة القدماء في الهند، والذين درسوا الذرة من خلال ما يسمونه ".. فلسفة الجسيمات متناهية الصغر.." Philosophy of infinitesimals، وقد وصفوا الإله "أتمن" Atman بأنه يمكن أن يكون كلي الوجود وجزئي الوجود حيث قد يكون أصغر شيء في الوجود أي الذرة. وبهذا يكونوا قد وصفوا الطبيعة الهولوغرافية للكون حيث ".. الكل يمثل الجزء..".

مبدأ الحركة

أصبح لدينا الآن هذه الكتلة المطلقة المؤلفة من وحدات دقيقة موجودة في مساحة مطلقة. ما الذي وجب حضوره لحصول شيء ما؟ من الواضح أنه وجب حصول شيء ما، لأنه لا يمكننا ترك هذه الذرات هكذا لوحدها، ولا ترك هذا الفراغ هكذا لوحده دون الانتهاء بحالة جمود.

ليس هناك أي عامل حاضر أو وسيلة تحثّ على حركة الذرات. كان الإغريق يشددون على الإشارة إلى أن الذرّة لوحدها لا تملك القوة على تحريك نفسها. هذا يُدخل إلى المسألة بُعد جديد. وهذه نقطة ربما تكون مفيدة يوماً للعلم الحديث أو ربما تم ملاحظتها من قبل العلماء.

ما نسميه الطاقة الذرية هي موجودة في المساحة الفاصلة بين الذرات ولا تكمن داخل الذرّة ذاتها. هذه نقطة وجب إجراء المزيد من البحث العلمي لكي يتم إثباتها. ربما ما يسميه العلم اليوم بـ"الطاقة الذريّة" هو في الحقيقة يمثل شيء آخر. أي أن هذه الطاقة لا تصدر من داخل الذرة بل من محيطها الذي تتشاركه مع الذرات الأخرى.



ما نسميه اليوم الطاقة الذرية لا تصدر من الذرة بل من الجانب الباطني منها
وهو الجانب الذي يسميه الإغريق الفراغ

على أي حال، العامل الجديد، أو العنصر الجديد، الذي وجب حضوره في المسألة كان يمثل مشكلة بالنسبة للفلاسفة القدماء، لأنهم كانوا شبه ماديين في نظرتهم لمسألة الذرة. واجهوا صعوبة كبيرة في تحديد هوية هذا العامل المحفّز، حيث لاحظوا في مناسبات عدة خلال التجارب أنه ما كان ثابتاً في مواصفاته تحول فجأة ليتخذ مواصفات مختلفة (تفاعل كيماوي). لطالما تصارع أرسطو مع هذه المسألة، لكنه استنتج في النهاية بأن هذا العامل الذي تتحرّك بفضله كل الأشياء، يتشارك مع الذرة والفراغ في أبديتهما. بمعنى آخر، ما نعتبره ثنائي المظهر (الذرة والفراغ) أصبح ثلاثي المظهر (الذرة الحركة والفراغ).

فأصبح لدينا الآن: الذرة والحركة والفراغ. من المؤكّد أنه ما من فيلسوف قبل أن يمرّ على موضوع <u>الحركة</u> دون تفحّصه جيداً. كان عليه محاولة فهم أهمية هذه الحركة. فخرج الفلاسفة بمفهوم جديد.

قاموا بالإشارة إلى عنصر الحركة باسم "الضرورة". هذه فكرة مثيرة فعلاً. تذكروا أن أفلاطون وصف كيف أن الكون يتحرّك حول محور الضرورة. كلمة الضرورة تعني ببساطة أن أشياء معيّنة لها خصائص وصفات ضرورية وحتمية. الضرورة تعني بالتالي ليس فقط أم الاختراع (كما يقول المثل الشائع) بل أم الحركة أيضاً. إذاً، على الأشياء أن تتحرّك حتماً. لكن لماذا عليها الحركة؟ لأنه ضروري.

هذا وضّح الأمر قليلاً لكنه لازال يفرض غموض ما. بمكننا إعادة السؤال السابق لكن على مستوى آخر. لماذا الحركة ضرورية؟ لماذا على الإنسان العمل مثلاً؟ مع أن الركون الجسدي في مكان واحد هو الحالة الأكثر رغبة لدينا. تحت عنوان الضرورة قام الأفلاطونيون ومذاهب فلسفية إغريقية أخرى باستخدام فكرة وجود قانون حتمي وراسخ، ومن هنا بدأت الضرورة تتخذ شكل قانون كوني. أصبحوا يقولون أن الحركة ضرورية لأنها تمثل قانون كوني. أن هذه التركيبة المؤلفة من الذرة/الفراغ، أو النهاية واللانهاية، ليس فقط موجودة بل متواجدة وفق قانون الضرورة.

لذلك، تبين وجود إجراءات ضمنية، ليس بالضرورة أن تكون في الذرة، وليس بالضرورة أن تكون في الفراغ، لكنها تفرض تأثيرها على الذرة انطلاقاً من الفراغ. لا بد من الضرورة أن تمثل شيء محتاج من قبل شيء. لذلك، الضرورة ليست مطلوبة من قبل الفراغ، حيث الفراغ لا يحتاج شيء. الفراغ ليس بحاجة لأي تعديل أو تغيير لأنه من منظور مادي ملموس ليس هناك شيء في الفراغ ليتم تعديله أو تغييره. لهذا السبب يبدو أن القانون الكوني له ميل للتعامل مع الذرة أكثر من الفراغ. الضرورة لا يمكنها إنجاز شيء سوى عبر وسيلة ملموسة ليتم الإنجاز. أي من خلال مادة ملموسة معيّنة لكي يتم عبرها هذا الإنجاز. أي بمعنى آخر، وجب أن يكون الشيء موجود بصيغته المرئية والملموسة.

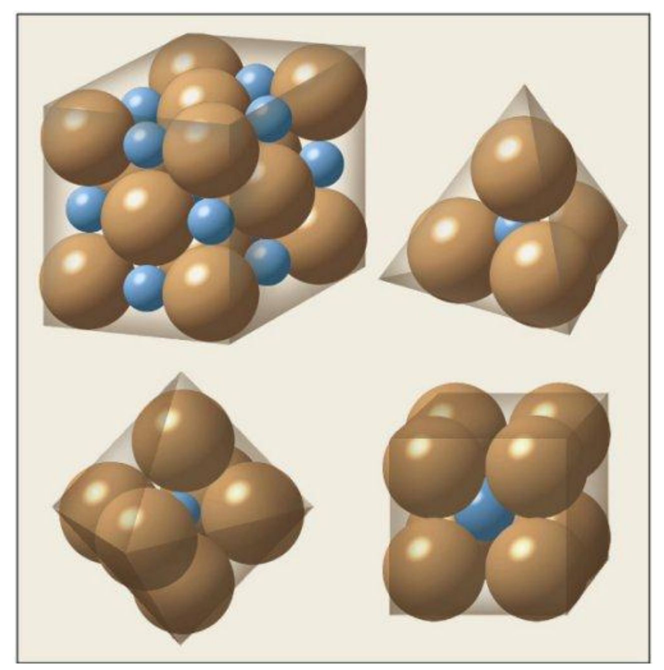
عند هذه المرحلة من معالجة المسألة تقدم الإغريق بمعادلة روحية. وهي الوسيلة الوحيدة التي يمكن من خلالها إيجاد حل مناسب لمسألة الضرورة. لا يمكننا استيعاب موضوع الحركة دون تصور وجود قوة محرّكة. وفقاً للفلاسفة، الأشياء لا يمكنها أن تتحرك لوحدها. بالتالي لا بد من وجود عنصر يحرّكها. لا يمكنها أن تتحرك بفعل الفراغ لأنه لا يوجد شيء في ذلك المستوى. بالتالي لا بد من وجود شيء آخر يحرّكها. وبسبب النتيجة المتجسّدة لهذه الحركة لا بدّ من وجود حركة منتظمة وليس عشوائية. هذه الحركة لا تخضع للصدفة بل تنبع من نيّة أو تصميم. وطالما هناك نيّة أو

تصميم فهذا بالتالي يفرض وجود جهة مصممة. من هنا بدأ يبرز في البال وجود قوة مصممة. هذه القوة المصممة لا يمكن أن تكون متشابهة مع الذرة. بالتالي لا بد من أن تمثل قوة مختلفة. لم يذهب الفلاسفة أبعد من ذلك حيث اكتفوا بالتسليم بوجود قوة مصممة وأشاروا إليها باسم الضرورة أو الحركة، وأن هذه الحركة تصرفت دائماً وفقاً لطبيعتها. لذلك أصبح لدينا حركة ثابتة وحتمية وغير متغيّرة. وكل ذرّة موجودة في الفراغ تتعرض دائماً لتحفيز مستمر من قبل حضور عنصر الحركة. بالتالي، الحركة بذاتها تصبح نوع من التدبير الإلهي، كما تصبح نوع من المدد، لأنها توفر الحل لاستمرارية ترتيب وإعادة ترتيب الذرات. لذلك الخطوة التالية في مسألتنا هي تصور الفراغ بأنه نوع من القارورة الكبيرة جداً بحيث تكون فيها الذرّة بحالة تحفيز مستمر، وهذا التحفيز يعتبر حركة أوّلية أو حركة ضرورية، وهي ضرورية ليس لأنه مقدر لها ذلك، بل لأنها موجودة. وكل ما هو موجود هو ضروري.

الحركة هي أحد العناصر الأساسية في مبدأ الثالوث. الحركة إذاً تمثل القوة المحرّكة الكامنة ما وراء، أو في جوهر، الأشياء. أي أنها تمثّل نوعية نشاط المادة. يشمل مبدأ الحركة كل النشاطات الممكنة للمادة، مثل الطاقة الذبذبية، القوة المغناطيسية/الكهربائية، ظاهرة الجذب/ النفر، الإشعاع، الدوران، الطرد المركزي،.. وغيرها من أشكال ودرجات الحركة. في غياب عنصر الحركة لا يمكن أن نجد أي نشاط أو طاقة من أي نوع. حتى أنه لا يحصل أي تجسيد مادي أصلاً. كما أنه لا يمكننا رؤية أي ضوء ولا حرارة ولا موجات أو مجالات طاقة من أي نوع. هذا ولم نتحدث عن الطاقات العليا التي تقبع في أرقى مستويات الوجود والتي لم نحلم بوجودها أصلاً.

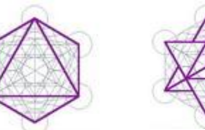
الحركة التي تحرّك الذرات انتهت إلى حالة معيّنة فرضت على الفلاسفة معالجتها وإيجاد تفسير لها. قيل لنا منذ أيام الفيلسوف لوسيفوس بأن الذرة رغم أنها مؤلفة من مادة واحدة حتمية، بحيث لا تختلف الذرات فيما بينها من أي ناحية (الجوهر أو المحتوى أو الخاصية) لكن رغم ذلك نجد وجود اختلاف في المواد. ذلك الذي يكون متطابقاً لا يمكن أن يختلف، بالتالي فإن حقيقة ضرورة وجود أكثر من نوع ذرات يفرض وجود نوع من النفور الطبيعي بين الذرات وإلا لكنا وجدناها تتجمع مع بعضها مباشرةً، فتشكل كتلة واحدة غير قابلة للانقسام، وتبقى كذلك إلى الأبد. وهذا طبعاً لا يحصل في الطبيعة. بالتالي لا بد من وجود نوع من الاختلاف بين هذه الذرات والذي يجعلها متنوعة. وبالنسبة لهؤلاء القدماء، كان هناك نوعين من الاختلاف يمكن إدخالهما في نظرية الذرة لديهم. الاختلاف الأوّل هو الاختلاف في الحجم (الضخامة)، والثاني هو الاختلاف في الشكل (شكل

ترتيب الذرات وليس الذرات نفسها). ذلك الذي يكون متشابهاً بشكل جوهري في الطبيعة قد يختلف في الحجم حيث تكون بعض الذرات أصخم من الأخرى من حيث الكتلة أو أكثر من حيث العدد في مكان واحد أو تركيبة واحدة. وقد أشار ديموقريطوس بأنها قد تختلف من حيث الشكل، وهذا أضاف مدى جديد إلى المسألة ويتعلق بموضوع آخر له علاقة بترتيب الذرات. إذاً، كل الذرات، وبطريقة غامضة، تختلف عن بعضها. قد تكون الاختلافات بسيطة أو طفيفة، وقد تكون الاختلافات كبيرة. صحيح أن هذا الموضوع ينتمي إلى بحث مختلف تماماً لكنني سأختصره في الفقرات التالية.



وفقاً للإغريق القدامى، تختلف المواد باختلاف شكل اصطفاف ذراتها أو اختلاف في حجم الذرات

وفقاً للإغريق القدامى فإن الذرات تصطف وفق خمسة أشكال هندسية مختلفة وهي ذاتها التي نشير إليها اليوم بالمجسمات الأفلاطونية PLATONIC SOLIDS وقد تحدثت عنها باختصار في أحد الأجزاء السابقة، حيث ذكرت أن هذه المجسمات الخمسة، مع كافة صيغ تركيبها ببعضها، تخلق كافة الهيئات الممكنة في الكون، إن كانت تابعة لكائنات حيّة أو جامدة على السواء.



هرمين "ثلاثي سطوح
St.Tetrahedrons



مجسّم ثماني السطوح
octahedron



ذو العشرين سطحاً
icosahedron



ذو ألاثني عشر سطحاً
dodecahedron





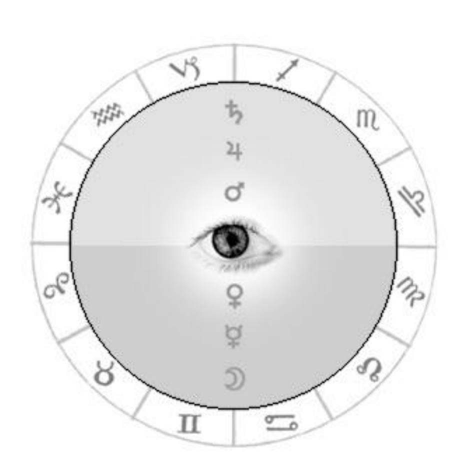
سداسي السطوع
hexahedron

لكن السؤال هو: ما الذي يدفع الذرة إلى الميل للاصطفاف وفق شكل هندسي محدد دون غيره؟ الجواب يكمن في إجراءات تحصل في الذرة وسوف أشرحها باختصار في الموضوع التالي:

سبب الاختلاف في سلوك الذرات واستجابتها

ذكرت سابقاً كيف أن الفقاعة الشمسية النابضة تولّد عدد من القوى والطاقات (قطبية، رباعية، سباعية، اثنى عشرية) وهذه القوى والطاقات تمثل عوامل قابلة للاختلاف والتنوع في الوتيرة والتوقيت خلال تجسيدها المادي، خصوصاً بعد أن يحكمها عامل الزمن. الأمر يشبه تماماً الاختلاف في الخريطة الفلكية للأشخاص وهي الصيغة التي نألفها اليوم بخصوص علم الفلك.

الشكل المقابل يمثل اختصار المكونات التي تتألف منها الفقاعة الشمسية، إن كانت على المستوى الكوني أو المستوى الذري. إن وتيرة نبض النواة الشمسية تحدد آلية انبعاث القوى والطاقات المختلفة التي تولّدها. وطريقة انبعاث هذه القوى والطاقات تحدد طبيعة الذرة من حيث الشكل والسلوك والاستجابة.



ملاحظة: هذا الاختلاف في الوتيرة والتوقيت بين القوى الاثنى عشر والطاقات السبعة يشكل أساس علم الفلك الذي نألفه جميعاً. كل نبضة شمسية مؤلفة من ٧ طاقات، وهذه الطاقات لا تتجلى في

المستوى المادي إلا بعد مرورها عبر ١٢ قوة متسلسلة. يعود سبب الاختلاف الدائم لمواقع الكواكب في المنازل الاثنى عشر (في علم الفلك) إلى اختلاف الوتيرة والتوقيت بين الطاقات السبعة والقوى الاثنى عشر. هذا هو المفهوم الجوهري الذي يستند عليه علم الفلك الذي توارثناه عبر العصور، حيث هو يدرس العملية الموصوفة سابقاً على مستوى النظام الشمسي الذي يمثّل كائن قائم بذاته ونحن والكواكب والأقمار مجرّد أجزاء تابعة لهذا الكيان (كما سنرى لاحقاً).

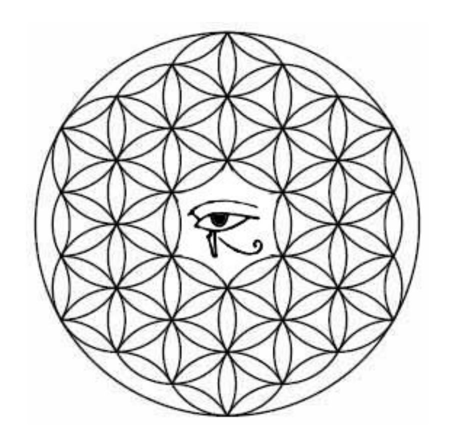


شكل الدائرة الفلكية وتوزيع الكواكب على المنازل هو مجرّد وصف بياني لاختلاف الوتيرة والتوقيت بين الطاقات السبعة والقوى الاثنى عشر التي تنبعث متذبذبة من الشمس

وجب العلم بأن دراسة هذه العملية قابلة للتطبيق على أي شمس في الكون، ابتداءً من الشمس المركزية الكونية وانتهاءً بأصغر شمس قد تكون تابعة لبرغوثة أو فيروس أو حتى خلية أو ذرّة. إن كانت شمس مادية (ظاهرية) أو شمس باطنية. على هذا الأساس نشأ علم جليل ازدهر يوماً في العصر الذهبي للحضارات وهو قريب الصلة بعلم الخيمياء، حيث يمكن إحداث عملية تطافر أو تحوّل للأشياء، أي تحويلها من شيء إلى شيء آخر، إذ كل ما يتطلبه الأمر هو التعرف على التكوين الفعلي لذرات الشيء المستهدف، أي وتيرة وطبيعة قواها الاثنى عشر وطاقاتها السبعة ثم تجري التعديل المناسب في معاييرها، فيتحول شكل تجسيدها المادي.

هذا المفهوم السابق يشكل أساس ذلك الرمز السرّي الذي اعتبره القدماء الشكل الهندسي الأكثر قدسية في الكون، يسمونه زهرة الحياة. الآن أصبحنا نعرف لماذا يعتبر هذا الرسم المؤلف من ١٩

دائرة متداخلة بأنه مصدر كل ما هو موجود، إذ وفقاً للحكماء القدامى، كل شيء متجسّد مادياً، إن كان على مستوى المجرات أو المستوى الذرّي، فعل ذلك منطلقاً من هذا النموذج الهندسي الأوّلي.

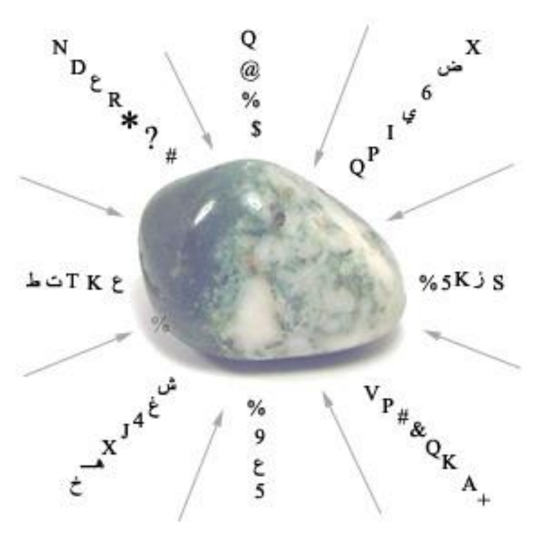


كانت باعتقاد الفلاسفة القدماء تحتوي على كافة نماذج الخلق عندما تجلّت منبثقة من الفراغ الكوني الكبير. كل شيء تجلّى انطلاقاً من فكر الخالق، وزهرة الحياة تمثّل النموذج الهندسي الأوّلي الذي تجلّت وفقه كافة أشكال الحياة.



الآن أصبحنا نعلم ما تمثله الدوائر الـ١٩ التي تتألف منها زهرة الحياة. إذا جمعنا الطاقات السبعة مع القوى الاثنى عشر سنحصل على هذا الرقم ١٩ (٧+١٢=١٩).

صورت في أجزاء سابقة كيف أن الأشياء هي عبارة عن معاني معلوماتية... (الشكل التالي) الآن عرفنا بأنها عبارة عن معايير مختلفة للمقومات التسعة عشر التي تحويها زهرة الحياة.



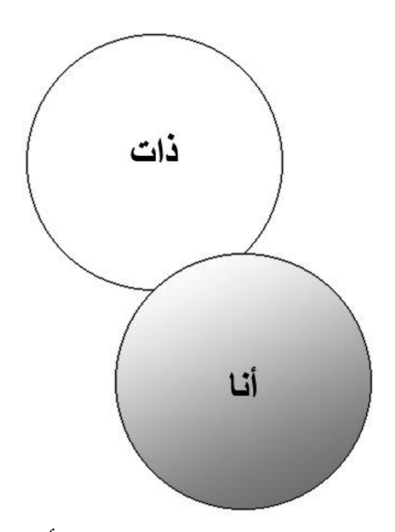
ذكرت في أحد الأجزاء السابقة بأن كافة الخواص التي يتسم بها الكائن المتجسّد بصفته المادية هي عبارة عن أوامر معلوماتية يتلقاها من مصدر آخر يقبع في المستوى التجاوزي.



الآن تعرفنا على هذه الأوامر المعلوماتية، أو قسم منها على الأقل، حيث إذا أضفنا إلى هذه المعادلة عنصرين آخرين وهما المبدأ الرباعي والمبدأ الثنائي (القطبية) سوف نخرج بعدد لامحدود من الصيغ والأنماط المتنوعة للخلق.

ملاحظة: سوف أتحدث عن التجسيد الهندسي للمادة وفق منظومة زهرة الحياة في إصدارات أخرى لكننا الآن في سياق موضوع آخر مختلف تماماً. الذي يطلع على هذا المجال العلمي الجليل يكون قد حاز على سر عظيم، لا يشمل علم صناعة الكينونات الفكرية فحسب، ولا حتى معرفة إحداث تطافر بين الأشياء (كتحويل المعادن مثلاً)، بل يتعرّف على الطريقة التي تمكن الفرد من خلق الأشياء من العدم، وهذه العملية الأخيرة تتطلب تنمية هائلة للقوة العقلية لكي يتمكن الفرد من إنجازها بنجاح.

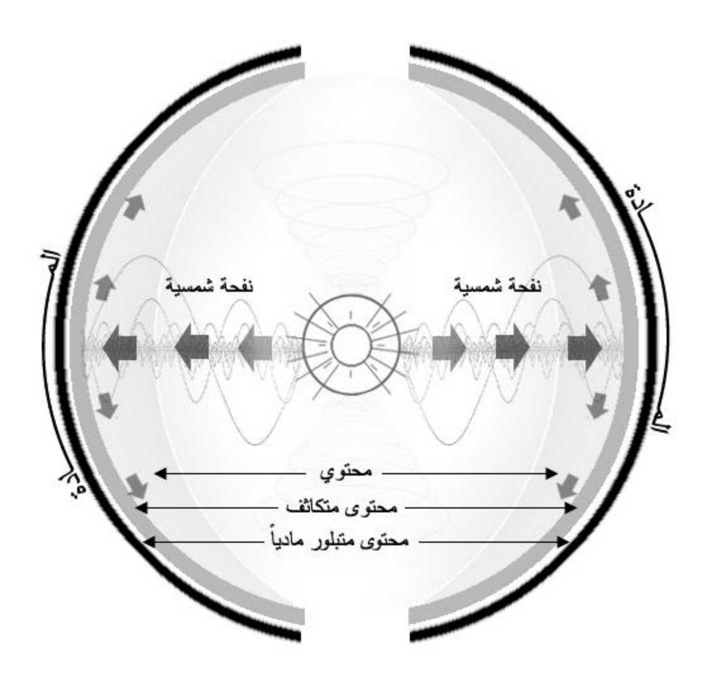
إذاً، فقد تحدث الفلاسفة الإغريق عن وجود جانبين للذرة، جانب باطني مستتر وجانب ظاهري ملموس. هذا الاكتشاف مشابه لاكتشاف آخر لا يقل أهمية. لقد اكتشف الإغريق وجود ذات أخرى، غير الأنا التي يألفها الفرد في حياته الدنيوية، وهذه الذات تقبع في كيان الفرد أيضاً، لكنها كيان مختلف يقبع في موقع قائم بنفسه، وأنه عبر مبدأ الضرورة يتواصل هذا الكيان الغامض مع الجسد، لكن أهداف وغايات هذه الذات ليست بجوهرها أهداف وغايات دنيوية متعلقة بالجسد. هذه الذات قادرة على الخلق والإبداع والخيال والعبقرية والمثالية العليا والشعر والفن والموسيقى والأخلاق والدين والأدب. هذه الذات تستطيع التعمق في ما يتعذر تعمقه. كان يُعتقد بأن هذه الذات تمثل كيان مختلف تماماً وله شخصية منفصلة قائمة بذاتها. شخصية بمواصفات أكثر رقياً ولها غايات أكثر نبلاً.



بنفس مبدأ الذرة ثنائية الجانب والتي تحدث عنها الإغريق، نجد أنهم تحدثوا أيضاً عن وجود ذات باطنية تختلف عن الأنا الظاهرية التي نألفها في حياتنا العادية.

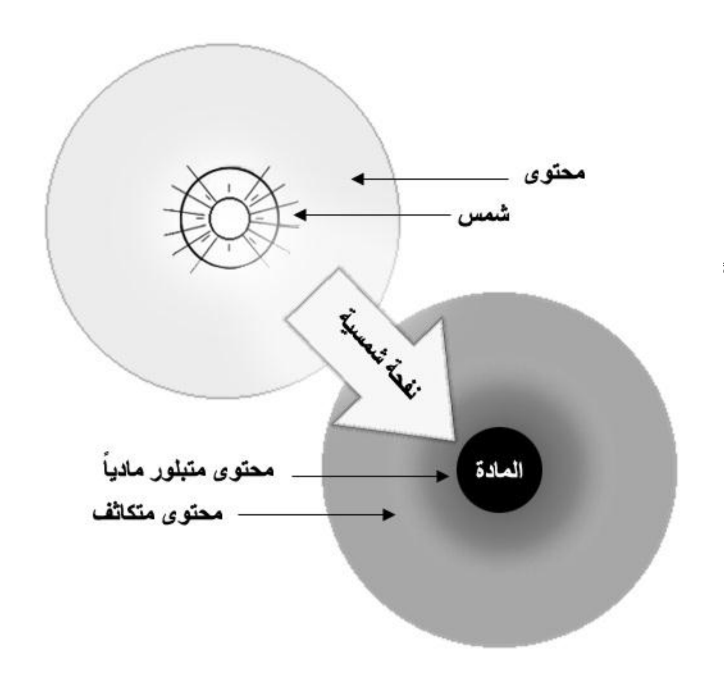
نظر الفلاسفة الإغريق إلى هذه الذات على أنها صديق أو أخ أكبر للأنا الدنيوية المرتبطة بالجسد، رغم أنها بعيدة كل البعد عن كل ما يتعلق بالعالم الدنيوي. وصفوا الذات بأنها مرتبطة بالكيان الدنيوي لكنها لا تعتمد على هذا الأخير في وجودها أو آلية عملها أو غاياتها. الذات موجودة وفق شروطها السماوية الخاصة، وبالتالي تستطيع البقاء دون حاجة لدعم من الكيان الدنيوي. لكن هذا الأخير لا يمكن استمرارية بقائه دون حضور الذات السماوية.

لقد اقترب الفلاسفة الإغريق من الحقيقة عندما تحدثوا عن عامل الحركة الذي يمثل السبب الرئيسي لوجود الذرة، وقد أشاروا إلى هذه الحركة بالاسم "الضرورة" حيث تمثل أساس الوجود كما شرحت في الصفحات السابقة. وقد صدقوا أيضاً عندما أكدوا أن مصدر هذه الحركة يقبع في القسم الباطني للذرة وقد أشاروا إليه بـ"الفراغ". لكنهم لم يوصفوا كيفية نشوء هذه الحركة المنطلقة من ذلك الجانب الباطني المستتر، مع أنني وصفت آلية تشكل هذه الحركة التي هي عبارة عن تنابض مستمر للنواة الشمسية القابعة في الجانب الباطني، وأشرت إليها باسم "النفحة الشمسية" (الشكل التالي).



عبارة عن نواة شمسية نابضة تقبع في مركز فقاعة كروية الشكل، والتنابض المستمر للنواة الشمسية يدفع بالمحتوى ليتكاثف على محيط الفقاعة الشمسية.

لكن إذا اسقطنا على الشكل السابق نموذج الفقاعتين بدلاً من فقاعة واحدة فسوف تبدو كما في الشكل المقابل:



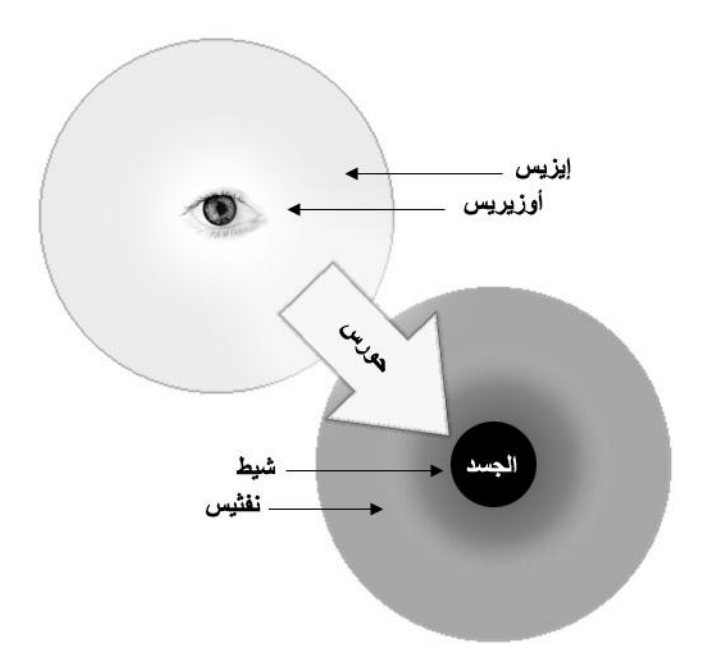
عودة إلى أسطورة أوزيريس وإيزيس

سبق وذكرت بأنه إذا رأينا الأمر من منظور فيزيائي بحت سوف لن نذهب إلى أي مكان خارج حدود آلية التجسيد المادي، لكن إذا أدخلنا موضوع الوعي آخذين بعين الاعتبار أن مكونات الفقاعة الشمسية تمثل عناصر عقلية سوف يتغير المشهد تماماً وتفتح أمامنا آفاق كثيرة للبحث الفلسفي. إذا عدنا إلى أسطورة أوزيريس وإيزيس واسقطناها على نموذج الفقاعتين بدلاً من فقاعة واحدة فسوف نجد لها مظهر مختلف تماماً. أوردت في أحدى الصفحات السابقة تدرّج لوني بين قطبين رئيسيين يمثلان الشمس المركزية (أبيض) والتجسيد المادي (أسود) ويمتد بينهما تدرّج متكاثف للمحتوى الأثيري الذي تعرّض للضغط نتيجة الدفع الدائم والمستمر لنبض الشمس المركزية (الشكل التالي).



المحتوى ذو اللون القاتم والأقرب للقطب المادي يمثل "نفثيس" في الأسطورة المصرية ولهذا السبب جعلوها زوجة "شيط" (المادة)، بينما المحتوى ذو اللون الفاتح والأقرب للقطب الشمسي يمثل "إيزيس" في الأسطورة ولهذا السبب جعلوها زوجة "أوزيريس" (الشمس). أما النفحة الشمسية فيمثلها "حورس" إبن أوزيريس.

لكن إذا اسقطنا هذا التدرّج على نموذج الفقاعتين فسوف تبدو كما في الشكل التالي:



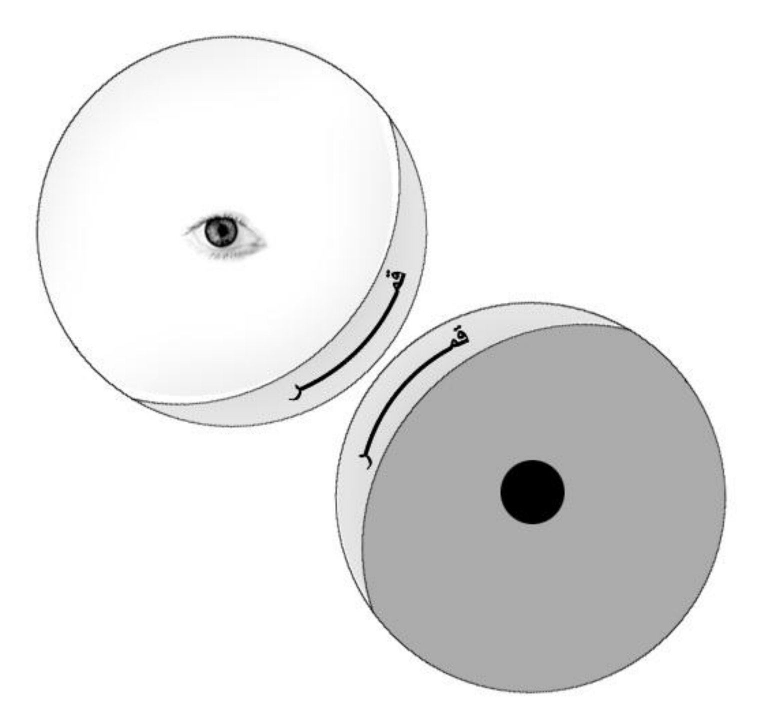
بدلاً من تسلسل خطّي واحد لتدرّج المحتوى بين أوزيريس وشيط نجد أن هذا التدرّج انقسم إلى قسمين. أي بدلاً من امتداد متدرّج لكيان واحد أصبح لدينا كيانين، أي فقاعتين، الأولى تتمحور حول أوزيريس والثانية تتمحور حول شيط أو الجسد.

هذا الشكل السابق يعبر رمزياً عن الطريقة التي حصل وفقها الانفصال في الأسطورة بين الأخوة والأخوات الذين يشكّلون أصلاً امتداد متدرج لكيان واحد، وذلك من خلال تزاوج نفثيس (النفس) مع أخوها شط (الجسد)، وتزاوج إيزيس (الكينونة) مع أخوها أوزيريس (الشمس) فولد حورس (المخلص) والذي يلعب دور النفحة الشمسية.

لقد وصف المصريون الأمر بدقة من خلال جعل "نفثيس" و"إيزيس" وجهين مختلفين للمحتوى ذاته حيث رغم أن الأولى تمثل الظلام والثانية النور إلا أنهما شقيقتين مخلصتين تربط بينهما صلة وثيقة. ترمز "إيزيس" في الأسطورة للولادة والنمو والتطوّر والحيوية، بينما "نفثيس" ترمز للموت

والجمود. "إيزيس" ترمز للنهار والواقع الحقيقي بينما "نفثيس" ترمز إلى الليل الدائم والواقع الوهمي الغامض. في الوقت الذي بقيت فيه "إيزيس" ملتزمة مع "أوزيريس" (الشمس)، أُلزِمت "نفثيس" للإلتحاق مع "شيط" (المادة) رغم أنها تميل إلى البقاء مع "أوزيريس". أي بمعنى آخر، "إيزيس" تمثل الكينونة التي تحضن الذات المركزية، بينما "نفثيس" تمثل النفس، أي ذلك القسم الذي انفصل من الكينونة والتحق بالجسد. رغم انفصال "نفثيس" من اختها "إيزيس" إلا أن الرابط يبقى وثيقاً بينهما كما العلاقة بين الوعي واللاوعي حيث الأخيرة هي مجرّد امتداد للأولى.

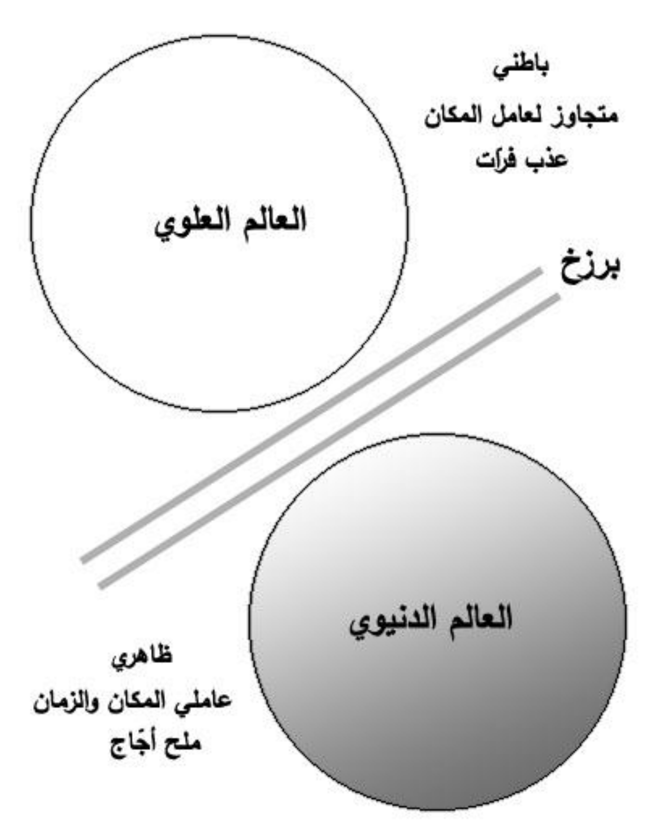
انفلاق القمر إلى قسمين



الآن أصبحنا نعلم من أين جاء مفهوم ".. انفلاق القمر إلى قسمين.."، حيث لا يمكن للقمر الفعلي أن يفعل ذلك، وبالتالي لا بد من وجود معنى باطني لهذه العبارة التي تناقلتها مناهج دينية عديدة عبر التاريخ. القمر الذي قصده الحكماء هو المحتوى الأنثوي الذي انقسم إلى قسمين: قسم التحق بالفقاعة الدنيوية، وقسم آخر بقي مكانه في الفقاعة العلوية.

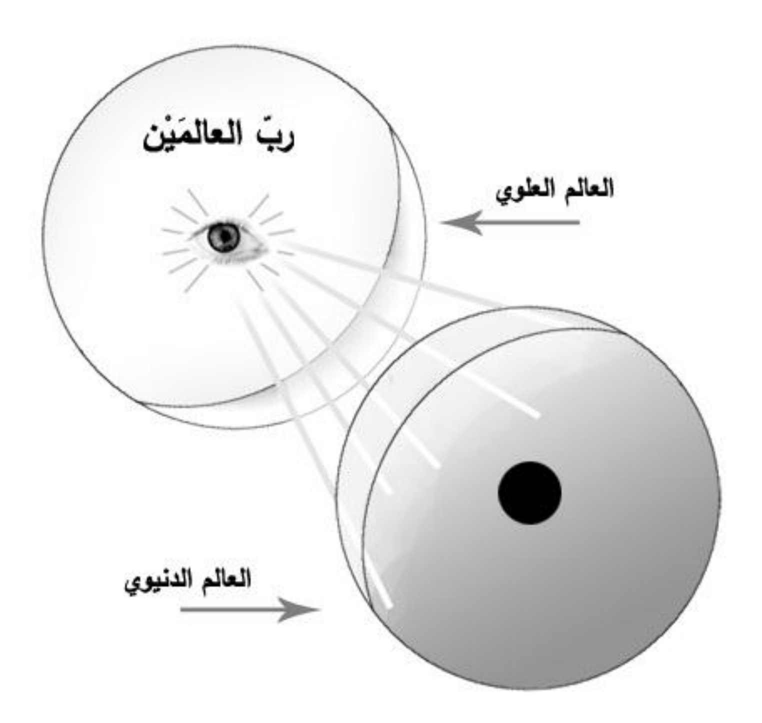
البحرين والبرزخ

ورد في النصوص المقدسة موضوع البحرين والبرزخ الفاصل بينهما، وقد تم تفسير هذه الفكرة بطريقة دنيوية بعيدة كلياً عن الهدف المقصود. لكن من يملك مفاتيح المعاني الباطنية يعلم تماماً أن البحرين هما العالمين العلوي والدنيوي، الأوّل عذب ونقي وطاهر بينما الثاني مالح وملوّث وشديد المرارة، وهذان وصفان دقيقان لهذين العالمين والذين يفصل بينهما برزخ وهذا الأخير لا بد من وجوده منطقياً بحيث يمثل الحد الفاصل بين عالم متجاوز لعامل المكان وعالم محكوم بعاملي المكان والزمان. في الفصول اللاحقة سنتعرف على هذه المنطقة الفاصلة (البرزخ) وكيف تمثل المكان الوسيط الذي يتجلى فيه المخلّص.



العالمين العلوي والدنيوي هما ذاتهما البحرين الواردان في النصوص والذين يفصل بينهما البرزخ

رب العالمُين

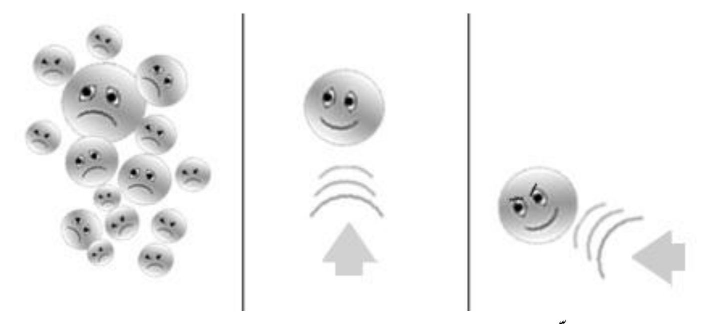


الشمس المركزية أو الذات الباطنية أو غيرها من تسميات تشير إلى الشيء ذاته، هي التي لها سلطة مطلقة على العالمين العلوي والدنيوي. العالم الدنيوي انبعث منها وإليها يعود، العالم الدنيوي لازال قائماً بحالته المتجلية بفضل نبضات النواة الشمسية المستمرة. كل إجراء تفصيلي يحصل في العالم العلوي لابد من أن يكون له صدى معيّن يتجلى في العالم الدنيوي. من هنا جاء مصطلح ومفهوم ".. رب العالمين.."

ملاحظة مهمة: ربما لاحظ القارئ الكريم أن صيغة الثالوث التي أتناولها في هذا الكتاب تختلف تماماً عن صيغة الثالوث التي تناولتها في الجزأين السابقين. هذا الأمر صحيح لكن له أسباب منطقية والموضوع التالي سوف يوضح هذه المسألة بشكل جيد.

تشكّل ثالوث جديد

سوف نلقي الضوء الآن على موضوع مهم جداً ربما لم نفطن له بسبب زئبقية المسألة والتي تفرضها الطبيعة الهولوغرافية للكون. قبل الحديث عن الثالوث الفعلي الذي تناوله الحكماء في تعاليمهم دعونا نراجع مبدأ الثالوث الذي تعرفنا عليه في جزء سابق. تعرفنا في الجزء الثامن على حقيقة أن الكون المتجلّي، والوجود عموماً، هو ثلاثي التكوين. وبسبب طبيعته التراكبية (الهولوغرافية) نجد هذا المبدأ الثلاثي متجلياً بأكثر من صيغة وهيئة بنفس الوقت. أما بخصوص مسيرة التجلّي فنجد أنها محكومة أيضاً بمبدأ الثالوث إذ هي أيضاً مؤلفة من ثلاثة مراحل متسلسلة وهي تتوافق مع العناصر التي تشكّل مبدأ الثالوث. يمكن اختصار هذه المراحل بالشكل التالي:



المراحل الثلاثية لمسيرة التجلّي: [١] طور الاندفاع (التحفيز)، متجاوزة للزمان والمكان. [٢] طور الحركة (النشاط)، تشهد هذه المرحلة ولادة عامل الزمان. [٣] طور العطالة (التقييد). تشهد هذه المرحلة ولادة عامل الزمان والمكان.

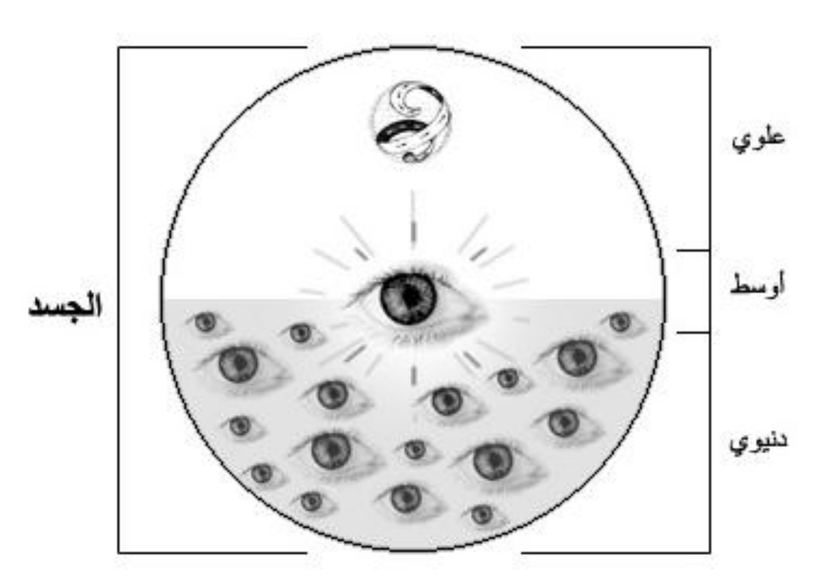
بناء على هذا التقسيم الثلاثي لمراحل الخلق، كونا فكرة عن التركيبة الثلاثية للكائن المتجلّي (بما في ذلك الإنسان)، وهي مختصرة في الفقرات التالية:

١. قسم علوي متجاوز للمكان والزمان، ويشيرون إليه عموماً بالمستوى الروحي. وهو المحفّز الرئيسي لحياة الفرد.

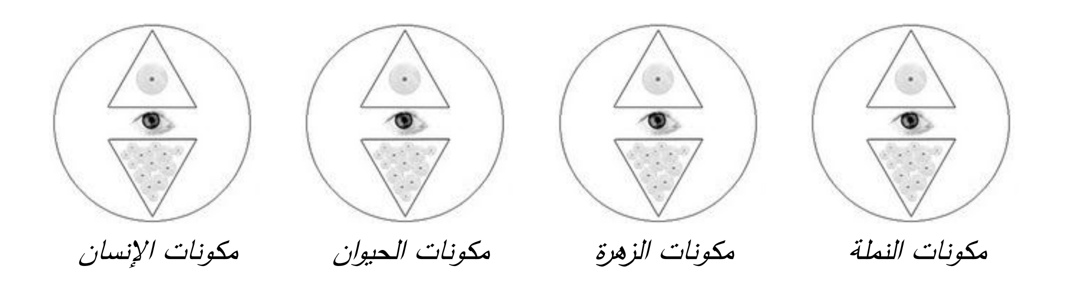
٢. قسم أوسط محكوم بعامل الزمان، ويشيرون إليه عموماً بالمستوى الباطني (ليس له صفة مكانية). وهو مصدر الوعي. وهو ذاته الشمس المركزية المذكورة سابقاً والموجودة في كل كائن حي.

٣ـ قسم دنيوي محكوم بعاملي الزمان والمكان، ويشيرون إليه بالكينونة الجسمية (ليس الجسد الفيزيائي). وهو المسؤول عن كافة المجريات الجسدية مثل النمو والتكاثر وزيادة الكتلة.. إلى آخره.

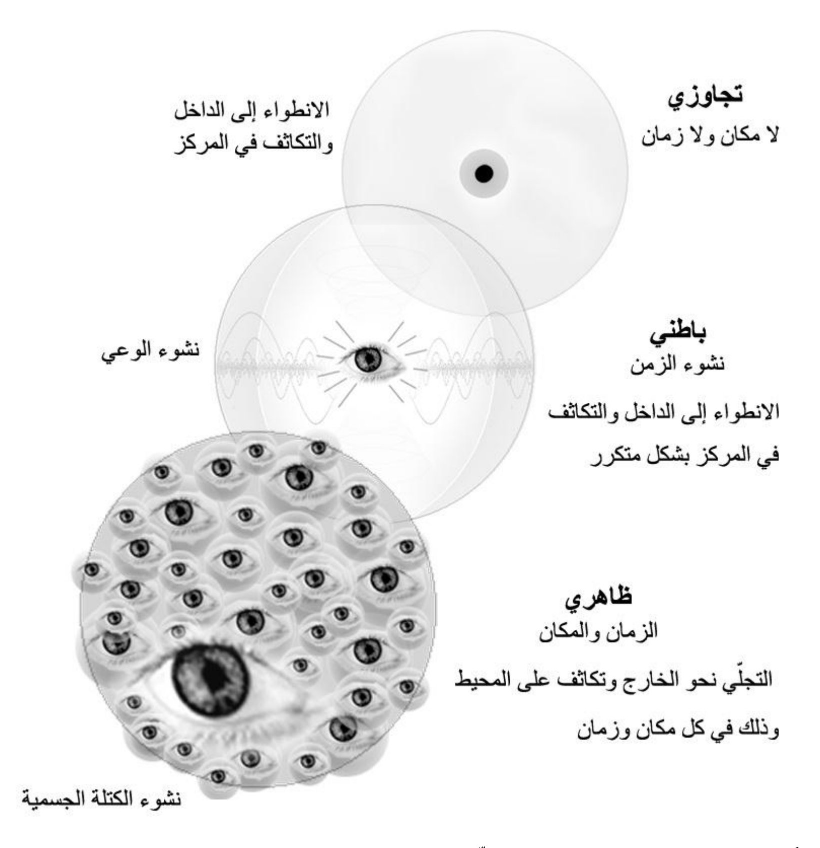
بعد هذه الأطوار الثلاثة يأتي طور التوقّف، وبالتالي الحالة التي تنتج من تفاعل العنصر المحفّز مع العنصر النشِط والعنصر المقيّد هي حالة جمود، أي المادة الصلبة أو الجسد (حسب الحالة أو موضوع الدراسة) وقد عبرت عن الفكرة في جزء سابق على الشكل التالي:



كل كائن في الكون يتألف من مستوى روحي تجاوزي ومستوى متجلّي مؤلف من مركز للوعي (باطني) وكتلة جسمية (ظاهري) وجميعها تشكل مكونات الكائن الحيّ. هذه هي المكونات الأساسية لأي مخلوق في الكون المتجلي، وقد عبرت عن هذه الفكرة في جزء سابق على الشكل التالي:



بعد التعرف على فكرة وجيزة عن المراحل الثلاثة لتجلّي الكون أصبح من السهل علينا فهم تقسيماته الرئيسية بطريقة سليمة وواضحة، وبالتالي يمكننا صياغة اختصار رمزي يمثّل صورة نهائية عن مكونات الكون المتجلّي، وهذا ينطبق على كل كائن موجود في رحابه:



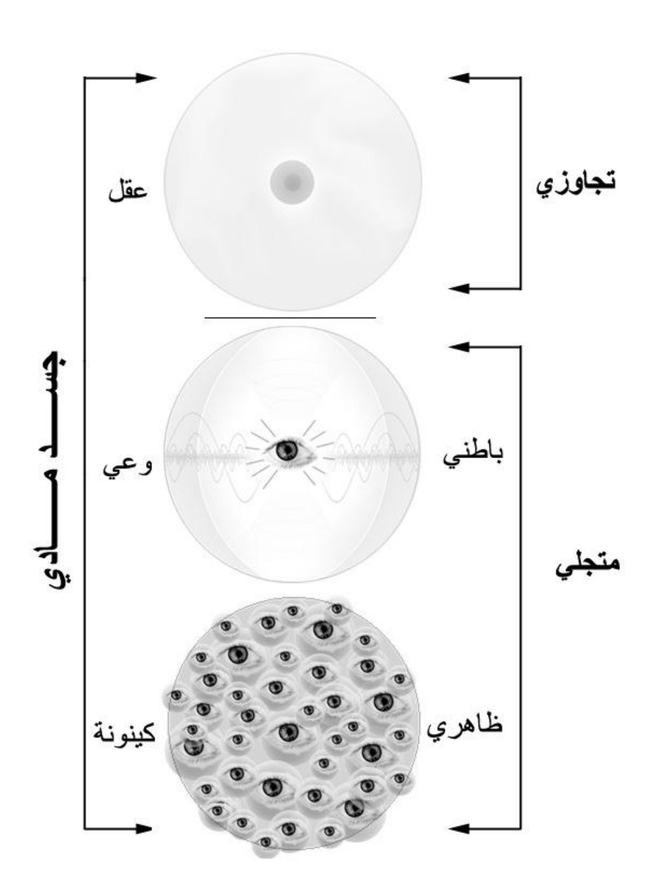
أصبح لدينا ثلاث مستويات للتجلّي وكل مستوى له سماته وخصائصه المختلفة

لكن الثالوث الذي تحدث عنه الحكماء القدامى كان مختلفاً. وربما هذا هو السبب الذي أدى بالتعاليم مع مرور الزمن وتوالي العصور إلى حالة من التعقيد الشديد والخلط المتشابك في الأفكار لدرجة جعلت الفرد عاجزاً عن التوصل إلى نتيجة مجدية. كل هذا كان نتيجة لتغيير بسيط أجراه الحكماء في تراتبية الثالوث. ما فعلوه هو خلال تحليلاتهم قاموا باستبعاد الجانب التجاوزي تماماً من الصورة وذلك بسبب تسليمهم بعجز الإدراك البشري عن تناول هذا الجانب الخفي المتجاوز للمكان والزمان، فما كان عليهم سوى البدئ من الجانب الباطني الذي يمثل الشمس المركزية. هذه الشمس تمثل الخالق في مسرح الوجود (ابن الله) حيث هو الشاهد على وجوده. الخالق [عزّ وجلّ] هو المبدأ

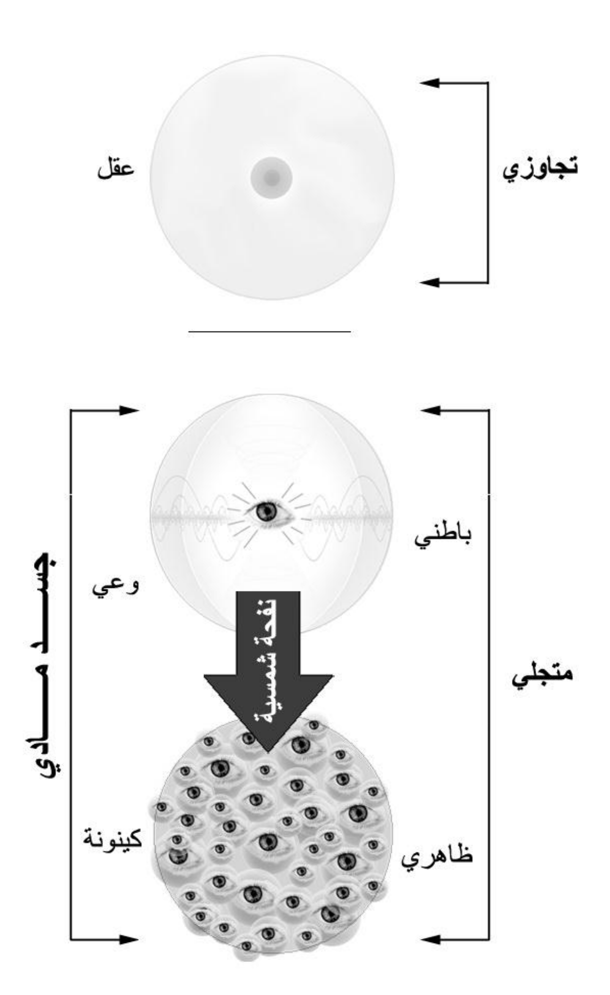
الخـالق للشمس (خفـي رع) أي (الأب)، بينمـا الشـمس هـي ممثلتـه فـي الوجـود المتجلّـي (الابـن) أو (مبـدأ الشـمس). الإبـن متطـابق تمامـاً لمواصـفات الأب، لكـن الأب متجـاوز للمكـان والزمـان، بينمـا الابن ولد بعد نشوء عامل الزمن. من هنا جاء اسم إمام الزمان أو عين الزمان أي شمس الزمان. نلاحظ وجود بعض المصطلحات الشعبية التي تشير إلـى الشمس بكلمـة عين، حيث يقولون مثلاً: طلوع العين كإشارة إلى فجر الصباح وكذلك ضبت العين كإشارة إلى غروب الشمس. هذا هو "كيثر" Kether في أدبيات القبالة والذي يمثل الجانب المتجلي من الإله، بينما [أين صوف] يمثل الجانب الخفي. "كيثر" هو الشمس المركزية للكائن ومنه تبدأ شجرة الحياة (سأشرحها لاحقاً).

الثالوث الجديد

وفقاً للشروحات السابقة حول التجلّي نستنتج بأن كل كائن فرداني في الكون، من المستوى المجرّي حتى أصغر ذرّة، يتألف من المستويات الثلاثة التالية والتي يشكل مجموعها الجسد المادي للكائن:



لكن الحكماء القدامى أجروا تغيير في هذا التقسيم الثلاثي. بعد اخراجهم المستوى التجاوزي من المعادلة نجحوا في إيجاد صيغة جديدة لمبدأ الثالوث بحيث أصبح يبدو كما في الشكل التالي:



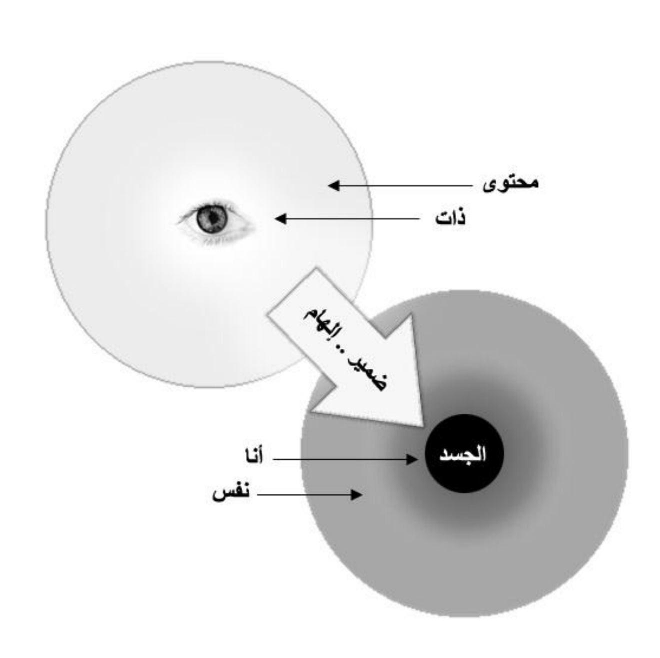
وفقاً لما يظهر في الشكل السابق، أصبح لدينا نموذج جديد للثالوث وهو ثالوث التجلي. بدلاً من أن تمثل الشمس العنصر المتحرّك (كما جاء ترتيبها في الفقرات السابقة، أصبحت تمثل العنصر المحفّز. وأخذ مكانها عامل جديد وهو النفحة الشمسية التي أصبحت تحتل المرحلة الثانية من الثالوث، أي عنصر الحركة. بينما الكينونة حافظت على موقعها الذي يمثل المرحلة الثالثة في ثالوث التجلي. هذه نقطة مهمة وجب إدراكها جيداً قبل متابعة مسيرتنا في التعرف على الحقائق اللاحقة في هذا الكتاب.

ثنائية الأنا والذات

عند الإنسان وكل كائن حي

وفق المنطق الذي تبناه الحكماء القدامى، الأنا لا تمثّل الجوهر النهائي لكينونة الإنسان بل مجرّد انعكاس للذات المركزية أو الشمس الباطنية القابعة في جوهره. بالتالي هناك فرق كبير بين الأنا والذات. لدينا مركزين للذات في كياننا: [١] الذات الحقيقية القابعة في القسم الخفي (الباطني) من الكيان، و[٢] الذات الوهمية أو الأنا التي نألفها جيداً في حياتنا اليومية ونظن بأنها تمثلنا فعلياً. الأولى هي غير مشروطة وخالدة، بينما الثانية هي مشروطة وفانية. الأنا هي عبارة عن وعي منعكس للذات الحقيقية كما تنعكس الصورة على المرآة. هذا الوعي المنعكس في المرآة الوهمية للوجود المادي يظن بأنه كيان منفصل قائم بذاته والوجود المادي الوهمي هو الواقع الحقيقي. إذاً، الأنا لا تمثّل الذات الحقيقية في الفرد بل انعكاس لها في العالم المادي الزائل والوهمي.

استخدمت في هذا الشكل تسميات مألوفة تجعل الأمر أكثر قابلية للاستيعاب لدينا. كافة الأساطير القديمة كانت تتحدث عن هذه التركيبة التي يتألف منها الإنسان. جميعنا نجهل أن لدينا امتداد باطني عظيم يتمحور حول كيان جليل يمثل أساس وجودنا الدنيوي، ونكتفي بالتسليم بوجود جسد مادي وشخصية خاصة (الأنا) تصيغها حالتنا النفسية، ونسلم أحياناً بوجود لاوعي أو عقل باطن يمثل مصدر الإلهامات والأحلام والضمير وغيره.. لكن الأمر ليس بهذه البساطة التي نظنها.



النفحة الشمسية

إذاً، كياننا المتجلّي مؤلف ليس من مستوى مادي ملموس فحسب بل من امتداد باطني يمثل عالم قائم بذاته ويختلف تماماً عن عالمنا الدنيوي الذي نألفه. هو العالم الحقيقي، هو عالم النور، العالم البهيج الذي يرنو إليه كل حكيم متنوّر. هذا هو عالم الشمس، شمسنا المركزية، الذات التي تمثل شخصيتنا الحقيقية، لكننا نجهل هذه الحقيقة.. ومن سيعلمنا بذلك؟ كافة الأديان تتحدث عن هذا العالم السماوي الرائع، لكن للأسف الشديد ضاعت الحقيقة عبر توالي العصور وظهور التفسيرات المظللة والكاذبة مما أدى إلى حجبنا عن هذا العالم كلياً فنسينا وجوده تماماً ورحنا نعيش حياتنا اليومية في هذا العالم الدنيوي ونحن نشعر بالوحدة والخوف والحيرة وعدم الاطمئنان.

ذكرت سابقاً أن ما نظنه مصدر الحدس والإلهام والإبداع وحتى التنبؤ بالمستقبل وغيرها من مواهب لا يمكن تفسيرها وفق معايير منطقية هي ذلك الجانب من عقولنا الذي نسميه اللاوعي أو العقل الباطن، لكن في الحقيقة الأمر أكثر عظمة مما نظنه. نحن نتكلم عن مصدر الحكمة الإلهية، وقد أشرت إليها بالنفحة الشمسية (النفحة الإلهية) والتي تنبعث بشكل إيقاعي متذبذب من النواة الشمسية فتخترق حدود العالم الباطني متوجة مباشرة إلى العالم الدنيوي.

النبضة الشمسية لها أهمية كبرى في عملية التجسيد حيث لولا هذه النبضة الشمسية المتناوبة لما كان هناك وجود مادي أصلاً، هذا لأنها تمثل عنصر الحركة كما شرحت سابقاً. يرافق هذه النبضة الشمسية نفحة شمسية (نفحة إلهية) تتجلى في كياننا الدنيوي مع كل نبضة من نبضات النواة الشمسية الباطنية لدينا. إذا كان للنبضة الشمسية خصائص فيزيائية تتعلق بالتجسيد المادي وغيرها من أمور ميكانيكية فلهذه النفحة خصائص مختلفة تماماً، خصائص تتعلق بالروح والوعي والوجدان. هذه النفحة هي الابن المُرسل من والده، هي رسول الله، هي المهدي المنتظر، المخلّص،.. وغيرها من أسماء وأوصاف استخدمتها المذاهب الفلسفية والدينية المختلفة للإشارة إليها. هي المخلّص الفعلي الذي يستطيع إنقاذنا من السبات الدنيوي الطويل لكننا نجهل هذه الحقيقة. وللأسف الشديد، هذه النفحة الإلهية ما تلبث أن تتجلى في كياننا الدنيوي حتى تموت في الحال، والسبب هو أن البيئة الجسدية/الدنيوية لدينا لا تناسبها إطلاقاً، لأنها رقيقة ووديعة ونقية وبريئة، فتقضي عليها بيئتنا الدنيوية في الحال، لأنها ملوّثة بالشؤون الدنيوية المقيتة وهي بعيدة كل البعد عن الشؤون السماوية التي تشغل تلك النفحة الإلهية المباركة.

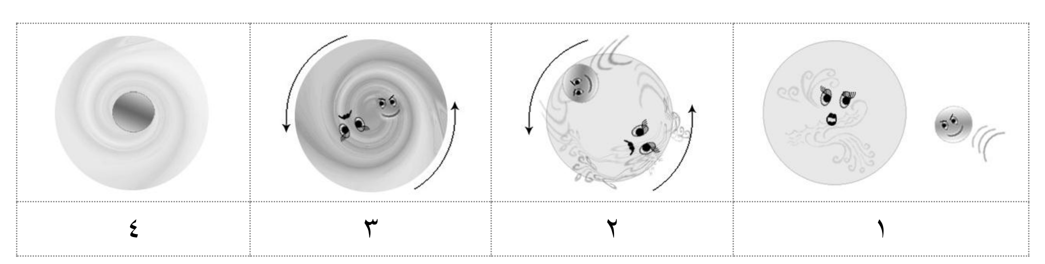
لقد تنبه القدماء لهذه الحقيقة المذهلة وراحوا يصيغون مناهج تعليمية وتدريبية خاصة تساعدنا على إجراء تغييرات جذرية في بيئتنا الجسدية/العقلية الدنيوية بحيث تصبح مناسبة لتجلّي روح الإله، المخلص، في كياننا والذي يساعدنا على الانفكاك من هذه الحياة الدنيوية الموبوءة. وهذا ما سوف أتحدث عنه لاحقاً بالإضافة إلى ذكر العديد من الأساطير القديمة التي تعبر عن هذه العملية من خلال حكايا رمزية فاتنة.

مع ظهور النفحة الشمسية في مشهد دراستنا، أصبح لدينا عنصر جديد وجب إدخاله إلى معادلة الأب والابن التي سبق وذكرتها في الفصول السابقة، لكن قبل المسير قدماً علينا توضيح مسألة مهمة جداً مثلت مشكلة حقيقية لدى الباحثين عبر العصور.

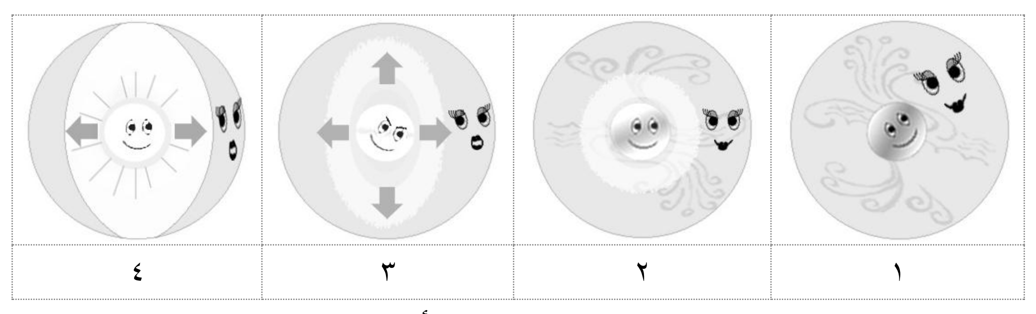
هناك الكثير من الأفكار الخاطئة التي خلفتها المعتقدات القديمة بخصوص المخلّص وطبيعته ودوره ومكانته في المعادلة. لقد حصل خلط كبير لدى الكثير من التعاليم المنحدرة إلينا بخصوص الابن المقدس والمخلّص. لقد حصل خلط في رواية الأساطير بين الشخصيات الممثلة للشمس والشخصيات الممثلة للنفحة الشمسية. في الأسطورة المصرية مثلاً، أوزيريس هو الشمس بينما حورس هو تجلّي قوة الشمس في الفرد. وفي الأسطورة الأورفية، فانيز هو الشمس بينما دايونيسوس هو تجلّي قوة الشمس في الفرد (كما سنرى لاحقاً). هذا الخلط أصاب الكثير من التعاليم الأخرى، ربما بسبب سوء التفسير أو الترجمة أو التظليل المقصود مما أدى إلى الخلط بين من يمثل الشمس ومن يمثل النفحة الشمسية. هذا اللغط الحاصل في التعاليم أدى إلى الخلط المألوف بين أوزيريس وحورس مثلاً، حيث كلاهما يُعتبران آلهة الشمس ويُشار إليهما برمز العين مع أن كل منهما لعب دوراً مختلفاً في الأسطورة، وغيرهما الكثير من أبطال الأساطير الذين لعبوا أدواراً موحدة مما يشير إلى حصول خطأ ما في الرواية.

أهم الجوانب التي حصل فيها خلط كبير والذي حيّر معظم الباحثين هو أن كافة الشخوص التي مثلت الشمس في الروايات المختلفة يُشار إليها باسم الابن المقدس، بينما الحال ذاتها مع الشخوص التي مثلت النفحة الشمسية في الروايات، حيث هي أيضاً يُشار إليها بالابن المقدس! كيف يمكن لهذا أن يحصل؟ الجواب بسيط وواضح، كلاهما أبنين مقدسين، لكن كل منهما ابن مقدس لشيء مختلف تماماً، وفيما يلي شرح مصوّر يوضّح كامل المسألة بشكل جيّد.

خلال الشرح المصوّر المذكور في إحدى الفصول السابقة (وسوف أعيد ذكره هنا) والهادف لتوضيح تلك المسألة المستعصية الأخرى التي تتعلق بكيفية تحوّل الأم إلى أخت ثم إلى زوجة، لم اهتم بالمبدأ الذكري في حينها لكنني سوف ألقي عليه المزيد من الضوء هنا وذلك لتوضيح مسألة الابن المقدس وكيف يمكن أن يتصف بهذه الخاصية مبدأين مختلفين تماماً.



شرحنا سابقاً كيف تم تلقيح البيضة عبر قذف أو نفخ عنصر ذكري في محتواها الأنثوي فتكاثف قسم من المحتوى، مخلوطاً مع القوة الذكرية، في مركز البيضة. هذا التكاثف في مركز البيضة يمثل المولود الأوّل والذي نتج من تزاوج المحتوى الأنثوي مع القوة الذكرية. لكننا لا زلنا هنا في العالم التجاوزي، أي هو متحرّر من عامل المكان والزمان. لكن في هذا العالم التجاوزي ولدت كافة المبادئ (الأنماط الأوّلية) التي يتأسس عليها الوجود. من بين هذه المبادئ والتي تهمنا هنا هو مبدأ الابن المقدس الذي سيتجلّى بأكثر من هيئة وصيغة وشكل في المستويات المختلفة من التجلّي.



المرحلة التالية للحالة السابقة شهدت نشوء عامل الزمن مما أدى إلى تكرار عملية التكاثف في مركز البيضة وهذا التكرار المستمر (المشروح بالتفصيل سابقاً) أدى إلى نشوء حالة تذبذب أو نبض عند نقطة المركز. هذه الحالة النابضة هي الشمس المركزية. هذا هو الابن المقدس، هو ابن المحتوى الكوني الكامن في البيضة الكونية وابن القوة الإلهية التي لقّحت تلك البيضة. هذا هو إمام الزمان المولود الأوّل بعد ولادة عامل الزمن، لكن عامل المكان لم يوجد بعد. في هذه المرحلة بدأت عملية

النبض الشمسي حيث بدأ طرح البذور المؤدية إلى ولادة مولود جديد أيضاً وهو النفخة الشمسية. وهذا ما سوف نتعرف عليه في مجموعة المراحل التالية.

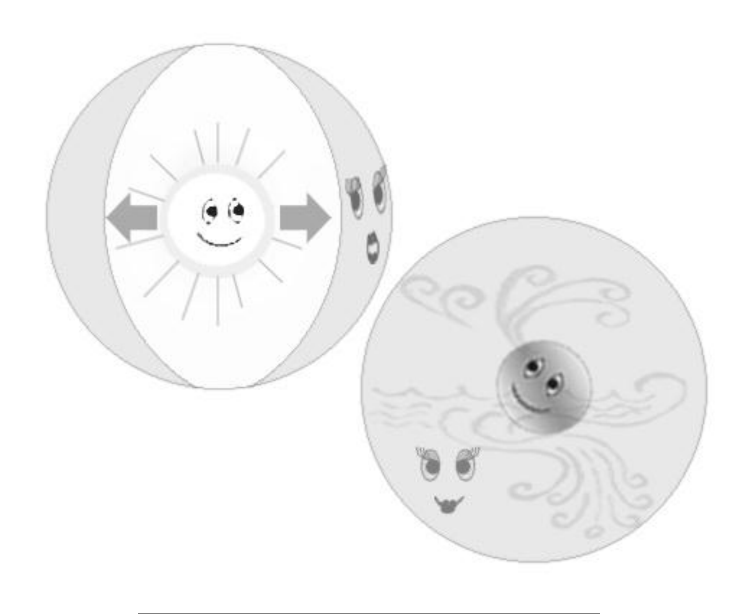
[١]

التنابض المستمر للنواة الشمسية يدفع بالمحتوى ليتكاثف على محيط الفقاعة الشمسية. المادة الصلبة تنشأ أساساً نتيجة النبض الشمسي الذي يدفع بالمحتوى الأثيري ليتكاثف على محيط الفقاعة الشمسية. المادة هي عبارة عن محتوى أثيري متبلور مادياً، أي هي تبدو صلبة لكنها غير ذلك.



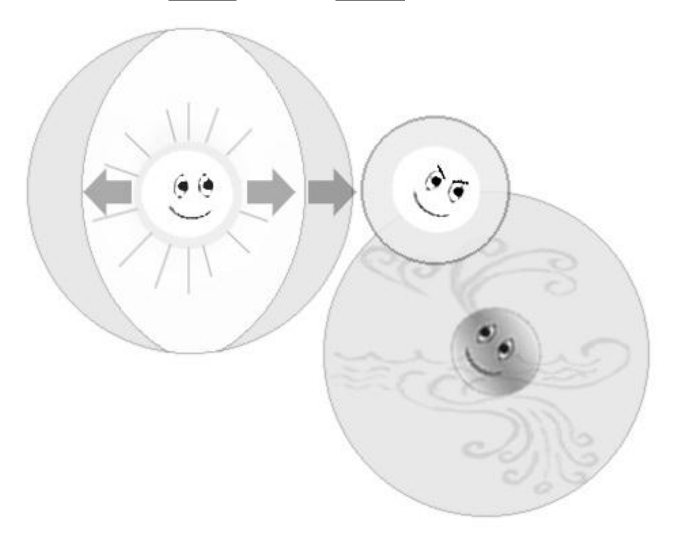
[٢]

المحتوى الأثيري داخل الفقاعة الشمسية (البيضة الكونية) قد تجمّع بفعل قوة الدفع المنبعثة من المذبذب المركزي (أي الشمس) فنشأ ما يمكن اعتباره تدرّج متكاثف للمحتوى الأثيري على محيط الفقاعة. لكن هذا تزامن مع ولادة عامل المكان، وبالتالي أصبح لدينا خلطة جديدة تجمع ين عاملي المكان والزمان. هذه الخلطة الجديدة خلقت عالم آخر منفصل عن العالم الحقيقي وسميناه العالم الدنيوي. أصبح لدينا عالمين، عالم باطني محكوم بعامل الزمن وعالم دنيوي محكوم بعالم الزمان والمكان. العالم الدنيوي يمثل انعكاس للعالم الباطني، وبالتالي فإن مركزه يمثّل تكاثف متبلور جاذب للمحتوى، وهو معاكس للنواة الشمسية التي تدفع بالمحتوى بعيداً. (الشكل التالي)



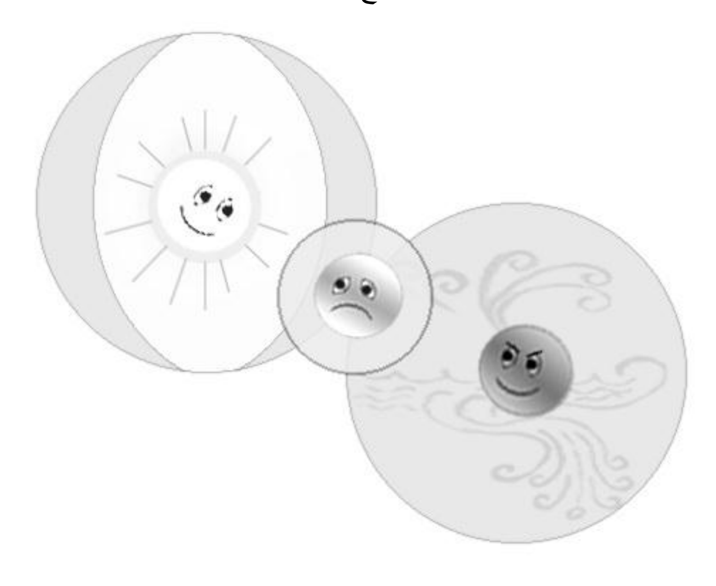
[٣]

التنابض المستمر للنواة الشمسية والذي خلق المحتوى المتكاثف الذي أصبح لاحقاً يمثل العالم الدنيوي، هذا التنابض المستمر يرافقه نفحة شمسية، هذه هي النفحة الإلهية التي أصبحت تمثل لاحقاً المخلّص، الابن المقدس، لكنه هذه المرة يمثل الإبن المقدس للشمس المركزية، أي هو الابن المقدس للابن المقدس. هذا هو الفرق بين الشمس المركزية والنفحة الشمسية.



[٤]

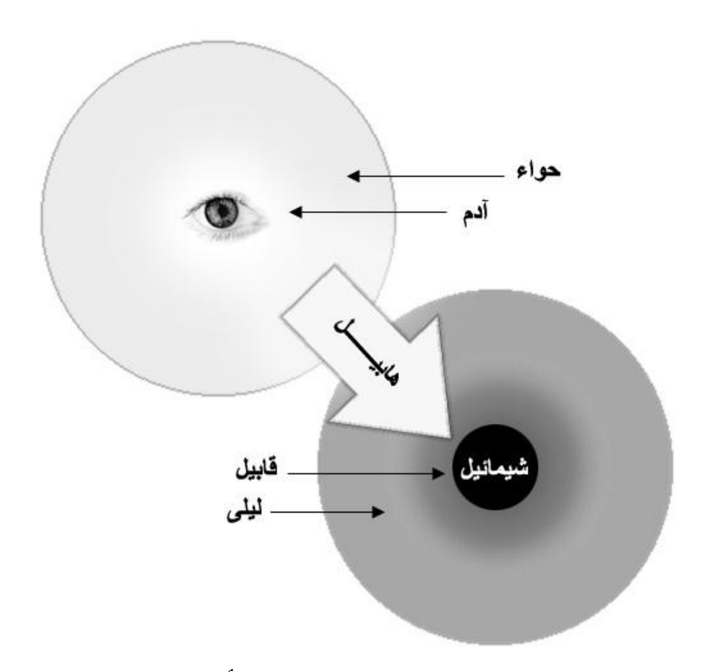
بعد انفصال الفقاعة الدنيوية عن الباطنية أصبحت تمثّل مع النفس والجسد كيان قائم بذاته يتمحور حول الأنا. بينما الفقاعة الباطنية تتمحور حول الذات. هذا الانفصال جعل الإنسان العادي يتمحور حول الأنا بحيث يجهل كلياً وجود ذات تمثل شخصيته الحقيقية. فتحول انتباه الفرد إلى العالم الأرضي (المادي) الذي خطف اهتمامه ببهرجته ومغرياته الساحرة التي استحوذت عليه كلياً فنسي أصله الإلهي. عن هذا الانفصال بالذات تحدثت الأساطير القديمة، الدينية والشعبية، حيث تروي كيف الأخ قتل أخوه أو غيرها من سيناريوهات توصف رمزياً كيف "الأنا" قتلت "الذات" واستحوذت على كيان الإنسان كلياً (كما سنرى لاحقاً). أما النفحة الشمسية، الابن المقدس، فلا زالت قابعة في الوسط بين العالمين، تحاول التجلّي في كياننا الدنيوي. لكن طبيعتنا الجسدية وغرائزنا الدنيوية تمنعه من ذلك، وهذا موضوع آخر سوف أتناوله لاحقاً. لكن مع ذلك تستمر النفحة الشمسية بالتجلّي بشكل دوري ومتواتر، محاولة اختراق كياننا لكن دون جدوى، هي لازالت تنتظر منا الاعتراف بها فتستطيع حينها التجلّي في كياننا الدنيوي وتقوم بعدها بمساعدتنا على التحرّر والخلاص من سيطرة القيود المادية، وهذه العملية الأخرى تمثل موضوع آخر سوف أتناوله لاحقاً.



هذه هي قصة النفحة الشمسية وكيف نشأت وأين تتجلّى وما هو دورها في كياننا، وسوف تتوضح هذه المسألة جيداً مع توالي المواضيع.

النفحة الشمسية وانبياء الكتب السماوية

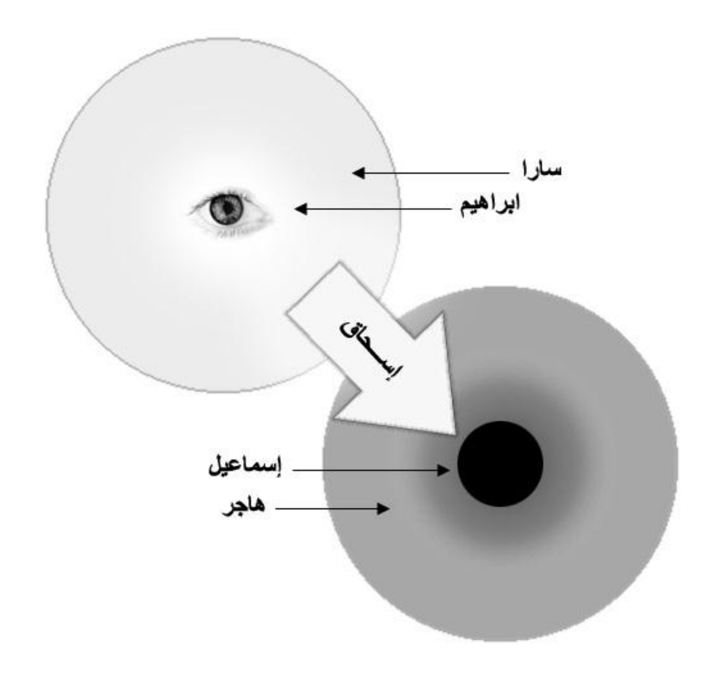
الكثيرون يظنون أن ما ورد عن الأنبياء من روايات هي أحداث تاريخية فعلية لكنها في الحقيقة مجرّد حكايا رمزية تخفي معلومات روحية عظيمة. فمثلاً، قصة هابيل وقابيل تتحدث عن ذات الموضوع المذكور في الفصول السابقة، حيث من خلال قتل قابيل لهابيل تكون الأنا قد قتلت النفحة الشمسية المنبعثة من الذات. وإذا اطلعنا على المراجع العبرية نجد الكثير من التفاصيل التي تغنينا بخصوص هذه الحكاية الرمزية، حيث نجد مثلاً أن كلمة هابيل باللغة العبرية تعني النَفَس أو النفحة أو المتلاشي، وهذا ما يحصل مع النفحة الشمسية أو النفس الإلهي إذ تتلاشى وتزول مجرّد أن خرجت من الفقاعة العلوية ودخلت إلى الفقاعة الدنيوية لأن الأجواء الدنيوية المادية المنجّسة لا تناسب هذه النفحة الإلهية السماوية النقية والوديعة، فيقولون بأن هابيل مات على يد قابيل الذي يمثل الأنا الدنيوية ويمكن شرحها وفق الصورة الرمزية التالية:



هذه الصورة تبيّن موقع كل من هابيل وقابيل اللذان يمثلان أبطال إحدى الحكايا الرمزية في النصوص المقدسة. ويبدو في الصورة موقع كل من آدم وحواء إذ يرمزان للذات والمحتوى. أما شيمائيل فيرمز للجسد المادي، وقابيل يرمز للأنا وليلى ترمز للنفس.

تذكر المراجع العبرية القديمة أن قابيل هو ابن ليلى (Lilith باللاتينية) وهي المحتوى الأنثوي للفقاعة الدنيوية وزوجها هو شيمائيل sama'el (رديف الشيطان في الحكاية)، وتقول إحدى الأساطير القديمة الشائعة في الشرق الأوسط (حتى بين العرب) أن ليلى بعد تركها آدم تزاوجت مع الشيطان فولد من تزاوجهما الجن الشرير. إن ترك ليلى لزوجها آدم ثم ارتباطها مع شيمائيل يرمز إلى انفصال المحتوى الإنثوي إلى قسمين، الأول بقي مع النواة الشمسية والثاني التزم مع المادة التي تمثل القطب المعاكس للنواة الشمسية (أنظر في أسطورة أوزيريس وإيزيس). هناك الكثير من الروايات المختلفة الأخرى لكنها تكشف جميعاً عن حقيقة واحدة واضحة، هي تتحدث بشكل رمزي عن الآلية التي جعلت الأنا الدنيوية تتغلب على الذات السماوية في كيان الفرد، وبنفس الصيغة التي روتها كافة الأساطير لدى الحضارات الأخرى عبر التاريخ رغم بعض الاختلافات في التفاصيل.

الأمر ذاته مع قصة ابراهيم وسارا وهاجر وابنيهما اسحاق واسماعيل، ويمكننا الرؤية بوضوح الحكمة المبطنة في هذه القصة من خلال الصورة الرمزية التالية:



أوّل ما وجب معرفته هو أن كلمة اسماعيل هي كلمة عبرية (إشمائيل) وهي كلمة مركّبة، أي تتألف من ثلاثة كلمات: ".. إشي . ما . إيل.." بعد معرفة أن إيل EL يعني الإله الأعلى فهذا يعني أن عبارة ".. إشي ما إيل.." تعني الشيء المجرّد من الإله أو الشيء الذي ليس إله. والأمر ذاته ينطبق

على اسم "شيمائيل" في قصة هابيل وقابيل، حيث كلمة "شيمائيل" هي مركبة أيضاً وتتألف من ثلاث كلمات، أي ".. شي ما إيل.." ومعناها الذي ليس إله. أي أنها قريبة المعنى لكلمة اسماعيل. وجب العلم أن كلمة "شيمائيل" وردت في التعاليم الكلدانية التي استخدمتها للإشارة إلى أمير الظلام أي إبليس أو الشيطان. بينما كلمة إسحق هي كلمة مركبة مؤلفة من كلمتين: ".. إشي حق.." ومعناها ".. الشيء الحقيقي.."، أي أنها تمثل المحتوى الإلهي الحقيقي وهذا ما تتألف منه النفحة الإلهية المبيّنة في الصورة السابقة.

من الذي جعل العرب أولاد اسماعيل واليهود أبناء إسحاق؟!

كيف لنا أن نصدق بأن تعاليم دينية أصيلة تدعو إلى الأخوة بين كافة المخلوقات وليس فقط بين البشر، تسمح لنفسها أن تصنع فرقاً يميّز بين شعبين؟ من الواضح أن هذا التمييز الذي تم انسابه لليهود والعرب ينبع من مآرب سياسية دنيوية. وليس هذا فحسب بل هناك نية خبيثة أيضاً تستهدف العرب حيث جعلوهم منسوبين لإسماعيل الذي يمثل القسم الدنيوي.

أنا أعلم أن الكثير من الأخوة القراء لن يقبلوا بهذه الفكرة التي تجرّدهم من نسب اسماعيل وقد يجادلون حولها (وربما بالتهديد والوعيد) لكن كل ما علي فعله هو الرد عليهم بالدعاء: إذا هذا التظليل الذي تؤمنون به يريحكم نفسياً ويجعلكم تنامون بهناء في الليل، فليس لدي حيلة سوى الدعاء لكم بالسعادة والهناء... ".. عيش وتهنا يا حبيبي..".

سوف أتي لاحقاً على ذكر البطل الذي تحدثت عنه التعاليم السرية بصفته ابن اسماعيل فعلاً وكيف تمرّد على واقعه الدنيوي وطلب الخلاص. ليس بالضرورة أن يكون كل انسان دنيوي شريراً، ربما تكون طبيعته خيّرة لكنه يجهل الحقيقة التي تحرره من قيود الوهم الدنيوي. كل انسان دنيوي في هذا العالم هو ابن اسماعيل.. ابن أنانيته الدنيوية/المادية.. لكن قد يقرر أحدهم يوماً الخلاص فيصبح مريد صادق وأمين تخلى عن أنانيته وأسلم نفسه لله وجاهد في سبيله وانتصر في النهاية على طبيعته الدنيوية المقيتة. هذا ما سوف نشرحه لاحقاً مع توالي المواضيع.

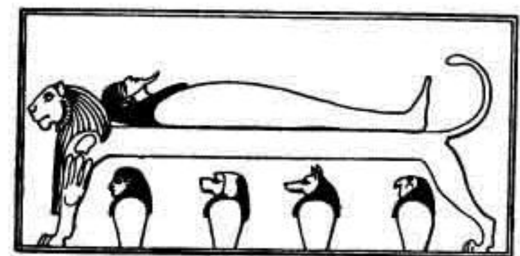
....

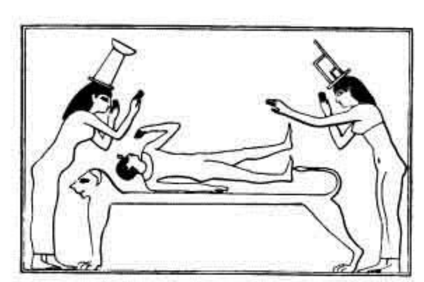
سقوط الإنسان

وفق أسطورة أوزيريس وايزيس

بعد انفصال الأنا عن الذات المركزية وأصبحت تشكل مع النفس والجسد كيان قائم بذاته تحول انتباه الفرد إلى العالم الأرضي (المادي) الذي خطف اهتمامه ببهرجته ومغرياته الساحرة التي استحوذت عليه كلياً فنسي أصله الإلهي. هنا تقول الأسطورة المصرية بأن شيط قتل أوزيريس واستحوذ على عرش المملكة بالكامل، وهذا يعني أن "الأنا" قتلت "الذات" واستحوذت على كيان الإنسان كلياً.

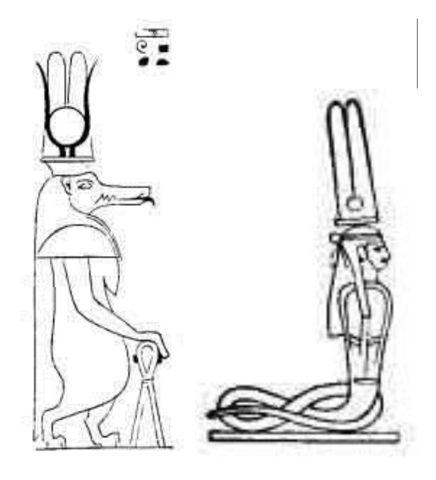
هذا الاستحواذ الكامل لكيان الفرد من قبل العالم الدنيوي المادي تُعبر عنه تلك الأسطورة الشهيرة التي يقتل فيها شيط أوزيريس ويستولي على عرش المملكة ويفرض الزواج على إيزيس (المحتوى). المملكة هنا تمثل كامل كيان الفرد بكل مكوناته، المحتوى (إيزيس) هو المصدر الباطني للطاقة الحيوية التي تتغذّى عليها النفس (نفثيس).



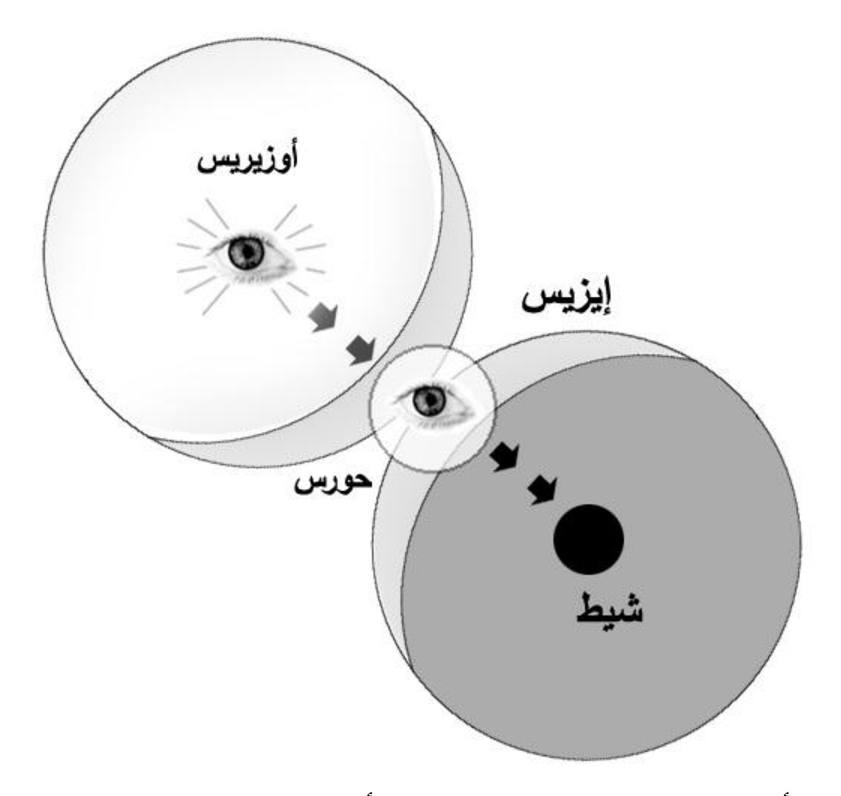


عبرت الصور الهيروغليفية عن موت أوزيريس بأكثر من طريقة، لكنها جميعاً أحسنت التعبير عن غياب الشمس (الكائن المجيد) من الساحة في حياة الفرد. الصورة على اليمين تبين موت هذا الكائن الجليل الذي يتخذ سريره هيئة أسد (رمز للشمس). الصورة على اليسار تبين كيف تنوح كل من ايزيس ونفثيس على موت أوزيريس.

لقد مات أوزيريس (الذات) وغاب عن مشهد حياتنا تماماً وها نحن نعيش في العالم المادي الذي استحوذ على اهتمامنا كلياً بحيث لم نعد نشعر أو ندرك أو حتى نؤمن بوجود شيء يسمى شمس باطنية أو ذات مركزية مسؤولة عن وجودنا أصلاً. لقد قتله شيط فعلاً لأن أوزيريس غاب عن إدراكنا بالكامل، ثم استحوذ شيط على كل من إيزيس ونفثيس وأصبحنا في خدمته بشكل شبه كامل.



بدلاً من ذكر اسم شيط، تستخدم بعض النصوص المصرية الاسم طيفون (تايفون) وتم تصويره في الرسوم الهيروغليفية بهيئات وأشكال مختلفة (تمساح، أفعى، فرس النهر.. إلى آخره) لكنها تشير جميعاً إلى مدى قذارته أو نهمه أو خبثه أو وحشيته أو لؤمه.. إلى آخره. هكذا نظر المصريون إلى العالم الدنيوي والجسد المادي الذي استحوذ على الإنسان كلياً وقتل الجانب الإلهي من كيانه.



إن غياب أوزيريس عن مجال إدراكنا سببه يعود إلى أن شيط استحوذ على كياننا بالكامل، وهنا يُرمز لهذه الحالة بأن شيط قتل أوزيريس فغاب عن المشهد كلياً. فتجلى ابناً لأوزيريس ويحمل كامل صفاته الجليلة واسمه حورس. هو النفحة الشمسية التي تتجلى في كياننا بشكل دوري ومتواتر، تنتظر منا الاعتراف بها فتستطيع حينها مساعدتنا على الخلاص من سيطرة شيط.

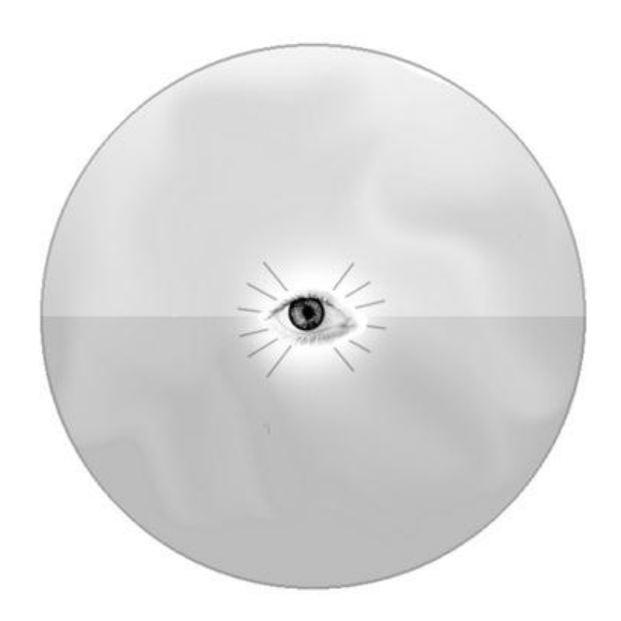
تذكر أن كلمة "شيط" في اللغة المصرية القديمة هي مرادفة لكلمة الشيطان بالعربية (Seth أو Set باللاتينية، وSatan بالإنكليزية) وهذا يلقي ضوء جديد على مفهومنا للشيطان. يبدو أن الحكماء القدامى كانوا يتحدثون عن القسم الجسدي/الدنيوي لكيان الإنسان وليس عن وحش أو قوة سوداء تجول الأرض بحثاً عن ضحايا كما نفهما نحن. أي بمعنى آخر، إذا كنت إنساناً متديناً فعليك وفق منطق القدماء أن تواجه نفسك الدنيوية التي تراها في المرآة صباح كل يوم، تحاكمها وتبحث عن أخطائها وزلاتها ونواقصها وشرورها وسيئاتها وغيره من خصائص وصفات مظلمة سوداء ثم تحاول جاهداً تصحيحها وإخضاعها ومقاومتها وكبحها وغيرها من إجراءات مناسبة تفرضها عليك تعاليمك الدينية. لكن كم رجل دين اليوم يقوم بهذا العمل الجهادي المبارك؟ كم إنسان متديّن حول العالم اليوم يحاول، مجرّد محاولة، أن يواجه الشيطان الذي يراه يومياً في المرآة أمامه؟ أم أنهم مشغولون جميعاً اليوم في البحث عن الشيطان القابع في الآخرين من حولهم ومن ثم الدعوة لقتاله فيحكمون جزافاً على مجموعات بشرية بكاملها... فتنطلق دوامة سفك الدماء.. وكل ذلك دون جدوى.. وينتصر الشيطان مرة أخرى.. وسوف ينتصر إلى الأبد إذا بقيت الحال على حالها.

وجب العلم بأن أوزيريس (الذات) لم يمت فعلاً في كياننا بل غاب عن مجال إدراكنا لأننا انفصلنا عنه وابتعدنا كل البعد عن الحقيقة لنتلهّى بعالم وهمي لا أساس له سوى في المستوى المادي الدنيوي من تجلينا، وهذا المستوى يمثل الجانب الأقل شأناً في كياننا العظيم. من هنا جاء مفهوم "السقوط" الذي غالباً ما تحدث عنه القدماء في أساطيرهم، وأشهرها الصيغة الهرمزية لنظرية السقوط والتي تحدثت عن الكائن المجيد الذي رأى انعكاسه في العالم الأرضي فوقع بغرامه واندمج معه، وهذا ما سنتعرف عليه في الصفحات التالية.

النظرية الهرمزية حول السقوط

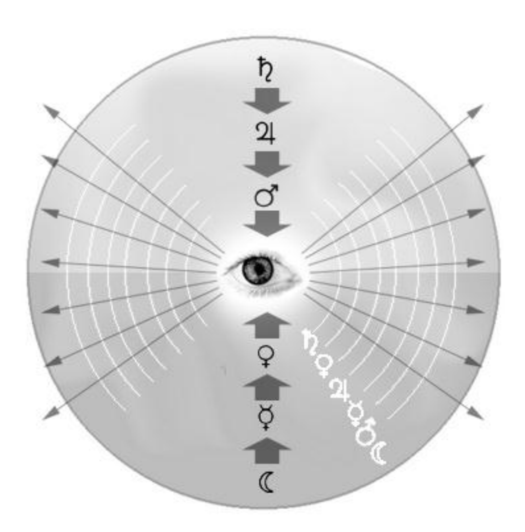
ورد في كتاب "الرؤيا" Poimandres لهرمز الحكيم (الذي أعيد ترجمته بطريقة خاطئة في القرون الأولى للميلاد) الوصف التالي عن آلية تجلّي الذات الوهمية (الأنا) كانعكاس للذات الحقيقية (الشمس، الابن الوحيد) وقد وصف هذه الشمس المركزية بالكائن المتألق المجيد، ورد في النص ما يلي:

"... وقام بعدها الأب، العقل الكلّي، بصفته نور وحياة، بخلق كائن كوني متألّق ومجيد وجعله يظهر بصورته. لم يكن في البداية كائن أرضي بل كائن سماوي يسكن في رحاب نور الخالق. لقد أحب الأب (العقل الكلّي) هذا الكائن الذي خلقه بصورته فوكّل إليه إدارة شؤون الخلق.."



الكائن المتألق المجيد، وفقاً للمنهج الهرمزي، يقبع في الوسط، في رحاب نور الخالق، والموكّل من قبله بإدارة شؤون الخلق. هذه هي الشمس المركزية، الابن المقدس، الذات

".. ابتهج الحكام السبعة الذين شاطرهم الكائن المتألق قواهم حيث كل منهم منحه حصّة من طبيعته الخاصة به.."



الكائن يقبع في الوسط بين الحكام السبعة (الطاقات السبعة) ويشاطرهم قواهم حيث كل منهم منحه حصّة من طبيعته الخاصة ، أي أن هذه القوى تنبعث من خلاله.

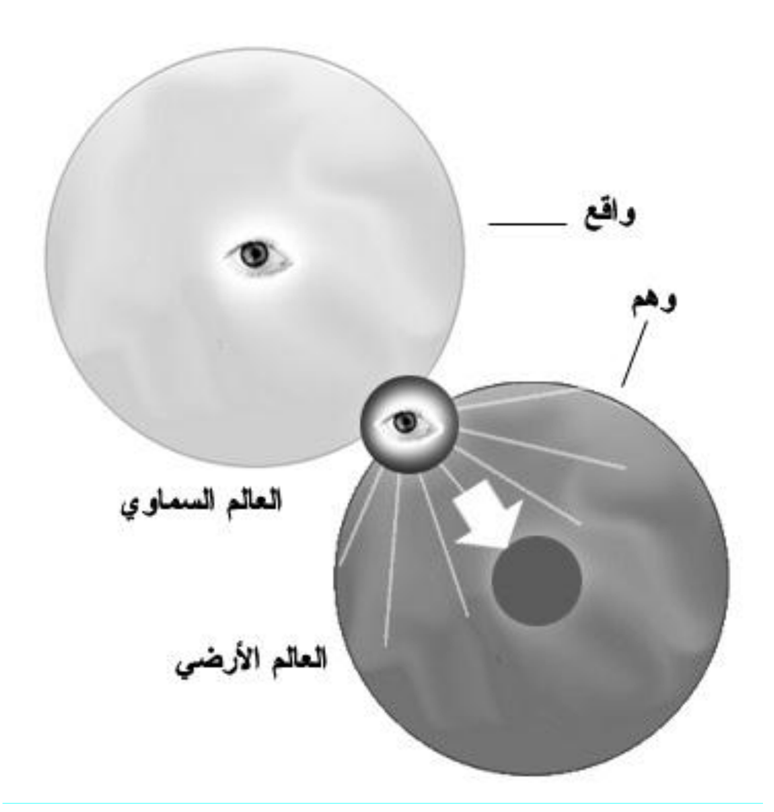
".. مع حيازته على القدرة الكليّة، انحنى الكائن المجيد إلى الأسفل واسترق النظر عبر الحلقات السبعة، وبهذا جعل انعكاسه متجلياً في الطبيعة الممتدة في العالم السفلي.."



إنعكاس لصورة الكائن المجيد يتجلى في العالم السفلي. وفقاً للنظرية الهرمزية يفصل بين الكائن المجيد وانعكاسه الوهمي سبعة حلقات

".. أثناء نظره في أعماق العالم السفلي ابتسم الكائن المجيد لأنه شاهد ضلاله على الأرض وصورة له منعكسة على المياه. الضلال والصورة هي انعكاس وهمي لكيانه الحقيقي. وقع الكائن في غرام هذا الانعكاس فرغب في النزول إليه. ملبياً رغبته، دمج هذا الكائن الذكي نفسه مع الصورة والهيئة الوهمية.."

".. مع مراقبتها عملية النزول هذه، قامت الطبيعة الدنيا باحتضان صورة الكائن الذي طالما أحبته، فاندمج الإثنان معاً. لهذا السبب نجد أن الكائن الأرضي هو كائن مركّب. بداخله يقبع الكائن السماوي المجيد والخالد، بينما خارجه تقبع الطبيعة الفانية القابلة للتلاشي والزوال. بالتالي نرى أن العذاب والمعاناة هي ثمرة وقوع الكائن الخالد بغرام صورته الوهمية المنعكسة في العالم المادي وتخليه عن الواقع الحقيقي مقابل العيش في ظلام الوهم.."



اندماج الكائن المجيد مع انعكاسه الوهمي المتشكل في العالم الأرضي (المادي)، فاحتضنته الطبيعة الأرضية واندمجا معاً، أي استحوذت عليه كلياً بحيث سحرته المسرات الدنيوية ومغرياتها التي هي عبارة عن أوهام

يوجد صيغ كثيرة لهذه القصة في العديد من الأساطير القديمة، أشهرها قصة "نارسيسوس" Narcissus الذي من خلال تحديقه إلى الماء (وهي العنصر الذي يرمز للعالم الوهمي أو "مايا") فقد حياته محاولاً احتضان صورته المنعكسة على سطح الماء. هكذا هي حال الإنسان الذي مع تحديقه إلى مرآة الطبيعة المادية وقبول تجسيده المادي على أنه يمثل ذاته الحقيقية يكون قد فوت الفرصة التي منحته إياها الحياة المادية ليكشف عن ذاته الخالدة المحجوبة في الخفاء.

السقوط وفق مبدأ الكا/با

تحدثت في الصفحات السابقة عن الصيغة الهرمزية لعملية السقوط وتحدثت عن الكائن المجيد الذي رأى انعكاسه في العالم الأرضي فوقع بغرامه واندمج معه.. لكن هذه الحالة تم وصفها بطريقة مختلفة إذ هي أكثر توضيحاً وذلك وفق مفهوم الكا/با KA/BA.

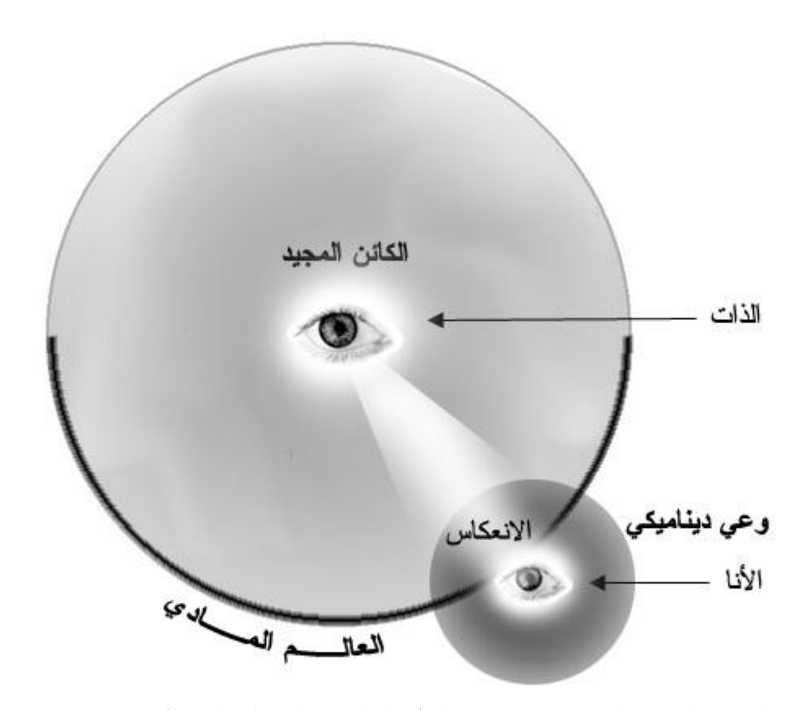


تعرفنا في الجزء الخامس من هذه المجموعة على حقائق كثيرة حول عملية التفكير وآلية خلق الوعي الديناميكي، الذي هو عبارة عن خلق مجال طاقة عند الأشياء المستهدفة فكرياً، مهما كانت المسافة الفاصلة، لكن ما يهمنا في الموضوع هو التالي: التفكير بشيء معيّن يجسّد عنده مجال كثيف من الطاقة وتزداد كثافة هذا المجال كلما تعمقنا في التركيز. يستطيع الفرد خلق مجال طاقة في أي شيء يستهدفه بتفكيره. وهذه الطاقة تتشكّل نتيجة توجيه الانتباه.

المبدأ الذي يجعل الإنسان قادراً على تشكيل وعي ديناميكي في أي مكان أو زمان يستهدفه بتفكيره هو ذاته المبدأ الذي يعمل في حالة خلق الشمس المركزية (الذات) لكينونة فكرية تحمل انعكاس لصورتها (الأنا). حتى الكون هو عبارة عن "وعي ديناميكي" صادر من الخالق [جلّ جلاله]. هذا ما قصدته التعاليم السرية عند قولها بأن: ***"... كل شيء في العالم المادي تم تفكيره إلى الوجود..."***

إذا نظرنا إلى الفكرة الهرمزية حول السقوط من زاوية مفهوم الوعي الديناميكي نكتشف أنه عندما وجه الكائن المجيد تفكيره نحو انعكاسه في العالم الأرضي تشكّل وعي ديناميكي يمثّله تماماً من

حيث الخصائص والسمات. لأنه كما علمنا، الوعي الديناميكي هو عبارة عن مجال طاقة يتشكّل عند النقطة التي يستهدفها الفرد بفكره وهذا المجال يتألف من المحتوى العقلي للفرد، أي يمثل قطعة منه، أي نسخة مطابقة لصورته.

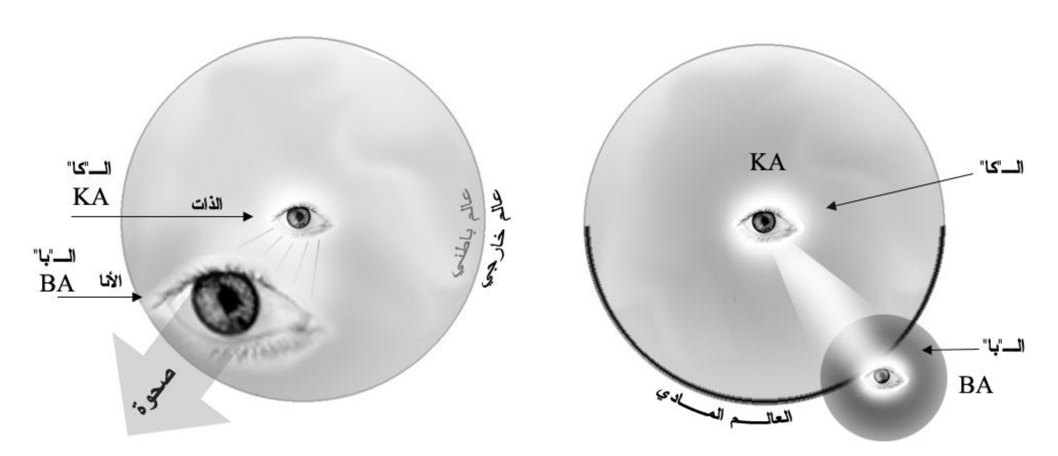


انعكاس الكائن المجيد الذي تحدثت عنه النظرية الهرمزية حول السقوط هو عبارة عن وعي ديناميكي يمثل نسخة مطابقة له. هذا الذي يجعل الأنا عبارة عن نسخة مطابقة للذات لكنها مستقطبة دنيوياً.



لقد عبر المصريون عن مفهوم الوعي الديناميكي بطريقة أخرى. تحدثوا عن مفهوم الـ"كا/با" KA/BA. وكما ذكرت في الجزء الخامس من هذه المجموعة، رمزوا إلى الـ"با" BA على شكل طائر أو كائن مجنّح يكون رأسه مشابه تماماً لرأس الفرد الذي انبعث منه والذي يلعب دور الـ"كا" KA.

يمكننا استيعاب العلاقة الصميمية بين ثنائية <u>الذات</u> و<u>الأنا</u> من خلال النظر في ثنائية الـ"كا" والـ"با"، حيث الـ"كا" تمثّل الذات الحقيقية للفرد بينما الـ"با" هي الوعي الديناميكي المنبعث من الـ"كا"، وهي ما نسميها <u>الأنا</u> أو <u>الذات الوهمية</u>. الشكل التالي:



الصورة على اليمين هي عبارة عن وصف رمزي ثنائي الأبعاد لعلاقة الـ"كا/با"، أي ثنائية الذات/الأنا. في هذه الحالة تحتل الـ"با" مساحة صغيرة من محيط الدائرة لكن هذه ليست حالة واقعية. الصورة على اليسار هي ثلاثية الأبعاد مما يجعلها أقرب إلى الواقع، حيث يمثل الـ"با" (الأنا) القشرة الخارجية للكائن (أي كامل محيط الكرة) وبالتالي يبدو أكبر من الـ"كا" (الذات) القابعة مخفية في المركز. الهيئة الخارجية للكائن هي عبارة عن "با" (وعي ديناميكي) منبعثة من الـ"كا" القابعة في الجوهر اللامرئي.

عندما ننظر إلى شخصية كائن مادي فنحن نرى الـ"با" (القشرة الخارجية) بينما الـ"كا" (الجوهر) يكون غائب تماماً عن المشهد. هكذا هي حالة أوزيريس الذي لم يمت في جوهر الكائن، ومشهد الموت الذي نألفه في اللوحات الهيروغليفية يصور حالة أوزيريس في العالم المادي فحسب، أي في القشرة الخارجية للكائن. أي أن أوزيريس مات في الجانب الظاهري فحسب، أي المستوى الذي تجلّى فيه انعكاسه أو صورته أو وعيه الديناميكي (الـ"با"). لقد غاب عن مجال إدراكنا لأننا مستحوذون من قبل عالم ظواهري وهمي يخطف انتباهنا بالكامل ولم نفطن أبداً إلى وجود عالم باطني يمثل أساس وجودنا (الـ"كا").



الصورة المألوفة لموت أوزيريس (الـ"كا") ويحلق فوقه الطائر الذي يشبهه (الـ"با")، وحاضر في المكان أنوبيس الذي اختلف الخبراء حول ما يرمز له هذا الكائن الذي يحمل رأس كلب أو جقل لكنه في الحقيقة يمثل العلاقة الوثيقة التي تربط بين الـ"كا" والـ"با".



أنـوبيس يمثـل العلاقـة الوثيقـة بـين الـوعي الـديناميكي والـوعي المركـزي كمـا علاقـة الكلـب بصـاحبه. لـيس هنـاك حبـل يـربط الاثنين معاً لكي يلزمهما قسراً، بل كل ما يتوفر في هذه الحالة هو الـوداد أو الألفـة أو الوفـاء أو ذلـك الشـيء الـذي يُلـزم الكلـب بصاحبه والذي لا يمكن وصفه بكلمات. رمز المصريون إلى هذا الشيء الذي يربط الـ"با" والـ"كا" بالكلب كأفضل تعبير عنه لأنه لا يوصـف بـالكلام. أنـوبيس هـو ابـن "نفثـيس" وهـذه الأخيـرة تمثـل النفس، وبالتـالي غالبـاً ما تعتبـر التعـاليم السرية بأن الكلـب يرمـز للجسد الذي يلتزم بالذات.

....

لقد عبرت النصوص الدينية المختلفة عن هذه الفكرة بالذات خلال حديثها عن الشخوص المقدسة المختلفة، وهذا لا يستثني الديانات السماوية التي لديها صيغتها الخاصة من قصة السقوط، وهي في جوهرها لا تختلف كثيراً عن القصة الهرمزية أو المصرية:

السقوط وفق الديانات السماوية

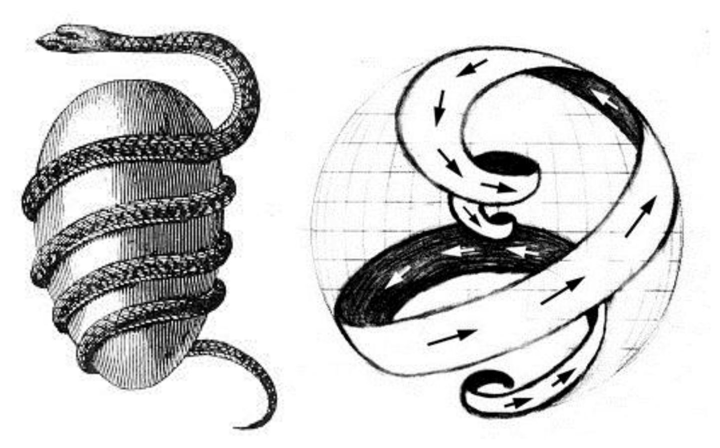
جميعنا نعرف قصة آدم وحواء وخروجهما من الجنة. لكن هذه الحكاية الرمزية لها أبعاد فلسفية مذهلة ولا يمكن تذوق روعتها إذا كنت فاقداً للمفاتيح الصحيحة لفك رموزها والغوص في معانيها الباطنية الفاتنة. يوجد عدة عناصر في هذه القصة والتي من خلال معرفة معانيها الباطنية سوف تتوضح الصورة بشكل كامل. هذه العناصر هي الأفعى، الشجرة، والتفاحة (أو الثمرة عموماً)، وقد علمنا سابقا في هذا الكتاب المعنى الباطني لكل من آدم وحواء والذين يمكن تصورهما على الشكل التالي:



هذه صورة توضيحية لكل من آدم وحواء، مبدأ الذكر والأنثى، في الحالة الأولية لتشكل البيضة الكونية حيث لا يوجد أي حركة بعد، وكان عامل الزمان لم يتشكل بعد، وبالتالي كانت البيضة في حالة سكون تام. كان الاثنين خلال هذه الفترة يعيشان في حالة نعيم وسكون سماوي مطلق. انسجام كامل وصفاوة تامة دون أي تعكير من أي نوع.

لم يمضي وقت طويل على هذه الحالة الهنيئة قبل أن يولد عنصر الحركة، ومن هنا تغيّرت الحالة تماماً وتبدل كل شيء. لقد تحدثت بالتفصيل عن عنصر الحركة في السابق كما أنني شرحت بالتفصيل كيف نشأت الحركة بتحفيز من إرادة الخالق [عزّ وجلّ] (أنظر في الجزء الثامن).

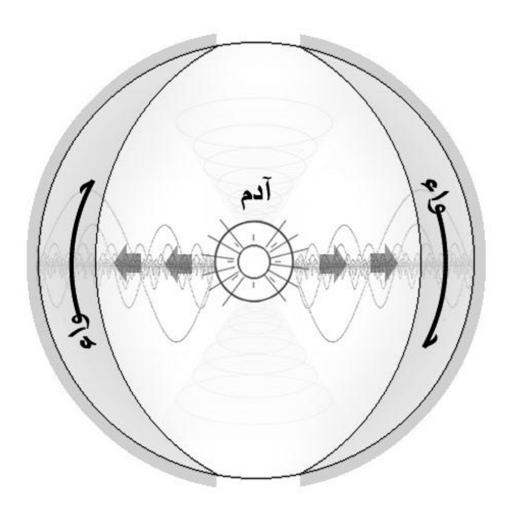
في الوقت الذي تُعتبر فيه الحركة بالنسبة للفيزيائي والفيلسوف عبارة عن فكرة مجرّدة، نرى أنها تمثّل بالنسبة للحكمة القديمة مبدأ أوّلي أو قانون كوني راسخ بنفس مستوى مفهوم الزمان والمكان الموجودان دائماً وأبداً في مسرح العالم المتجلّي. الحال ذاتها تنطبق على الحركة التي لا تتوقف أبداً.



هكذا تبدو الحركة الدورانية اللولبية الأبدية خلال التجسيد الكوني العظيم، وهي تشبه تماماً حركة الأفعى. يُعتبر رمز الأفعى أحد الرموز الأساسية التي وردت بكثرة في اللغة الرمزية المحجوبة. من دلالاتها الأساسية هو الحركة الدورانية الأبدية خلال التجسيد الكوني. صورة البيضة الكونية ملفوف حولها أفعى (الصورة على يسار) تعتبر من بين الرموز القديمة التي تستخدمها المدارس السرية للإشارة إلى الحركة اللولبية التي بعثت الحياة في الكون. يرمز أيضاً إلى إحياء المادة الجامدة من قبل الدميورغ وبعث الروح في كل الأشياء

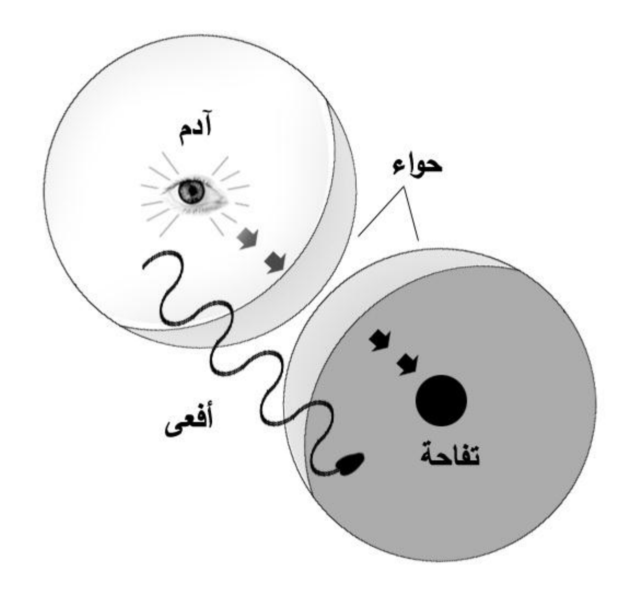
التكرار المستمرّ للحركة اللولبية نتيجة نشوء عامل الزمن أدى إلى نشوء دوامتين ولدتا حالة تذبذب أو نبض عند نقطة التقاءهما في المركز. هذه الحالة النابضة في المركز خلقت النواة الشمسية.

أصبح لدينا نواة شمسية نابضة على الدوام وبوتيرة مستقرة وإيقاع ثابت وتقبع في مركز فقاعة كروية الشكل، والتنابض المستمر للنواة الشمسية يدفع بالمحتوى ليتكاثف على محيط الفقاعة الشمسية. لقد شرحت سابقاً كامل تفاصيل هذه العملية. هذا بالضبط ما حصل مع آدم وحواء، ويمكن التعبير عنها في الصورة التالية:



فقاعة شمسية مؤلفة من نواة شمسية نابضة (آدم) والمحتوى (حواء) مدفوع نحو جدران الفقاعة.

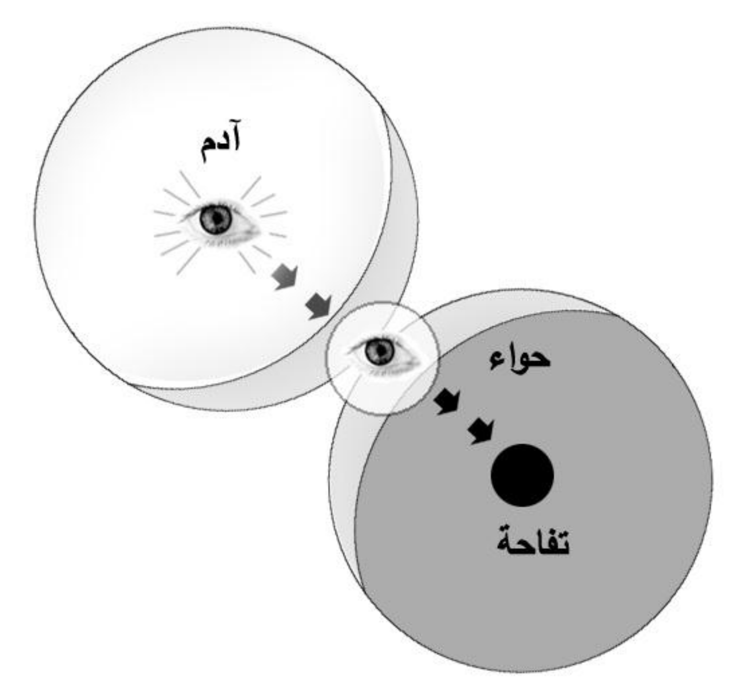
الأفعى المذكورة في الرواية العبرية من القصة اسمها "نخاش" وهذه الكلمة تعني "المحفّز" أو "الدافع" أو "الذي يفقد النقاوة" وهذا المعنى الأخير له كلمة عربية تعبر عنه رغم اختلاف مواقع النقاط على الحروف وهي "نجاس". هذا هو الدور الذي لعبته الحركة بالضبط حيث حفزت على تنابض النواة الشمسية مما جعلها تدفع المحتوى (حواء) بعيداً عن المركز ثم التجمع عند جدار الفقاعة ومن ثم السقوط نحو الفقاعة الدنيوية مما جعلها تفقد نقاوتها، كما في الشكل التالي:



سقوط حواء نحو العالم الدنيوي بفعل تدافع النبضة الشمسية وذلك بتحفيز من عنصر الحركة التي ترمز لها الأفعى.

لقد أصبحنا نعلم بالضبط دور الأفعى في القصة، لكن السؤال هو: ما المعني الفعلي للشجرة والتفاحة؟ هذا ما سوف نتعرف عليه في الفقرات القادمة.

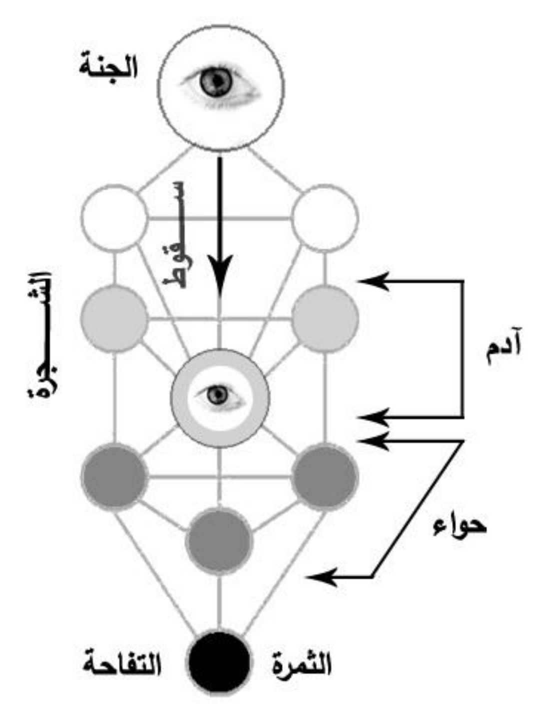
كما حالة الإغواء التي استحوذت على الكائن المجيد في الرواية الهرمزية لقصة السقوط، الأمر ذاته حصل مع آدم الذي استغرق في تحديقه إلى العالم المادي الممثل بتفاحة أو ثمرة (وهذا التشبيه له سبب وجيه)، وبهذا الاستغراق في التفاحة القابعة في العالم الدنيوي يكون قد سقط إليها. وقد تم الإيحاء في القصة إلى أن حواء كانت متعاونة مع الأفعى في إغواء آدم مما جعلها خطيئة محسوبة عليها لكننا أصبحنا نعلم الآن كيف حدث الأمر.



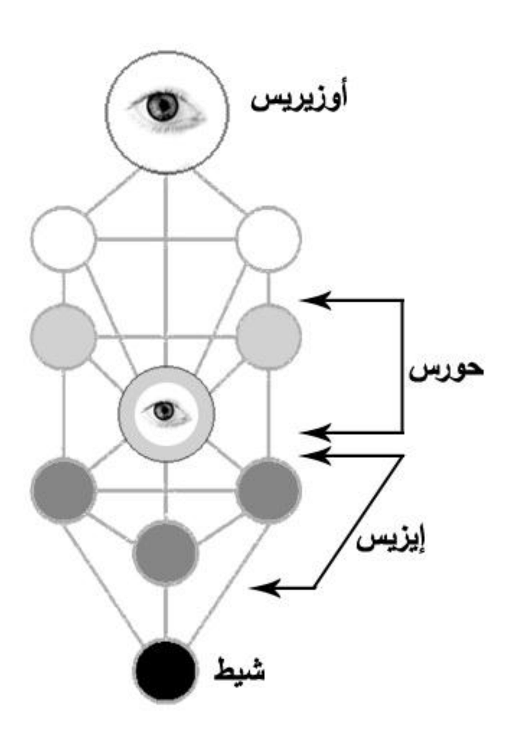
آدم مستغرقاً في تحديقه إلى العالم المادي الممثل بتفاحة (ثمرة)، وبذلك يكون قد لحق بحواء التي سقطت قبله، لكن لحاقه بها لم يكن بشخصه بل عبر الاستغراق في التفكير (وعي ديناميكي) كما حالة الكائن المجيد في الرواية الهرمزية، أو وفق مبدأ الـ"كا/با"

إذاً، ليس الأفعى بل الحركة هي التي حفّزت حواء على ترك مهجعها السرمدي والسقوط إلى العالم الدنيوي مما أدى إلى إغواء آدم الذي لحق بها. والآن جاء دور السؤال الكبير: لماذا كان موضوع الإغواء هو التفاحة والتي هي مجرّد ثمرة معلقة في نهاية شجرة؟

الشجرة التي تقصدها القصة هي شجرة الحياة التي تشرح مراحلة التجلّي والتي تكون ثمرتها النهائية المادة الصلبة. وبالتالي، وفق منظومة شجرة الحياة سوف تبدو عملية السقوط بالصيغة التالية:

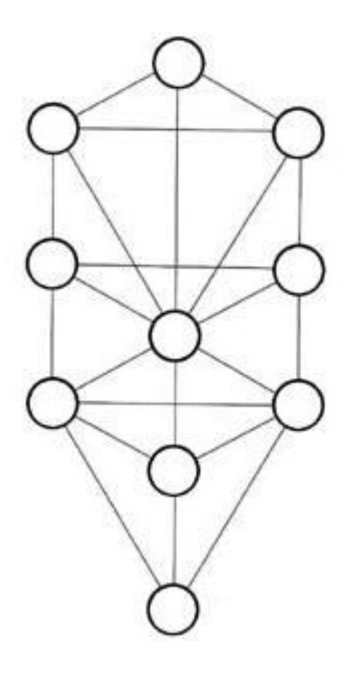


الشكل المقابل يبين مواقع كل من آدم وحواء بعد خروجهما من الجنة حيث كانا يعيشان في حالة نقاوة تامة. ذلك بعد حالة الانجذاب نحو التفاحة التي تمثل العالم المادي (ثمرة شجرة الحياة)



الشكل المقابل يبين الصيغة المصرية لرواية السقوط، وتبدو متشابهة عموماً لولا وجود بعض الاختلافات الجزئية. مثلاً، لم يُطرد أوزيريس من الجنة لكنه قتل على يد شيط، وبالتالي ليس هناك إغواء من أي نوع بل غدر تعرض له بطل القصة. وقد تم إدخال حورس في المعادلة وبالتالي هو ليس انعكاس لأوزيريس بل ابنه الفعلي. كما أننا لم نرى دور رئيسي للأفعى رغم أنه تم تمثيل شيط في بعض الروايات بهيئة أفعى.

يوجد الكثير من الروايات والأساطير التي توصف بالتفصيل الآلية الفعلية لسقوط الإنسان وموت الإله في كيانه مما أدى إلى انفصاله عن النعمة الإلهية. قد تختلف هذه الروايات فيما بينها ببعض التفاصيل لكن السيناريو العام يبقى ذاته. الصيغة الوحيدة التي تبقى محافظة على تماسكها وتكاملها وبالتالي تكون متشابهة بين جميع الثقافات هي صيغة الوصف الفلسفي للمكونات الكاملة للإنسان (وكل كائن متجلي) والذي يتمحور حول منظومة شجرة الحياة. قد تختلف الروايات والأساطير ببعض جزئياتها لكنها لا تستطيع الخروج عن الهوامش الثابتة التي تفرضها هذه المنظومة. سوف نتعرف لاحقاً في هذا الكتاب على فكرة وجيزة عن الوصف الفلسفي لمكونات المخلوق المتجلّي وفق منظومة شجرة الحياة.



....

المسيح/المخلّص

يُشار إلى المسيح باللغة الإنكليزية باسم "كرايست" Christ وجاء من أصل يوناني (كريستوس)، وكلمة "كريستوس" باللغة اليونانية تعني الزيت وأصبح رمز لمن مُسح بالزيت وبالتالي عندما يقال عن سيدنا يسوع بأنه المسيح فهذا يعني أنه ممسوح بالزيت. والفرد الذي يُمسح بالزيت في طقوس المدارس السرية يكون قد تخرّج من صفوفها وارتقى إلى أعلى المراتب الروحية، أي نجح في تخليص النفس لديه من قيود الجسد المادي والمغريات الدنيوية. هو المحارب البطل الذي حرّر الأميرة الجميلة (النفس) من أسر الوحش الدنيوي. هو الجريء المقدام الذي قتل الأسد. كلمة "مسيح" باللغة العربية جاءت من أصل عبري يعني الممسوح بالزيت، والكلمة العبرية هي "ماشيح".

كما علمنا سابقاً، تستخدم كلمة المخلّص في المدارس السرية ليس للإشارة إلى الشمس الأرضية (التي نراها في السماء) بل للشمس الباطنية، أي تستخدم للإشارة للإله القابع في الإنسان. هذه الشمس القابعة في داخل الفرد هي التي تتقدم إلى الأمام وتخلّصه من أسر العالم الدنيوي من خلال التجلّي فعلياً بشخصيته عبر النفحة الشمسية. عندما يتجسّد هذا الإله الداخلي في كيان الفرد تتغيّر كامل طبيعته إذ تشعّ بالنور الإلهي وتُفعم بالحيوية السماوية. ويحصل ذلك بعد خوض مجموعة من الإجراءات والاختبارات التدريبية إلى أن يحرز الفرد في النهاية المرتبة التي يحصل خلالها هذا التجسيد الإلهي في شخصيته فيعتبر بأنه مات وانبعث من جديد، وتكريماً له على هذا الإنجاز العظيم يتم دهنه أو مسحه بالمرهم أو الزيت المقدس، وهذا طقس احتفالي كان مألوف جيداً في المدارس السرية لكنه أصبح فيما بعد مجرّد طقس شكلي كتلك التي تجري في الكنائس خلال مناسبات مختلفة مثل الترسيم أو التتويج. الممسوح أو المسيح الحقيقي هو من حقق انتصاراً عظيماً على ذاته الدنيوية خلال اختبارات الانتساب إلى حلقة الكهنة الخبراء وبالتالي انتصر على طبيعته الدنيوية التي تسيطر عليه وتقرر مجريات حياته اليومية.

إذاً، المخلّص موجود داخل كل فرد منا، هو نور الشمس الباطنية القابعة في مركز كياننا، أي الذات المركزية.. هو القدرة الباطنية الكامنة على التفهّم والتطور والنمو الروحي.. هو النور اللطيف الخفي غير المرئي الذي يتقدم من الداخل ويغمر الفرد في الخارج. من الناحية الفلسفية، هو القدرة على الإدراك السليم والفهم الصحيح، هو التنوّر بكل ما تعنيه الكلمة. من الناحية الصوفية، هو قوة الحب الخلاقة.

قبل متابعة مسيرتنا علينا أولاً توضيح بعض الغوامض وإزالة بعض الشوائب التي خلفتها التعاليم الدينية المختلفة عن المخلّص حيث حتى في الشروحات السابقة عن الشمس الباطنية لازال الأمر زئبقياً بخصوص الفرق بين الشمس المركزية وتجلّي قوة الشمس (النفحة الإلهية) في الفرد.

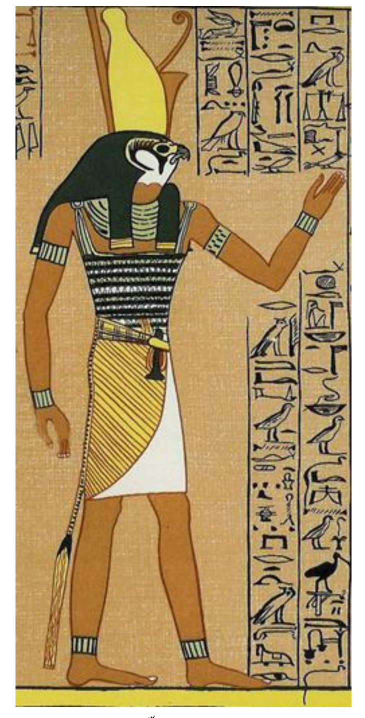
هناك الكثير من الأفكار الخاطئة التي خلفتها المعتقدات القديمة بخصوص المخلّص وطبيعته ودوره ومكانته في المعادلة. لقد حصل خلط كبير لدى الكثير من التعاليم المنحدرة إلينا بخصوص الابن المقدس والمخلّص. لقد حصل خلط في رواية الأساطير بين الشخصيات الممثلة للشمس والشخصيات الممثلة للنفحة الشمسية. في الأسطورة المصرية مثلاً، أوزيريس هو الشمس بينما حورس هو تجلّي قوة الشمس في الفرد. وفي الأسطورة الأورفية، فانيز هو الشمس بينما دايونيسوس هو تجلّي قوة الشمس في الفرد. والحال ذاتها مع باقي أبطال الأساطير المشابهة الأخرى. فيما يلي سرد سريع لعينات مختلفة من أبطال الأساطير الذين مُنحوا لقب "المخلّص" وسنعيد خلالها تصويب المعنى الفعلي لدور كل منهم في الأسطورة.



غالباً ما تُصوّر النفحة الإلهية المتجلية في النفس الأنثوية على شكل حمامة بيضاء، وهذه الأخيرة ترمز للرقة والوداعة والمحبة. هذه هي صفات النفحة الشمسية التي هي مرهفة جداً لدرجة تجعلها قابلة للتلاشي والزوال فوراً في القسم الدنيوي إذا لم تكن البيئة مناسبة لها.

حورس المخلّص

ذكرنا سابقاً كيف قُتل أوزيريس على يد شيط حيث المعنى الباطني لهذه الحالة هو غياب أوزيريس من حياتنا الدنيوية. أما كيف ذُبح أوزيريس على يد "شيط" الذي قطعه إلى أربعة عشر قطعة وبعثرها في مخابئ مختلفة، وكيف سعت إيزيس الأرملة مكسورة القلب جاهدة في البحث عن تلك القطع حتى وجدتها، وكيف ولدت ابنها حورس من أوزيريس الميّت دون اتصال جنسي، وكيف كبر حورس وصار رجل مستعد لتحدي ومواجهة "شيط"... كل هذه المشاهد المختلفة من الأسطورة لها معاني باطنية تكشف عن مجريات خفية في كيان الفرد بحيث لا يستوعبها سوى من يملك مفاتيح المعاني الحقيقية للرموز.



حورس المخلّص

فيما يتعلق بدور الإله حورس، وهو الذي يهمنا هنا، نجد أنه الأكثر تعرضاً للتحريف والتزييف حيث كانت أدواره متعددة ومتنوعة في فترات مختلفة من التاريخ المصري مما صعب الأمر أكثر. في إحدى الفترات ارتبط بالإله رع، مما يجعله ممثلاً للشمس المركزية أي ابنها المقدس وبالتالي يمثل النفحة الشمسية. لكن في فترات أخرى جعلوه الإبن المقدس في الثالوث الشهير

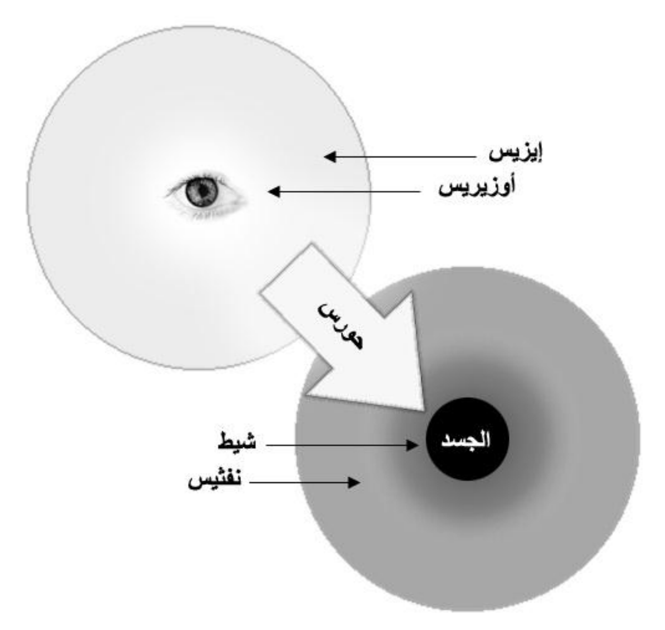
[أوزيريس/إيزيس/حورس] أي الأب والأم والإبن. رغم تعدد أدواره إلا أنه حافظ على رمزيته الممثلة بالرجل ذو رأس الصقر. في ما يُعرف بـ"كتاب الأموات" ظهر حورس بدور شفيع الأموات الماثلين أمام أوزيريس. وفي ما تُعرف بـ"نصوص الهرم" صوّروه مع "شيط" وهما يقيمان السلّم الذي يساعد الميت على الصعود إلى العالم الآخر. الرسومات التي تصوّر صراعه الشهير مع "شيط" تملأ كل مكان. هذا الصراع يرمز إلى النزاع الجاري بين القسم العلوي من الإنسان وقسمه الدنيوي ولهذا السبب جعلوه صراع تاريخي بين مصر العليا ومصر الدنيا (ومصر هنا تمثل كيان الفرد) وكانت الغلبة أخيراً لمصر العليا التي كان يحكمها حورس. وردت في بقايا النصوص الصامدة من تلك الفترة أسماء توصف أدوار مختلفة لحورس مثل "حيرو خنتي" أي حورس الأعمى، ووصفته بأنه في هذه الحالة خطيراً حيث كان يهاجم أصدقاءه لظنه بأنهم أعداء. وهناك نصوص ورد فيها اسم "نفر حور" ويعني حورس الجميل أو حورس اليافع. من بين الأسماء الأخرى التي أشارت إلى حورس في النصوص نجد: "حيرو با خارت" أي حورس الطفل، و"هت حيرو" أي بيت حورس، و"حيرو ماخو" أي حورس في الأفق، و"حيرو با نب تاو" أي حورس سيد الأرضين، و"حيرو أوريس" أي حورس الأكبر.. وهكذا إلى آخره.

هذه الأوصاف المختلفة والمتناقضة أحياناً لن تعد تبدو كذلك بعد الاطلاع على تعريف المؤرخ الإغريقي "بلوتارش" Plutarch لحورس خلال تناوله أسطورة أوزيريس إذ قال: *".. أوزيريس يمثل البادئ أو البدء، وإيزيس هي المبدأ المتلقي، وحورس هو مجموع الاثنين معاً. أي أن حورس الناشئ بين هذين المبدأين ليس أبدي ولا راسخ بل في حالة تحوّل وتجدد دائم، لهذا يتخذ هيئات وأشكال متعددة، يولد عند بداية كل دورة فيبدأ كطفل صغير ثم يكبر إلى أن يموت ثم يولد من جديد وتستمر الدورة بالتكرار وكأنه لن يموت أبداً.."*

الوصف الذي ذكره "بلوتارش" هو ذاته وصف <u>النفحة الإلهية</u> المذكورة سابقاً والتي ترافق النبضة الشمسية نحو التجسيد المادي. لكن هذا لم يكمل الصورة بعد. النفحة الإلهية هي النور الإلهي الذي يحاول جاهداً أن يتجلى في كيان الفرد لكنه يواجه مقاومة من قبل الشيطان (الجسد المشغول بالمغريات الدنيوية والذي يستحوذ تماماً على تفكير الفرد) لكن تستمر هذه النفحة الإلهية بمحاولاتها إلى أن تنجح أخيراً في التغلغل في كيان الفرد وحينها تتجلّي فيه قوة الشمس. لهذا جعلوا حورس يحتل مكان أوزيريس في الأسطورة حيث هذا يعني أن أوزيريس تجلّى في الفرد فعلياً بعد أن نجح النور الإلهي (حورس) في التجلّي بكيانه.

الذي يتجلى فيه حورس يتجلى فيه أوزيريس، وهذا يعني أن الفرد أصبح مندمجاً مع الشمس المركزية لديه بفعل الرنين المتناغم ويتمتع بنعيمها. لكن هذا لن يحصل إلا بعد أن يتحرر تماماً من أغلال العالم الأرضي وإغراءاته الوهمية. كلمة "حورس" هي المرادف الإغريقي للكلمة المصرية الأصلية "حيرو" وتعني حرفياً "الحر" أي الذي تحرّر من قيود الدنيا. هذا يجعل حورس ممثلاً للإرادة الحرّة وهذه الأخيرة تمثل جوهر ألوهية الإنسان، حيث من دونها لكان الإنسان خاضعاً تماماً لسيطرة نوازعه العاطفية وميوله الغريزية، وبالتالي لا يمكن للنمو الروحي أن يحصل إلا في حضور الإرادة الحرّة التي تساعد الإنسان على ضبط سلوكه وتصرفاته بحيث يجعلها مستقلة تماماً من دوافعه العاطفية والغريزية. الكثير من الناس يجهلون مدى حرية إرادتهم لأنهم يتصرفون وفق دوافع عاطفية بحتة مما يجعلهم يعتقدون بأنه لا يمكن مقاومتها وهذا يؤدي إلى غياب أي أمل في سيادة جانبهم العلوي أي الروحي. على هذه الحالة المؤسفة أطلق الحكماء اسم "حيرو خنتي" أي "حورس الأعمى". أي أن للفرد إرادة حرة على عواطفه وغرائزه لكنه يجهل ذلك.

يُعتبر حورس بأنه أوزيريس ذاته بعد قيامته من الموت، أي أن الفرد قد أحرز أخيراً حالة الارتقاء الروحي بعد قتل الإنسان الحيواني بداخله وبالتالي أصبح مولود من جديد بهيئة الإنسان النموذجي المثالي.



دور حورس (النفحة الإلهية) في نموذج الفقاعتين (العلوية والسفلية)

حورس هو تشخيص للانبعاث الإلهي، النفحة الإلهية التي تموت وتولد من جديد مع كل نبضة شمسية. وهذا يجعله ابن "أوزيريس" الذي يمثل الشمس الكامنة في داخلنا (والشمس بدورها تمثل الابن المقدّس للإله الأعلى) والتي ذبحتها طبيعتنا الدنيوية.

تعتبر المدارس السرية حورس بأنه المرتبة التي يحرزها الإنسان المنتسب إلى المدارس السريّة (خضع لتدريبات صارمة) وتخرّج منها متحرراً من أغلال العالم الأرضي وإغراءاته (أي تحرّرت نفسه من القيود الوهمية للدنيا الزائلة). يصبح بعدها المسيح الذي ينبعث منه نور الإله.

كان حورس يعتبر تشخيص للانبعاث الإلهي، هو ابن "أوزيريس" الشمس الكامنة في داخلنا ".. التي ذبحتها طبيعتنا الأرضية.."، حورس هو ابن الإله الأعلى الكامن في الإنسان، ابن السماء وفتى الأرض. عندما يحرز المريد تلك المرتبة التي تجعله متماثلاً مع "حورس" يقول كهنة الهرم بأنه "تقدّس" (تألّه) في صالة "سيب". دون "حورس" لا يمكن أن يكون هناك ولادة من جديد، ولا كمال، لكن بوجوده كان وسيبقى هناك حياة أبدية.

الأمر المهم هو أن أسطورة أوزيريس وإيزيس وحورس (الأصلية أو المحرّفة أو الفلكية) لم تبقى محصورة ضمن الثقافة المصرية بل انتشرت في كافة حضارات العالم القديم حيث لازال العشرات من هذه القصص المتشابهة قائمة في المراجع التاريخية، وحتى بعض الأديان الكبرى القائمة اليوم تتمحور حول ذات القصة.

صحيح أن أسطورة أوزيريس وحورس وإيزيس لم تحافظ على هيئتها الأصلية لكن مع انتقال الأسطورة إلى ثقافات أخرى يستطيع الباحث التعرف على المزيد من المعاني الباطنية لهذه الأسطورة بعد الإطلاع على تلك الأساطير التي تم استنساخها لاحقاً من قبل الحضارات الأخرى، مثل الأسطورة اليونانية حول دايونيسوس الذي أشاروا إليه أحياناً باسم "دايونيسوس/أوزيريس" كإشارة إلى صلتها الوثيقة بالأسطورة المصرية الشهيرة.

....

دايونيسوس المخلص

ظهرت التعاليم الأورفية Orphic Mysteries في اليونان بين القرن الرابع عشر والقرن السادس قبل الميلاد، وتمحورت تعاليمها حول المخلّص "دايونيسوس" Dionysos. إن ظهور هذه العبادة الأورفية لشخصية "دايونيسيوس" Dionysos يُعتبر واقعة مهمة جداً في تاريخ الدين الإغريقي حيث مثّلت فترة يقضة روحية حقيقية. أهم الأفكار العظيمة التي أخذت بها هي الإيمان بالقدسية الجوهرية للإنسان وخلود النفس حيث لها وجود سابق ولاحق لوجودها الحالي. ضرورة أن يتمتع الفرد بأكبر درجة ممكنة من المسؤولية والتقوى. وأخيراً، خلاص الإنسان من طبيعته الدنيوية عبر إعادة البعث من جديد وذلك بمساعدة ذاته المركزية (الشمس الباطنية).



دايونيسوس

تحدثت التعاليم الأورفية عن السبب الأوّل (المطلق جلّ جلاله) وسلّمت بأنه يتعذّر وصفه مما يجعل التفكّر به مستحيلاً. كما تناولت حقيقة الظهور والاختفاء المتناوب للأشياء (ذبذبة) من مستوى الذرّة

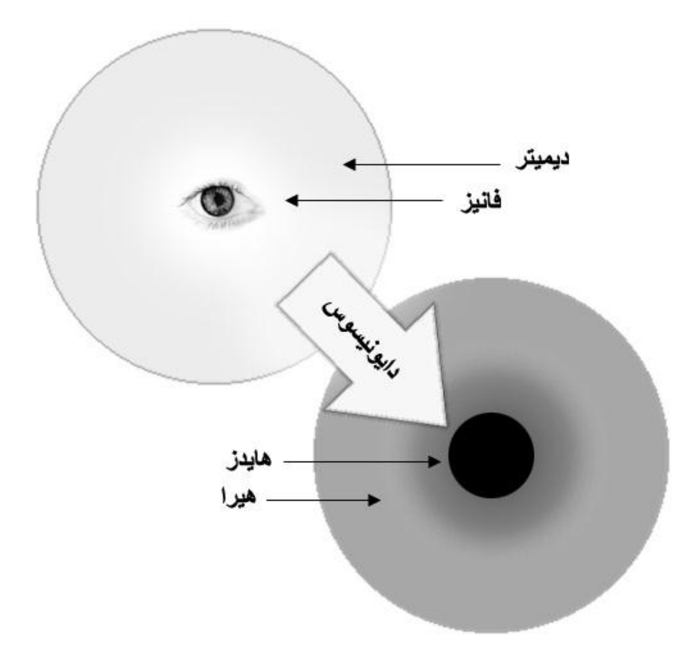
حتى مستوى الكون. وتحدثت أيضاً عن تناسخ الأرواح، وقانون الإيقاع، والجوهر الإلهي المتأصّل في كل الأشياء، وتناولت أيضاً الطبيعة المزدوجة للتجلّي الكوني (باطني وظاهري). تحدثت عن الانبعاثات السبعة التي انبثقت من اللامحدود المؤلف من "أيثر" (الروح) و"كايوس" (المادة الأوليّة) واللذان برزت منهما البيضة الكونية التي فقست فيما بعد وانبعث منها "فاينيز" الابن المقدس. *(أسلفت ذكره في جزء سابق)*

وفقاً للتعاليم الأورفية، يُعتبر "فاينيز" المولود الأوّل الذي فقس من البيضة الكونية، ثم تبعه في سلسلة ذريته كل من "أورانوس" و"كرونوس"، ثم "زيوس" الذي أطلق سلسلة ذريته الخاصة من الآلهة الأصغر وعدد هذه الانبعاثات هو سبعة، ومن بينهم كان "زاغروس دايونيسيوس" Zagreus-Dionysos الرجل الإله، المخلّص الذي انبعث من جديد. من أهم الخصائص التي اتسمت به التعاليم الأورفية حول نشوء الكون هو الأهمية التي مُنحت للرقم سبعة.

بالإضافة إلى قصة نشوء الكون التي تناولتها التعاليم الأورفية باستخدام الاستعارات والقصص الرمزية، نجد أنها تناولت أيضاً مراحل نشوء الذات الوهمية (الأنا) والممثّلة بشخصية "زاغروس"، الإنسان الفاني الذي وُلد من جديد باسم "دايونيسوس"، المخلّص الإغريقي الذي تحدثت عنه التعاليم بطريقة محجوبة ضمن مجموعة من الأساطير والحكايا الرمزية. "دايونيسوس" هو تجلّي الابن المقدس في الإنسان. هو استنساخ طبق الأصل للمخلّص المصري "حورس" وتعتبر هذه القصة من بين العشرات إن لم نقل المئات من القصص المشابهة التي سادت جميع أمم العالم القديم، السيناريو هو ذاته لكن أسماء الأبطال تختلف حسب اختلاف الثقافة والحضارة.

كما باقي المدارس القديمة الأخرى، تُقسم التعاليم الأورفية إلى قسمين: تعاليم ظاهرية وتعاليم باطنية، معظم الأدبيات المتعلقة بالتعاليم الظاهرية ضاعت عبر الزمن ولم يصل إلينا إلا القليل المشوّه، بينما التعاليم الباطنية لم تُكتب بل تم تناقلها شفهياً. لكن رغم ذلك نرى عدد كبير من الفلاسفة والمؤرخين والروائيين في العالم القديم تحدثوا بإسهاب عن الأدبيات الدايونيسية، شخصيات عظيمة مثل أفلاطون وفيثاغورث وفلاسفة الأفلاطونية المستحدثة، وأعظم المؤرخين بالإضافة إلى بعض آباء الكنيسة الأوائل مثل كليمنت الاسكندراني ويوسيبيوس وترتوليان وجوستن وأوغسطين.

عامة الناس لم تعرف سوى الاسم "دايونيسوس" في الأسطورة بينما الاسم "زاغروس" هو الاسم الذي استخدمه العارفون فقط خلال اطلاعهم على التعاليم الباطنية الأورفية. لهذا السبب لم نرى أي ذكر لاسم "زاغروس" في الكتابات الموجهة للعامة مثل أعمال "هومر" و"هيسيود"، إذ جميعها تحدثت عن "دايونيسوس". لهذا السبب لم تكن الصورة واضحة بخصوص مفهوم المخلّص حيث معظم المراجع التي تناولت موضوع دايونيسوس اعتبرته يمثل الإبن المقدس وهذا خطأ كبير اقترفه المترجمون أو المفسرون حيث دايونيسوس هو تجلّي نفحة الابن المقدس في الإنسان وليس الابن المقدس بذاته. أي بمعنى آخر، هو الابن المقدس للابن المقدس، أي هو المخلّص (النفحة الشمسية).



دور دايونيسوس *(النفحة الإلهية) في نموذج الفقاعتين (العلوية والسفلية)*

إذاً، الفرق بين "زاغروس" و"دايونيسوس" هو أن الأوّل يمثل الإنسان العادي بينما الثاني هو الإنسان الذي تجلّت فيه قوة الإله، تجلّى فيه نور الشمس الباطنية.. الإبن المقدس.. المخلّص. أما "زاغروس" فهو الانعكاس لصورة الابن المقدس في مرآة العالم المادي، هو الأنا التي تشكّل انعكاس للذات الحقيقية. هذا الانعكاس هو الذي انقضّ عليه الجبابرة الاثنى عشر وذبحوه وقطعوه إلى أربعة عشر قطعة فاكتشف زيوس الأمر فقصفهم بالصاعقة الرعدية وأحرقهم فجبل رمادهم مع بقايا "زاغروس" فتشكّلت الخلطة التي يتألف منها الإنسان الدنيوي العادي. الجبابرة الإثنى عشر يمثلون القوى التي تدخل في تكوين الإنسان العادي وتربطه بالعالم المادي ومغرياته. بعد التخلّص من هذه

المكونات المعيقة لارتقائه (التحديات الاثنى عشر في أسطورة هرقل) يصبح بعدها الإنسان مولوداً جديداً، ويصبح كيانه بيئة صالحة لتجلّي النور الإلهي فيتخذ اسم جديد هو "دايونيسوس" بدلاً من "زاغروس".



باخوس هو الاسم الذي تم استخدامه في زمن الرومان للإشارة إلى دايونيسوس. الخمر الذي كان شعاره يرمز إلى الإلهام الإلهي، أي هو شكل من أشكال الحالة الصوفية. لكن عندما فقدت مفاتيح التعاليم السرية لهذا المذهب تم ترجمة رموزه حرفياً (لم يأخذوا معانيه الباطنية) فهبطت طقوسه إلى مستوى فاسق ومتهتّك إذ أصبحت تمثل احتفالات سكر وعربدة.

الرموز الرئيسية التي تمثل "دايونيسوس" هي الخمر والعنب والتي لها معنيان في التعليم السرية لهذه المدرسة، الأوّل هو المعنى السليم بينما الثاني هو المحرّف. الخمر يرمز إلى روح المخلّص بنفس الطريقة التي يرمز فيها الخبز للجسد وكلاهما استخدما في الطقوس السرية. عندما يتجلى الإله الداخلي (النفحة الشمسية) في كيان الفرد المؤهّل لذلك، تشعّ كامل طبيعته بنور الإله وحيويته. لكن الذي يسعى إلى تجلّي هذا الإله الداخلي دون أن يكون محضّراً لذلك فسوف يُدفع إلى الجنون أو قد يدمره هذا التجلّي كلياً. حفلات السكر والعربدة التي مجّدت دايونيسوس أو باخوس (اسمه الروماني) والتي ظهرت لاحقاً هي تشويه لمراسم الطقوس الأصلية.

....

بوذا المخلّص

من أجل فهم المعنى الباطني لقصة بوذا، علينا التخلي عن معظم الروايات التاريخية والتسليم بحقيقة أنه في الهند، ومنذ البداية، كل شخصية مذكورة في الأدبيات الدينية لا تمثّل شخص بعينه بل تشخيص لمبدأ كوني. كافة الأساطير الهندية، أو الشرقية عموماً، هي مجموعة من الحكايا الرمزية التي يتم فيها تشخيص القوى المختلفة للطبيعة أو الكون. هذه الحالة موجودة في الغرب أيضاً حيث تم اعتبار الكثير من الشخصيات المذكورة في الأساطير بأنها تمثل أشخاص حقيقيون عاشوا يوماً في إحدى فترات التاريخ. لكن في الهند عُرفت هذه الممارسة (تشخيص القوى) منذ فترات سحيقة، وقد انتقلت من الهندوسية إلى البوذية. البعض يزعم بأن البوذية تمثل انشقاق عن الهندوسية لكن هذا ليس صحيحاً إذ يمكن اعتبارها عملية إصلاحية، أي إعادة تصويب المسار. البوذية هي امتداد للهندوسية والفرق يكمن في أن البوذية أعادت صياغة المعاني الباطنية للشخوص والرموز الواردة في الأساطير التي تتمحور حولها التعاليم الهندوسية. بمعنى آخر، البوذية هي امتداد لعملية تفسير التعاليم المشفّرة التي بنيت عليها الهندوسية. أي كل ما فعلته هو العودة إلى المفاهيم الأساسية للديانة الهندوسية وربطها مع مصادرها الأصلية، وتلك المصادر كانت عبارة عن تعاليم مشفّرة انحدرت منذ زمن البرهميين القدامى وهم أوّل من وضع المخططات الأولية لتركيبة الكون ووجدوا المفاهيم الأولية للوجود وهي ذاتها المذكورة في نصوص الفيدا التي انحدرت إلينا من ذلك الزمن الغابر لكنها وصلتنا بطريقة مشوهة ومحرّفة بدرجة كبيرة. حتى الفرد الهندي يعجز عن فهم واستيعاب الأفكار الباطنية لهذه التعاليم. الحال ذاتها كانت سائدة في فترة ظهور البوذية مما تطلب إعادة نظر في التفسيرات والشروحات التي بنيت عليها الفلسفات الهندوسية المختلفة. لهذا السبب، أوّل ما فعلته الفلسفة البوذية هو إلغاء كافة أشكال العبادات (الصنمية والرمزية) السائدة في التعاليم الهندوسية وشجعت على توجيه اهتمام الفرد كلياً نحو عالمه الداخلي والتخلي عن كافة الاهتمامات الدنيوية. وهذا جعل البوذية تلعب دوراً جوهرياً في الحياة الروحية والثقافية والاجتماعية في جزء كبير من العالم الشرقي.

يمكن تلخيص التعاليم البوذية بفكرة بسيطة ومباشرة: الحياة الدنيوية يتخللها العذاب والمعاناة بسبب الرغبات الدنيوية التي تسيطر على الفرد. وبالتالي فإن إلغاء الرغبة يؤدي إلى انعدام المعاناة. وأنه يتم إحراز التنوّر (تجلي النور الإلهي) الذي يخلّص الفرد من شباك الرغبة والمعاناة ودورة الحياة الدنيوية عموماً هو السلوك السليم والحكمة والتأمّل.

إذاً، لكي يحرز الفرد حالة التنوّر عليه اختراق القيود التي تفرضها عليه حواسه ومتطلبات شخصيته الوهمية (الأنا) وأن يسعى إلى إدراك ذاته الحقيقية التي تقبع في جوهره. وأن يعلم عبر التجربة والاختبار حقيقة أن العالم المرئي والملموس الذي يحيطه هو عبارة عن وهم، والكفاح من أجل عيش الواقع الأبدي الذي يقبع بداخله. أي خلال وجوده الأرضي على الفرد أن يعيش في حالة قدسية كاملة يحافظ خلالها على طهارة النفس من أي شائبة دنيوية يمكن أن تدنسها.

وفقاً لمفهوم الشمس المركزية الذي يمثل موضوعنا الرئيسي، تعلّم البوذية بأنه على الفرد إدراك حقيقة أن شخصيته أو الأنا لديه هي عبارة عن انعكاس وهمي للذات المركزية التي تقبع في جانبه الباطني. وهذا يجعله أسيراً للوهم، وبالتالي عليه أن يسعى جاهداً إلى اتخاذ الإجراءات المناسبة للخلاص من شباك هذا العالم الوهمي الذي يقيّد حريته، ومن أجل تحقيق ذلك عليه أن يوفر الشروط المناسبة في كيانه لكي يتجلّى فيه المخلّص.. أي البودها (بوذا). لهذا السبب نرى في البوذية نفس القصة عن النفحة الإلهية المنبعثة من الشمس الباطنية والتي تتحدث عنها كل الأديان الأخرى.



جاء الاسم "بودها" Buddha من مصطلح سنسكريتي قديم يعني "التنوّر"، أي الصحوة أو الإدراك أو استعادة الوعي الحقيقي. الإنسان المتنوّر هو من أصبح صاحياً روحياً وهذا بسبب تناغمه مع الذات (الشمس المركزية). لهذا السبب فإن بودها لا يمثل شخص بعينه بل حالة معيّنة. وبالتالي فإن

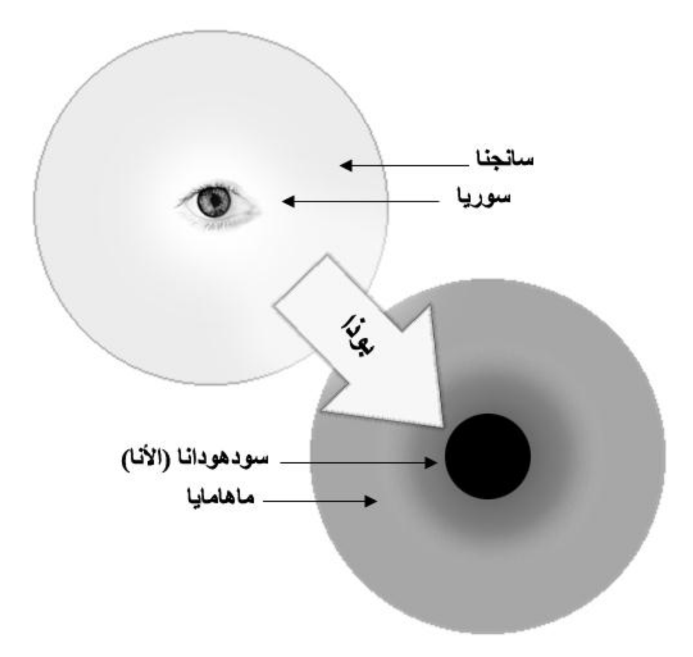
بوذا ليس شخصية تاريخية بل حالة روحية متجلية في الشخص الذي التزم بمسلك ديني معيّن. الأمر ذاته ينطبق على باقي الأديان التي شخّصت معبوديها وبقيت مسألة الالتزام بتعاليمهم اختيارية بين الأفراد (هذا التشخيص للمعبود المقدس أدى إلى ابتعاد الناس كلياً عن جوهر ديانتهم). التنور هو حالة تتجلى بعد إجراء سلسلة من التغييرات في سلوك الفرد وطريقة تفكيره وذلك لتوفير بيئة مناسبة لتجلي حالة التنوّر في كيانه.

وفقاً لإحدى الأساطير البوذية، في البداية جاء "سوريا" Surya إله الشمس (أي الشمس المركزية التي ترافق كل مخلوق يتجسّد في العالم المادي) وتقدم من ملكة جميلة في إحدى ممالك نيبال الجنوبية (يختلف اسمها بين قصة وأخرى لكن جميع الأسماء تنتهي أو تبدأ بكلمة "مايا" Maya) وطلب منها السماح له بأن يتجلى عبرها بمولود يخرج من رحمها (تجلّي النور الإلهي). بعد معارضتها في بداية الأمر لكنها وافقت أخيراً بأن تصبح أم لتجلّي النور الإلهي.

يُعتبر سوريا إله الشمس في تعاليم "الفيدا" Vedas، هو يمثل الشمس المركزية في الكيان. هو الوسيط الذي عبره تنبعث قدسية الإله الأعلى. من بين الأوصاف التي نُسبت له في النصوص هو: ".. عين العالم.." (لوكا شاكشوه). هو الابن المقدس لوالديه الممثلين بالروح الكونية (دايوس Dyaus) والمحتوى الكوني (أديتي Aditi). زوجته هي "سانجنا" Sanjna إحدى الأساطير جعلته يلعب دور أحد القوى الاثنى عشر (أديتياس adityas) وهو "سافيتري" Savitri الذي يمثل برج الأسد في منظومة الأبراج الفلكية. وصفت أسطورة أخرى كيف تم صلبه على يد "فيسفاكارمان" Visvakarman، صانع العالم وخالق الآلهة ويُلقب بالنجار، هو "الديميورغ" وفق الفلسفة الإغريقية (صانع العالم).

إن تجلّي سوريا عبر "مايا" Maya يعني تجلّي النفحة الشمسية (النور الإلهي) في ذلك القسم من المحتوى الذي دنسته ملوثات العالم المادي الوهمي. الكلمة السنسكريتية "مايا" (وهم) ترمز للطبيعة الوهمية للحياة الظواهرية. هي وهمية لأنها زائلة لكن مع ذلك يبقى المحتوى السيولي النقي الذي تنشأ منه أوهام الحياة الظواهرية. النقاء الذي يتصف به المحتوى السيولي هو ذاته العذرية التي يتصف بها المبدأ الأنثوي. الأم العذراء الطاهرة تمثل في الحكايا الرمزية المحتوى النقي الذي مهما دنسته الشوائب إلا أن جوهره يبقى نقياً وصافياً وبالتالي إذا تدنّس هذا المحتوى بملوثات العالم المادي يبقى قابلاً لأن يسترد نقاوته من جديد. في قصة بوذا نجد أن "مايا" عارضت طلب سوريا

في البداية، وهذا يرمز إلى أن النفس لم تكن حاضرة بعد لتجلّي النور الإلهي فيها بسبب ارتفاع منسوب الشوائب التي تلوّث نقاوتها.



دور بوذا (النفحة الإلهية) في نموذج الفقاعتين (العلوية والسفلية)

لكن السؤال هو ما هيئة هذا المولود الجديد الذي يمثل تجسيد الإله؟ بعض المدارس قالت بأن المولود هو مخلوق اقترب من حالة الكمال (بودهي ساتفا Bodhisattva) والذي قبل طوعاً بمهمة المجيء إلى العالم لخلاص الإنسان. بعض المدارس الأخرى لها نظرة مختلفة لهذا المولود، حيث بدلاً من كونه إنسان، أي بدلاً من أن يكون بودها فهو "بودهي" Buddhi أي قوة باطنية لامحدودة تسعى إلى إعادة الولادة من جديد لتحرير كل الخلق. ورد ذكر بودهي في سياق تعاليم المدارس الفلسفية الأخرى مثل اليوغا والفيدانتا إذ في الثالوث المقدس الذي أخذوا به مثل بودهي أحد عناصرها ويرمز للحكمة والخير المطلق. بودهي يمثل الحب الخالص غير المنقوص والخالي من الانحرافات أو الأنانية أو المصلحة الذاتية، هو الحب المطلق المتجلّي بشكل غير محدود في الفضاء الكوني وهو برهان على حضور القوة الإلهية. أي بمعنى آخر هذه القوة أو هذا النور اللانهائي يتجلى في الفرد عبر ذلك الحب الخالص.

إذاً، من أجل ولادة "بودها"، على الأم أن تكون عذراء بحيث تحبل به دون دنس. وهذا يرمز إلى ولادة الحقيقة في المحتوى النقي الصافي للنفس. هذا هو مغزى الأسطورة. أي أنه من أجل أن يتجلى فينا النور الإلهي وجب علينا تنقية النفس لدينا لتصبح كما العذراء الطاهرة (هذه الفكرة سوف تتوضح جيداً مع توالي المواضيع). دخل بوذا إلى جسد والدته على عرش يتخذ شكل اللوتس محمول على ظهر فيل (وقد ورد في أحد القصص الأخرى بأن الفيل راود الأم في منامها ليبشرها بقدوم بوذا) الفيل يسمى "غانيشا" Ganesha وهو رمز الحكمة. هو رمز اللياقة والاحتشام. مثّل غانيشا في الميثولوجيا الهندية شخصية مثيرة حيث ارتبطت بمجال التجارة، لكن الحقيقة التي رمز لها غانيشا هي الحكمة لكن الحكمة بصفتها استقامة ونزاهة. الحكمة تكون عديمة الجدوى إذا لم تترافق مع الشرف. الحكمة تكون عديمة المعنى إذا لم يكن الحكيم فاضلاً. لا يمكن إحراز الحكمة أصلاً دون حضور الفضيلة. لذلك تعتبر الحكمة الدنيوية غير حقيقية.

لقد تجلى "البودهي ساتفا" في جسد "مايا" بواسطة الحكمة. وفي تلك اللحظة وضعت زهرة لوتس زرقاء في يدها كرمز البشارة. هذا يذكرنا بمريم العذراء التي أعطاها الملاك زهرة الزنبق. هذه الزهرة مثلت المعنى ذاته في الروايتين، إذ ترمز إلى أن النفس صارت جاهزة لتقبل التجسيد الإلهي. وهناك أمر مثير آخر بخصوص مايا، فهي مرتبطة بشكل وثيق برمز القمر والذي يصورونه بطريقة غامضة تحت قدميها. الأمر ذاته ينطبق على كافة الأمهات العذارى في الثقافات الأخرى حول العالم، لكن شكل الهلال الذي يمثلنه ليس القمر بل شيء آخر تعرفنا عليه سابقاً. وهكذا تعتبر مايا والدة البوذا. هي تمثل النقاء وقد أصبحت أم الحقيقة. هي ذلك الشيء الذي يتعذر تدنيسه. وقد أصبحت أساس الخلاص وقوته. وعدم الدنس يعني السلوك المدفوع من قبل الاستقامة وأن كل العواطف تكون مشرّفة وأنه عبر الحب وحده يمكن للإنسان الحقيقي أن يجسّد الاستطاعة الأعظم للنمو.

علِم ملك البلاد عن حمل زوجته وتقبل الأمر حيث صدق ما قالته. وبعد فترة جاء موعد الولادة فولد الطفل من جانبها الأيمن فماتت الأم بعد سبعة أيام وتم بعدها احتضانه وتربيته من قبل خالته التي كانت أيضاً زوجة الملك. كامل أسطورة بوذا يمكن قراءة معانيها الباطنية من خلال دراسة معاني الأسماء الواردة في القصة. خالته تذكرنا بـ"نفثيس" التي هي أخت "إيزيس" في الأسطورة المصرية لكنها تمثل المحتوى المدنّس لأنها زوجة "شيط" (الأنا)، أي هي تمثل النفس الدنيوية. لكن في قصة بوذا تختلف الحالة حيث توحي بأن ملك البلاد (اسمه "سودهودانا" Suddhodana) هو الأنا التي

سعت إلى توفير الشروط المناسبة لتجلي النور الإلهي فتقبّل ولادته. هذا ما يوحي إليه اسم المملكة (الجسد أو الكيان المتجلي عموماً) التي كان يحكمها حيث تسمى "كابيلافاستو" Kapilavastu، وتعني حرفياً "الأصفر الذهبي" وهذا هو اللون الرمزي للبيئة الداخلية للفرد الذي اندمج روحياً مع شمسه الباطنية (الذات).

من بين الأشياء المهمة التي حصلت بعد ولادة بوذا هو أن الطفل خطى سبعة خطوات في كل من الاتجاهات الأربعة ثم عاد إلى المركز وعاد إلى طفولته. وبهذا يكون قد صنع صليب وكل من أذرعه الأربعة مؤلفة من سبع خطوات. إن لهذا معنى باطني مهم يرمز إلى التجسيد المادي عبر الحلقات السبعة. هذا يعني أن الفرد الذي تجلّي فيه البودهي نجح في التحرّر من قيود التجسيد المادي والحلقات السبعة. وقد احتفل البوذيون الصينيون بهذه المناسبة من خلال وضع زهرة في كل خطوة من هذه الخطوات التي اتخذها بوذا في الجهات الأربعة.

الحياة التي عاشها بوذا بعدها مؤلفة من عدد من المواقف والحالات والظروف المختلفة. خالته التي ربته أصبحت من بين أنصاره الأوائل، وهذا يدل على أن النفس الدنيوية لدى الفرد هي أوّل ما تم ترويضها. بعدها أنضم ابنه إلى أنصاره، ويُشار إليه بالمؤخّر أو المعيق أو المؤجّل. كان اسمه "راهولا" Rahula، ويقصد به الأفكار الدنيوية أو ذلك الشيء الذي تنميه وتقويه العادة والتكرار (قريب الشبه من العقل الباطن). وبعدها تروي القصة كيف التزم في البداية بالتقاليد السائدة في محيطه ثم بدأ بعدها يتحرر منها الواحدة تلو الأخرى.

يمكننا إذاً القول بأن الإنسان المتجسّد مادياً، رجل أو امرأة، هو أحد مظاهر مايا بونين، الأم. وفق هذا المفهوم، جميعنا أمهات (مبادئ أنثوية) لأنه عبرنا يولد نور الحقيقة. عبرنا يتجلى النور الأبدي. وجب علينا تقبل دعوة سوريا (الشمس) أن يولد عبرنا. معظم الناس قد يرفضون هذه الدعوة أو هذا العرض، حيث يرون في ذلك تهديداً لمصالحهم الدنيوية مثل رغباتهم الشخصية وعلاقتهم مع العالم المادي الذي نشأوا فيه وتربوا على قيمه الزائفة. وبهذا نقول بأن الإنسان رفض أن يمثل تجسيداً للمطلق [جلّ وعلا] لأنه غير مستعد بعد أو غير جاهز. عليه خوض المزيد من التجارب في الحياة الدنيوية قبل ذلك. عليه أن ينمو فوق الأوهام التي لازال يعتبرها الآن مهمة. عليه الانتصار على ضعفه وهفواته وعجزه وخطاياه. وهذا ما تم وصفه خلال رواية سيرة حياة بوذا قبل وصول مشهد التنور.

الحياة هي مدرسة كبيرة. نحن جئنا إلى هذه الحياة لنتعلّم، وهذا التعلّم مصحوب بالتجارب والاختبارات ملئها المعاناة والعذاب. لهذا السبب ورد في قصة بوذا كيف منعه والده الملك في البداية من رؤية البؤس البشري من خلال إبقاءه في القصر. لكن بوذا أصرّ على الخروج. وهذه دلالة على أن النور الإلهي لا يمكن أن ينمو في كيان الفرد دون اختبار الحياة الحقيقية والتي يسودها البؤس والمعاناة.

هذه الرواية موجودة في كل مكان وبصيغ مختلفة، لكنها تحاول قول شيئاً لنا، وما تحاول قوله هو الأهم على الإطلاق. كل فرد منا فيه بوذا، لكن يختلف الأمر بين الفرد والآخر في درجة تقدم بوذا لديه نحو التنور. لكن الجميع في النهاية على الطريق نحو الكمال.. نحو إحراز الغاية الكونية النهائية التي كرسوا من أجلها. بالنسبة للبوذيين فإن استكشاف الحياة واختبار تجاربها المختلفة هي المهمة المترتبة علينا لاستمرارية نمونا الداخلي.

أصبح بوذا متنسكاً يسعى لمعرفة الحقيقة. لا يمكن إيجاد الحقيقة من خلال عيش حياة رغيدة ومترفة. نرى صور له خلال هذه الفترة وجسمه نحيل بحيث يبدو الجلد والعظم، هذا لأنه صام عن الطعام خلال بحثه عن الحقيقة. لقد بحث عن الحقيقة في كل مكان، بين الكهول والمرضى والأموات وصولاً إلى الجهلاء ثم الحكماء. تخلى عن مملكته وعن عائلته وذهب وحيداً يبحث عن الواقع الحقيقي للحياة. لذلك في مشهد التنوّر نرى أنه حقق غايته الأساسية. نراه محاطاً بالذين سبقوه على هذه الدرب ووجدوا الحقيقة. نرى أرباب الظلام، مثل "مارا" (مبدأ الوهم المادي) يعود مهزوماً إلى مهجعه الأرضي. لقد فشل الإغواء.. لقد تجاوز بوذا كل الإغواءات والإغراءات. وبهذه الطريقة، وفي صمت الليل أحرز التنور.

بوذا يكمن في كل فرد، لكن كعامل يسمى بودهي buddhi، أي التنور. هو قوة الذات. الذات هي صلة الوصل بين العالم الروحي والعالم المادي. هي الشمس المركزية. نحن نتحدث عن المريد الذي يحاول استكشاف قوة إلهية تكمن بداخله. موجودة بداخله منذ ولادته. تقبع خفية وحيدة مهملة.. حاضرة دائماً للاستجابة مع من يطلب حضورها. بعد أن يصبح الفرد عارفاً بوجودها تبدأ بالتحرّك والتململ توقاً للتجلّي في حياته. على الفرد أن يكون الأم العذراء للحقيقة. على الجسد أن يكون خادم للمطلق (جلّ وعلا). عليه أن يُكرّس للغاية التي خُلق من أجلها أصلاً. العرش العظيم لبوذا بداخلنا يكمن في القلب. لهذا تصوره الفنون البوذية وهو جالس في قلب الإنسان أو يستعيضون صورته

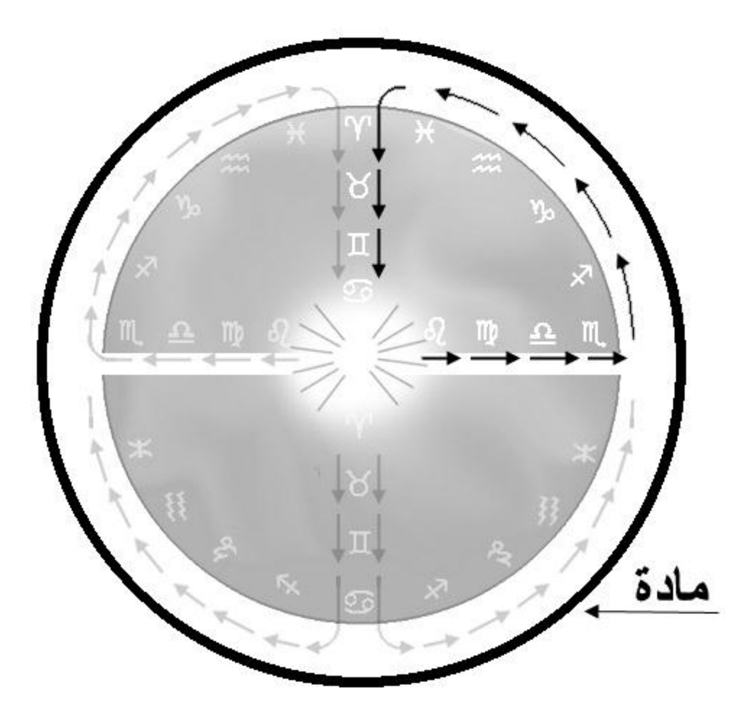
برمز يمثله. هو الذي يأتي لعلاج مآسي العالم. معجزته هي الكمال. إنجازه النهائي هو الاستحواذ الكامل على حياة الفرد، وهذا الاستحواذ يجعل الفرد بطريقة ما يمثل "شاكتي" أي الطاقة الأنثوية التي تحمل النور الإلهي. هذا يجعل الفرد يمثل المبدأ الأنثوي من هذا التفاعل مع النور الإلهي.

كما تقول الأسطورة البوذية، عندما بحث سوريا إله الشمس عن الفرد المناسب الذي سيقبع داخله لمدة ثلاثة سنوات قبل أن يولد بهيئة بوذا، وجد تلك الزوجة الطاهرة للملك الهندي. كانت عذراء، رمز النقاوة والطهارة. وبهذه الحالة هي تمثل الأداة المحضّرة لهذا التجسيد المجيد. طهارتها أصبحت تمثل رمز طهارة الشاكتي (المبدأ الأنثوي) في الفرد والتي لها دور في تجلّي المخلّص. وهنا أقصد النفس لدى الفرد. بمعنى آخر، النور الإلهي لا يتجلى سوى في أنقياء القلب. أولئك الذين هم فاضلون بطبيعتهم. فقط عبر هؤلاء يمكن لقوة بودهي أن تتحرّر وتنطلق. تحرير هذه القيمة الروحية لا يمكن أن يأتي عبر الكره أو الحرب أو الفساد أو التفكك أو أي سبب آخر سوى أن الفرد الذي تتجلى عبره قد حقق طهارة داخلية كاملة. الطهارة عند البوذيين تعني التحرر من الوهم. الإنسان الطاهر هو الذي لا يمكن أن ينجرف مع الخطيئة. لهذا السبب هناك شيء عن عذرية الأم الذي يجعلها تتحلى بطبيعة طفولية بريئة، أي غير فاسدة أو مدنسة أو ملموسة من قبل القيم الكاذبة التي تدنس نقاوة القلب. هذه هي الأم المناسبة لولادة التنور. التنور يأتي إلى القلب النقي. من هنا جاء تبجيل المبدأ الأنثوي الممثّل بالأم العذراء. هذا الموضوع الذي نادراً ما تم تناوله في الأدبيات الفلسفية والدينية إلا بشكل سطحي ومختصر له أهمية عظيمة بالنسبة لكل من يرغب في استيعاب مسألة "الخلاص" بشكل جيّد. لكن الأمر لا يتوقف عند هذا الحد بل يطال كامل مجال الماورائيات.

في الصفحات التالية سوف أتناول موضوع المخلّص لكن وفق صيغة فلكية، وسوف نبدأ من موضوع الوصف الفلكي للتجسيد المادي أولاً وذلك لاستيعاب الفكرة جيداً.

الوصف الفلكي للتجسيد المادي

كان القدماء يعلمون بأن المادة هي عبارة عن محتوى أثيري متبلور مادياً، أي هي تبدو صلبة لكنها غير ذلك. المادة هي تنابض نفحة شمسية مستمرّة، نفس إلهي (زفير/شهيق)، نبضة قلبية كونية، حركة متناوبة صعوداً/نزولاً.. تجلّي/اختفاء.. إلى آخره. بالإضافة إلى ذلك، المادة تمثل أيضاً الطور الرابع لمسيرة التجسيد (دفع، تسارع، عطالة، توقف). وهناك صيغة أخرى تناولها القدماء بخصوص هذا التوصيف الأخير حيث اعتبروا الطور الرابع بأنه مجموع الأطوار الثلاثة السابقة، إذ نظروا إلى المادة على أنها تتألف من ثلاث مكونات أساسية: عنصر محفّز، عنصر متحرّك، وعنصر مقيّد، وكل من هذه العناصر الثلاثة الأساسية مؤلفة من أربع أطوار مما يجعل المجموع العام اثنى عشر طوراً.



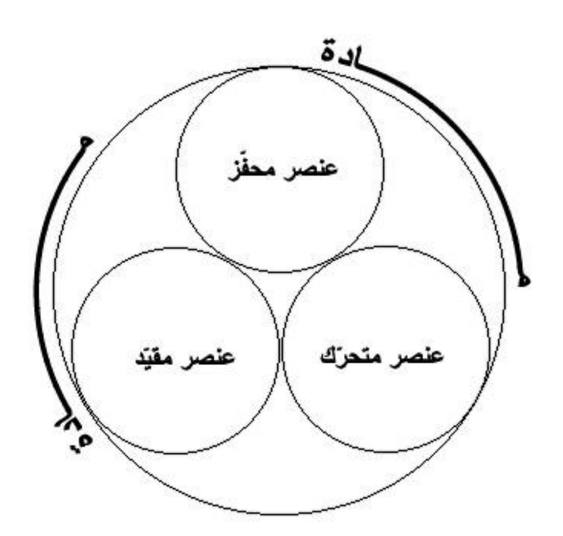
الصيغة الفلكية لوصف عملية التجسيد المادي وفقاً لمفهوم النبضة الشمسية (بأطوارها الاثنى عشر)

المادة تتذبذب بشكل دائم ومستمر بين حالة موت وولادة من جديد

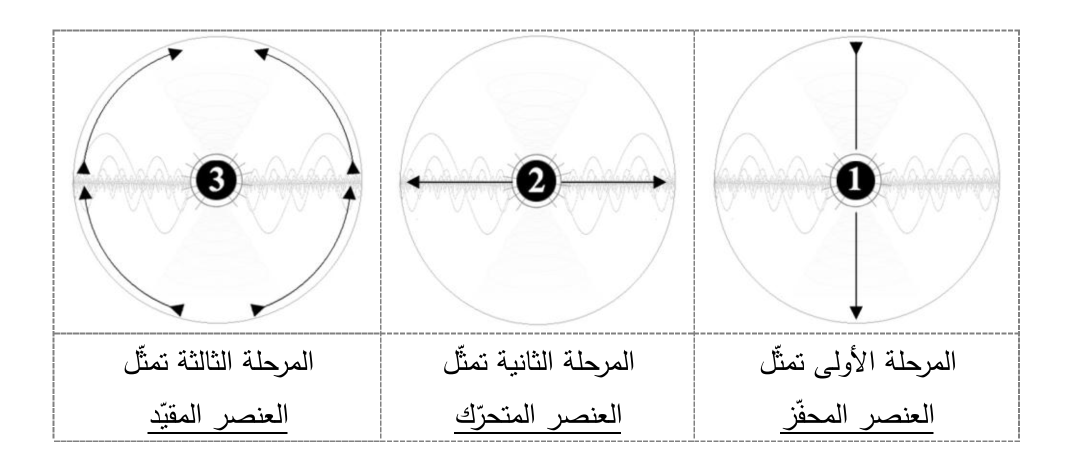
جميعنا نعلم جيداً أن المادة ليست بهذه الدرجة من الصلابة التي نراها، وقد اكتشفنا بأنها عبارة عن مجموعة تفاعلات للمحتوى الإلهي المتذبذب على الدوام. أي أن المادة في النهاية هي المحتوى الإلهي الذي أصبح في درجة معيّنة من الصلابة. لكن السؤال هو: كيف تمت عملية التبلور هذه؟

كما رأينا في الجزأين السابقين، فإن المادة تمثل الطور الرابع لمسيرة التجسيد، وهذا الطور الرابع هو مجموع الأطوار الثلاثة السابقة. وبالتالي، فيما يتعلق بالموضوع الحالي، التجسيد المادي هو مجموع نشاط المراحل الثلاثة للنبضة الشمسية بأطوارها الاثنى عشر، يمكن توضيح الفكرة من خلال الشرح المصور التالي:

تعرفنا سابقاً على أن المادة، مهما كان نوعها، تتألف من ثلاثة مكونات أساسية: [١] العنصر المحفّز، ويُعتبر العنصر المهيمن لكنه ذو قطبية حيادية. [٢] عنصر متحرّك، ويُعتبر العنصر الفاعل النشط وبالتالي يمثّل القطبية الموجبة (+). [٣] عنصر مقيّد، وهو العنصر المنفعل أو المؤطّر للفعل المبذول، وبالتالي يمثّل القطبية السالبة (–).

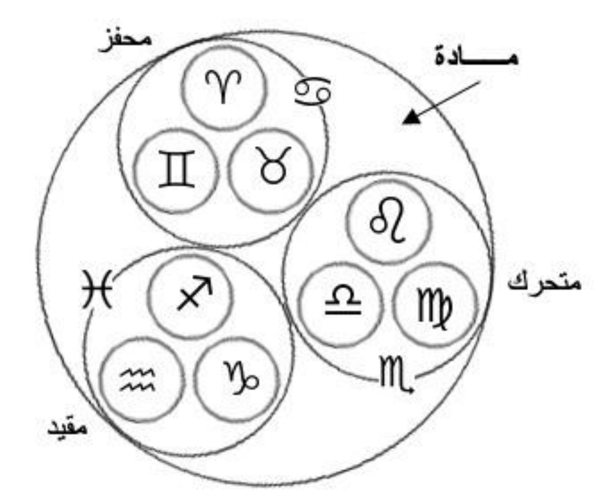


من أجل موافقة الفكرة السابقة مع موضوعنا الحالي المتعلق بالمراحل الثلاثة للنبضة الشمسية بأطوارها الاثنى عشر كل ما علينا فعله هو إجراء مقارنة بين المراحل الثلاثة للنبضة الشمسية والعناصر الثلاثة المكونة للتجسيد المادي، وذلك سعياً لإيجاد تطابق فيما بينها. وكانت النتيجة كما يلي:

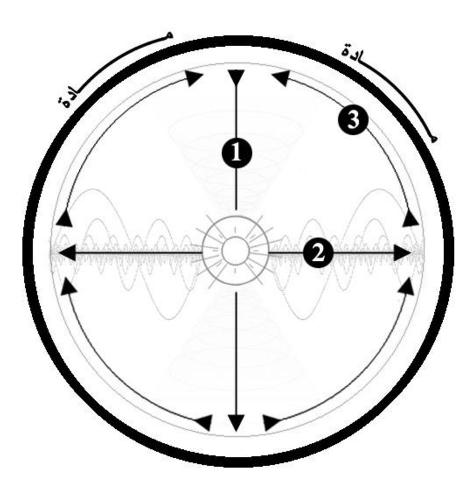


إذا أردنا تصور الفكرة السابقة مع إدخال الأطوار الاثنى عشر في العملية سوف تبدو على الشكل التالي:

كما نرى في الشكل المقابل، العنصر المحفّز يمثل الأطوار (الأبراج) الأربعة الأولى التي تشكّل المرحلة الخاطفة والعنيفة، والعنصر المتحرّك يمثل الأطوار الأربعة الثانية التي تشكّل المرحلة القوية والمتوازنة، والعنصر المقيّد يمثل الأطوار الأربعة الثالثة التي تشكّل المرحلة المشتتة للطاقة مما يسرّع زوالها.

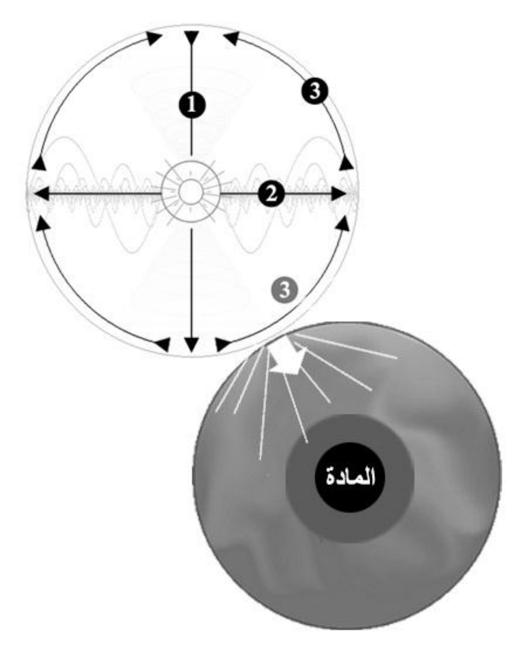


هذا يجعل التجسيد المادي وفقاً لمفهوم النبضة الشمسية (بأطوارها الاثنى عشر) يبدو على الشكل التالي:



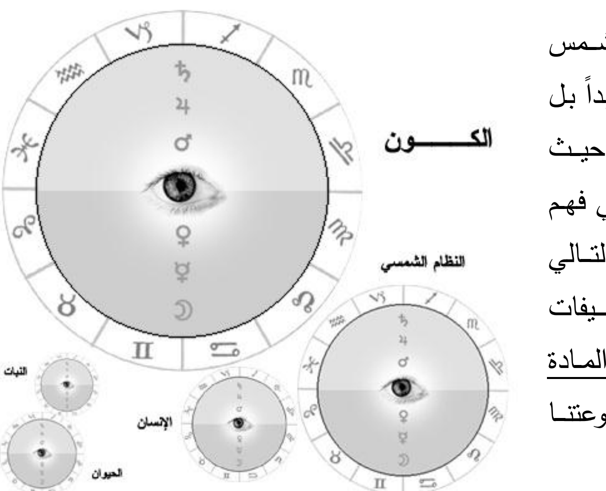
إذاً، وفقاً لمفهوم النبضة الشمسية، المادة هي عبارة عن مظهر وهمي لمجموعة نشاطات باطنية، تبدو ظاهرياً بأنها ثابتة وصلبة لكنها في الحقيقة عبارة عن محتوى نابض على الدوام، وكل نبضة مؤلفة من مجموع نشاط ثلاث مراحل أساسية واثنى عشر طور.

هذا الوصف السابق ينطبق على كافة التجليات المختلفة للمادة الصلبة. أما الصيغة الثنائية التي توصلنا إليها في الفصول السابقة (فقاعتين بدلاً من واحدة) فتجعل النموذج السابق يبدو على الشكل التالي:



اعتبر القدماء الحكمة القائلة ".. *الكلّ يمثّل الجزء والجزء يمثل الكل..*" بأنها تمثّل واقع مسلّم به. الفكرة القائلة بأن المخلوق خُلق بصورة الخالق [جلّ وعلا] وجب أخذها حرفياً وبشكل فعلي. وبالتالي سلّموا بأن الكون هو كائن حيّ عظيم، ولا يختلف عن الإنسان، وأن كل مظهر أو عمل أو تغيير في الجسد الكوني له تجاوب في جسم الإنسان.

إن أكثر مفاتيح الحكمة أهمّية والتي يحرص الكهنة على نقلها للمنتسبين الجدد يكمن فيما يُسمى قانون التماثل *(كما في الأعلى كذلك في الأسفل.. كما هنا كذلك هناك.. كما الآن كذلك كل أوان)*. لذلك، بالنسبة للقدماء، اعتُبرت دراسة الفلك علماً مقدساً، لأنهم رؤوا في حركة الأجرام السماوية نشاطات وتأثيرات حاضرة دائماً وأبداً في جسد الأب اللامتناهي.. الكون، وهذا يؤدي إلى فهم ما يجري في كينونة كل مخلوق في الكون، ابتداءً من الذرّة وانتهاءً بالمجموعات الشمسية والمجرّات.

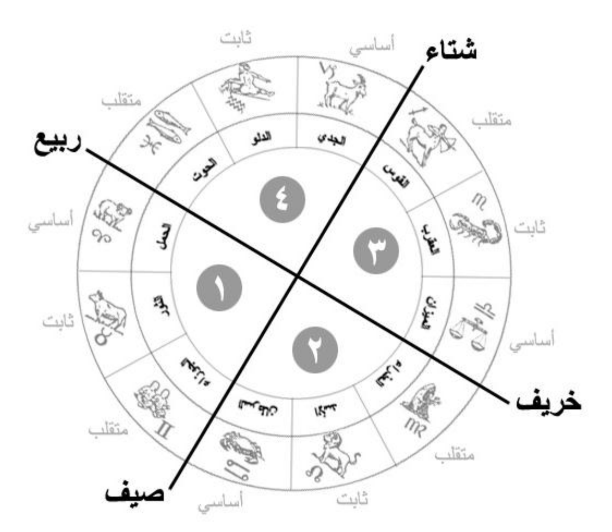


قلنا بأن القدماء استهدفوا دراسة شمس مجموعتنا ليس من أجل دراستها تحديداً بل لكي يفهموا طبيعة كل الشموس، حيث مجرّد فهم طبيعة شمس واحدة يعني فهم طبيعة كل شمس في الوجود. وبالتالي السؤال هو: كيف اسقطوا التوصيفات المختلفة المذكورة سابقاً بخصوص المادة على علم الفلك الذي يتناول مجموعتنا الشمسية؟

من خلال دراسة الشمس القابعة وسط مجموعتنا وجدوا أن النبضة الشمسية تمرّ عبر ١٢ طور قبل اكتمال دورتها. الفترة الزمنية التي تستغرقها لإكمال دورتها سميت سنة، فقُسمت هذه الأخيرة على ١٢ فأصبح لدينا الشهور، ولكل من هذه الأخيرة سماتها وخصائصها التي تميزها عن غيرها، فنسبوا لكل منها رمز معيّن يتخذ صورة حيوان أو كائن يمثّل معنى باطني يعبر عنها.



هناك نظرية شائعة اليوم حول أصل الكائنات التي تمثّل الشهور (الأبراج)، تقول بأنها نتاج خيال الرعيان الذين كانوا يمضون مُعظم ساعات لياليهم يحدقون إلى السماء، فراحوا يختلقون الكائنات والأشياء من خلال رسم خطوط بين نجوم السماء. لكن هذه الفكرة بعيدة كل البُعد الحقيقة. السبب الأكثر منطقياً وراء إنساب كائنات محددة للشهور هو لأنها ترمز لخواص ونشاطات الشمس المختلفة خلال هذه الفترات الشهرية المختلفة.



قسّموا حياة الشمس خلال السنة الواحدة إلى أربعة أجزاء وهذه هي الفصول الأربعة التي نألفها في تقلبات الطبيعة. هنا يتجلّى مبدأ الطور الرباعي للتجسيد المادي. حيث تسلسل الفصول (ربيع،صيف،خريف، شتاء) يتشابه مع تسلسل الأطوار الأربعة للتجسيد المادي (اندفاع، تسارع، عطالة، توقف).

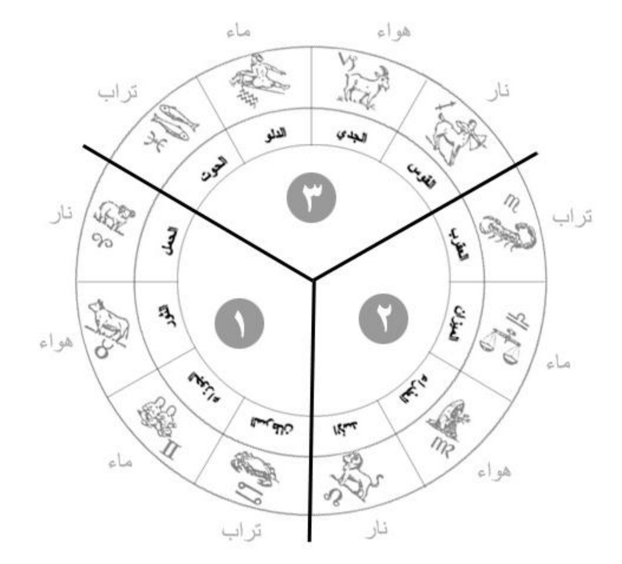
صوروا كامل الدورة السنوية للنبضة الشمسية بدورة حياة إنسان، إذ ولد بعد الانقلاب الشتوي وبدأت رحلة حياته كطفل صغير في مهد الشتاء. عند الاعتدال الربيعي كبُر الفتى ليصبح شاباً جميلاً مفعماً بالحياة. عند الانقلاب الصيفي أصبح الشاب رجلاً قوياً والذي خلال قمة بلوغه رمز إلى حقيقة أن الطبيعة في هذه الفترة من السنة هي في أقوى حالاتها وأخصب عطاءها. عند الاعتدال

الخريفي صُوّروا الرجل كيف أصبح كاهل مسنّ يجرّ قدميه حانياً ظهره وشعره أبيض داخلاً إلى ظلام الشتاء. المسيرة الإيقاعية للرجل تمثل المسيرة الإيقاعية للقوة الشمسية.

هذا التقسيم الرباعي لدورة النبضة الشمسية يجعل لدينا ثلاثة أبراج في كل قسم، وبناء على هذا التقسيم وُجد مفهوم الثلاثيات في علم الفلك والذي يقسم الأبراج إلى ثلاثة أصناف: [١] الأساسية Cardinal (مرحلة خاطفة وعنيفة)، [٢] الثابتة Fixed (مرحلة قوية ومتوازنة). [٣] المتقلبة Mutable (مرحلة مشتتة وسريعة الزوال).



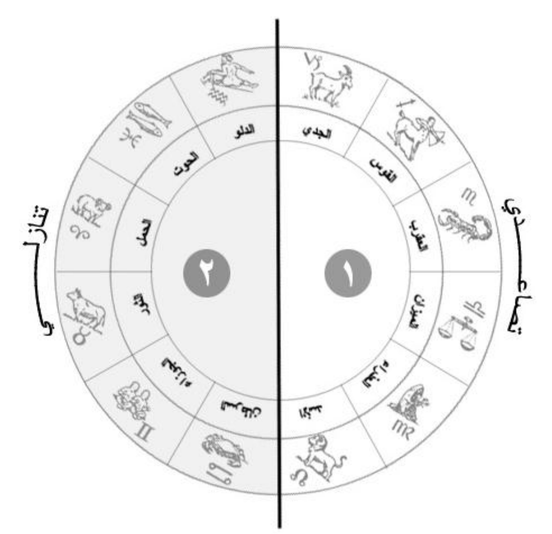
بالإضافة إلى التقسيم الرباعي لحياة الشمس خلال السنة الواحدة، جرى تقسيمها إلى ثلاثة مراحل أيضاً. هذا التقسيم يتوافق مع مبدأ الثالوث للتجسيد المادي. المرحلة الأولى تمثّل العنصر المحفّز، المرحلة الثانية تمثّل العنصر المتحرّك، المرحلة الثالثة تمثّل العنصر المقيّد.





هذا التقسيم الثلاثي للدورة الشمسية فرض وجود ثلاثة مراحل رباعية التكوين. كل مرحلة تتألف من أربع شهور، وكل من هذه الشهور يمثل عنصر من العناصر الأربعة (نار، هواء، ماء، تراب). من هنا جاء إنساب الأبراج للعناصر حيث أقترف الفلكيون خطأ فادح في الترتيب التسلسلي للعناصر فنسبوها للأبراج بطريقة خاطئة.

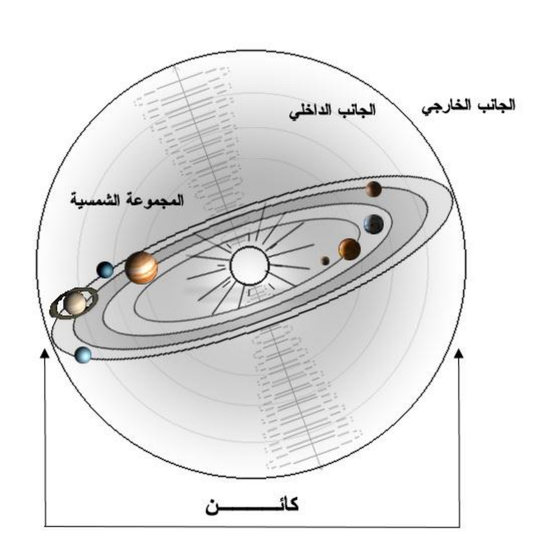
ساد في الماضي تقسيم ثنائي للدائرة الفلكية وأشاروا إليهما بالقسم القمري والقسم الشمسي، أو القسم الليلي والقسم النهاري، وكل من هذين القسمين مؤلف من ستة أبراج، وكان لهذا التقسيم أهمية كبرى بالنسبة للقدماء ولهذا السبب كان معروف جيداً في الحضارات الغربية والشرقية معاً وورد ذكره في العديد من المراجع القديمة.



سبب هذا التقسيم هو أنهم وجدوا طورين للنبضة الشمسية: [١] طور نشط (صعود إيقاع)، و[٢] طور خامل (نزول إيقاع). وهما متساويين، أي ستة أبراج صاعدة وستة أبراج نازلة. هذا هو النفس الإلهي (شهيق/زفير) الذي تحدثت عنه الأساطير والحكايا الرمزية، أو نبضة القلب الكوني. إيقاع دائم وأبدي من الصعود والهبوط. هنا يتجلى مبدأ القطبية بكل معانيه.

إذاً، وُجد علم الفلك أصلاً لهدف رئيسي وهو وصف الآليات والمقومات الداخلة في عملية التجسيد المادي. ولم يجدوا أنسب من دراسة شمس مجموعتنا لتحقيق غايتهم المنشودة. أما السبب الذي دفعهم إلى ذلك فلم يكن اعتباطياً أو نابع من عقلية متخلفة أو عاجزة، بل لأنهم كانوا يدركون جيداً بأن الكشف عن الطبيعة الجوهرية لشمس واحدة يعني الكشف عن طبيعة كل الشموس في الكون.. الظاهرية والباطنية... الكونية والذريّة.. الكل متشابه جوهرياً.

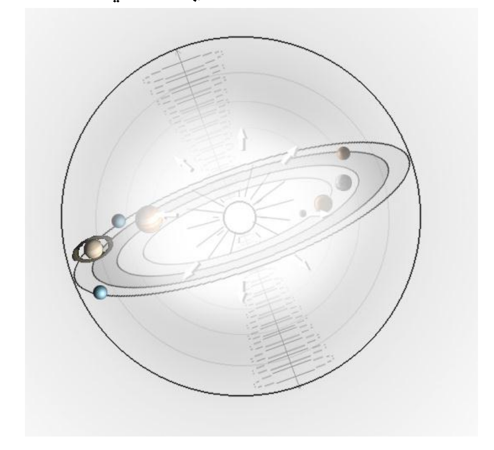
السبب الآخر الذي لا يقل أهمية هو أنهم كانوا على يقين بأن مجموعتنا الشمسية هي عبارة عن محتوى باطني لكائن كوني عملاق. أي أن الشمس التي نراها في السماء هي ظاهرية بالنسبة لنا لكنها باطنية بالنسبة للكائن العملاق إذ تمثّل الشمس المركزية لكيانه. وبالتالي مجرّد أن تعرفوا على المجريات الحاصلة في المجموعة الشمسية يكونوا قد تعرفوا على المجريات الحاصلة في الجانب الباطني لكل مخلوق آخر مهما كان مستواه الوجودي.



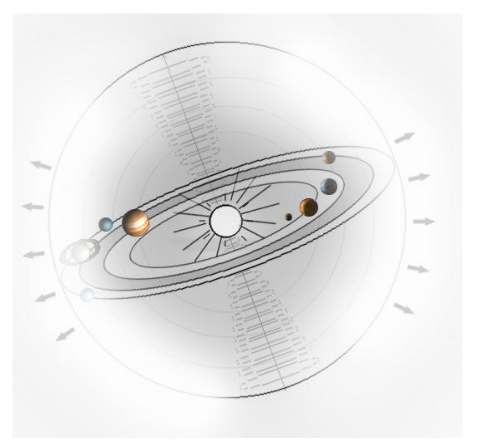
من بين أهم الحقائق التي توصلوا إليها، والتي لها أهمية روحية كبرى، هي تلك المتعلقة بالتقسيم الثنائي للدائرة الفلكية (أشاروا إليهما بالقسم القمري والقسم الشمسي، أو القسم الليلي والقسم النهاري). هذا التقسيم يعتمد على وجود طورين متمايزين للنبضة الشمسية وهما متساويين، أي ستة أبراج شمسية وستة أبراج قمرية. لكن وجب عدم الخلط بين هذا التقسيم الثنائي مع تقسيم ثنائي آخر يتعلق بالنفحة الشمسية حيث هذه الأخيرة لها طور تصاعدي وطور تنازلي أيضاً، أي ستة أبراج صاعدة وستة أبراج نازلة (سوف أتناولها لاحقاً).

في حالة القوة الشمسية يرافق تبادل طوريها تغيير في قطبيتها. أي خلال الطور التصاعدي يكون الوهج الشمسي متجلي بنسبة أكبر في الجانب الداخلي من حدود المجموعة الشمسية. أما في الطور

التنازلي فتكون القطبية معاكسة، أي يتجلى الوهج الشمسي بنسبة أكبر في الجانب الخارجي من حدود المجموعة الشمسية. أي كما في الشكل التالي:



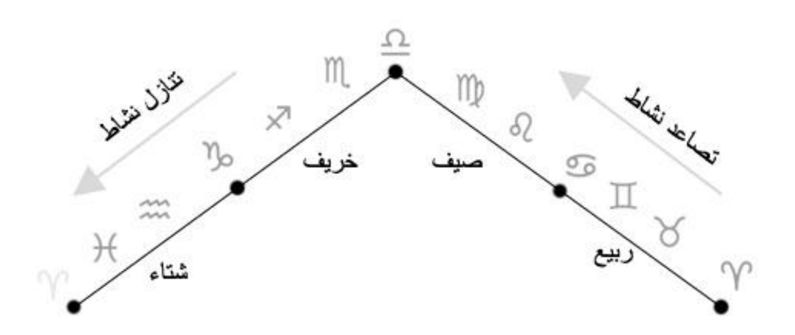
الوهج الشمسي في الجانب الداخلي



الوهج الشمسي في الجانب الخارجي

ملاحظة: أهم مقومات القوة الشمسية هي الضوء والحرارة والطاقة الحيوية عموماً، والتي نلاحظ أنها تضعف إلى أدنى درجاتها في فصل الشتاء فتسود البرودة والعتمة وتدخل الطبيعة في حالة سبات. العلم المنهجي يعزو هذه الحالة (أي ضعف القوة الشمسية) إلى ابتعاد الكرة الأرضية عن الشمس خلال مدارها، وهذا تحليل خاطئ وبعيد كل البعد عن الحقيقة، حيث السبب الرئيسي يعود إلى الطبيعة الإيقاعية للقوة الشمسية، وفي فصل الشتاء يكون الوهج الشمسي متجلي في القسم الخارجي من المجموعة الشمسية. أي بمعنى آخر، خلال فصل الشتاء تعمّ البرودة كامل المجموعة الشمسية وبالتالي تشمل كافة الكواكب وليس فقط كوكب الأرض. هذه الحقيقة يعلمها جيداً العاملون في المشاريع السريّة، وهذا ما كشفته التقارير القادمة من القاعدة البشرية على سطح كوكب المريخ، حيث فصل الربيع هناك يتزامن مع فصل الربيع هنا على الأرض، وكذلك الحال مع باقي الفصول التي تتزامن بنفس التوقيت في كافة كواكب المجموعة الشمسية.

سبق وذكرت بأن القوة الشمسية مقسومة إلى طورين متساويين، أي ستة شهور صاعدة وستة شهور نازلة. فيما يلي رسم بياني لنشاط القوة الشمسية خلال سنة واحدة:



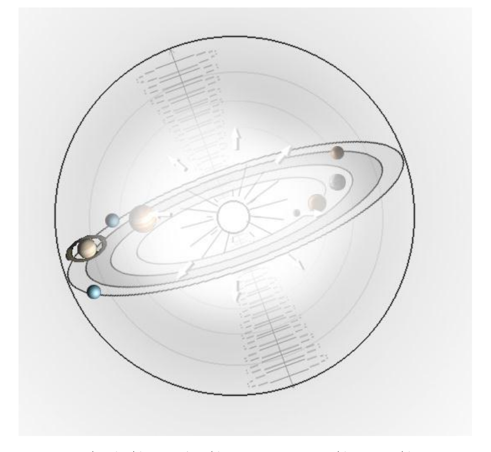
وفقاً للرسم البياني للقوة الشمسية يبدأ الطور التصاعدي عند برج الحمل وينتهي عند الميزان

قلنا بأن القدماء استهدفوا دراسة شمس مجموعتنا ليس من أجل معرفتها تحديداً بل لكي يفهموا طبيعة كل الشموس، حيث مجرّد فهم طبيعة شمس واحدة يعني فهم طبيعة كل شمس في الوجود. سبق وذكرت بأن المجموعة الشمسية تمثل كائن قائم بذاته ونحن نقبع في جانبه الباطني، وبالتالي عندما تحدثوا عن سلوك شمس مجموعتنا فهذا يعني أنهم تحدثوا عن سلوك شمسنا الباطنية حيث ما من فرق بين الاثنين سوى في الدرجة والمستوى، بينما الجوهر يبقى ذاته. ما ينطبق على مجموعتنا الشمسية ينطبق على كل مخلوق في الكون لأنه يمثل شمس قائمة بذاتها، وبالتالي ما يحصل من إجراءات فلكية على مستوى مجموعتنا الشمسية يمكن أن يحصل على كافة المستويات الشمسية لكن مع اختلاف في المواعيد والتوقيت الزمني وذلك بسبب اختلاف المواقع الزمنية والمكانية (أحجام وسرعات ومستويات وجودية) للمجموعات الشمسية المختلفة في الكون.

هناك سرّ مهم جداً عرفه الحكماء القدامى واحتفظ به كهنة المعابد عبر العصور وهذا يثبت حقيقة وجود تناغم وثيق بين الكائن الشمسي (الذي يمثل كامل المجموعة الشمسية) وبين المخلوقات التي تسكن بداخله وهذا يشملنا ككائنات بشرية. صحيح أن غياب القوة الشمسية في فصل الشتاء (أي انتقالها إلى الجانب الخارجي من المجموعة الشمسية) يؤدي إلى موت الحياة فيسود الحزن والمشاعر السوداوية، لكن بنفس الوقت تتجلى حالة أكثر أهمية وروعة لكننا لا نفطن لها بسبب تفكيرنا الدنيوي. قلنا بأن غياب القوة الشمسية في فصل الشتاء يعني انتقالها إلى الجانب الخارجي من حدود المجموعة الشمسية. وبما أنه يوجد تناغم بين الكائن الشمسي (الذي يمثل كامل المجموعة الشمسية) وبين المخلوقات التي تسكن بداخله، فهذا يعني أن القوة الشمسية (النفحة الإلهية) بداخل كل مخلوق في المجموعة الشمسية تنتقل إلى جانبه الخارجي، أي تتجلى ظاهرياً. لهذا السبب لاحظ القدماء بأن

الموارد الباطنية للإنسان تنشط ظاهرياً في فصل الشتاء، أي بمعنى آخر، ينشط جانبه الروحي مع خمول جانبه الجسدي. بينما الحالة تكون معاكسة في فصل الصيف حيث ينشط جانبه الجسدي مع خمول جانبه الروحي وهذا بسبب غياب النفحة الإلهية عن جانبه الظاهري بالتناغم مع حالة الكائن الشمسي ككل.

فصل الصيف

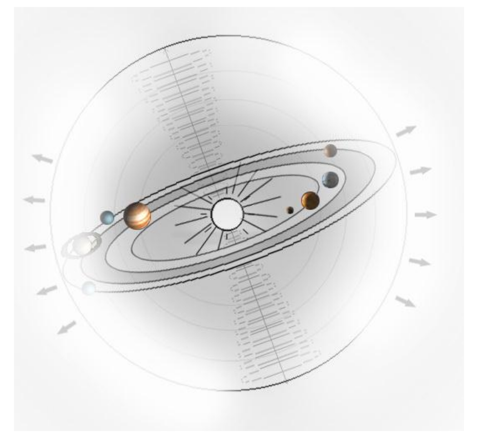


الوهج الشمسي في الجانب الداخلي

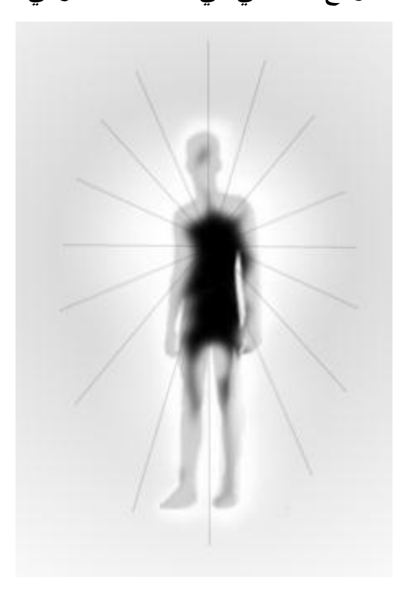


القوة الشمسية داخل الجسم فتمنحه حيوية ونشاط مقابل خمول فكري وروحي

فصل الشتاء



الوهج الشمسي في الجانب الخارجي



القوة الشمسية خارج الجسم فيصاب بالخمول الجسدي مقابل نشاط فكري وروحي

لذلك اعتبر المصريون الفترة الممتدة بين الانقلاب الخريفي والانقلاب الربيعي بأنها فترة جيدة جداً للنشاط الفكري والروحي. في هذه الفترة تكون القوة الباطنية للإنسان قد طغت على جانبه الخارجي. أي بمعنى آخر، النمو المادي للإنسان يتجلى في الصيف بينما النمو الفكري يتجلى في الشتاء حيث الفترة التي تشهد فعلاً ظهور كل الإبداعات والاختراعات والتطور الفلسفي والروحي. لهذا السبب يختار المشعوذون هذه الفترة لممارسة أعمالهم السحرية المختلفة حيث النشاط التجاوزي يكون في أوجه.

إذاً، الشمس الباطنية التي تنشط في القسم الصيفي تضيء الجانب الداخلي للأشياء فتمنحها حيوية ونشاط جسدي، لكن الشمس الباطنية التي تنشط في القسم الشتوي تضيء الجانب الظاهري للأشياء فيحصل خمول جسدي لكن نشاط فكري وروحي. جميعنا على يقين بأن الشمس الباطنية في الإنسان هي الأهم، وهذه الأخيرة تنشط في جانبنا الخارجي مع نشاط شمس مجموعتنا الشمسية في جانبها الخارجي والذي يكون موعده في فصل الشتاء.

لقد تحدثنا عن نشاط جزئي لشمسنا الباطنية والذي يحصل بشكل طبيعي بسبب تناغمها مع شمس مجموعتنا، وهذا النشاط الجزئي يرفع من المنسوب الروحي والفكري، فما بالك لو كان هذا النشاط كامل وشامل بعد قيام الفرد بإجراءات معيّنة تؤدي إلى ذلك؟ كيف ستكون الحالة وما مدى روعتها؟ سوف أتناول هذا الموضوع لاحقاً، لكن المهم هنا القول بأن الظاهرة المذكورة سابقاً (التناغم بين شموسنا الباطنية مع شمس مجموعتنا) مثلت أحد الأسباب العديدة التي دفعت القدماء إلى دراسة سلوك شمس مجموعتنا بدقّة واهتمام.

يمكننا تلخيص الكلام السابق بفكرة واحدة رئيسية: المادة الصلبة تنشأ أساساً نتيجة النبض الشمسي الذي يدفع بالمحتوى ليتكاثف على محيط الفقاعة الشمسية. لكن المسألة لا تنتهي عند هذا الحد حيث بعد إدخال عنصر العقل تصبح النبضة الشمسية نفحة من الوعي النابض باستمرار. هذه النفحة تمثل وعي إلهي صافي، تترافق مع كل نبضة من النبضات الشمسية. هذه النفحة الإلهية هي المخلّص الذي تحدثت عنه التعاليم المقدسة في كافة الأديان والمذاهب. هي بوذا.. المهدي المنتظر.. المسيح.. رسول الله.. تحاول هذه النفحة دائماً أن تتجلى في كياننا المادي لكن دون جدوى، حيث تواجه مقاومة شرسة من قبل كياننا الخاضع تماماً لسيطرة غرائزنا الجسدية (الشيطان)، وبالتالي مصيرها هو دائماً مأساوي حيث تُنبذ وتُلاحق وتعذّب وتموت. لكنها تكرر المحاولة مرة

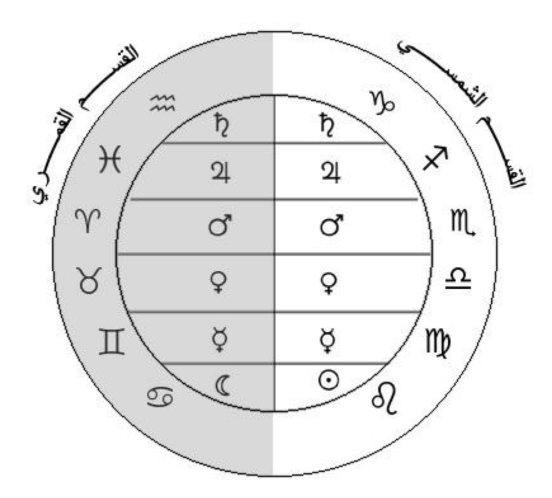
ثانية مع كل نبضة شمسية جديدة، فبعد موتها وتلاشيها مع نهاية النبضة تولد من جديد في دورة أخرى وتستمر المحاولات إلى لا نهاية. لطالما عبرت عنها الروايات الرمزية التي أصبح معظمها حكايا دينية تروي سيرة أنبياء وشخصيات مقدسة. جميع هذه الحكايا تحاول كشف الحقيقة الرائعة التالية: الإنسان الذي تجلّت فيه نور الشمس الباطنية تجلت فيه قوة الإله، تجلّى فيه الإبن المقدس.. المخلّص. هذا ما سوف أتناوله في الموضوع التالي.

....

الوصف الفلكي للنفحة الشمسية

لقد وصفت النبضة الشمسية وكيف تساهم في تجلّي العالم المادي بطريقة فلكية، كما أني وصفت مسيرة القوة الشمسية أو الوهج الشمسي ومظاهر تجليها خارج وداخل المجموعة الشمسية. لكن في هذا الفصل سوف أتناول موضوع مسيرة النفحة الشمسية، وهي ذاتها قصة المخلّص، وكيفية ولادتها ونشأتها ومن ثم خروجها من العالم العلوي لتتجلّى في العالم الدنيوي فيرمزون إليها بأنها صُلبت والصليب هنا يرمز للتجسيد المادي حيث تموت النفحة الإلهية. لكنها ما تلبث أن تولد من جديد مع كل نبضة شمسية جديدة.

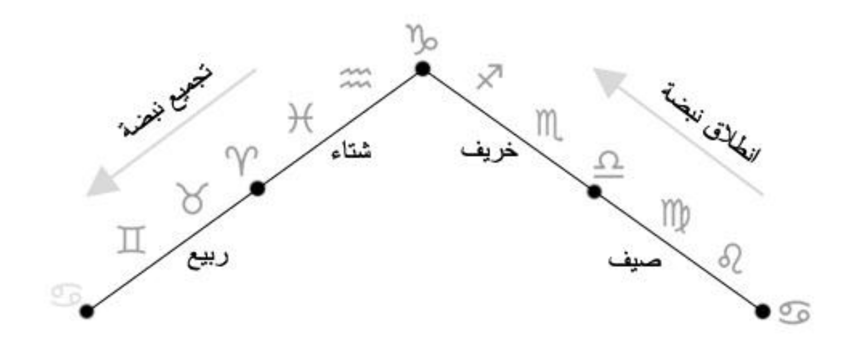
يبدو أن هناك صيغة أخرى للدائرة الفلكية والتي كان يستخدمها القدماء، وهذه الصيغة كانت أكثر شيوعاً من الصيغة المذكورة سابقاً. هذه الدائرة الفلكية كانت أيضاً مقسومة إلى طورين متساويين، شمسي وقمري، لكنها لا تشبه الصيغة المذكورة في الصفحات السابقة. (الشكل التالي):



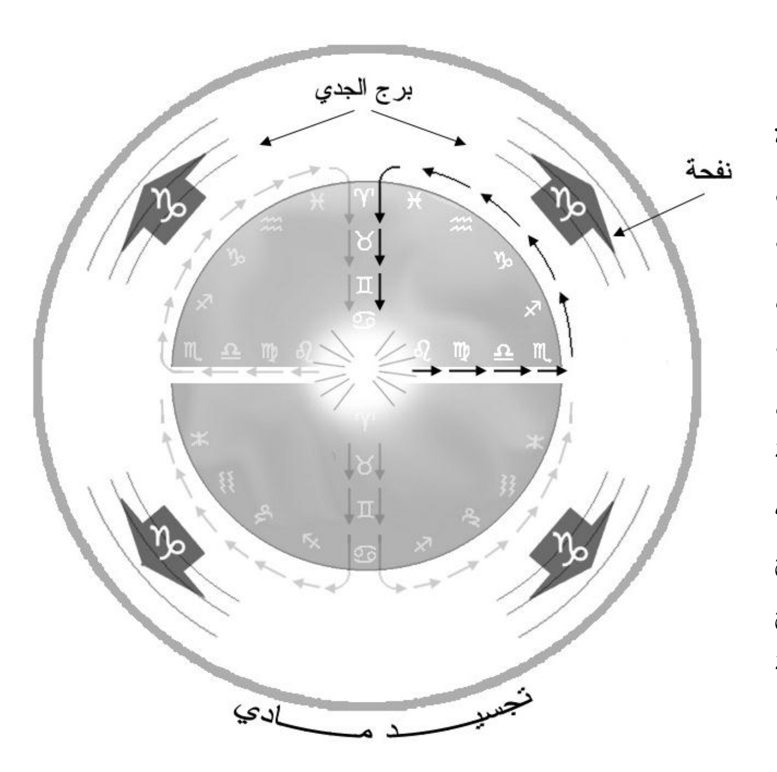
الدائرة الفلكية التي استخدمتها الحضارات القديمة، ويبدو الاختلاف واضحاً في الأطوار بالمقارنة مع الصيغة الموصوفة في الموضوع السابق

وفقاً للدائرة الفلكية الجديدة، الطور التصاعدي يبدأ من برج الأسد وينتهي في برج الجدي، وهذه الصيغة لا تعبّر عن نشاط القوة الشمسية بل عن شيء آخر مختلف تماماً. هذا دليل واضح على

أنهم كانوا يقصدون النفحة الشمسية في دراستهم وليس القوة الشمسية. يمكن التعبير عنها بالرسم البياني التالي:

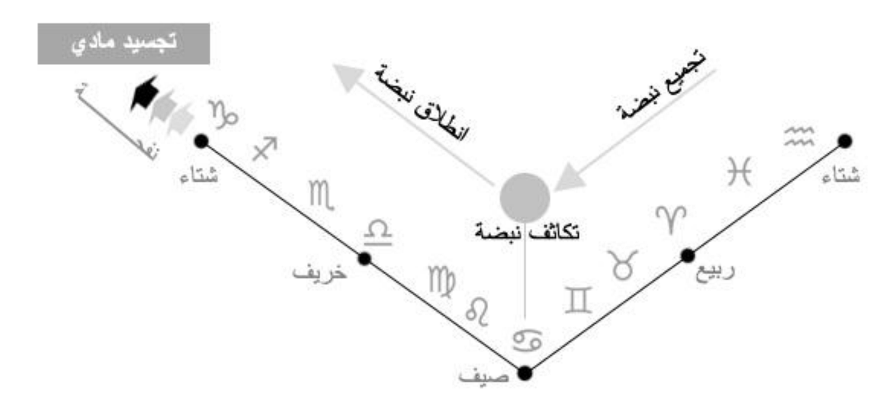


هذا الرسم البياني يروي تفاصيل رحلة النبضة الشمسية من بداية مرحلة تجمعها في برج الدلو ثم تكاثفها تدريجياً إلى مرحلة انطلاقها في برج الأسد لتنتهي عند برج الجدي



الصيغة التي اتبعها القدماء في رسم الدائرة الفلكية تمثل دليل جازم على أن علم الفلك يهدف بشكل رئيسي إلى وصف الآليات والمقومات الداخلة في عملية انبعاث النفحة الشمسية. ووفق هذه الصيغة نرى أن برج الجدي يمثل مخرج النفحة من الفقاعة الشمسية.

إذا نظرنا جيداً في مسيرة النبضة الشمسية والمُعبر عنها في الرسم البياني التالي نجد أنها توصف آلية تشكّل النبضة الشمسية ومن ثم خروجها نحوى العالم المادي على شكل نفحة:



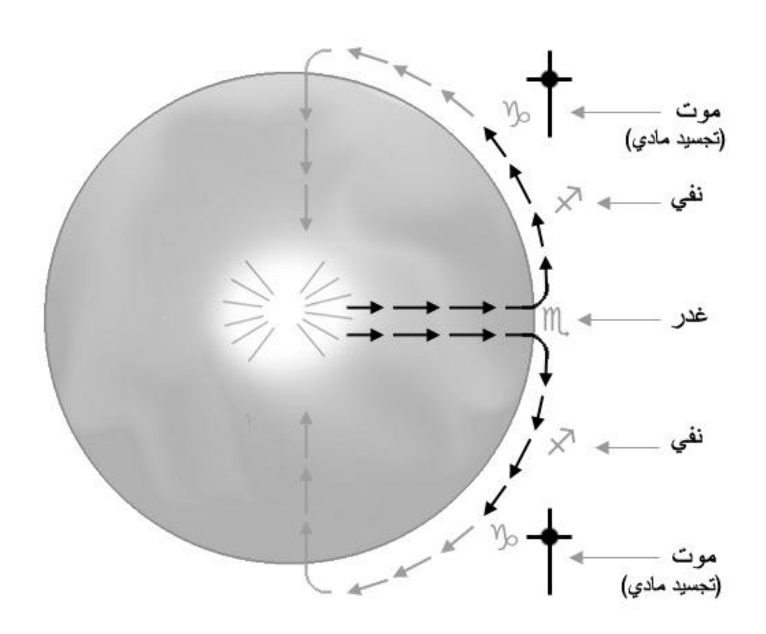
لاحظ كيف أن النبضة تبدأ بالتجمّع في برج الدلو فتتعاظم تدريجياً حتى تتكاثف في برج السرطان فتنطلق دفعة واحدة في برج الأسد لتنتهي في برج الجدي الذي منه تخرج على شكل نفحة

هذه الحقيقة الكونية المهمة تصبح أكثر أهمية بعد أن نعلم بأن النبضة الشمسية ليست مجرّد طاقة كهرومغناطيسية ميتة أو قوة حيوية تنشيطية بل هي مؤلفة من محتوى عقلي، أي هي نبضة واعية، أو كما يعبر عنها الحكماء: هي تمثل نفحة إلهية مقدسة. تصور كيف يكون الأمر في حالة النفحة الإلهية التي تنبعث من الشمس الباطنية للإنسان. كيف تكون وكيف تتصرف؟ هنا يكمن الأساس العلمي لنظرية المخلّص، أي النفحة الإلهية التي تتجلّى في كيان الإنسان مع كل نبضة من شمسه الباطنية.

إذا كان برج الجدي يمثل مخرج النبضة الشمسية نحو التجسيد المادي (كما تعرفنا سابقاً) فهو يمثل في التعاليم السرية الموقع الذي يموت فيه إله الشمس (النفحة الإلهية) لأنه خرج من داخل الفقاعة الشمسية ومات في العالم المادي (نُبذ وعُذّب ومات)، وفيما يلي الشرح الفلكي لتجلّي الإله في الإنسان وموته بعد ابتعاد هذا الأخير عن موطنه الأصيل وانغماسه في متاهة العالم المادي.

الوصف الفلكي لمسيرة النفحة الشمسية

وفقاً للتعاليم السريّة، بدأت مسيرة النبضة الشمسية (النفحة الإلهية) من برج السرطان الذي يتناسب مع موعد الانقلاب الصيفي، وفي هذه الفترة بالذات تصل قوة الشمس (درجة حرارة وضوء) إلى حدها الأقصى، ثم تستمر بتصاعدها حتى برج الميزان حيث الانقلاب الخريفي، وهنا بدأت تضعف قوتها، لكنها تابعت إلى الأمام عبر الأبراج الثلاثة التالية والتي يُرمز لها في القصص بأنها المراحل الثلاثة التي أدت إلى موت أو تدمير إله الشمس (النفحة الشمسية). أوّل هذه الأبراج هو العقرب وخلاله غُدر السيّد بقبلة الموت (حيث القي القبض عليه ثم سُجن وعُذب)، ثاني الأبراج هو القوس وخلاله نُفي بعيداً (إخراج السيد من المدينة المقدسة) وينتهي ببرج الجدي وهو برج الموت بعينه حيث يمثّل موعد الانقلاب الشتوي وهنا ماتت النفحة الشمسية تماماً. عند هذه النقطة صُلب إله الشمس أي تجسّد مادياً، حيث الصليب يرمز إلى التجسيد المادي.



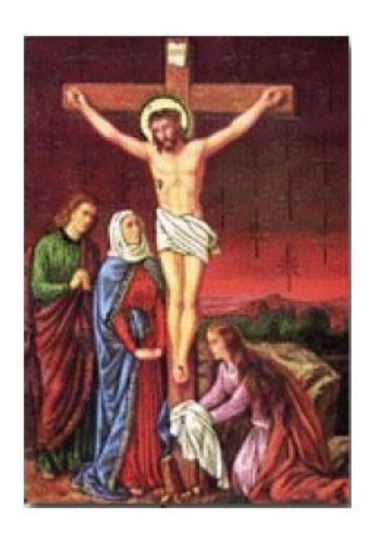
المراحل الثلاثة الحاسمة التي تقرر مصير النفحة الشمسية ومُمثلة ببرج العقرب والقوس والجدي، حيث غُدرت ثم نُفيت ثم ماتت مصلوبة

يوجد الكثير من الصيغ المختلفة التي يُصور عبرها إله الشمس أو إبن الله (النفحة الإلهية) الذي تجلّى في العالم المادي لفترة مؤقتة قبل أن يموت ليولد من جديد فيبدأ دورة أخرى ليكرر العودة مرة

أخرى. غالباً ما تحتوى الصور الرمزية على عناصر تعبّر عن هذه الفكرة الأساسية، مثل رمز مبدأ الشمس ورمز التجسيد المادي وغالباً ما يحيط بهما رمزان يمثلان المحتوى الإلهي بنوعيه: المحتوى النقي والمحتوى الملوّث بالمادة. كالصور التالية:



أوزيريس Osiris (مبدأ الشمس) فوق عامود الـ"دجيد" وصليب الـ"أنخ" (مبدأ التجسيد المادي)، وبين إيزيس Isis العذراء (المحتوى الإلهي النقي) ونفثيس Nephthys (المحتوى الإلهي الملوث بالمادة).



سيدنا يسوع (مبدأ الشمس) معلّق على صليب (مبدأ التجسيد المادي) وتحيط به المريمان: مريم العذراء (المحتوى الإلهي النقي) ومريم المجدلية (المحتوى الإلهي الملوث بالمادة).

إذا نظرنا إلى الأمر من زاوية مجموعتنا الشمسية، كما يفعل الفلكيون، نجد أنه خلال الانقلاب الشتوي تبدو الشمس بأنها جمدت مكانها لمدة ثلاثة أيام. لهذا قالوا بأن القوة الشمسية تذهب إلى العالم الأرضي (المادي) وتبقى ميتة لثلاثة أيام (وهي الفترة التي تغيب فيها عن مجموعتنا

الشمسية). إذاً تقبع النفحة الشمسية في عالم الموت (المادة) لفترة معينة خلال الانقلاب الشتوي. هذه أيضاً هي قصة يونس الذي بلعه الحوت وبقي في بطنه لمدة ثلاثة أيام. بعد انتهاء فترة الموت لثلاثة أيام تعود قوة الشمس إلى الصعود مجدداً. من هذه النقطة تبدأ دورة جديدة وتبدأ قصة إله الشمس المولود حديثاً، وبما أن ولادة الشمس حصلت في برج الجدي، فقد تم تمثيل الطفل غالباً بأنه رضع من ثدي معزاة.

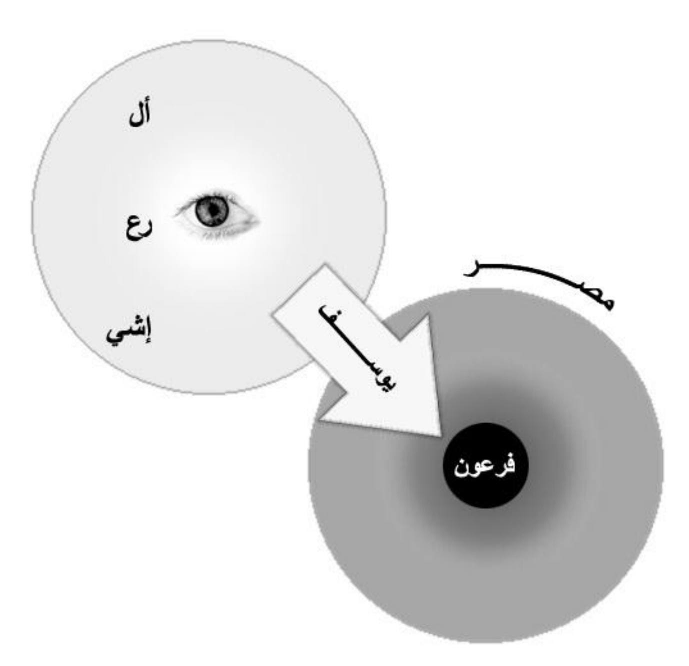
قوة الشمس لا تصعد بسرعة بل تتصاعد ببطء مما يتطلب الأمر ثلاثة شهور وتسمى فترة الانبثاق، إذ عند برج الدلو يتجلّى الفعل الذي يرمز إليه هذا البرج حيث تتلقى مجموعتنا الشمسية دفق إضافي من الطاقة الكونية (هذا ما يرمز إليه برج الدلو)، فتغرق بالكامل في هذه الطاقة الكونية الإضافية التي تغمر كل شيء مما يجعله يسبح في غمرتها (هذا ما يرمز إليه برج الحوت أو السمكة)، ومع انتهاء هذه الفترة نرى خفرع يصعد بكامل مجده مرة أخرى، واعداً بعودة الخصوبة بعد القحل الشتوي الطويل، عودة الضوء بعد الظلام الشتوي المديد، عودة الحياة بعد الموت. الفترة التي تشهد انبعاث الحياة بكامل طاقتها هي فترة الانقلاب الربيعي، تندفع دفعة واحدة كما نطحة الكبش الذي يرمز له برج الحمل. فتتحرّك بقوة وعناد لكن بثبات واتزان ثقيل وهذا ما يرمز له برج الثور. تبدأ بعدها بالتباطؤ والتراكز مما يجعلها مربكة بين حالتين متناقضتين، حالة الحركة القوية الثابتة التي تنتج حتماً حالة توسّع وتمدد ويقابلها حالة تباطؤ وتراكز للتكاثف في نقطة ضيقة، وهذا ما يرمز إليه برج الجوزاء. عند الاعتدال الصيفي تكون القوة الشمسية في أوجّها لأنها متكاثفة بدرجة كبيرة كما لو أنها محبوسة دون حراك في مساحة ضيقة مغلقة، وهذا ما يرمز له برج السرطان. فتنطلق متحررة فجأة من حالة الانحباس هذه فتنتشر بقوة بحيث يطغي نورها على كامل بيئتها، وهذا ما يرمز له برج الأسد الذي ينتشر زئيره في جميع أنحاء الغابة. وهكذا تكون قد بدأت رحلة النفحة الشمسية من جديد والتي تعيد توازنها وثباتها عند برج العذراء (السنبلة) حيث تلتحق القوة الشمسية بنورها الذي سبقها وهنا تستوي الثمرة التي سوف تُزرع لاحقاً كبذرة جديدة، وهذه البذرة تكون قد استوت تماماً عند برج الميزان الذي يرمز إلى الحد الفاصل بين الصعود والهبوط، بين الارتقاء والسقوط، فتبدأ رحلة السقوط عند برج العقرب، حيث تتوقف قوة الدفع فجأة كما يتوقف ذراع المنجنيق فجأة مطلقاً القذيفة بعيداً. هذا الانطلاق بعيداً يشبه رمية السهم الذي يرمز إليه برج القوس. فتخرج النفحة الإلهية إلى خارج حدود الفقاعة الشمسية، ويكون خروجها مندفعاً دفعة واحدة كما نطحة التيس الذي يرمز له برج الجدي. تقبع النفحة الشمسية في عالم الموت (المادة) أي خارج حدود المجموعة الشمسية لفترة معينة خلال الانقلاب الشتوي. بعد انتهاء فترة الموت لثلاثة أيام تعود قوة الشمس إلى الصعود

مجدداً. من هذه النقطة تبدأ دورة جديدة وتبدأ قصة إله الشمس المولود حديثاً، فتتكرر الدورة مرة أخرى.. وهكذا إلى لا نهاية.

هذه هي قصة النفحة الشمسية المروية بصيغة فلكية. هذه هي حكاية إله الشمس الذي تعرّض لمؤامرة فغُدِر ونُفِي بعيداً من موطنه ثم مات تعذيباً. إنها النفحة الإلهية التي تترافق مع كل نبضة شمسية إلى خارج الفقاعة الشمسية فتتوغل إلى العالم المادي ثم تموت لتولد من جديد مع بداية دورة جديدة. هذا السيناريو يتكرر على الدوام في الحكايا الرمزية لكافة ثقافات العالم القديم. في الصين واليابان والهند وبابل ومصر واليونان وأمريكا.. إلى آخره. حكايا أنبياء العهد القديم في الكتاب المقدس هي حكايا رمزية توصف سلوكيات ونشاطات مختلفة للشمس الباطنية النابضة والنفحة الإلهية المنبعثة منها نحو العالم المادي. مثل قصة شمشون وداوود وسليمان.. إلى آخره.. حتى أسماء أبطال هذه القصص هي أسماء أو أوصاف مختلفة للشمس والنفحة الإلهية المنبعثة منها. عندما نتعرف على المعنى العبري لأسماء الأنبياء في العهد القديم (التوراة) تصبح الصورة أكثر وضوحاً. أشهر تلك القصص هي قصة يوسف عليه السلام الذي غُدِر من قبل اخوته ثم نُفي بعيداً إلى مصر، وعندما نعلم بأن مصر ترمز للعالم الدنيوي في التعاليم السرية وفرعون يمثل الأنا الدنيوية تصبح الصورة واضحة أمامنا.

الصيغة الفلكية لقصة يوسف عليه السلام

الاسم يوسف جاء من أصل عبري معناه توسّع أو غامر أو جازف. وهذا بالضبط ما حصل مع النفحة الإلهية المنطلقة مع نبضة الشمس حيث تجاوزت حدود الفقاعة الشمسية ودخلت إلى العالم المادي. حصل هذا التجاوز للحدود عند مرحلة برج القوس، لهذا السبب ربطوا النبي يوسف ببرج القوس الذي يحكم الشهر الحادي عشر من السنة الفلكية، ويوسف هو الابن الحادي عشر ليعقوب وكما يوحي برج القوس، لقد سافرت نفحة الشمس بعيداً، أي شطحت أو ابتعدت عن الموقع أو غابت أو سافرت.. إلى آخره. وهذا يتطابق مع الشرح المصوّر الذي استخدمه في وصف سلوك النبضة الشمسية، وفي حالة قصة يوسف عليه السلام سوف تبدو كما في الشكل التالي:



قصة يوسف هي ذاتها قصة النفحة الإلهية التي نُفيت خارج الفقاعة الشمسية نحو المستوى المادي (الذي ترمز له مصر في الحكايا الرمزية وفرعون يمثل الأنا الحاكمة للجسد)

كما نعلم فإن يوسف هو ابن يعقوب، والد القبائل الاثنى عشر لإسرائيل، وهذا الاسم الأخير هو اللقب الذي مُنح ليعقوب حيث تزعم المراجع العبرية بأنه مُنح هذا اللقب لأنه عاند الرب وأجبره على منحه البركة وبالتالي أُطلق عليه اسم "إسرائيل" الذي يعني "اسرع . أل" أي صارع الرب، وهذا تفسير خاطئ ليس له أي أساس منطقي، حيث معروف جيداً أن كلمة "إسرائيل" كانت تمثل لقب يُمنح للفرد الصالح والمستقيم الذي يكافح إلى توحيد نفسه مع الإله الداخلي. يمكننا استنتاج المعنى الحقيقي لهذه الكلمة بعد معرفة أنها كلمة مركّبة مؤلفة من ثلاثة كلمات: "إشي" + "رع" + "أل". وهذه أسماء استخدمها الحكماء العبرانيون للإشارة إلى مكونات القسم العلوي للفقاعة الشمسية، حيث إشي تمثل المحتوى و"رع" يمثل الشمس، وأل يمثل الحضور الإلهي. ودليل على ذلك هو اعتبار "إسرائيل" المملكة الشمالية لليهود مقابل المملكة الجنوبية التي تسمى "يهودا"، وهذه استعارة رمزية لتقسيم البيضة الكونية (أو الفقاعة الشمسية) إلى فقاعتين: علوية ودنيوية. أما قبائل "إسرائيل" الاثنى عشر فهي القوى الاثنى عشر التي تجلت في الكرة الكونية وترمز لها الأبراج الفلكية.

لكن النبي يوسف لم يكن مصيره مأساوياً كما باقي النفحات الشمسية الأخرى حيث رغم تقهقره في البداية في مصر (المستوى الدنيوي) إلا أنه ارتقى تدريجياً إلى أن استلم زمام الأمور في المملكة (الجسد) وأجرى فيها الإصلاحات. هذه هي صيغة الروايات التي تتحدث عن المخلّص الذي نجح في مهمته الرامية إلى إنقاذ الإنسان من وهم العالم المادي بعد أن تجلّى فعلياً في كيانه وغمره بالنور الإلهي.

النفحة الإلهية (المخلص) تتجلى على الدوام بداخلنا مع كل نبضة من شمسنا الباطنية، لكنها لم تنجح حتى الآن في التأثير على مملكتنا الجسدية لأننا لم نعطيها فرصة بعد. أي يوسف المخلص يتجلى بداخلنا على الدوام لكنه لم ينجح حتى الآن في إجراء أي إصلاحات في مملكتنا الجسدية لأننا لم نعطيه فرصة بعد أو لم نتحضّر له. نحن نجهل وجود هذا المخلّص أصلاً فما بالك التحضير له. نحن لا نوفر الشروط المناسبة لحدوث أي تأثير لأننا مشغولون بمعركة الحياة الدنيوية ومستغرقون تماماً في خوض غمارها التي تستحوذ على انتباهنا الكامل لدرجة أننا لم نفطن إلى ذلك الضغط الداخلي الحثيث الذي يتوق إلى التجلّي في كياننا وتخليصنا من الوهم الذي نسعى ونكافح ونتعذب خلال ملاحقة ونيل مكاسبه الدنيوية الواهية لكن دون جدوى.

....

ليس كل الأساطير القديمة تمحورت حول قصة المخلّص، حيث الكثير منها تناولت الموضوع الذي لا يقل أهمية وهو موضوع النفس. في الصفحات التالية سوف أتناول إحدى الأساطير التي تمحورت حول موضوع النفس حيث تروي كيف سقطت من مرتبتها السماوية وتدنسها بالعالم المادي بعد أسرها من قبل الجسد. هذه هي قصة الإلهة "بيرسوفون" Persephone في الأسطورة الإغريقية والتي سوف أتناولها في الصفحات التالية.

اسطورة بيرسيفون

قصة سقوط النفس من مرتبتها السماوية وتدنسها في العالم المادي

في الحقيقة هناك فرق بين الأم العذراء والنفس العذراء التي تمثّل ابنتها. لقد تم دمج هذين المفهومين خلال انحدار التعاليم السرية عبر العصور مما جعلها تمثل في النهاية مفهوم واحد يتجلى في شخصية واحدة كما هي الحال مع مريم العذراء مثلاً أو مايا. لازال هناك تعاليم فلسفية معينة بقيت محافظة على الفرق بين المفهومين مثل تعاليم المذهب الإليوسيني Eleusinian Mysteries في اليونان والتي تمحورت حول أسطورة "ديميتر" Demeter (أو سيريز Ceres) وابنتها "بيرسيفون" Persephone. الأولى تمثل الأم العالمية العذراء (الكينونة) بينما الثانية مثلت الابنة العذراء (النفس).

إن كامل تاريخ العالم، من البداية حتى النهاية، هو تاريخ ولادة وزلّة وسقوط ومعاناة وأحزان ومن ثم ارتقاء هذه الابنة العذراء البريئة، أي النفس. إن للنفس نمطين أو حالتين لوجودها: الاندفاع بعيداً عن المركز والانجذاب نحو المركز، وأقصد هنا مركز الفقاعة الشمسية أي الشمس الممثلة بالذات المركزية عند الإنسان. الحالة الأولى تمثل انغماس النفس في عالم المادة وهذا هو السقوط الذي تحدثت عنه الأديان والذي جلب الأسى والحزن للنفس. هذا ما حصل مع حواء في الكتب السماوية مثلاً. أما الحالة الثانية فتمثّل ارتقاء النفس أو انتشالها من غمار العالم المادي والاندماج مع المحتوى الإلهي النقي واستعادة مجدها في السماء أو عالم النور.

يعتبر المذهب الإليوسيني Eleusinian Mysteries الأشهر بين المذاهب الدينية القديمة. ازدهر بين القرن الثامن عشر والرابع عشر قبل الميلاد، وتتمحور تعاليمه حول "ديميتر" Demeter (أو "سيريز" Ceres) (الأم العذراء) وابنتها "بيرسوفون" Persephone (النفس العذراء). اشتهر المنتسبون إلى هذه المدرسة بجمال مفاهيمهم الفلسفية ومثلهم وأخلاقياتهم العليا التي استعرضوها في حياتهم اليومية. بسبب منهجيته الجيدة انتشرت مدارس هذا المذهب حتى وصلت روما والجزر البريطانية. لقد مثلت الأساطير والطقوس الإليوسية تفسيرات باطنية لأعمق أسرار الطبيعة. وفي جميع الأحوال، كما باقي التعاليم السرية حول العالم، هي امتداد أو إعادة بعث للتعاليم المصرية القديمة حول أسطورة إيزيس وأوزيريس.

تنقسم الطقوس الإليوسينية إلى قسمين: الطقوس الصغرى والطقوس الكبرى. الطقوس الصغرى كانت تجري شعائرها الاحتفالية في فصل الربيع في بلدة "أغري" Agræ، والطقوس الكبرى كانت تجري شعائرها الاحتفالية في فصل الخريف في مدينة "إلوسيس" Eleusis أو أثينا. الطقوس الصغرى كانت احتفالاتها سنوية بينما الطقوس الكبرى كانت تجري احتفالاتها كل خمس سنوات.

[1] الطقوس الصغرى

الطقوس الصغرى كانت تتمحور حول "بيرسيفون" Persephone، وقد صممها الحكماء لترمز بطريقة خفية إلى النفس التي تدنّست بعد إلزامها في الجسد المادي مما جعلها تتخذ طبيعة مادية. تتحدث الأسطورة التي تتمحور حولها الطقوس الصغرى عن اختطاف الإلهة "بيرسيفون" ابنة "ديميتر" Demeter من قبل هايديز Hades (أو "بلوتو" Pluto) الذي هو حاكم العالم السفلي.

بينما كانت "بيرسيفون" تقطف الأزهار خلال تجولها في إحدى المروج الجميلة، انشقّت الأرض فجأة وخرج من أعماقها "هايديز" رب الموت الداكن راكباً عربته الهائلة، فأمسك بالإلهة الجميلة ثم جرّها معه عائداً بها إلى قصره تحت الأرضي فارضاً على الإلهة الباكية أن تتزوج منه.

التعاليم السرية التي تخفيها الأسطورة وطقوسها الشعائرية تكشف عن الحقيقة التالية: النفس البشرية التي تسميها التعاليم "بسايك" Psyche وتمثلها "بيرسيفون" في الأسطورة هي في الأصل ذات طبيعة إلهية. موطنها الحقيقي هو العوالم العليا، حيث تكون أكثر حيوية واستقلالية في التعبير عن نفسها خلال تحررها من استعباد الهيئة المادية والمفاهيم المادية.

وفقاً لهذه العقيدة، الطبيعة المادية للإنسان هي عبارة عن قبر أو مستنقع قذر أو شيء وهمي ومؤقت، هو مصدر كل المآسي والأحزان والعذابات. يصف أفلاطون الجسد بأنه قبر النفس، ويقصد بذلك ليس الجسد البشري فحسب بل الطبيعة البشرية أيضاً.

الكآبة والحزن الذي اتسمت به الطقوس الصغرى كانت تمثّل العذاب الذي عانته النفس السماوية المأسورة في الجسد المادي والتي عجزت عن التعبير عن نفسها بسبب تكبيلها بمحدوديات وأوهام البيئة البشرية. النقطة الجوهرية في الجدلية الإليوسينية هي أن الإنسان لن يكون أفضل أو أكثر حكمة بعد موته. إذا لم يرتقي فوق مستوى جهله خلال حياته فسوف يعاني من تبعات هذا الجهل

بعد موته. إذا لم يتجاوز الرغبة في الممتلكات المادية في هذه الحياة الدنيوية فسوف يحمل هذه الرغبة معه إلى العالم الآخر وستزداد معاناته لأنه لن يجد سبيلاً هناك لإشباع هذه الرغبة الدنيوية. هذا التوق لتحقيق الرغبات الدنيوية سوف يعيد النفس لتتجسّد ثانيةً في حياة دنيوية جديدة، وهذه إحدى الأسباب الرئيسية لظاهر التقمّص أو تناسخ الأرواح وفقاً للتعاليم الإليوسينية.



هايديز Hades (أو "بلوتو" Pluto)، حاكم العالم السفلي، يمثل الذكاء الجسدي المادي للإنسان، وعملية اغتصاب بيرسيفون Persephone ترمز إلى استحواذ الطبيعة الحيوانية على الطبيعة الإلهية وتدنيسها عن طريق جرّ النفس للأسفل نحو المستوى المادي المظلم.

بالنسبة للفلاسفة الإليوسينيين، الولادة في العالم المادي هو موت بكل معنى الكلمة، حيث الولادة الحقيقية الوحيدة هي للنفس الروحية للإنسان بعد تحررها من طبيعته الجسدية الدنيوية. قال أحد الحكماء يوماً بأن ".. الأحياء محكومون من قبل الأموات..". فقط المطلعين على التعاليم السرية

ومبادئها المتعلقة بالحياة يفهمون معنى هذه المقولة جيداً. هي تعني بأن أغلبية الناس غير محكومين من قبل أرواحهم الحيّة بل من قبل طبيعتهم الحيوانية فاقدة الوعي (أي ميتة عملياً).

[٢] الطقوس الكبرى

الطقوس الكبرى تتمحور حول "ديميتر" Demeter (أو "سيريز" Ceres) والدة "بيرسيفون"، فتصورها وهي تجول العالم بحثاً عن إيجاد ابنتها المخطوفة. تمكنت في النهاية من ايجاد "بيرسيفون" والتقت مع "هايديز" إله العالم الأرضي وناشدته بأن يسمح لابنتها العودة إلى موطنها. رفض "هايديز" في البداية لأن "بيرسيفون" أكلت من فاكهة الرمان وهي فاكهة الفنائية (تذكر قصة حواء والتفاحة). لكن في النهاية وافق على السماح لها أن تعيش في العالم العلوي لمدة نصف سنة وتبقى معه في ظلام العالم الأرضي طوال النصف الآخر. البعض يعتقد بأن هذا يرمز للنفس التي تتحرر من قيود الجسد أثناء النوم لتعود إليه أثناء الصحوة، وعلى مستوى المجموعة الشمسية القوة الإلهية تغيب عن الطبيعة في الخريف والشتاء وتعود في الربيع والصيف.

هذا الاعتقاد كان سائداً أيضاً لدى عامة اليونانيين الذين نظروا لبيرسيفون بأنها تمثّل نوع من القوة الطبيعية التي تصبح واهنة في الشتاء لأنها باعتقادهم تنتقل للعيش مع بلوتو في العالم تحت الأرضي، بينما تعود في الربيع والصيف. بناء على هذا المفهوم شاع معتقد بأن النباتات أحبّت بيرسيفون وأنه كلما غادرت إلى عالم بلوتو المظلم تموت النباتات من كثرة الحزن. بينما كان العامة الدنيويين والجهلاء يتسلون بهكذا معتقدات خرافية بقيت الحقيقة وراء الحكايا الرمزية الإغريقية محجوبة بأمان لدى الكهنة المطلعين والذين عرفوا جيداً مدى القيمة الفلسفية والدينية لهذه الحكايا الرمزية.

هذا التحرر المؤقت والمتناوب لبيرسوفون يعني في الحقيقة أن النفس لا يمكنها التحرر من القيود الدنيوية سوى عن طريق الموت، لكن ما أن تولد من جديد في العالم الدنيوي (تقمص) سوف تعود لتعلق بالقيود الدنيوية مرة أخرى، وسوف تبقى الحال كذلك إلى الأبد حتى عبر آلاف التقمصات، والسبب هو أن النفس لم تخضع لعملية تطهير حتى تصبح نقية تماماً من الشوائب الدنيوية بحيث تتحرر بعدها للأبد. وهذه العملية الأخيرة هي من مهمة الشخص صاحب النفس المعنية. بعد التحرر من قيود الجسد المادي والمفاهيم الدنيوية المتحجّرة في منظومته العقلية يكون المريد قد تحرر كلياً من العالم الدنيوي، ليس فقط في حياته الحالية بل للأبد، أي بعد أن تفارق نفسه هذه

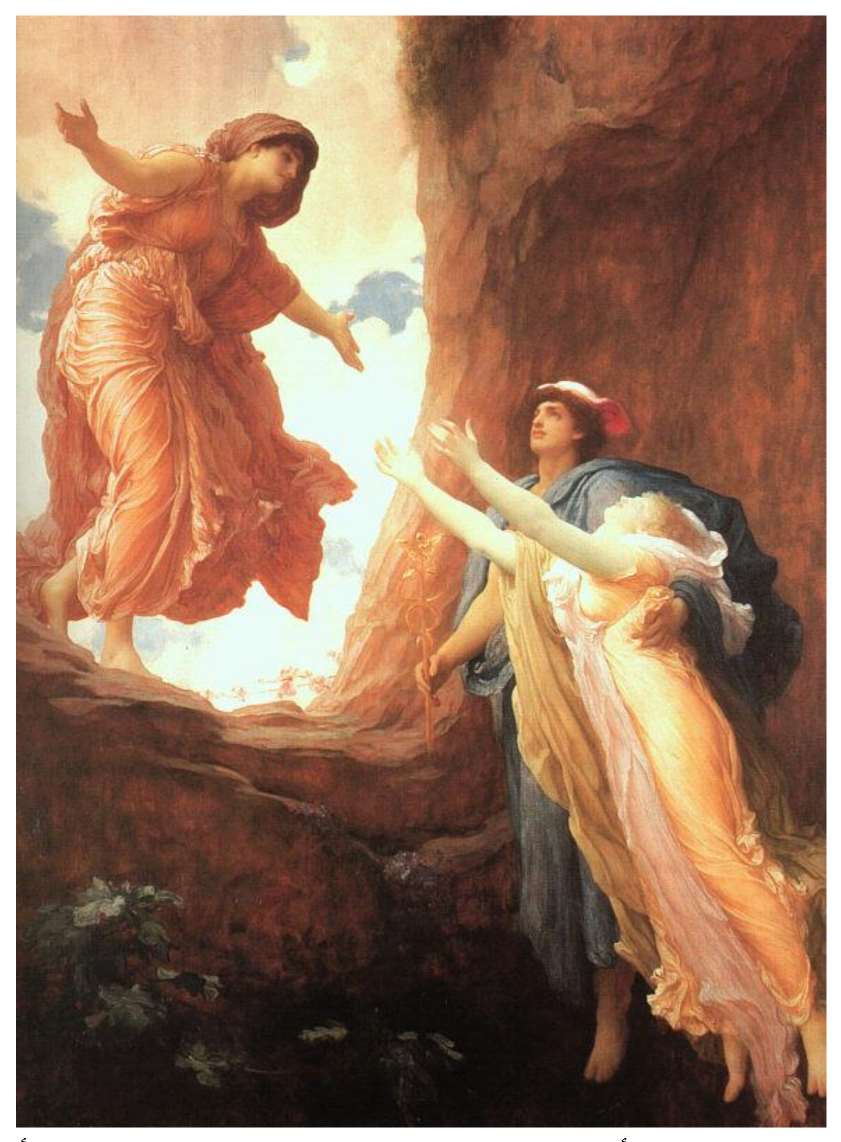
الحياة الدنيوية لن تعود ثانيةً لتتجسّد فيها، لأن المريد قد جرّد نفسه تماماً من تلك الخصائص والسمات التي تجذبه ثانية نحو التجسيد المادي، فيصبح مواطناً أبدياً في العالم السماوي البهيج. (سوف أشرح هذه الفكرة لاحقاً).



"ديميتر" Demeter (أو "سيريز" Ceres) الأم العذراء. تمثل المحتوى النقي الذي تقبع وسطه الشمس الباطنية

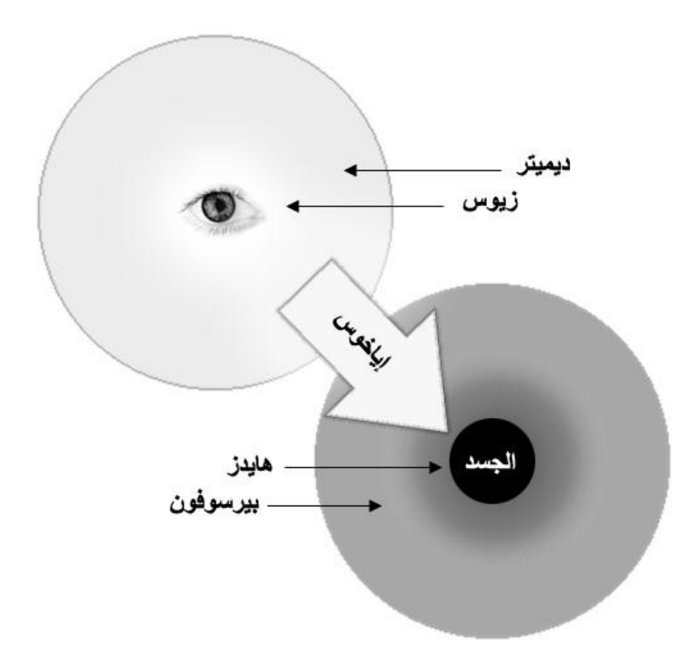
تناولت الطقوس الصغرى أيضاً عملية انحدار الوعي لدى الإنسان إلى عالم الوهم واتخاذ لنفسه حجاب من عدم الواقعية، كذلك الحال مع الطقوس الكبرى التي تناولت مبادئ البعث الروحي الجديد وكشفت للمطلعين عن أبسط الطرق وأكثرها كمالاً ومباشرةً لتحرير طبيعتهم السماوية من أغلال الجهل الدنيوي. ورد في الأسطورة الرقم تسعة وهو عدد الأيام التي سقطت عبرها النفس، وهي ترمز لعدد المستويات التي انحدرت عبرها حتى اتخذت لنفسها هيئة مادية وهي ذاتها المستويات التي تمثلها مقامات شجرة الحياة.

بالإضافة إلى وجود إشارات كثيرة تدلّ على صلة معيّنة مع تعاليم القبالة المتمحورة حول مخطط شجرة الحياة، نجد أن التعاليم الإليوسية قريبة الصلة بالتعاليم البرهمية في الهند حيث أن شعائرها تُختم بالعبارة السنسكريتية التالية: ".. كنوكس أوم باكس..".



بعد فترة طويلة في الظلام الأرضي، بيرسوفون المتلهفة لرؤية النور تلتقي والدتها ديميتر لأول مرة بعد غياب طويل، ويظهر معها المخلّص "إياخوس"

لقد حافظت المدرسة الأليوسية على بقاءها كمؤسسة قائمة حتى القرن الرابع الميلادي إلى أن تم سحقها كلياً من قبل المؤسسة الدينية القائمة في حينها والتي سعت في تلك الفترة إلى تدمير، وبشكل وحشي، كل من لم يقبل الإيمان بمعتقداتها. قال الكاتب الروماني "سيسيرو" معلقاً على هذه المدرسة الفلسفية أيام مجدها: ".. لم تكتفي بتعليم الفرد كيف يعيش بل كيف يموت أيضاً..".



موقع كل من بيرسوفون وديميتر في نموذج الفقاعتين. الابن المخلص بالنسبة لتعاليم المدرسة الإلوسية هو "إياخوس" Iacchos وهو رديف كل من "باخوس" أو "دايونيسوس" بطل الأسطورة الأورفية المذكورة سابقاً، لكن تركيز هذه المدرسة كان موجهاً إلى النفس أكثر من المخلّص.

نحن مكبلون بأثقال خطايانا الدنيوية مما يجعلنا عاجزين عن التقدم إلى الأمام في مسيرة التطور الروحي. وحتى نتمكن من السيادة على عيوبنا التي تعيق تقدمنا الروحي سوف نبقى مكاننا. لهذا السبب، إذا رغبت الانتساب لمدرسة الطبيعة للتطور الروحي أول ما عليك فعله هو محاولة إثبات جدارتك بحيث تستحق هذه الرحلة الروحية الطويلة الهادفة إلى تطهير النفس. هذا ما كان يفعله المنتسبون إلى المعابد في العالم القديم حيث كانوا يخضعون لاختبارات قاسية ليثبتوا جدارتهم قبل قبولهم في المعبد. عندما يرغب المريد في الانتساب إلى إحدى مدارس الحكمة الإليوسينية Eleusinian Mysteries في اليونان القديمة، أول ما كان يفعله القائمين على المعبد هو دعوة مجتمع المريد الجديد أو زعيم مجتمعه (المختار مثلاً). فيتسائلون عنه إذا كان شخص جيد أو ابن جيد أو ابنة جيدة (كانت النساء ينتسبن للمعبد في تلك الأيام) المهم أنهم أرادوا معرفة إن كان هذا الشخص خيراً وشريفاً وبالتالي كفؤ أو مؤهل لما سيخوضه أو يؤتمن عليه في المعبد. وإذا قال المختار بأن هذا الشخص لم يكن له مشاكل من أي نوع وكان عضو جيّد في المجتمع تعتبر هذه علامة جيدة لصالح المريد حيث تجعله مؤهل مبدئياً لحياة المعبد. لكن إذا كان مثيراً للمشاكل من

أي نوع فسوف لن يُسمح له بالانتساب لمدرسة المعبد. بعد التأكيد من صحة المعلومات بخصوص المريد الجديد كانوا يذهبون إلى معلمه الذي تتلمذ على يده في مدرسة البلدة أو المدينة، فيسألونه عن المواضيع التي درسها هذا الشاب وعن قدرته التعلمية فيجيبهم المعلم الذي غالباً ما يكون فيلسوفاً أو متصوفاً على تساؤلاتهم، فيسألونه إذا كان تلميذاً جيداً فيجيب نعم، فيسألونه هل هو سريع الخاطر وهل لديه قدرة استيعاب فيجيبهم نعم. فيسألونه عن المنهج الذي تعلمه في المدرسة فيجيبهم مثلاً الرياضيات والفلك والموسيقى. فيدعون الشاب للقدوم إلى المعبد لإجراء امتحان أوّلي مؤلف من عدة مراحل. إذا نجح في اجتياز هذا الامتحان يخضعونه بعدها لفترة مراقبة تدوم خمس سنوات بحيث عليه العودة لحياته العادية والعيش بين مجتمعه بشكل طبيعي. عليه خلال هذه الفترة القيام بكل الأمور التي يشرعها المعبد، عليه مثلاً المحافظة على استقامته ويحاول قدر الإمكان تطوير نفسه تحضيراً للانتساب إلى مدرسة المعبد. عليه أن يكون فاضلاً ومهذباً ونظيف خارجياً وطاهر داخلياً وصحيح البدن طوال هذه السنوات الخمس. عليه أن لا يكون أنانياً ولا يتعالى على الآخرين الذين تم رفضهم في المعبد، عليه ببساطة عيش حياة نظيفة وشريفة ملتزماً بقوانين المجتمع وخادماً عائلته بأحسن طريقة بالإضافة إلى الاجتهاد في تطوير حياته الداخلية.

بعد انتهاء هذه الفترة يتم اخضاعه لمجموعة من الاختبارات مرة أخرى، وكانت اختبارات خطيرة في معظم الأحيان. هذه الاختبارت تتطلب كل الشجاعة التي يمتلكها المريد. بالإضافة إلى أنه كان يتعرض في مناسبات كثيرة لمحاولات إغراء وإغواء وغيرها من مكائد بهدف الإيقاع به وتبيان ضعفه وعدم أهليته. لكن إذا نجح واستمر في التقدم عبر مراحل الاختبارات حتى النهاية، يُجلب إلى صالة المعبد ويتم تتويجه والاحتفال به باعتباره أصبح عضواً رسمياً في المجموعة الدينية للمعبد. إن إنجاز هذه المرتبة مهم جداً لدرجة أنه في حضور المنتسب للمجموعة الدينية، حتى ملك البلاد يعجز عن البقاء جالساً. إن الفقه الديني يسمو فوق كل التشريفات الدنيوية حتى لو كانت تشريفات ملكية. كان النجاح في الانتساب إلى مجموعة حكماء المعبد أكثر أهمية بالنسبة لسلطة البلاد من الانتصار في الحرب أو تسلّم العرش الملكي أو أي موقع آخر رفيع المستوى. قد تتمكن المملكة أن تربح الألعاب الأولمبية عشر مرات متتالية لكن مهما بلغ هذا الشرف لا يمكن أن يساوي شرف الاحتفال بمنصب المنتسب لمجلس حكماء المعبد. هذا المنتسب الجديد قد التزم بتعهدات أكبر من نفسه، تعهد بأنه لن يفسد، لن يخرّب، لن يؤذي، لن يسيء المعاملة بأي طريقة، أن لا يكشف أمام عديمي الأهلية التعاليم التي اكتسبها في المعبد، وأن لا يستخدم تلك المعرفة الجليلة التي اكتسبها لمآرب شخصية أو غايات دنيوية. هو لم يعد شخص عادي. لقد أصبح روح عظيمة في جسد مادي. هو متنوّر

بحيث أحرز كامل الحكمة التي يمكن أن تقدمها تجربة التجسيد المادي في هذه الحياة الدنيوية التي مهما بلغت لم تتعدى مجموعة دروس علينا تعلمها. لقد أصبح حائزاً على كل العلوم التي يمكن للعرق البشري حيازتها. كل الحكمة التي يمكن للطبيعة من حوله تقديمها. كل الحب لخالقه الذي تجلّى في كيانه بشكل واضح وجلي. لا يمكن أن نرى هذا النوع الراقي من رجال الدين في زماننا الحالي. لقد اندثرت تلك الثقافة الإنسانية الرائعة التي تنتج هذا النوع من البشر.

....

ما هي النفس؟

سرّ النفس ودورها الفعلي في الجسد

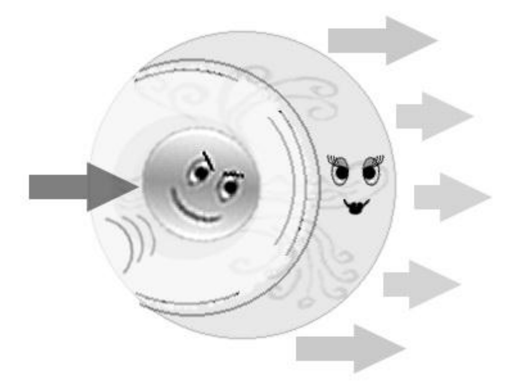
النفس هي كيان واعي حيّ قائم بذاته، لكنها مجرّد مركبة أو أداة، حيث تمثل مركبة للأنا خلال وجودها في القسم الدنيوي، أو تعود لتندمج مع الكينونة التي تمثل مركبة للذات في القسم الباطني، هذا يعتمد على حالة الوعي للفرد أي عند موته أو نومه أو ارتقاءه الروحي. (اندماج النفس مع الكينونة تمثل عودة بيرسيفون إلى أمها ديميتر في الأسطورة).

لقّب اليونانيون "بيرسيفون" بكلمة "كور" Koré وهي كلمة إغريقية تعني بؤبؤ العين، ويبدو أن لهذه الكلمة شبيه باللغة العربية وهي قرّة (قرّة العين). نلاحظ أن كلمة "كور" ليست بعيدة لفظياً عن كلمة "قُرة". وفي أحد المخطوطات المصرية القديمة نجد الإلهة إيزيس خلال حديثها مع حورس، شبّهت العين بالنفس (أو الجفون التي تحيط بالعين). إن ربط النفس بالعين له تفسيرات عديدة، أهمها أن النفس تمثل المبدأ الإدراكي الصاحي الذي ينوّر الفرد كما العين تمثل العضو الإدراكي البصري للجسد. النفس إذاً وفق هذا المفهوم تمثّل العنصر الواعي في الفرد. هي العنصر الحيوي الناشط في الجسد المادي أي هي التي تنعشه وتبعث فيه الحياة. يمكن اعتبار النفس بأنها: نَفَس الإله المنفوخ في العالم الدنيوي.



الفقاعة الدنيوية مؤلفة من النفس (المبدأ الأنثوي) والأنا (المبدأ الذكري) التي تقبع في حضنها، وهذه الأخيرة لا تمثل المادة الصلبة بل شخصيتها، أي هي الانعكاس الوهمي للذات

لكن هذا العنصر الإدراكي الصاحي في الجسد ليس له سوى الخضوع لإرادة الأنا لأن هذه الأخيرة تمثل مبدأ الذكر بينما النفس تمثل مبدأ الأنثى، وبالتالي رغم عظمتها وارتقاءها فوق مرتبة الأنا لكن ليس عليها سوى الخضوع لإرادة الأنا. سوف أتناول هذا الموضوع بالتفصيل لاحقاً، حيث سنعلم أنه كل ظاهرة في الوجود مؤلفة من مكونين رئيسيين: عنصر ذكري يمثل نشاط قوة وعنصر أنثوي يمثل المحتوى الحاضن لهذه القوة. وإذا كانت القوة الذكرية متحرّكة فإن المحتوى الأنثوي يلعب دور المركبة التي تنقل تلك القوة. طاقة الأنثى ولادة وراعية ومنمية وناشئة ومبدعة وخلاقة ويمكن أن نترجمها فيزيائياً بأنها العنصر المضخم للقوة الذكرية والمدبّر لها. فالقوة الذكرية ليس عليها سوى زرع البذرة (طرح الإرادة) المبرمجة بتوجيهات معينة فقط، بينما الباقي يبقى على عاتق الطاقة الأنثوية التي ترعى هذه البذرة وتنميها وتقويها حتى تكبر وتزدهر. (سيتوضح هذا الموضوع لاحقاً).



المحتوى الأنثوي يكون نقياً تماماً في الحالة العادية. لكن ما أن يتزاوج مع عنصر ذكري فسوف يتقمص سماته وخصائصه التي قد تكون خيرة أو شريرة حسب الحالة

نحن نتكلم عن محتوى عقلي طبيعته سيولية ولهذا ارتبط عنصر الماء بالنفس التي تبعث الصحوة والحيوية في الجسد المادي، إذ وفقاً للتراتبية الفلسفية تقع النفس في الوسط بين العالم الباطني والعالم المادي. هذا الموقع يجعلها ذات طبيعة نفسية/ذهنية. النفس إذاً هي العنصر الصاحي في الجسد المادي رغم أنها خاضعة تماماً لإرادة الأنا.

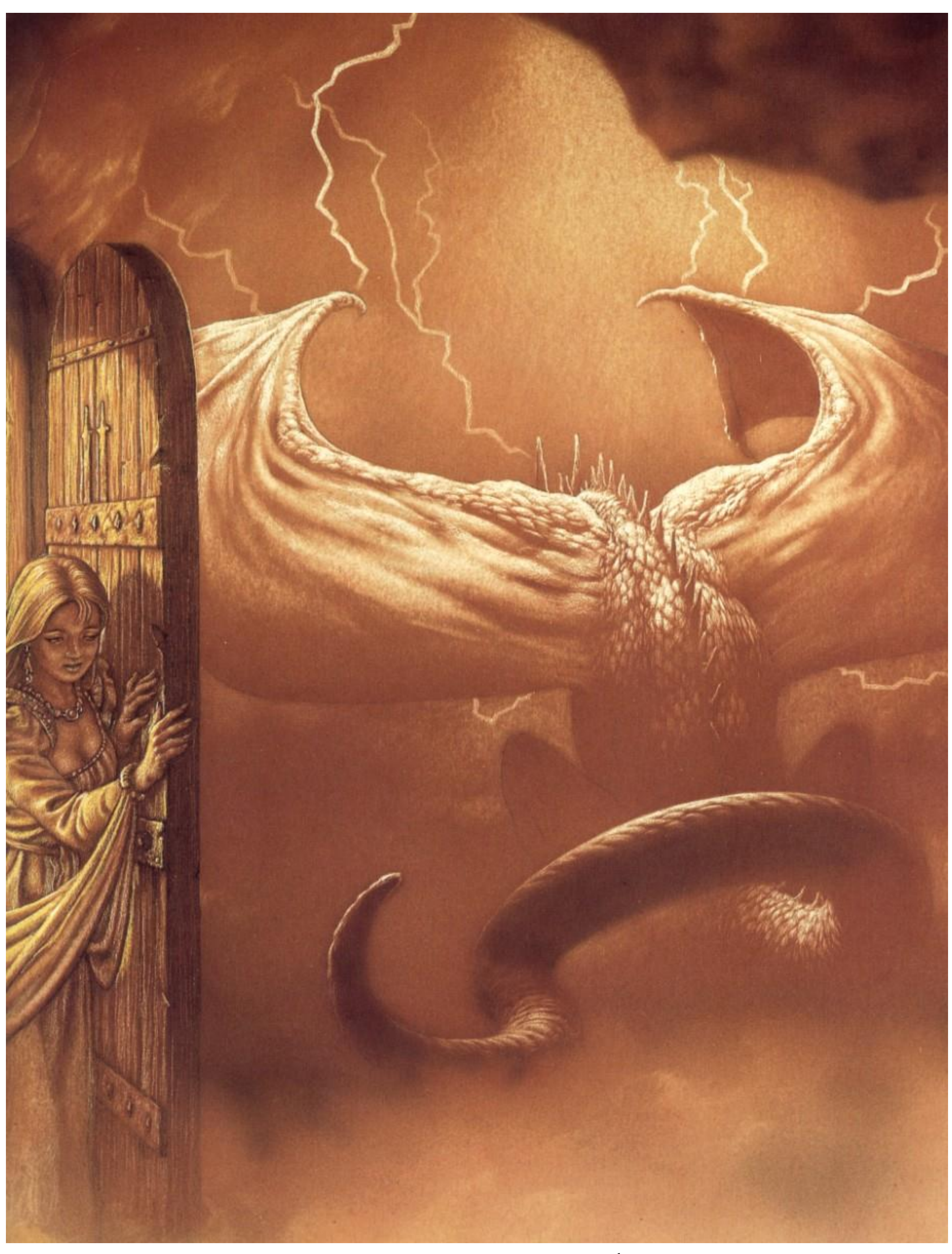
ذكرت سابقاً كيف ربط القدماء عذرية المبدأ الأنثوي بالماء لأن الماء مهما كان ملوثاً يبقى بجوهره نقياً. فالماء الملوثة لا تكون كذلك بجوهرها بل تبدو معكّرة بسبب الرسوبيات التي تصبغ محلولها السيولي. لكن إذا تم تصفية المحلول المائي الملوث من الرسوبيات التي تعكر صفاوته فسوف يعود

إلى نقاوته المعهودة. لهذا السبب يشيرون إلى النفس أيضاً بأنها دائمة العذرية، لأن طبيعتها الجوهرية تكون طاهرة تماماً وخالية من أي لطخة خطيئة.

أوّل ما تسقط النفس إلى المستوى الدنيوي (بدفع من النبضة الشمسية) تكون حينها بحالة عذرية تامة (ماء نقي تماماً) لكن بعد التزامها بالأنا الدنيوية يتغيّر وضعها كلياً. تبدأ الحياة الدنيوية للأنا بالتأثير على النفس حيث تسخّرها الأنا لتحقيق رغباتها الدنيوية وهنا تبدأ محنتها. يمكن توضيح فكرة هذا التأثير السلبي للرغبات الدنيوية على النفس من خلال مثال بسيط وهو الإفراط في المأكل والمشرب وغيرها من مسرات (جنسية مثلاً) الذي ينتج تبعات صحية خطيرة على الجسد، وهذا يوقع النفس في حالة إرباك بين محاولة إصلاح الأعطال العضوية في الجسد وبين مجاراة العادة السيئة المتعلقة بتلك المسرات المدمّرة للصحة، لكن دون جدوى لأن النفس مسلوبة الإرادة (مبدأ أنثوي) وعليها الخضوع كلياً لإرادة الأنا (مبدأ ذكري)، فتبقى الحالة كذلك مما يزيد من عذاب ومأساة النفس.

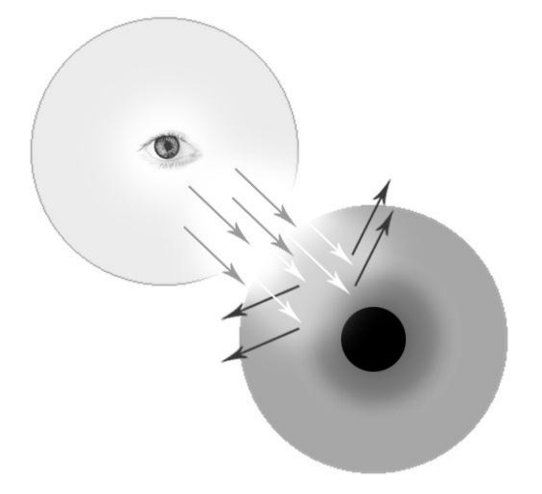
الأمر الأهم هو أن النفس تتمتع بقوة روحية عظيمة وهذه القوة الجليلة تخضع بالكامل لسيطرة الأنا الدنيوية مما يزيد الأمر تعقيداً من الناحية التجاوزية والقدرية (كارما). قوة الجذب مثلاً هو من اختصاص النفس (المبدأ الأنثوي) وعندما يسعى الفرد الدنيوي إلى استخدام هذه القدرة لجذب ما يسره دنيوياً فهذا يضع النفس في موقف مربك. لأن ما تجذبه الأنا الدنيوية ليست لمصلحتها لكنها تجهل هذه الحقيقة وتلحق رغباتها الدنيوية دون النظر في النتائج السلبية وهذا يرهق النفس بشكل كبير. هذا ولم نتحدث عن حقيقة أن ملاحقة الرغبات والشهوات الدنيوية تستنزف الكثير من الطاقة، والطاقة تعني بطريقة ما المحتوى الحيوي (مبدأ أنثوي)، وعندما نوجه انتباهنا واهتمامنا كلياً إلى المسرات الدنيوية نكون قد أرهقنا النفس بدرجة كبيرة.

ليس هناك حدود لعذابات النفس خلال وجودها في العالم الدنيوي وخضوعها للأنا المشغولة بمتاع الدنيا الوهمية. لكن المهم هو موضوع التلوث الذي بلطخ نقاوتها وهذا ما يهمنا هنا. بعد أن ذكرت بضع عينات من ما تعانيه النفس خلال وجودها الدنيوي تحت سيطرة الأنا أعتقد أنك تتصور مدى التلوث الذي يصيب نقاوتها، وهنا تكمن مشكلتها الأساسية، حيث هذا التلوث لا يزول عنها حتى لو مات الجسد وعادت النفس للاندماج مع المحتوى الإلهي (أمها) في المستوى الباطني، حيث يتم دفعها مرة أخرى للنزول مجدداً إلى المستوى الدنيوي. وتستمر الحال كذلك إلى لانهاية حتى تعود نقاوتها كلياً.

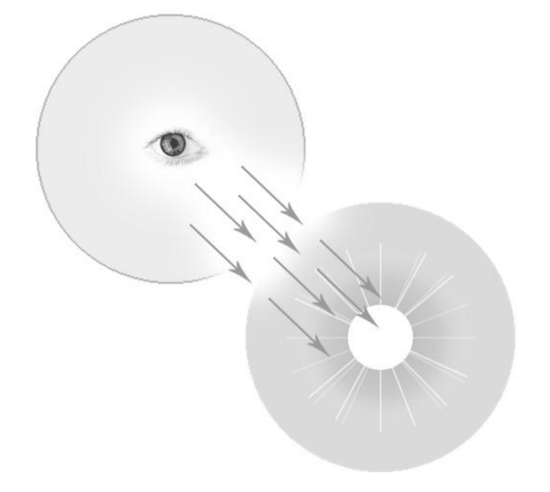


لقد صوّروا عذابات النفس خلال أسرها في العالم الدنيوي بطرق مختلفة تحرّك العواطف وتهيّج الأشجان فعلاً. أشهرها هي قصة أسر الأميرة من قبل التنين، وكذلك قصة الإلهة بيرسوفون التي خطفها هيديز إله العالم الأرضي. يوجد صيغ عديدة لهتين القصتين وهي منتشرة في كافة ثقافات وتقاليد العالم.

هنا يكمن الجواب الشافي على المسألة الجدلية حول ضرورة وجود أكثر من حياة للكائن المتجلّي. أي ضرورة وجود أكثر من تجلّي له في العالم المادي. وذلك لأنه لا يستطيع في الحالة العادية إزالة شوائب النفس الملوثة لديه في فترة حياة واحدة. بل على النفحة الشمسية (المخلص) أن تستمر في المحاولة مع كل نبضة شمسية لكي تنظف كل الشوائب حتى يصبح محتوى الفقاعة الدنيوية صافي ونقي تماماً. أي تعود النفس إلى عذريتها (أي أن تعود الإلهة بيرسوفون لعذريتها وتندمج مع أمها "ديميتر" في العالم السماوي) وهذه العملية تتطلب أكثر من نبضة شمسية، ربما ملايين النبضات، قبل أن يستطيع النور أن يخترق ويتغلغل إلى أعماق الفقاعة الدنيوية، وإذا نجح بذلك يكون قد حقق الفرد حالة التنور. (الشكل التالي يعبر عن هذه الفكرة وضوح)



النفحة الشمسية هي عبارة عن نور إلهي صافي ووديع. إذا كان محتوى الفقاعة الدنيوية كثيفاً بالشوائب فلا يمكن للنور اختراقه، وهنا يُرمز إلى أن المخلّص مات تعذيباً.



بعد تنقية المحتوى الدنيوي من الشوائب بحيث يصير صافياً يتمكن بعدها النور الإلهي من التغلغل في كامل جوانبه وحينها يحصل التنور لدى الفرد.

الأمر يشبه تماماً كوب الماء الي يُسلط عليه ضوء من مصدر ما. إذا كان الماء معكراً بالشوائب فسوف يعجز الضوء من اختراقه والتغلغل فيه، بينما إذا كان الماء صافياً شفافاً فسوف يتغلغل فيه الضوء ويجعل الماء يشع بالنور.

طالما بقي هناك شوائب ويكون المحتوى معكراً فهذا يعني بقاء الانعكاس قائماً للذات في العالم الدنيوي وهذا يبقيها مشغولة في الاستغراق بانعكاسها الوهمي وبالتالي سوف تستمر عملية التجسيد المادي بشكل متكرر مع كل نبضة شمسية. بمعنى آخر، طالما بقيت الماء ملوثة (النفس) سوف تستمر النفس في التجلّي في المستوى الدنيوي وتختبر أكثر من حياة دنيوية حتى تصبح نقية بشكل مطلق. حينها تتحرر من قيود المادة وتبقى إلى الأبد في رحاب العالم العلوي. هذا يجعلنا نستنتج بأن النفس لا تموت بل تبقى قائمة بين حياة وأخرى. من هنا جاءت ظاهرة التقمص أو تناسخ الأرواح.

الحياة هي مدرسة كبيرة. نحن جئنا إلى هذه الحياة لنتعلّم، وهذا التعلّم مصحوب بالتجارب والاختبارات ملئها المعاناة والعذاب. النور الإلهي لا يمكن أن ينمو في كيان الفرد دون اختبار الحياة الحقيقية والتي يسودها البؤس والمعاناة. من أجل تجلّى نور المخلّص في كياننا على الأم أن تكون عذراء بحيث تحبل به دون دنس. وهذا يرمز إلى تجلّي النور في المحتوى النقي الصافي للنفس. من أجل أن يتجلى فينا النور الإلهي وجب علينا تنقية النفس لدينا لتصبح كما العذراء الطاهرة. النقاء الذي يتصف به المحتوى السيولي هو ذاته العذرية التي يتصف بها المبدأ الأنثوي. الأم العذراء الطاهرة تمثل في الحكايا الرمزية المحتوى النقي الذي مهما دنسته الشوائب إلا أن جوهره يبقى نقياً وصافياً وبالتالي إذا تدنّس هذا المحتوى بملوثات العالم المادي بعد سقوط النفس يبقى قابلاً لأن يسترد نقاوته من جديد.

المخلّص يمثل الحب الخالص غير المنقوص والخالي من الانحرافات أو الأنانية أو المصلحة الذاتية، هو الحب المطلق المتجلّي بشكل غير محدود ويمثل برهان على حضور القوة الإلهية. التنور هو حالة تتجلى بعد إجراء سلسلة من التغييرات في سلوك الفرد وطريقة تفكيره وذلك لتوفير بيئة مناسبة لتجلي حالة التنوّر في كيانه. لكي يحرز الفرد حالة التنوّر عليه اختراق القيود التي تفرضها عليه حواسه ومتطلبات شخصيته الوهمية (الأنا) وأن يسعى إلى إدراك ذاته الحقيقية التي تقبع في جوهره. وأن يعلم عبر التجربة والاختبار حقيقة أن العالم المرئي والملموس الذي يحيطه هو

عبارة عن وهم، والكفاح من أجل عيش الواقع الأبدي الذي يقبع بداخله. أي خلال وجوده الأرضي على الفرد أن يعيش في حالة قدسية كاملة يحافظ خلالها على طهارة النفس من أي شائبة دنيوية يمكن أن تدنسها.

معظم الناس قد يرفضون هذه الدعوة أو هذا العرض، حيث يرون في ذلك تهديداً لمصالحهم الدنيوية مثل رغباتهم الشخصية وعلاقتهم مع العالم المادي الذي نشأوا فيه وتربوا على قيمه الزائفة. وبهذا نقول بأن الإنسان رفض أن يمثل تجسيداً للمطلق [جلّ وعلا] لأنه غير مستعد بعد أو غير جاهز. عليه خوض المزيد من التجارب في الحياة الدنيوية قبل ذلك. عليه أن ينمو فوق الأوهام التي لازال يعتبرها الآن مهمة. عليه الانتصار على ضعفه وهفواته وعجزه وخطاياه.

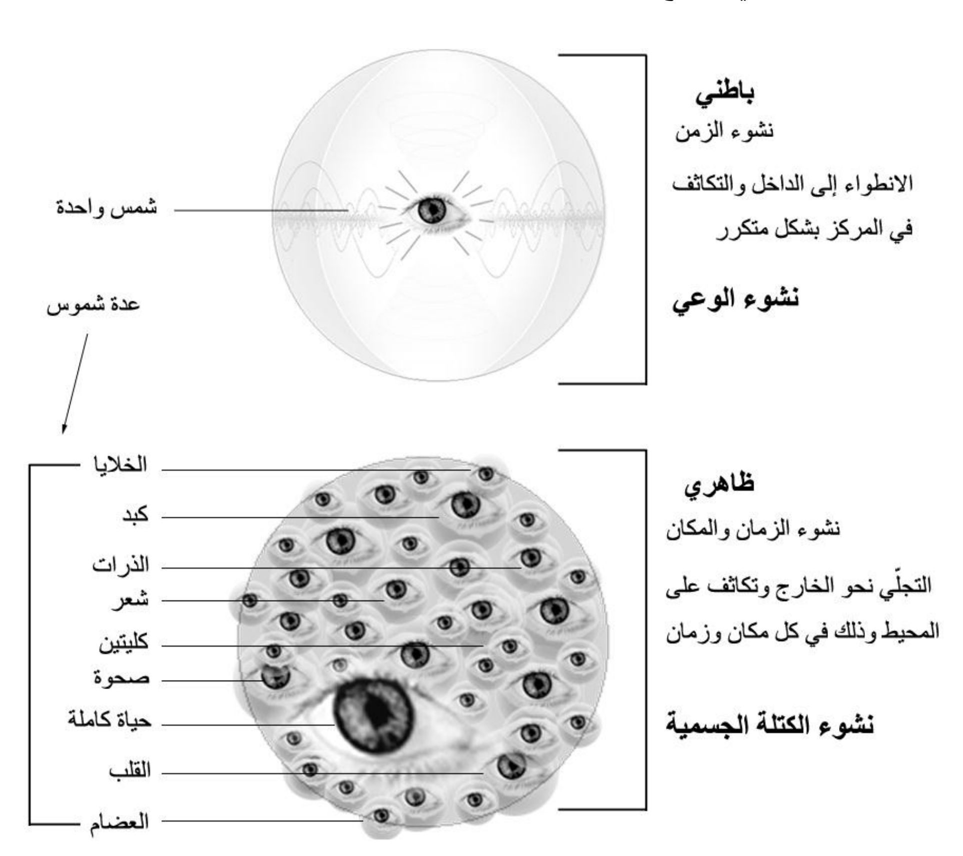
التقمص أو تناسخ الأرواح

وفق مفهوم التعاليم السرية

المعنى المقصود من كلمة "تقمص" أو "تناسخ"، أو أي كلمة مرادفة لهذا المعنى، هو إعادة التجسيد المادي للنفس بشكل متكرر (حياة/موت حياة/موت حياة/موت.. إلى آخره)، ويعتبر إحدى أهم المبادئ الأساسية التي أخذ بها الحكماء القدامى. هي تعني أن الكائن الحي لا تنتهي حياته بعد الموت بل تعود نفسه لتولد مرة أخرى بصيغة مادية لكن تتخذ شكل أو هيئة حياة جديدة مختلفة. هذا المبدأ العام له تفرعات كثيرة حيث بعض المدارس تسلم بأن النفس يمكنها الانتقال من إنسان لتتجسّد في حيوان أو نبات، بينما مدارس أخرى تصرّ على أن نفس الإنسان تبقى متنقلة ضمن نطاق العرق البشري ولا يمكنها النزول إلى مستويات أدنى. في الحقيقة هذه المسألة تتطلب الكثير من الجدليات الفلسفية ولا يمكن ذكرها هنا لضيق المساحة، لكن المهم هو التسليم بالمبدأ العام القائل بأن النفس قابلة للتجلي أكثر من مرة بصيغة مادية حيث تحتل جسد جديد في كل حالة تجلّي. الحكمة وراء هذه الفرضية لها أساس علمي متين، حيث طالما بقيت الرغبة مستعرة في النفس عند فراقها للجسد بعد الموت فسوف تجذبها مرة أخرى نحوى المستوى المادي مع كل نبضة شمسية تدفعها إلى التجلّي مرة أخرى. هذه العملية تتكرر لعدد كبير من المرات حتى تتجلي منها تماماً هذه الرغبة في المغريات الدنيوية وهنا تستعيد النفس عذريتها ونقائها فتبقى مندمجة مع المحتوى الإلهي حيث لم تعد عملية التقمص ضرورية (سوف أشرح هذه الفكرة لاحقاً). هنا يدخل دور التعاليم السرية التي تساعد الفرد على الخلاص بطريقة أسرع حيث لم يعد بحاجة إلى الانتظار حتى يتم تنقية نفسه بشكل طبيعي إذ قد يستغرق الأمر ملايين التقمصات المتكررة.

تقول عقيدة القدماء بأن الإنسان المولود في هذا العالم المادي قد مات في عالم النور. مع ولادته في هذا العالم المادي تبدأ مسيرة التعاليم السرية في دراسة سبب وجوده في هذا العالم (سقوطه) وسبل وآليات عودته إلى حيث جاء (عالم النور). الإنسان يحيا وينشط ويتجسّد مادياً بفضل النبضات المتناوبة لشمسه الباطنية. لابد من أننا استنتجنا هذه الحقيقة من خلال الاطلاع على المواضيع السابقة في هذا الكتاب. حتى كامل فترة الوجود المادي للإنسان، أي كامل حياته، تمثل نبضة شمسية واحدة. النبضة الشمسية تتجلى بأشكال وهيئات مختلفة وعلى مستويات عديدة. تذكر أن الشمس الباطنية متحررة من عامل المكان، وبالتالي فنبضتها متجلية بأكثر من هيئة وصيغة وحجم ووتيرة في كياننا الدنيوي. هناك مثلاً نبضة شمسية متزامنة مع ضربات القلب، وهناك نبضة شمسية

متزامنة مع فترة حياة كل خلية من خلايانا، وهناك نبضة شمسية متزامنة مع تجلّي كل ذرّة من ذرات جسدنا المادي، وهناك نبضة شمسية متزامنة مع كامل فترة الوجود المادي للإنسان، وهناك نبضة متزامنة مع إيقاعه الحيوي وهناك نبضة متزامنة مع إيقاع خيباته وأماله.. وهكذا إلى آخره، لكن دون الدخول في تعقيدات هذه المسألة علينا أولاً فهم الطبيعة الجوهرية لهذه النبضة الشمسية عموماً وكيف تعمل لأن فهم المبدأ النابض للشمس يعني فهم كافة أنواع النبضات الشمسية بجميع مستوياتها. الشكل التالي يوضح هذه المسألة جيداً.



هذا الشكل يوضح الفكرة المطروحة في الفقرات السابقة، حيث المستوى الظاهري للكائن محكوم بعامل الزمان والمكان وبالتالي هو مؤلف من عدد كبير من الشموس، ولكل شمس حجمها الخاص ووتيرتها النبضية الخاصة وتمثل أحد الأعضاء التي يتألف منها الجسم. لهذا السبب نرى اختلاف في وتيرة الإيقاع الزمني لنمو الشعر ونمو الجلد ونمو الخلايا.. إلى آخره، وكذلك نرى اختلاف في وتيرة إيقاع ضربات القلب وكذلك وتيرة إيقاع النوم والصحوة وتقلبات المزاج الناتجة من إيقاعات جسمية مختلفة (إفرازات هرمونية مثلاً) وغيرها من إيقاعات لانهائية في اختلافاتها وتنوعها.

بالإضافة إلى ذلك يوجد أكبر إيقاع زمني في المخلوق وهو إيقاع الحياة والموت التي تدخل أيضاً في هذه التركيبة. تذكر أن كل هذه الشموس المتجلية في القسم الظاهري وإيقاعاتها النبضية المختلفة هي مجرّد انعكاسات متنوعة لشمس واحدة وهي الشمس الباطنية، لكن الاختلاف في وتيرة تنابضها يعود سببه إلى أن الشمس الباطنية متحررة من عامل المكان وبالتالي يمكنها أن تتجلّى في القسم الدنيوي بأي حجم وبالتالي بأي وتيرة زمنية ممكنة.

إذاً، كل نبضة شمسية تمثل حياة قائمة بذاتها. أي كامل حياة الفرد في المستوى الدنيوي، مهما طال أمدها، لا تتجاوز لمحة البصر في الجانب الباطني لأنها عبارة عن نبضة شمسية واحدة في ذلك المستوى. من هنا عرف القدماء أن مفهومنا للموت هو وهم، إذ هو مجرّد حالة إيقاعية، حيث أن الموت والحياة هي عبارة عن حالة تبادلية مستمرة. أي أنه في الواقع ليس هناك حياة لوحدها ولا موت لوحده بل تبادل متكرر بين الموت والحياة، أي موت/حياة/موت/حياة/ موت/حياة.. وهكذا إلى آخره. لكن وفقاً للقدماء، يوجد طريقة وحيدة للخلاص من هذه الدورة الإيقاعية الأبدية، وهي تخليص النفس التي تكون عالقة في هذه الدورة الإيقاعية الأبدية لأنها تلوثت بالطبيعة المادية التي غاصت فيها من البداية. ولهذه المهمة الصعبة يوجد إجراءات معينة على الفرد اتخاذها، وهنا يدخل دور التعاليم السرية التي يدرسونها في المعابد. التعاليم البوذية تشكل مثالاً واضحاً على ذلك حيث الغاية النهائية للبوذي هو بلوغ النيرفانا أو التحرر من دورة التجلّي المادي المتكرر.

لكن هناك من استطاع تحقيق هذا الإنجاز العظيم في الماضي البعيد بعد أن فهموا هذه المسألة جيداً. لقد فهم المصريون القدامى هذه الحقيقة الجوهرية المتعلقة بالتقمّص وعملوا على إيجاد الوسائل المناسبة والمجدية لحلّ المسألة وتوصلوا إلى نظام أو منهج يساعدهم على الخلاص كلياً من العودة إلى هذا العالم الدنيوي عبر تطهير النفس تماماً من الشوائب. وبالتالي بدلاً من التجلّي مرة أخرى في هذا العالم الدنيوي كضرورة حتمية لإكمال عملية التطهير الطبيعي من الشوائب، استطاعوا الخلاص كلياً من دورة التجسيد المادي من خلال السعي لتطهير النفس كلياً خلال فترة حياة واحدة أي خلال نبضة شمسية واحدة. سوف نتعرف على المزيد عن هؤلاء الجبابرة من خلال الموضوع التالي، وهو مقتبس من إحدى محاضرات الفقيه "مانلي بالمر هول" Manly P Hall وهي بعنوان "شعائر الانتساب في الهرم" Initiation of the Pyramid:

شعائر الانتساب في الهرم
Initiation of the Pyramid

بعد إلقاء نظرة متفحّصة على الآثار الجبارة التي خلفها القدماء، إن كان في العمران أو المفاهيم الفلسفية والعلوم التطبيقية القديمة، أول ما يطرأ في البال هو ضرورة إعادة النظر في قناعاتنا حول الحالة التي كانت سائدة في الماضي البعيد. لم يعد هناك أساس لتلك الفكرة السخيفة التي ترجعنا إلى أصل قرود أو حالة همجية وضيعة بحيث يزعم المعتقد العام أنه قبل حضارتنا الحالية بعدة ألفيات لم يكن هناك شيئاً سوى جهل مطلق ووحشية منقطعة النظير. هذه النظرة للماضي البعيد لم تعد تجد لها أساس متين. معظم الدلائل التي لدينا بخصوص الماضي البعيد تشير إلى حقيقة أنه في زمن ما في ذلك الماضي السحيق عاش أصحاب عقول هائلة ومنهج علمي عظيم كان قادراً على تخطيط وتنفيذ مشاريع عجيبة لدرجة عدم التصديق! وهذه العقول العظيمة أظهرت حرفية عالية وجمال فاتن وحكمة راقية في كل ما حققته من إنجازات.

كان المصريون القدماء يؤكدون أنه في زمن بعيد قبل زمانهم كان الآلهة يعيشون مع البشر. قالوا أن الآلهة والقوى الإلهية مشت على هذه الأرض. هذا التصريح لا بد من أنه رمزي، لكن إلى ماذا يرمز؟ ربما ما كانوا يحاولون قوله لنا هو أنه في زمن بعيد جداً كان الكائن البشري عظيماً بالفطرة، أي تتجلى فيه القوة الإلهية بشكل طبيعي منذ ولادته! كان الإنسان مثلاً موهوب بشكل طبيعي بقدرة الإستبصار أو أي قدرة إدراكية خارقة. كان لديه قدرة عجيبة على إدراك وتقييم والتناغم مع أي من المبادئ الكونية التي يتأسّس عليها الوجود المادي. هذا ولم نتحدث عن قدرة تحريك الأشياء بقوة الفكر وقد رأينا هذا بوضوح في الصروح الحجرية العملاقة. إذاً، عندما قالوا أن الآلهة عاشت مع البشر كانوا يقصدون أن القدرة الإلهية العظيمة تجلّت لدى البشر. لكن تدريجياً، ومع مرور الزمن، بدأ العالم المادي يطغي على تفكير هؤلاء إلى أن سقطت البشرية جمعاء في حقبة زمنية سوداء.

هناك تقليد فلسفي قديم جداً ورثته الحضارة المصرية من مصدر عريق... وهو تقليد يتمحور حول تطوير القوى الباطنية للإنسان. وقد ظهرت هذه الفلسفة في الهند التي ربما ورثته أيضاً من حضارة سابقة ازدهرت يوماً في إحدى العصور الغابرة... لكن كل ما نعرفه هو أنه قبل عشرة آلاف سنة تقريباً ظهرت أقلية متنورة تعتبر من الناجين من تلك الحضارات البائدة وكانت تحتفظ بمعرفة متطورة

جداً وهذه المعرفة بالذات هي التي نراها متجلية في آثار الحضارة المصرية والثقافة الهندية واليونانية القديمة ولو بمستوى أقل من ناحية العظمة والجبروت.

وجب العلم أن نظام التعاليم السرية في معابد مصر القديمة كان يتمحور حول نقطة مهمة بقدر ما كانت مذهلة. وهذه النقطة المهمة قمنا بنسيانها عبر الزمن ولم نحاول أبداً استرجاعها إلى منظومتنا الاعتقادية أو حتى منحها ما تستحقه من التفكير والتأمّل. إن الهدف الأساسي الذي تتمحور حوله مدارس الحكمة المصرية القديمة يتمثل بفكرة واحدة بسيطة، على المريد أن يتعلّم بشكل واقعي وفعلي ودون أي شكّ أو تساؤل، بالإضافة إلى الإثبات الفعلي عبر التجربة الشخصية، أن ***الموت هو وهم!*** أن الخلود يمثل قمة الحقيقة! الحكماء القدامى لم يؤمنوا بهذه الفكرة فحسب بل جاهدوا في إخفاءها وجعلها سرّ كبير محروس بعناية. لكنهم طوّروا منهج علمي يستطيعون من خلاله شرح وتوضيح وإثبات هذه الحقيقة العظيمة أمام المريد عبر التجربة العملية حيث يجعلونه يختبرها شخصياً وفق ظروف خاصة. بمعنى آخر، وفقاً للمفهوم القديم، كان المنتسبون إلى المدارس السرية قد عاشوا ثم ماتوا ثم ولدوا من جديد في حياتهم المادية هذه! من أجل تحقيق هذا، تم تصميم نظام شعائري معقّد ومدروس بإتقان، حيث وفق مفهوم الخلود أو الأبدية تم تشييد ثقافة دنيوية في عالمهم الواقعي حيث الخلود أصبح قابلاً للإثبات بالتجربة العملية وأصبحت هذه الفكرة تمثل واقع غير مشكوك به، ليس لأنه تصريح من نبي أو إله أو قديس أو رجل دين بارز، وليس لأن رجل حكيم متنور صرّح بهذه الحقيقة، ليس لأننا نرغب في الاعتقاد بهذه الفكرة، أو لأنها كُتبت في نصوص مقدسة، أو غيرها من أسباب مشابهة، بل الفرد الذي آمن بهذه الفكرة قد اختبرها فعلياً خلال تلك الشعائر حيث مات ومرّ بحالة الموت ثم عاد للحياة مرة أخرى.

هذه هي الوظيفة الجوهرية لنظام المدارس السرية. هي الإثبات بدون أدنى شكّ بحقيقة أن الموت لا يمثل نهاية أي شيء. الكثير من الفلاسفة الإغريق أشاروا إلى هذه الحقيقة في كتاباتهم مثل "سيسيرو" و"ماركوس أوريليوس" و"بلوتاينوس" و"بروكلوس" وأيامبليكوس" وغيرهم، لكنهم جميعاً أشاروا إليها كأمر معروف فقط وليس كحقيقة مسلّم بها بصفتها إيمان جازم. أشاروا إليها بأنها حقيقة لا يمكن إنكارها من قبل قدماء المصريين لأنه تم اختبارها فعلياً في حياة المؤمن بها. بالتالي نستنتج بأن ما يُسمى كتاب الأموات الذي يوصف إحدى شعائر نظام التعاليم السرية المصرية هو عنوان أسيء ترجمته كما أساؤوا ترجمة الكثير من المخطوطات المصرية القديمة. اللغة المصرية لم تسميه كتاب الأموات بل كتاب المتقدمين إلى الأمام بالنهار مع فتح الفم. هذا هو الاسم المعروف في

الزمن القديم لهذا المخطوط المحفوظ الآن في المتحف البريطاني والمؤلف من لفافتي بردى بعنوان "لفافة آني" و"لفافة هانوفا". هذه كانت أمثلة توثيقية مهمة حول عودة الميت للحياة خلال الشعائر السرية المصرية.

إذاً، فلسفة الحياة التي أنشأها القدماء تتمحور حول فكرة أبدية الحياة. وضعت على أساس أن الفرد هو كائن أبدي وليس كائن مؤقّت. سوف يستمر في التقدم بحياته الأبدية دون نهاية. لم يكن هناك أي جهة عامة أو خاصة تبشر بهذه الحقيقة أو تدرسها بين عموم الناس لأن هذه الحقيقة لا يمكن للناس تصديقها بواسطة التبشير الكلامي بل عبر الاختبار العملي فقط. بينما في قاعات المدارس السرية كان المريد يختبرها بنفسه فيتيقن من واقعيتها بصفتها حقيقة واضحة وجلية وملموسة.

هناك مسرحية مشهورة بعنوان "لازاروس ضحك" وهي للكاتب "يوجينو نيلز" وهي مستوحاة بشكل كبير من التعاليم القديمة. جميعنا نعرف أن لازاروس هو الرجل الذي أقامه سيدنا يسوع من الموت في الكتاب المقدس. توصف المسرحية مرحلة من حياة لازاروس بعد قيامته من الموت، حيث تروي المسرحية كيف تم اعتقاله في روما من قبل رجال الامبراطور كاليغولا. عندما أحضروه أمام الامبراطور قام هذا الأخير بتهديد لازاروس بالقتل لكن ما كان على لازاروس سوى الضحك مستهزئاً دون خوف. ***الرجل الذي مات وعاش من جديد ضحك من الرجل الذي يستطيع قتل أي شيء!*** هذا هو جوهر التعاليم السرية. الضحك من المخاطر الدنيوية مهما كانت مهولة ومرعبة. الفرد الذي أصبح على يقين بفكرة الخلود، ليس لأنه يعرف بها أو سمع عنها، بل عبر اختبارها فعلياً خلال شعائر المدارس السرية حيث خرج من الظلام إلى النور ثم عاد إلى الظلام الدنيوي مجدداً، يصبح على يقين مطلق ودون أدنى شكّ بأنه لا يوجد شيء يسمى موت!

ربما لا ندرك مدى أهمية هذه الفكرة خلال عيشنا في هذا العصر المليء بالبهرجات الدنيوية التي نسميها حضارة متقدمة. نحن لا نستوعب كم هو مفهوم الموت قمعي بالنسبة لنا. جميعنا نحمل في مخيلتنا صورة قبيحة عن الموت حيث غالباً ما نربطه بالتعذيب الوحشي للجسد والألم الشديد الذي يرافقه، وهذه خطيئة الأنظمة الدينية التي جاءت لاحقاً حيث أهدافها لم تكن ترقية الإنسان بل لتجميع الحشود البشرية كما الأغنام بحيث تخضع كلياً لإرادة الملوك. عندما تناولت المدارس السرية موضوع الموت لم تكن للتخويف بل بالعكس حيث كانت الغاية الأساسية إثبات فكرة الخلود والحياة الأبدية. هي فكرة مرتبطة بأبدية الوعي والمترافقة مع عملية التناسخ أو التقمص أو إعادة التجسيد

المادي بعد الموت المادي. مفهوم التقمص إذاً هو بكل بساطة مفهوم الأبدية والخلود. هذه هي المسيرة الأبدية لكل شيء موجود: موت/حياة موت/حياة موت/حياة موت/حياة موت/حياة... لذلك لم يكن لدى القدماء أي خوف من الموت. هذه العقيدة ساهمت في تحويل حياة الفرد المليئة بالخوف بكل أنواعه إلى حياة يملأها الاطمئنان والثقة. كما أنها ساهمت في إلغاء الأهمية القصوى للوجود المادي إذ جعلته يمثل المستوى الأقل شأنناً في كياننا الخالد ووجودنا الأبدي.

هناك طريقتين للتقدم الروحي في هذا العالم، الطريقة الأولى هي الطبيعية وتتمثل بالنمو ببطء عبر الحيوات المتعددة وما تحويه من معاناة وعذاب، ربما تستغرق هذه الرحلة الطويلة مئات وربما آلاف الحيوات قبل أن يتحرر الفرد من قيود الوهم المادي. لكن بالنسبة للحكماء القدامى يوجد ما يسمونه طريقة الحكيم. وهذه الطريقة الحكيمة تتمثل في التمتع بالنيّة الصادقة والعزم الكافي للمرور بكامل التجارب الحياتية التي يمكن للفرد خوضها عبر كامل تلك الحيوات اللامحدودة خلال حياة واحدة! أي يخوض رحلة تطهير شاقة عبر سلسلة من الاختبارات الصعبة والقاسية بحيث ينمو الوعي لديه عبر الخبرات التي يكتسبها بالإضافة إلى تطهير النفس لديه بحيث لم تعد بحاجة للعودة إلى العالم المادي مرة أخرى، كل ذلك خلال حياة واحدة! خلال خوض الطقوس الشعائرية التي صممها الحكماء المصريون.

قد يقول الفرد أن هذه طريقة بسيطة، وثقته الزائدة بنفسه قد تجعله مقتنعاً ومستعداً لخوض هذه الرحلة التطهيرية التي تستغرق حياة واحدة فقط فتغنيه عن خوض باقي الحيوات، لكنه لا بد من أن نسي أمراً مهماً، إن الخوض في معاناة مئات الحيوات في فترة قصيرة متمثلة بحياة واحدة لا يعني أنه سيسير في طريقة تختصر المسافة بحيث توفر عليه الكثير من المعاناة، بل بالعكس، حيث هي عملية تكثيف وتراكم كافة التجارب التي يمكن أن يخوضها الفرد عبر الحيوات الأخرى في حياة واحدة! هذا يعني أنه على الفرد أن يتوصل إلى حالة معيّنة عن طريق الانضباط والالتزام وبالتوافق مع القوانين الكونية مما يؤهله لتلقي القبول الذي يخوّله خوض هذا الطقس الشعائري المهم جداً.

وحتى بعد أن يخوض تلك الطقوس التي تحرره، فهذا لن يحرره من الواجبات والمسؤوليات، بل هذا سوف يجعله أمام مسؤوليات وواجبات كبيرة جداً. بصفته أصبح مواطناً لعالمين اثنين (العلوي والدنيوي)، على الفرد أن يتصرف بناء على هذا الأساس. كما أنه يكون قد تعلم من خلال بعض ما اختبره خلال مسيرته أن هناك أشياء يستطيع فعلها بينما هناك أشياء لا يمكنه فعلها. يتعلم مثلاً بأنه

إذا كان مهتماً أساساً بأمانه الشخصي فيكون قد فشل من البداية. هو لم يخوض هذه الطقوس لكي يصبح أكثر نبلاً أو أكثر ارتقاء أو أكثر نجاحاً من الآخرين. هو يخوض هذه المسيرة لهدف واحد فقط: لكي يكون خادم أفضل للمطلق [جلّ وعلا]. هذه الطقوس تخرّج ما يمكن اعتبارهم مريدين حكماء ملتزمين، وليس أشخاص معتدّين بأنفسهم فيجلسون متباهين على الكراسي متكئين للوراء بكبرياء. نحن نتكلم عن خوض طريق شاقة طويلة بحيث كل خطوة تحمّل المريد أثقالاً من المسؤوليات والواجبات. ومن أجل إحراز نهاية الطريق يتطلب الأمر إلغاء كامل للمصلحة الشخصية، أي تغلّب كامل على مسائل تتعلق بالأنانية والقيمة الذاتية والمصلحة الشخصية. وإلا فسوف يضيع كل شيء بحيث يذهب كامل مجهوده سدى.

بالإضافة إلى ذلك، بعد البدئ بمسيرة التطهير لا يمكن أن يحصل أي تراجع للخلف، لأنه على المريد أن يحرز حالة يقين قبل أن يُمنح حالة التنور التي يسعى إليها بحيث تجعله مستحيل تماماً أن يتراجع للخلف. عندما يحرز هذه الحالة لا يمكنه أن يدير ظهره متخلياً عنها. إذا تخلى عنها فهذا يعني أنه لم يحرزها أصلاً. إذا فشل في مسعاه فيكون قد فشل لنفسه حيث لا يمكنه أن يُفشل المطلق [جلّ وعلا]. وجب العلم أن طقوس التطهير في ذلك الزمن كانت خطيرة جداً لدرجة أنها مميتة في معظم الأحيان.

انتهى الاقتباس

....

لا يمكن اكتمال الصورة بخصوص التعاليم السرية وروعة فلسفتها السامية دون حضور تعاليم شجرة الحياة. فيما يلي فكرة وجيزة، لكن واضحة وشاملة، عن هذه الفلسفة التي فتنت قلوب الكثير من الأجيال في العالم القديم.

منظومة شجرة الحياة

والوصف الفلسفي لمكونات الإنسان

(وكل كائن متجلّي)

تمثّل مجموعة تعاليم شجرة الحياة منظومة كزمولوجية قديمة جداً تفسّر الوجود وكل تجلياته عبر تصنيفات وتعريفات مجرّدة ومركزة بشكل أخصّ على القوى الرئيسية التي تتألف منها الشجرة، حيث تحتلّ ٩ مقامات منها، بينما المقام العاشر يمثّل التجسيد المادي. و"الصفر" يمثّل "العدم".. اللاوجود، والذي هو بنفس الوقت "كل شيء موجود" لكن بطريقة ساكنة. تمثّل "شجرة الحياة" مخطط أوّلي متسلسل لعشرة تجليات و٢٢ مسار تنبثق عبرها الميكانيكية الكونية للوعي والطاقة. إنها بكل تأكيد ناتجة من عقول عبقرية وتجاوزية بنفس الوقت، حيث ليس من السهل رسم مخطط "ذو أبعاد محددة" لكيان كوني "متجاوز للأبعاد". تمثّل الشجرة "المخطط التشريحي لبنية إله الكون"، وبما أننا خُلقنا بصورته، فهذا يعني أن المخطط يكشف أيضاً عن تشريح البنية الروحية لكل فرد منا. في مستوى الإنسان، تجد هذه الطاقات والقوى الرمزية تعبيراتها كأنواع مختلفة من الشخوص الرمزية. هذه الشخوص الرمزية تندمج بدرجات مختلفة في كل فرد منا لتكوّن خلطة معيّنة تمثّل شخصيته النهائية الفريدة من نوعها. "الروح" تمثّل عنصر معمّم على كل إنسان، أي كل إنسان يحوز على ذات الآليات والوظائف التي تجسدها "الروح"، لكن الفرق بين كل روح وأخرى يكمن في اختلاف مقوماتها المندرجة ضمن مقامات "شجرة الحياة".

لقد أصبح واضحاً أن مقومات روح الإنسان وأعضاءه الموجودة في المستوى المادي تمثّل، بالتشبيه، سلسلة مراتب من هيئات وكيانات ذكية تقبع في العوالم الأعلى. وقد رتّب الحكماء القدامى هذه القوى على شكل شجرة تمثّل مخطط ثنائي الأبعاد لهذه العوالم المؤلفة من عشر مقامات، التسعة الأولى تمثّل القوى المتحكمة بالإنسان، والمقام العاشر يمثّل تجسيده المادي. لكن رغم ذلك فالإنسان يجهل تماماً هذه الحقيقة، لأنه لا يستطيع استيعاب أو السيطرة على ما هو أسمى منه وأعظم منه. على أي حال، كافة هذه المستويات العليا بدورها تسيطر عليه، وهذا يبدو واضحاً من خلال نشاطاته ووظائفه الجسدية المختلفة. وإذا لم تفعل هذه المستويات العليا ذلك فسوف يكون الإنسان مجرّد كتلة من المادة الميتة.

إنه نظام فكري يوصف العلاقة المتبادلة بين مجموعة من الشخوص الرمزية archetypes، كل منها ترمز إلى مظهر مختلف من الحياة. علم النفس، علم الفلك، تحضير الأرواح، الميثولوجيا، علم الأرقام، علم الهندسة،.. وغيرها، جميعها تنسجم بتناغم مع مخطط شجرة الحياة.

تُستخدم "شجرة الحياة"، وبشكل فعال، كمنظومة كونية/شمولية لفهم الأشياء ولماذا تتصرف أو تكون بهذه الطريقة في عالمنا. كل مقام في الشجرة له "نظام وصله" المجرّد والمدروس بعناية، خصوصاً من ناحية علاقته بالظواهر الطبيعية، اللون، الرقم، الحرف الأبجدي، يوم الأسبوع، الغذاء، الكلمة المنطوقة، وكل شيء آخر (سوف أتحدث عن كامل هذه التفاصيل المتعلقة بمنظومة الشجرة في كتاب خاص لهذا الموضوع، لكننا الآن نتناول موضوع الشجرة باختصار).

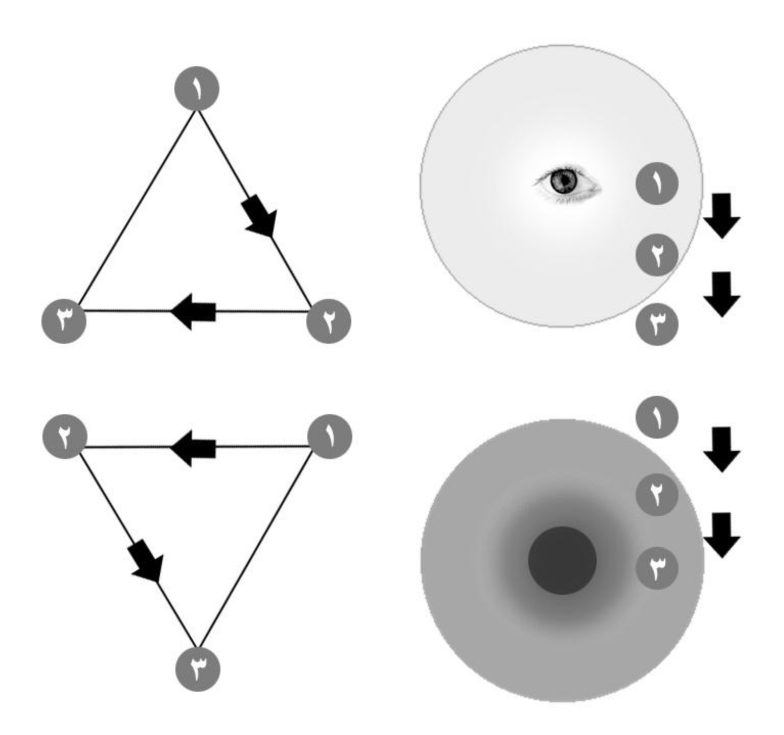
المقامات في الشجرة ليست مجرّد توصيفات صوفية عميقة ومعقّدة كما تصورها التعاليم الباطنية المتعلقة بها، بل تمثّل عناصر فعالة في الحياة بكافة مستوياتها: المادية، العقلية والروحية. الآلهة والأرواح والملائكة وغيرها من الكائنات الماورائية التي قدّسها الكهنة وعبدها الرعايا هي عبارة عن قوى كونية نشطة في الطبيعة، تتفاعل مع كينونتنا البشرية وكل الأشياء الأخرى بطريقة تجاوزية لكنها ملموسة ويمكن إدراكها بسهولة. كل من هذه المقامات يتناول جانب من تلك القوى الكونية المتفاعلة معنا في الحياة. والمنظومة الكاملة للشجرة تساعدنا على تفسير الكثير من الألغاز التي لازالت تربكنا خلال البحث عن إجابات لها. كما أنها تغني رحلتنا نحو التنوّر الروحي والفكري.

سوف نجري فيما يلي مقارنة بين صيغة الفقاعتين (العقلوية والدنيوية) وبين منظومة مخطط شجرة الحياة لنكتشف التطابق الكبير بين النموذجين من حيث القوى التي يحويها كل منهما، هذا بالإضافة إلى وظيفة كل قوة ونشاطها وغيرها من تشابهات. وهذا دليل آخر على التشابه الكبير بين كافة الفلسفات التجاوزية القديمة مهما اختلفت أساليب شرحها ووصفها وتطبيقها.

مقارنة متطابقة

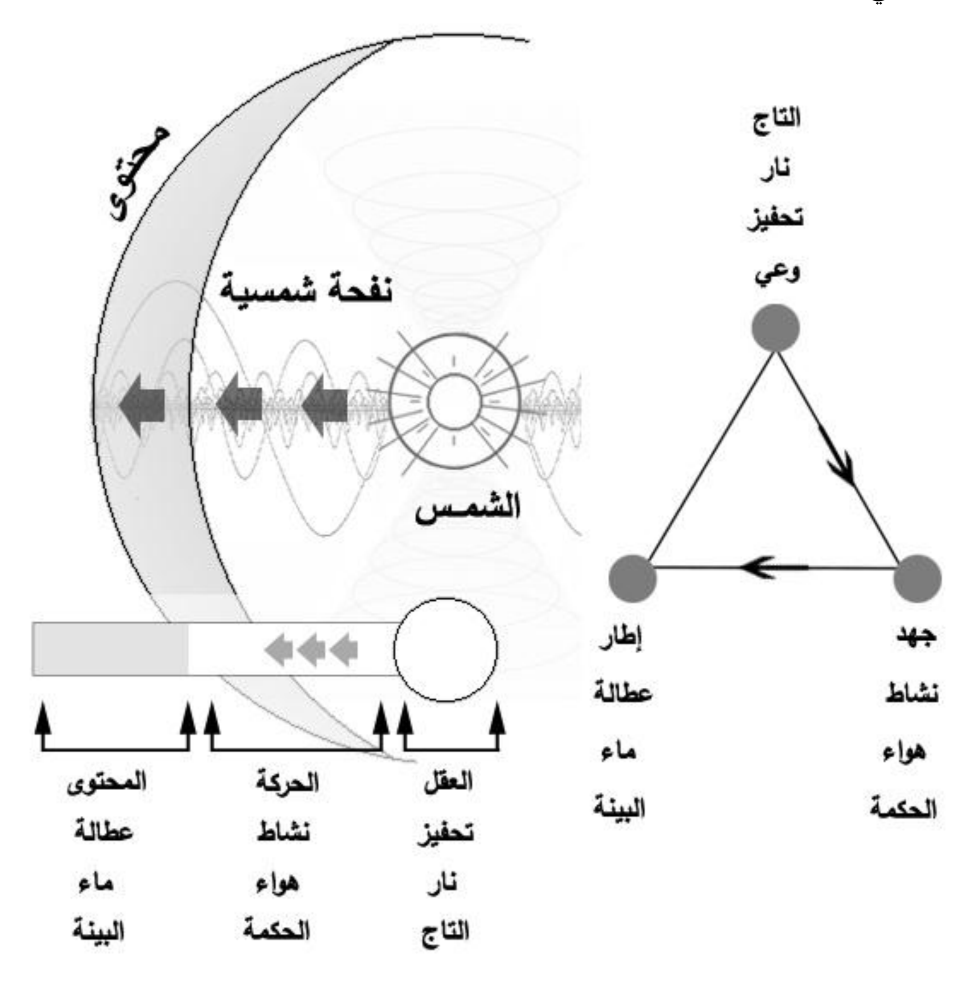
بين صيغة الفقاعتين (العلوية والدنيوية) وبين مخطط شجرة الحياة

أصبح لدينا صيغة نهائية للمكونات الرئيسية للكائن وهذا يشمل قسميه الباطني والظاهري. لكن كيف يمكننا ترجمة هذه الصيغة وفق منظومة شجرة الحياة التي هي أيضاً تشمل المكونات الرئيسية للكائن بما فيه قسميه الباطني والظاهري؟ الجواب بسيط جداً، قبل قيامنا بالشرح الكلامي، كل ما علينا فعله هو إجراء مقارنة عينية بين النموذجين كما في الشكل التالي:



أعتقد أن الشكل السابق لا يتطلب الكثير من الشرح لاستيعاب الفكرة. المثلثين المتقابلين يعبران بوضوح عن الفقاعتين الممثلتين للعالم العلوي والعالم السفلي كما تعبر عن حالة التعاكس بينهما. المثلثين العلوي والسفلي مؤلف كل منهما من ثلاثة مكونات وكذلك الفقاعتين العليا والسفلى مؤلفتين من ثلاثة مكونات. دعونا الآن نتعرف على هذه المكونات في كل من هذين النموذجين.

المثلث العلوي هو ذاته الثالوث الأساسي الذي أصبحنا نألفه من خلال شروحات سابقة، أي هو مؤلف مثلاً من العناصر التالية: وعي، جهد، إطار. أو: التحفيز، الحركة، العطالة. أو: نار، هواء، ماء. أو: النواة الشمسية، النفحة الشمسية، المحتوى. يمكن التعبير عن هذه الصيغة من خلال الشكل التالي:



مقارنة تشبيهية بين محتويات المثلث مع مواقعها وبين ومحتويات الفقاعة الشمسية مع مواقعها

إذاً، الثالوث الأوّل من الشجرة مؤلف من ثلاثة مكونات أساسية، ولا بد من أننا استنتجنا بعض معانيها عبر ذكر بعض الصيغ المختلفة المبينة في الشكل السابق والتي تمثل أوصاف مختلفة لهذه المكونات. أهم مكونات هذا الثالوث هو الذي يمثل النواة الشمسية، إذ هو أساس الشجرة أصلاً ولهذا يسمى أحياناً البذرة. هو يحتل المقام الأول في الشجرة وموقعه عند رأس المثلث الأوّل.

وصفت تعاليم القبالة هذا المقام الأوّل بأنه النقطة المتبلورة التي صنعها [أين صوف] الذي هو الجانب الخفي للخالق [عزّ وجل] وسماها "كيثر" Kether. وفقاً لفلسفة القبالة، "كيثر" هو البذرة المزروعة في العدم فانبعث منها الخلق. "كيثر" هو الوجه المتجلّي من الخالق [عزّ وجل]، لقد نسبوا لـ"كيثر" ألقاب كثيرة، مثل: مستتر المستترين، وجود الوجود، أقدم الأقدمين، أقدم الأزمان، النقطة الأوّلية، النقطة الصافية، النقطة في مركز الدائرة، الأعلى، مبهم العلو، التاج،... إلى آخره. هذه الألقاب تشير جميعاً إلى أن "كيثر" يمثل أوّل وأقدم مصدر للوجود. وأكثر الأوصاف دقة هي تلك التي تصوره نقطة داخل دائرة (رمز الشمس في المراجع الفلكية القديمة).



هكذا يتصورون "كيثر" أو التاج وفق تعاليم القبالة، وهذا بالضبط مظهر المبدأ الشمسي حيث التاج يمثل أحد رموز الشمس في التعاليم القديمة

وفقاً لنصوص القبالة، "كيثر" مؤلف من ذكر وأنثى معاً، كما أنه يمثل كافة المتعاكسات كالظلام والنور والسالب والموجب والخير والشرّ.. إلى آخره. هذا يذكرنا بمبدأ الين/يانغ المذكور سابقاً. لكن بنفس الوقت ولّد نشاطه زوج جديد مؤلف من ذكر وأنثى هما الحكمة والبينة. الحكمة تمثل القوة الذكرية المندفعة من النواة الشمسية التي يمثلها "كيثر"، بينما البينة تمثل المحتوى الأنثوي المتكاثف على جدار الفقاعة الشمسية بفعل القوة الذكرية المندفعة فنشأت الهيئة والبيان.

إذاً، أصبح لدينا ثلاثة مكونات للمثلث الأول في شجرة الحياة، ووفق تعاليم القبالة هي: [١] التاج، [٢] الحكمة، و[٣] البينة. سوف آتي على شرح معاني كل من المقامين الأخيرين، لكن المهم أن نعلم أن كافة الثقافات القديمة تتحدث عن نفس المحتويات رغم الاختلاف في التسميات والمصطلحات. المراجع الفلسفية الهندية مثلاً تتحدث عن ثلاثة مكونات رئيسية للتجلّي الإلهي وهي: [١] أتمان Atman، [٢] بودهي buddhi، [٣] ماناس manas، وقد وصفت "أتمان" بأنه أعلى المستويات في المخلوق، هو وعي نقي وصافي، المعنى الحرفي لهذه الكلمة باللغة السنسكريتية هو "الذات"، هو الذات الكونية الكامنة في كل مخلوق في الكون المتجلّى. هو يمثل الإدراك النقي والمطلق لكل شيء. هو يمثل الفكرة المجرّدة بخصوص الذات. هو لا يختلف أبداً في تجليه بكافة المخلوقات في الكون سوى من ناحية واحدة فقط وهي الدرجة التي يتعرف فيها المخلوق أو الفرد عليه. درجة اقتراب الفرد منه والاعتراف به هي التي تختلف فقط. لا يمكننا اعتبار "أتمان"، أو شمسنا المركزية، بأنها ملك خاص لنا رغم أنها تمثل جوهرنا المقدس الذي لا تملك جسد ولا شكل ولا يمكن إدراكه أصلاً إذ هو خفي كلياً وغير قابل للتجزئة.. كأنه غير موجود.. لكنه رغم ذلك يبقى حاضراً دائماً وأبداً وتأثيراته ملموسة. الفرد لا يشعر بوجوده رغم أنه دائماً يحيا بضلاله، فإشعاعه المضيء يتغلغل في أدق تفاصيل كياننا وذلك عبر وسيلته المباركة التي يمثلها "بودهي" والذي يحتل المقام الثاني من الثالوث. المهم أن نعلم أن المقامين الثاني والثالث بعد "أتمان" يمثلان كل من الحكمة والبينة كما الحال مع تعاليم القبالة.



رسمة جدارية بوذية توصف الحالة بدقة، حيث تظهر النواة الشمسية والنفحة الشمسية (تتخذ هيئة بوذا Budha وهو جالس بوضعية اللوتس) وأخيراً المحتوى المتكاثف على جدار الفقاعة ويتخذ شكل هلال. تذكر أن الفلسفة البوذية تختلف عن الفلسفة الهندية التي ذكرتها سابقاً وسوف أتحدث عن بوذا لاحقاً في موضوع آخر.

تحدثت التعاليم الأورفية (الإغريقية) عن "فانيز" Phanes، وهو يمثل النواة الشمسية في موضوعنا إذ معنى الكلمة التي تحمل اسمه بالإغريقية "الذي يشع" أو "الذي يسطع إلى الأمام". ولقبه "بروتوغونوس" Protogonos، أي "المولود الأوّل". هو والد كل الآلهة في العالم المتجلّي. كل مخلوق في الكون يحمل "فانيز" بداخله. الإنسان بصفته الفردية يحتوي على "فانيز" بجوهره بصفته الجوهر الأوّلي والقوة الأساسية وراء وجوده أصلاً. هو يمثّل المصدر الخالق لكل شيء في الكون المتجلّي كما يمثل المحتوى الأوّلي لكل شيء وكذلك يمثل الذكاء (الوعي) الأوّلي لكل مخلوق. المكونين الآخرين لثالوث "فانيز" يمثلان كل من "أورانوس" و"كرونوس" ، ويمثلان ذات المعنى المرادف للحكمة والبينة أيضاً، كما الحال مع باقي التعاليم.

يوجد الكثير من التعاليم الأخرى حول العالم والتي يمكن ذكرها هنا لكن أعتقد أن الفكرة أصبحت واضحة بخصوص معاني المكونات الثلاثة للثالوث الأوّل، وهو الثالوث السماوي أو الثالوث الإلهي. ويمكن تلخيصها على الشكل التالي:

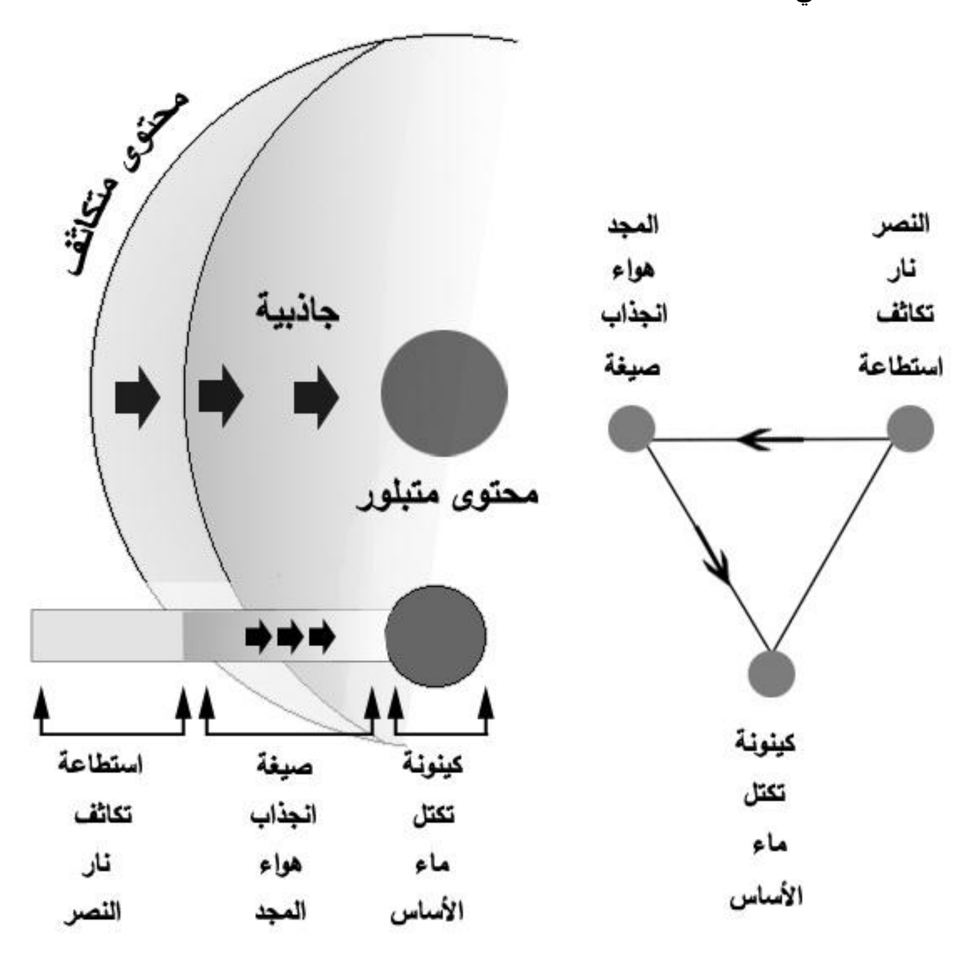
١. المكون الرئيسي للثالوث الأوّل هو النواة الشمسية، الابن المقدس أو المولود الأوّل والوحيد. هو البذرة المزروعة في العدم فانبعث منها الخلق، لهذا يعتبر أساس شجرة الحياة. هو والد المقامين التاليين، وبالتالي هو حيادي، أي لا ذكر ولا أنثى، بل الاثنين معاً. هو يمثل عنصر النار.

٢. المكون الثاني للثالوث الأوّل هو النفحة الشمسية، النزعة للحركة أو للقيام بنشاط ما، هو الجانب الذكري للثالوث، يمثل عنصر الهواء. هو يمثل الحكمة الإلهية.

٣. المكون الثالث للثالوث الأوّل هو المحتوى، النزعة لاتخاذ شكل أو هيئة ما، هو الجانب الأنثوي للثالوث، يمثل عنصر الماء. هو يمثّل البيّنة الإلهية.

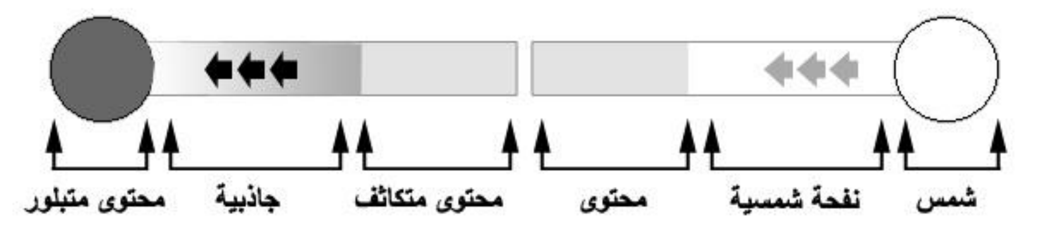
هذا هو الثالوث السماوي الذي يقبع في الجانب الباطني من كياننا، لكنه من الجانب الآخر يعتبر الوجه المتجلّي للخالق [جلّ وعلا]. وفق تعاليم القبالة، الجانب المحجوب من الخالق [عزّ وجلّ] هو [أين صوف]، وبالنسبة للمصريين هو [آمين] أي المحجوب.

المثلث السفلي هو الانعكاس الذي نشأ للثالوث العلوي الأساسي، هو يمثل القطبية المعاكسة لأنه كما المرآة العاكسة، أي كل ما يحصل في العالم العلوي الحقيقي يحصل بالعكس في العالم السفلي الوهمي. التكاثف على المحيط يصبح تكاثف في المركز مثلاً، الإشعاع نحو المحيط يصبح انجذاب نحو المركز، أو التمدد يصبح تقلّص، أو العطاء يصبح أخذ، التفاني يصبح أنانية.. وهكذا إلى آخره. وبالتالي الثالوث السفلي مؤلف من العناصر المعاكسة تماماً للثالوث العلوي الأساسي. أي هو مؤلف مثلاً من العناصر التالية: الاستطاعة، الصيغة، الكينونة. أو: تكاثف، انجذاب، تكتل. أو: نار، هواء، ماء. أو: محتوى متكاثف، جاذبية، محتوى متبلور. يمكن التعبير عن هذه الصيغة من خلال الشكل التالي:



مقارنة تشبيهية بين مواقع محتويات المثلث السفلي وبين مواقع محتويات الفقاعة الدنيا

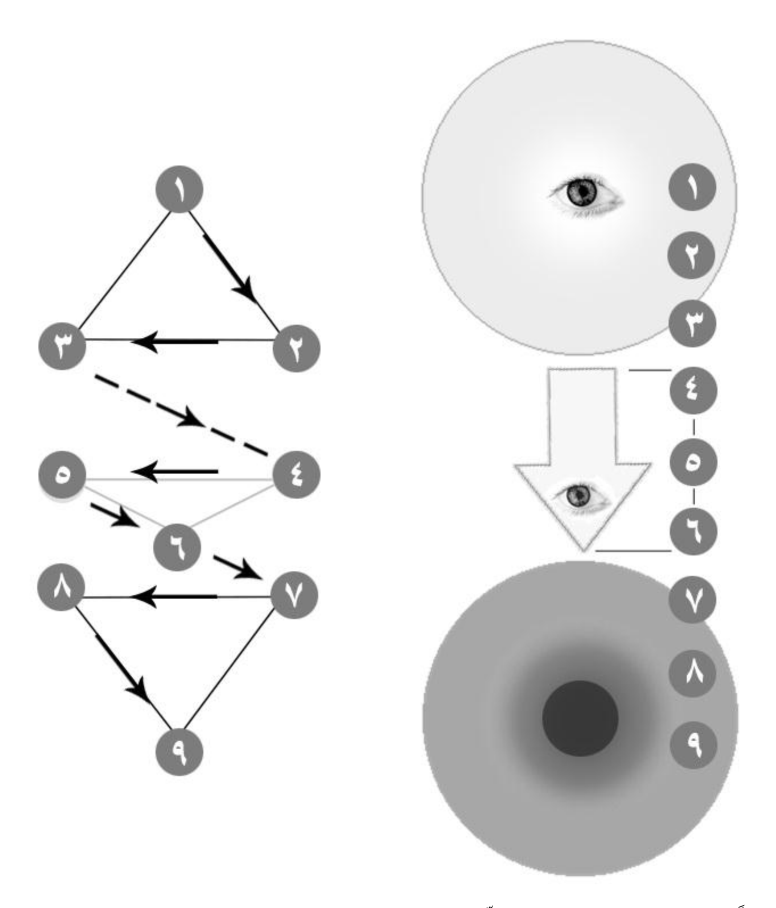
فيما يلي جدول يحتوي على عينات مختلفة يمكن أن تمثّل مكونات كل من المثلثين المتعاكسين (الفقاعتين)، وذلك من أجل توضيح المتعاكسات:



شمس	نفحة شمسية	محتوى		محتوى متكاثف	جاذبية	محتوى متبلور
وعي	جهد	إطار		استطاعة	صيغة	كينونة
تحفيز	نشاط	عطالة/تلاشي		تكاثف	انجذاب	تكتل
نار	هواء	ماء		نار	هواء	ماء
حقيقة/إرادة	حكمة إلهية	بيّنة/عذرية		رغبة/عاطفة	ذكاء دنيوي	وهم/خيال
اســماء المقامات وفق تعاليم القبالة						
التاج	الحكمة	البيّنة		النصر	المجد	الأساس

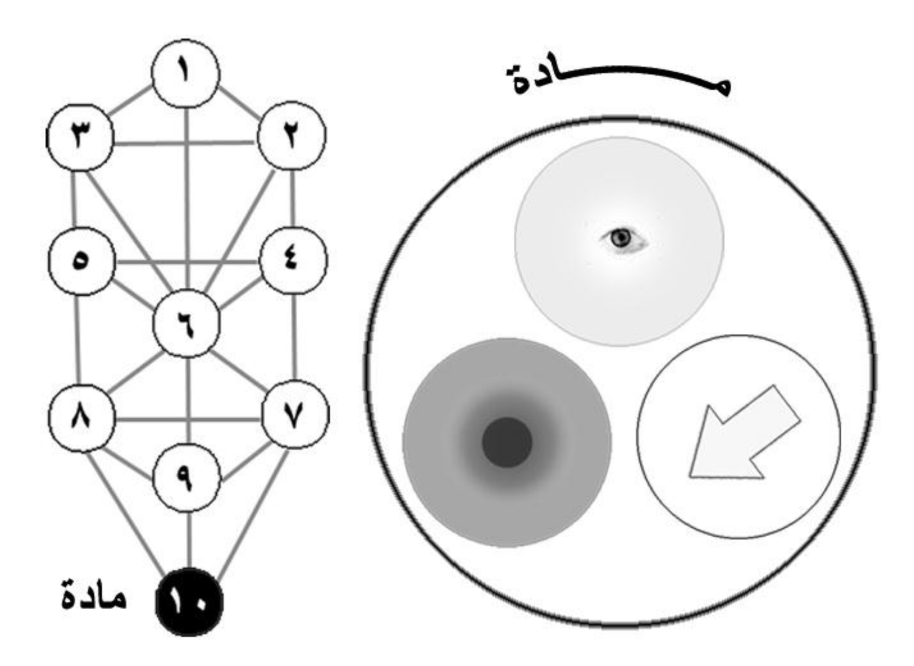
النفحة الشمسية

تعرفنا سابقاً كيف أن النفحة الشمسية، أو النبضة الشمسية، لها أهمية كبرى في عملية التجسيد حيث لولا هذه النفحة الشمسية النابضة لما كان هناك وجود مادي أصلاً، هذا لأنها تمثل عنصر الحركة. لهذه النفحة الشمسية مكان بارز في منظومة شجرة الحياة، وبالتالي لها موقع ثابت في مخطط الشجرة وهو مؤلف أيضاً من ثلاثة مقامات. هذه النفحة الشمسية تتجلى في كياننا الدنيوي مع كل نبضة من نبضات الشمس الباطنية لدينا. هذه النفحة هي المخلص الفعلي الذي تحدثت عنه النصوص الدينية المختلفة بحيث هو الوحيد الذي يستطيع إنقاذنا من السبات الدنيوي الطويل لكننا نجهل هذه الحقيقة. هذا هو الابن المقدس لشمسنا الباطنية ولهذا يرمزون للنفحة الشمسية أيضاً بالعين (الشكل التالي) لأنها تمثل نوع من الوعي الديناميكي المنبعث من الابن المقدس (الشمس المركزية). الشكل التالي يبين الصيغة التي تتواجد فيها النفحة الإلهية في مخطط شجرة الحياة، ويتم مقارنتها مع موقعها الفعلي بين الفقاعتين العلوية والدنيوية:

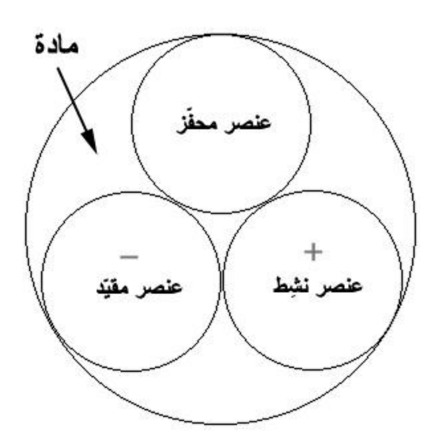


يبدو واضحاً التطابق بين مراحل التجلّي المتسلسلة في نموذج الفقاعتين وبين معاني المقامات المتسلسلة التي تتألف منها شجرة الحياة. النفحة الشمسية تحتل [٤] و[٥] و[٦] من المقامات

ملاحظة: لا بد من أن القارئ الكريم يتساءل بخصوص المستوى المادي، وهو يمثل المقام رقم عشرة في شجرة الحياة. بالإضافة إلى التساؤل حول موقع هذا المستوى المادي في نموذج الفقاعتين. في الحقيقة، إن موقع المستوى المادي في نموذج الفقاعتين والنفحة الشمسية يكون شاملاً لهذه المكونات الثلاثة، أي تكون المكونات الثلاثة داخل دائرة كبيرة تمثل المادة الصلبة، لكنني في الفصول السابقة جعلت هذا المستوى المادي داخل مركز الفقاعة الدنيوية لسهولة الاستيعاب. كافة مكونات كياننا المتجلي هي في الحقيقة متداخلة وليست متسلسلة أو متراتبة. هي تحتل موقع مكاني واحد مع الجسد (المادة)، لكن تم تصويرها بهذا الشكل لأسباب تشريحية تهدف إلى سهولة الفهم. يمكن تصور الموقع الفعلي للمستوى المادي في نموذج الفقاعتين والنفحة الشمسية الشكل التالي:



في نموذج الفقاعتين والنفحة الشمسية تمثل المكونات الثلاثة داخل دائرة كبيرة تمثل المادة الصلبة، بينما في مخطط شجرة الحياة يمثل المادة الصلبة المقام العاشر المعلق في نهاية الشجرة



نموذج الفقاعتين والنفحة الشمسية المبيّن في الشكل السابق يذكرنا بالنموذج الوارد في الجزء السابق والذي يوصف المادة بأنها تمثّل العقل في حالة جمود وتتضمن ثلاثة مكونات رئيسية: [١] عنصر محفّز، [٢] عنصر نشِط، و[٣] عنصر مقيّد. ويصورون الحالة الأخيرة (الجمود) بأنها دائرة كبيرة تشمل ثلاثة دوائر وكل دائرة تمثّل أحد العناصر الرئيسية الثلاثة.

مقامات الشجرة

أو مراحل التجلّي

أما المقامات التي تتألف منها الشجرة، أو مراحل التجلّي التي يشملها نموذج الفقاعتين مع النفحة الشمسية، فهي تمثل الآلهة والأبطال الأسطورية التي تزخر بها الأساطير القديمة والتي هي عبارة عن حكايا رمزية تعبر عن حكمة فلسفية مبهجة، وقد تناولت عينات من هذه الأساطير في الكتاب.

ملاحظة: أسماء الآلهة التي تحتل المقامات في النماذج المختلفة لشجرة الحياة الواردة في الجزء السابع قد لا يكون مواقع بعضها صحيحاً. لقد اقتبستها من مراجع مختلفة ولم يكن لي أي دور في توزيعها بهذه الطريقة. على أي حال، لم يكن الأمر ذات أهمية في حينها لأنني كنت أتناول موضوع الشجرة عموماً ولم أدخل في تفاصيل المقامات والمسارات وغيرها من تفاصيل تتعلق بالشجرة تحديداً. أما الآن فسوف نهتم بهذا الجانب ولذلك علينا توخي الدقة في هذه المسألة.

أوّل ما وجب معرفته هو أن التعاليم المتعلقة بالشجرة تتبع منهج عرفاني (غنوصي) أي أن المعلمين الأوائل لم يقدموا المعلومات بخصوص المقامات أو أي شيء يتعلق بالشجرة بطريقة واضحة ومحتومة فيتركون الأمر للمريد أن يستخدم حدسه وإلهامه وطريقة نظرته الخاصة للأمور لكي يتوصل في النهاية إلى المعنى الحقيقي لأي تفصيل يتعلق بالشجرة. هذا بالضبط هو الأسلوب الذي اتبعته القبالة اليهودية، حيث تزخر تعاليمها بالرموز والاستعارات والتصورات المختلفة. هذه الطريقة في شرح الأمور الباطنية كانت مجدية في أحد مراحل التاريخ لكن أدى هذا الأسلوب مع مرور الزمن إلى تشكل منهج فلسفي مشوّه يشبه العصفورية الحقيقية! لا أحد يأخذ بها سوى المجنون! لم يعد أحد يعلم أين يبدأ وأين ينتهي في هذه الفلسفات المشوهة وبالتالي أصبح الدخول في متاهاتها يشبه الدخول إلى ".. دوّيخة.." تسبب وجع الرأس بدلاً من الدخول في رحاب الحكمة الإلهية النقية.

ملاحظة: وجب العلم أن هذه التعاليم المتعلقة بشجرة الحياة، رغم أنها اليوم محتكرة حصرياً على القبالة اليهودية، إلا أنني أحاول في كتاباتي تناولها بطريقة محررة كلياً من الصبغة العبرية، ذلك لأسباب كثيرة: أولها أن هذه التعاليم المتعلقة بمنظومة شجرة الحياة هي عالمية وكانت سائدة بين كل الثقافات القديمة. والسبب الثاني هو أن التعاليم العبرية المتعلقة بشجرة الحياة هي معقدة جداً وغامضة جداً لدرجة تجعلني أشك بأنه حتى الفقهاء اليهود يدركون جيداً عما يتكلمون خلال تناول

تلك التعاليم. لهذا السبب، فإن أسلوبي في طرح الأفكار المتعلقة بمنظومة شجرة الحياة في كافة أجزاء هذه السلسلة من الكتب يختلف تماماً وهو اجتهاد شخصي مني بهدف توضيح أفكارها المتشابكة والمعقدة جداً. لهذا السبب سوف لن يجد القارئ الكريم أي مرجع آخر في العالم يتناول هذه التعاليم بهذا الأسلوب الواضح والبسيط. ربما سبب التعقيد الذي يشوب كافة الكتب المتعلقة بتعاليم القبالة يعود إلى أن الكتاب الذين يزعمون بأنهم عارفين لا يفهمون جوهر تلك التعاليم أصلاً.

كيف ندرس منظومة شجرة الحياة بطريقة صحيحة؟

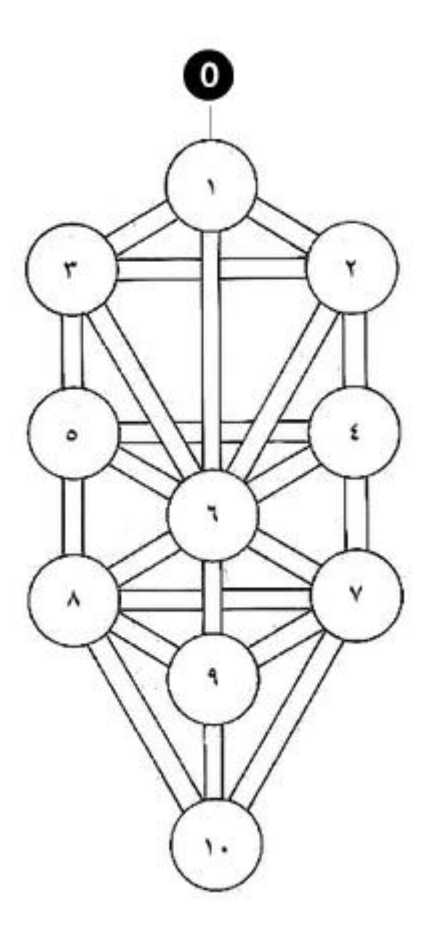
أصبحنا نعلم أن الشجرة تتألف من عشر مقامات أو انبعاثات موزعة بصيغة منظّمة صارت مألوفة لدينا. هذه المقامات تشكل أنماط أولية للتجليات المختلفة في العالم المادي، إن كانت جوانب نفسية أو روحية أو عقلية أو غيرها من أمور مختلفة. كل مقام يمثل فكرة أوليّة أو نمط أوّلي. وقد علمنا سابقاً كيف أن كل مقام يمثل مرحلة من مراحل التجلّي الإلهي أو المجريات المتسلسلة لعملية الخلق. معروف تقليدياً أن الفقهاء القدامى لفلسفة القبالة لم يتحدثوا كثيراً عن هذه المقامات المختلفة، وعادةً ما يسمون كل مقام ويقدمون بعض الصفات والخصائص التي يمثلها، وكان هذا عمل مقصود لأنهم أرادوا تشجيع التلاميذ على اختبار منظومة شجرة الحياة وجدانياً بدلاً من تقبل المعلومات المتعلقة بها بشكل أعمى، وقد تكون المعلومات التي تُقدم لهم مجرّد آراء وأفكار خاصة بالمعلّمين ويمكن لهذه الأفكار أن تكون بعيدة عن الحقيقة. من هنا نشأت الطريقة العرفانية، أي استنباط الحقائق عبر الاختبار والتأمّل بحيث كل مريد يتوصل إلى نتائج ملائمة لتكوينه الفكري/الإدراكي الخاص. يمكن النظر إلى شجرة الحياة ومقاماتها واختبارها من خلال جوانب ومستويات عديدة.

الشجرة تمثل المبدأ الجوهري والأساسي لكل شيء مخلوق. هي بالتالي تمثل المخطط الأوّلي لتركيبة الإنسان النفسية والعقلية والجسدية، وكل شيء يحصل في هذا المخطط الأوّلي لا بد من أن يجد انعكاس له في جوهر الإنسان. من هنا جاء ضرورة قيام المريد بإيجاد تماهي بين ما يختبره ويدركه في جوهر كيانه وبين التفاعلات التي يمكن استنباطها من مخطط الشجرة بما تحتويه من مقامات ومسارات واصلة بين هذه المقامات. كل مقام له موقعه الخاص والمميز في الشجرة، وهذه المقامات تتفاعل مع بعضها وفق أنماط محددة وعبر المسارات التي توصلها ببعض. ما سأقدمه هنا هو بعض المعلومات المساعدة على فهم هذه الصيغة التفاعلية بين المقامات وذلك عبر تقديم تعريفات وأوصاف مختصرة لكل مقام وأترك لكم باقي المهمة في استنباط معناها ودورها الفعلي. سوف

أستخدم الأسماء التي اخذت بها فلسفة القبالة العبرية رغم أن الأسماء التي منحتها لبعض المقامات قد تبدو للوهلة الأولى غير مناسبة لمعناها الفعلي، لكن يبدو أن هذه التسمية هي من بقايا الطريقة العرفانية التي تلاشت عبر العصور إلى أن وصلت إلينا هذه الفلسفة بهيئتها المعقدة وأسلوبها المتشدّد والمتحجر وغير المجدي أحياناً.

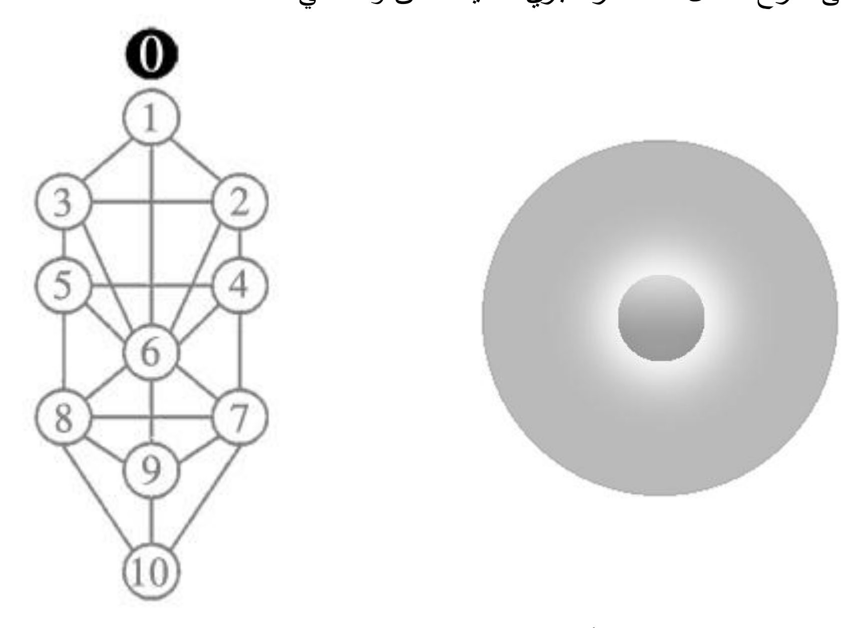
....

معاني مقامات شجرة الحياة



المقام صفر

لقد اختلفت التسميات التي أشارت إليه حسب اختلاف المدرسة أو الثقافة التي انتهجت هذه الفلسفة، معروف في فلسفة القبالة باسم *"أين سوف"* AIN SOPH، والفلسفة المصرية القديمة أشارت إليه باسم ***آمين*** "AMEN. هو الأقدم من بين كل الأقدمين، يُرمز له بالعين المُغمضة إذا لم تتفتح بعد. كان المعلمون يترددون في الاستطراد بوصفه وتلقيبه حيث إذا تم تعريفه فهذا يعني تدنيسه، لكنهم كانوا يفترضون نظريات معيّنة بخصوص الصيغة التي كان وفقها يبعث الخلق من نفسه، وكانوا يسخّرون لهذا الكيان المطلق رموزاً محددة بصفتها واصفة، جزئياً على الأقلّ، لقواه وقدراته. أشهر تلك الرموز كانت الدائرة التي ترمز أصلاً للأبدية. هذه الدائرة الرمزية تطوّق مساحة لا محدودة من الحياة المتعذر استيعابها، والحدود الدائرية لهذه الحياة هي مطلقة ولامتناهية بحيث يتعذّر قياسها. هذه الدائرة لازالت خالية من النقطة المركزية (الشمس) وبالتالي [آين سوف] لا يمثل المركز فحسب بل هو المساحة أيضاً، فالمركزية تمثّل الخطوة الأولى نحو المحدودية. الشكل الدائري الممنوح لـ أين سوف يدلّ على أن الفضاء هو محصور نظرياً داخل كرة شبه بلورية، حيث لا يوجد شيء خارجها، ولا حتى الفراغ. داخل هذه الكرة تجري عملية الخلق والتلاشي.



هكذا يكون [أين سوف] وفقاً لنموذج البيضة الكونية (الصورة على اليمين)، ورمزوا إليه بالعين المغمضة التي لم تفتح بعد. الصورة على اليسار تبين موقعه في أعلى الشجرة

إن كل عنصر أو مبدأ ينشط طوال أبدية الولادة والنمو والتلاشي الكوني يجري ضمن المحتوى الشفاف لهذه الكرة غير المّدركة. إنها "البيضة الكونية" Cosmic Egg التي لم تتكسر بعد. وصفت كامل عملية الخلق في الجزء الثامن حيث يتكاثف المحتوى في المركز بعد انزياحه من المحيط وبالتالي لا داعي لذكرها هنا.

أشارت إليه التعاليم الروحية المصرية باسم [آمين] ووصفته بأنه الحالة الأساسية لله أو الوجود قبل الخلق، وهي عبارة عن كمون غير متمايز. في مستوى "آمين"، تكون الخاصية الجوهرية "للعقل" عبارة عن حالة من النعيم، السلام، وتُسمى باللغة المصرية القديمة "حتب" Hetep حيث تعبّر عن حالة سلام داخلي لا يتزعزع. أما الخاصية الجوهرية "للمادة" عند مستوى "آمين"، فهي عبارة عن كمون صافي، وهذا يعني وجود "جهد" (بالمصطلح الكهربائي) لكنه غير متحرّك. وجب الملاحظة هنا أن الكلمة الهندوسية "نيرفانا" nirvana توصف تماماً حالة "آمين"، وهي تعني حرفياً "انعدام الحركة" ("نير" = لا، و"فانا" = حركة). وانعدام الحركة يعني انعدام "الذبذبة"، وتعني بالتالي غياب كل شيء، وتعني بالتالي انعدام المكان والزمان. ويعني كذلك غياب "الضوء"، حيث الضوء هو ذبذبة أيضاً. إذاً، "حتب" هو السلام الداخلي وفق مفهوم المصريين، لأنه يمثّل حالة تقبع في مكان ما داخل الإنسان. لا يمكن إيجادها في المبدأ المادي للوجود، بل في المبدأ العقلي. لهذا السبب هي تقبع في مكان تجاوزي. هي المظهر من الوجود الذي لا يتجزأ، حيث إذا وصلت إلى هذه الحالة من السلام الداخلي، لم يعد هناك ما يتجاوزها.

هو الحالة النهائية من السكون الصافي، أي تكون الطاقة في حالة كمون كامل. كلاهما معاً، العقل الساكن والمادة الساكنة، يكوّنان المفهوم المصري لحالة الخالق قبل عملية الخلق. هذا هو "آمين"، المصدر الذي انبعث منه كل شيء. ويُعتبر أيضاً، في العلوم الروحية المصرية، الطبيعة الحقيقية للإله الكامن باطنياً، الذي هو غير مشروط، لا يمكن إزعاجه أو تعكير صفائه بفعل المؤثرات الخارجية. هو الدرجة "صفر" في أعلى سلم التدرّج المادي. بينما الإنسان، بمظهره المادي الكثيف يمثّل آخر درجة في أسفل التدرّج المادي. هذه الدرجة الأخيرة تمثّل المرحلة النهائية لعملية الخلق.

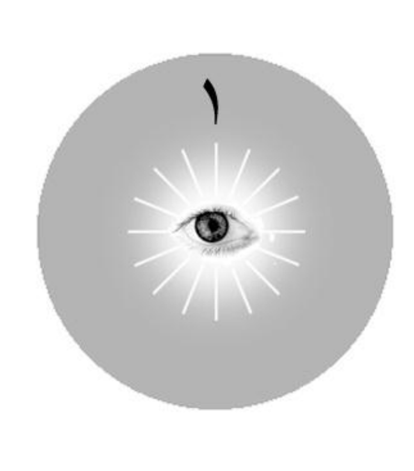
لا يمكن الاستطراد في الحديث عن هذا المستوى التجاوزي حيث لا يمكن موافقته مع أي معنى من المعاني الدنيوية التي نستخدمها وبالتالي المزيد من الشرح في هذا المستوى تحديداً لا جدوى منه. عندما تحدثت عنه فلسفة القبالة وصفته قائلة: في البداية كان هناك شيء أو لا شيء. لا يهم إذا

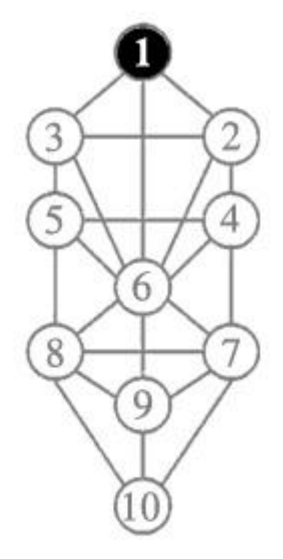
استخدمت أي من الحالتين لأنه في هذا المستوى من غير المجدي الحديث مطولاً هنا. الوصف الأفضل لهذه المستوى هو اعتباره "المطلق" أو "اللامحدود" وهذا يكفي. يكملون بعدها عبر القول: من هذا اللاشيء الغير قابل للاستيعاب خرج شيء. عبارة عن نقطة متبلورة في الوسط بعد انزياح المحتوى من المحيط نحو المركز. لقد وصفت كامل العملية التي تليها في الجزء الثامن، وتطلب ذلك كتاب كامل لشرح المبادئ والمفاهيم الفلسفية المختلفة التي رافقت هذه العملية. المهم أنه في هذا المستوى التجاوزي ولدت كامل المبادئ الأوّلية المتجلية في الوجود المادي (كما شرحتها في الجزء الثامن). تقول فلسفة القبالة أن هذه النقطة التي تكاثفت في مركز دائرة أين سوف (البيضة الكونية) هي التي أصبحت تمثل "كيثر" وهو المقام الأوّل في شجرة الحياة. أعتقد أنني شرحت كامل مراحل تشكّل الشمس المركزية التي انبعثت من هذه النقطة المتبلورة. تذكر أن القبالة لم توصف أي من المراحل التي ذكرتها في الجزء الثامن، حيث استخلصتها من مراجع أخرى مختلفة.

إذاً، من هذا العالم التجاوزي المحجوب كلياً عن مجال إدراكنا انبعثت الشمس المركزية التي أشارت إليها فلسفة القبالة باسم "كيثر" Kether، وهي تمثل المقام الأوّل في الشجرة. وهذا ما سنتعرف عليه في الصفحات التالية.

المقام الأوّل

المقام الأوّل يمثّل تجلّي الله [تعالى] في العالم، وهو صورة منعكسة للمقام "صفر" الموجود فوق الشجرة. أي بمعنى آخر، المقام [صفر] يمثّل الله قبل تجلّيه، أو خلال احتجابه، بينما المقام [١] على الشجرة يمثّل تجلّي الله في العالم المتجلّي. لكنه يقبع في القسم الباطني من العالم المتجلّي كما رأينا سابقاً. يوصفون هذه المرحلة بأنها مرحلة تفتح العين. إذا كان المقام صفر يمثل دائرة ترمز للأبدية واللامحدود فإن المقام الأوّل يمثل النقطة داخل الدائرة وهي ذاتها التي تمثل رمز الشمس في المراجع الفلكية القديمة.



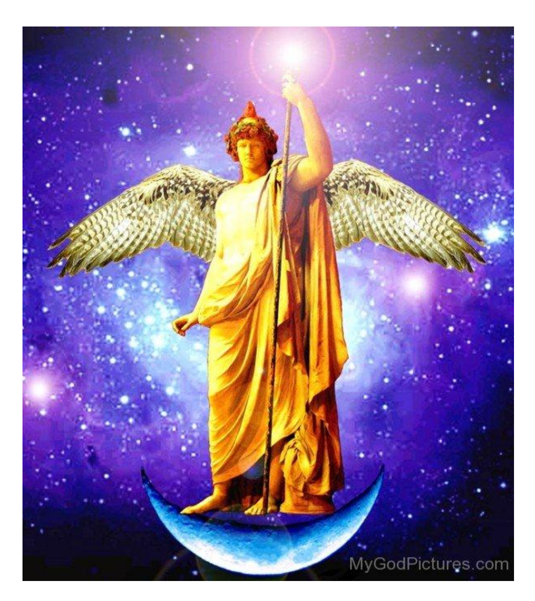


هذه هي مرحلة تفتّح العين. هذا المستوى يشهد تجلّي الخالق المحجوب من حالة تجاوزية إلى حالة تجلّي. من هنا يبدأ العالم المتجلّي الذي يمكن إدراكه حتى ولو بالحدس والتبصّر. من هنا تبدأ مقامات شجرة الحياة بالتجلّي الواحدة تلو الأخرى، إذ تمثل كامل مسيرة التجلّي حتى تنتهي إلى التجسيد المادي المُمثل بالمقام العاشر.

وفقاً للمراجع العبرية، هذا المقام اسمه "كيثر" Kether ومعناه التاج، تذكر أن التاج يعتبر أحد الرموز المنسوبة للشمس. لكن لهذه الكلمة معاني كثيرة وأعتقد أن لها صلة وثيقة بالكلمة العربية "كوثر" التي معناها في القاموس [السيّد كثير الخير والعطاء] أو [خير عظيم]. توصف تعاليم القبالة

هذا المقام بأنه مصدر النور المنبعث من الظلام. هو ميحاد مؤلف من طاقة صافية. يحوي في داخله كافة الأنماط الأوّلية في الكون المتجلّي. هو وعي صافي، ويقبع فيه الجوهر الإلهي للشخص. وهذا الجوهر أبدي ولا يموت مع الشخص بل يبقى قائماً إلى الأبد. هو يحيينا ثم يميتنا ثم يحيينا ثم يميتنا ثم إليه نعود ونعود ونعود... إلى آخره. وفقاً للتعاليم الروحية المصرية، من أجل أن نرتقي إلى مستوى هذا المقام من حيث النقاوة والصفاوة يتطلّب الأمر عدد كبير من التجسيدات الأرضية (تقمّص) إذا كان يدرك الفرد بهذه الظاهرة أو يجهلها (الإيمان بها أو عدم الإيمان) فهو منخرط بهذه الرحلة على أي حال. هذا المقام يمثل الجوهر الأساسي لكينونتنا. هو المحياد الذي كان دائماً وسيبقى أبداً. هو أزلي لأنه يمثل القسم المتجلّي من الخالق [جلّ وعلا]. نحن مفصولون عنه إدراكياً فحسب، فنظنّ أنه غير موجود أصلاً، رغم أنه يمثل جوهر كياننا وسبب وجودنا.

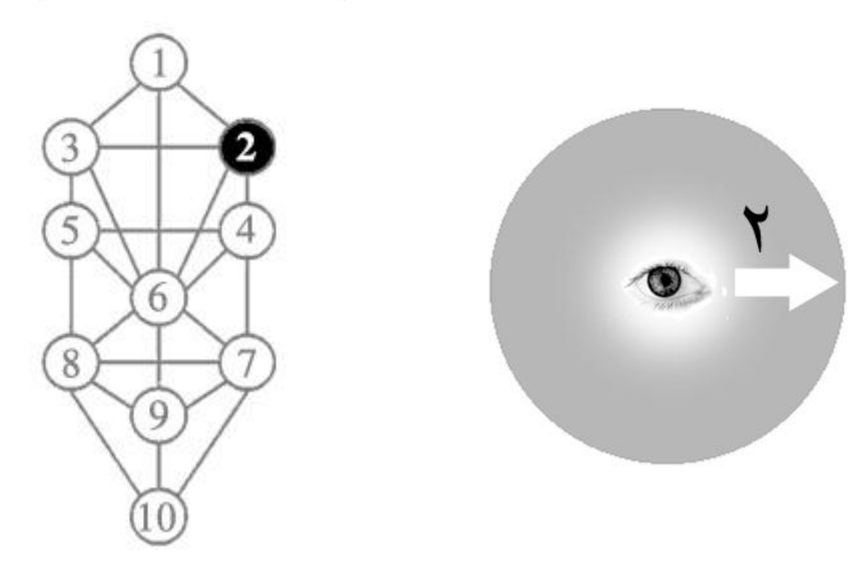
هذا المقام يمثل "أوزيريس" Osiris في التقاليد المصرية، وهو الخاصية الإلهية المتجليّة في العالم التي تمثّل "كليّة الوجود" (لأنه متجاوز لعامل المكان). إذا نظرنا إلى الأمر من زاوية أشمل نجد أن مبدأ "كليّة الوجود" هو ذاته مبدأ "الفكرة الرئيسية"، بمعنى الشيء الذي يؤثّر في كل جانب من جوانب الأشياء، أو الواقع، أو غيرها من حالات وتجليات مختلفة. هو موجود في كل خلية من خلايانا، كل ذرة من أجسامنا، كل عضو من أعضائنا الجسدية.. إلى آخره، ولولا هذا التجلّي الهولوغرافي متعدد الأبعاد في كياننا الجسدي لما استطعنا البقاء أحياء في هذا العالم المادي.



المرادف الإغريقي والروماني لصاحب هذا المقام هو الإله "فانيز" Phanes. نادراً ما تم ذكره في الأساطير لأنه إله محجوب عموماً ويقتصر ذكره في المدارس السرية الإغريقية والرومانية. لهذا السبب نرى في الأساطير الشعبية التركيز على "زيوس" (جوبيتر) بصفته سيد الآلهة بدلاً من "فانيز".

المقام الثاني

المقام الثاني يمثل القوة الذكرية المندفعة من النواة الشمسية التي يمثلها "كيثر" (المقام الأوّل)، هذا هو الابن المقدس للابن المقدس. النفحة الشمسية المولودة من النواة الشمسية. هذا هو مقام الحكمة وفق تعاليم القبالة. هو المبدأ الحيوي الذي يمثل العنصر المقوّي والمنعش في الوجود. لكن بالإضافة إلى ذلك، وهو الأمر الأهم، هذا المقام يمثل الإلهام والبديهة والفطانة والبصيرة والوحي وكل ما يتعلق بالمعلومات التي تأتي من مصادر غامضة غير تقليدية أو مألوفة. هذا ما قصده الحكماء عندما سموه مقام الحكمة، إذ يقصدون الحكمة الإلهية التي تمثل الحقيقة النهائية لكل شيء.

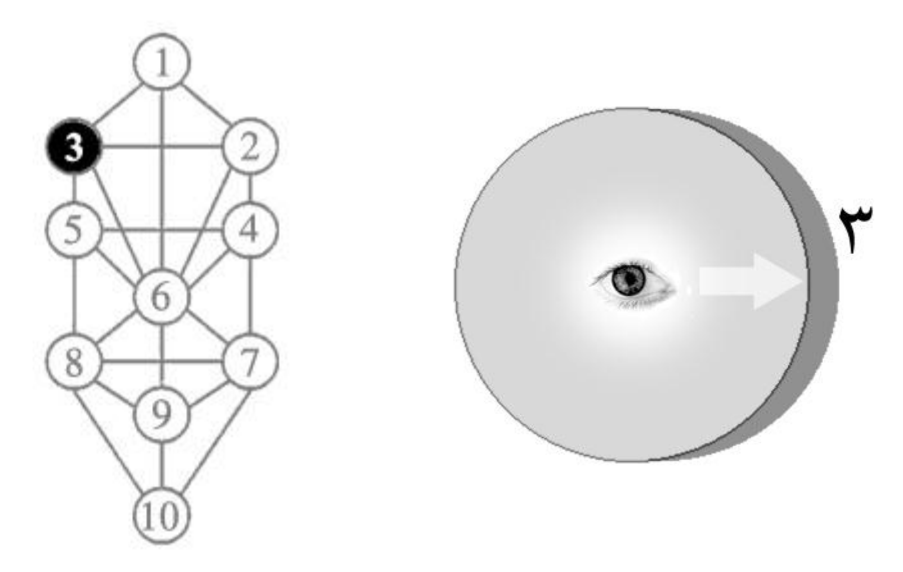


هذا المقام يمثل قوة الحياة التي تحافظ على بقائنا أحياء في هذا العالم. هي النبضة المستمرة للشمس بحيث لا يمكن للوجود المادي أن يبقى متماسكاً دون حضور هذه الحركة الأوّلية التي تنعش الكون بكافة أنواع الحركة (ذبذبة، نبض، إيقاع.. إلى آخره).

المرادف المصري لصاحب هذا المقام هو الإله "تيهوتي" Tehuti، والمرادف الإغريقي والروماني هو "أورانوس" Uranus.

المقام الثالث

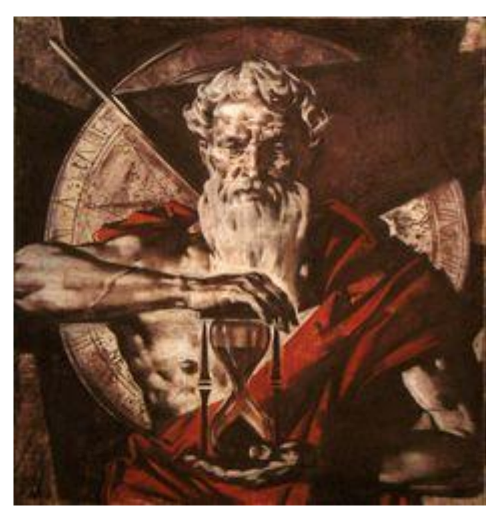
إذا كان المقام الثاني يمثل القوة الذكرية المندفعة من النواة الشمسية فإن المقام الثالث يمثل المحتوى الأنثوي المتكاثف على جدار الفقاعة الشمسية بفعل تلك القوة الذكرية. هذا المقام يمثل كافة أنواع الطاقات الأنثوية في الوجود. هنا تنشأ الطبيعة الأنثوية التي تحتضن البذرة ثم تولد الثمرة. إنها الأم العالمية بكل ما تحمله الكلمة من معنى.



هو المحتوى الأوّلي الذي يملأ كل الفضاء. هنا ينشأ شكل وهيئة القوة المندفعة الممثلة بالمقام الثاني. لهذا السبب أشار الحكماء إلى هذا المقام باسم البيّنة أي البيان، أي تبيان الهيئة أو الشكل. لكن من جهة أخرى، فإن هذه البيّنة لا تمثّل المفعول المادي فحسب (تفاعل قوة مع محتوى) بل المفعول العقلي أيضاً، حيث البيان هو بيان الأفكار والمفاهيم، والخواطر، فالقوة الإلهامية والبديهية للمقام الثاني (الحكمة) يتلقاها المقام الثالث (البيّنة) فيحولها إلى أفكار مفهومة وقابلة للاستيعاب والتصنيف. بالإضافة إلى هذا كله فإن المقام الثالث (البيّنة) يصيغ الشكل النهائي لكافة جوانب حياتنا، فيصيغ مثلاً الشكل النهائي للبيئة التي أعيش فيها، والشكل النهائي للمرحلة التعليمية التي أخوضها، وكذلك الشكل النهائي لشخصيتي الاجتماعية وغيرها من أمور حياتية مختلفة.

إذاً، هذا المقام يمثّل النمط الأوّلي لكافة الأشكال النهائية. لكن في هذا المستوى الباطني الذي يمثله المقام الثالث يبقى الشكل النهائي فكرة مجرّدة وليس حالة فعلية. تذكّر أنه لولا وجود شكل نهائي للأشياء لما استطعنا التمييز فيما بينها، حيث يستحيل أن نفرّق الأشياء عن بعضها. كل شيء موجود في الكون له شكل نهائي، الأزهار والثمار والحيوانات المختلفة والجبال والكواكب.. إلى آخره. المرادف المصري لصاحب هذا المقام هو الإله "سيكر" Seker، والمرادف الإغريقي هو "كرونوس" Cronus، والروماني هو "ساتورن" Saturn.

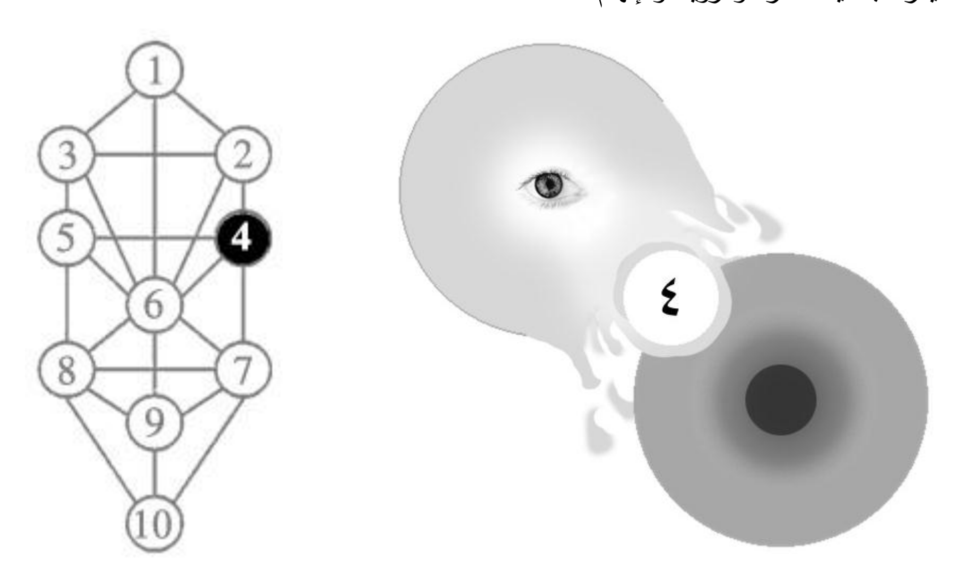




المنجل الذي بيد كرونوس يرمز إلى كبح جماح الحركة وتحويلها أو تطويعها لتتجلّى بشكل آخر، وهذا ما ترمز إليه الصورة في الأعلى حيث يتم تطويع الأفعى (رمز الحركة) بطريقة مفيدة. غالباً ما يربطون "كرونوس" بموضوع الزمن، حيث يصورونه أحياناً وفي يده ساعة رملية. عند هذه المرحلة من التجلّي والتي يمثلها المقام الثالث في شجرة الحياة، يولد عامل المكان (المحتوى) وبعدها يصبح ممكناً للمخلوق أن يستوعب عامل الزمن. قبل هذه المرحلة ليس لعنصر الزمن أي قيمة أو معنى.

المقام الرابع

هذا هو أوّل مقام يولد خارج الفقاعة العلوية (المؤلفة من الثالوث السماوي الكامن في العالم الباطني)، تقول تعاليم القبالة بأنه أوّل مقام يولد بعد الهاوية الكبرى (ويقصدون بذلك الحاجز الذي يفصل بين الثالوث السماوي وباقي المقامات) وهناك بعض المراجع العبرية التي تضع مكان هذه الهاوية مقام خاص وتسميه "داث" daath. الهاوية هي الفاصل بين العالم الباطني والعالم الظاهري، لهذا السبب أشاروا إلى "داث" بمعنى المعرفة إذ بعد تجاوزه يبدأ العالم الظاهري القابل للإدراك من قبل المخلوق الدنيوي، وبالتالي المقام الرابع يمثل أوّل مقام قابل للإدراك من قبل العقل البشري، لكنه يُدرك بصيغة فكرة أو رؤيا أو إلهام.



إذا كان المقام الثالث يمثل الرحم الذي يحتضن البذرة المزروعة من قبل المقام الثاني (القوة الذكرية) فإن المقام الرابع يمثل ثمرة هذا الحمل، وهي عبارة عن نبضة خلاقة تخرج من الفقاعة العلوية كلياً. أشار الحكماء إلى هذا المقام باسم الرحمة، لهذا السبب اتصف المقام الرابع بالخير غير المحدود، لكن الرحمة لها معنى ثاني وهو التوسع والتدفق الغزير وهذا ما تفعله الطاقة السماوية عندما تخرج فائضة من الفقاعة العلوية (الثالوث السماوي) فتقطع الهاوية وتصل إلى عالم السببيات. هذا الدفق يحتوي على طاقة منتجة ومنعشة. يُعتبر المقام الرابع أوّل المقامات السبعة اللاحقة التي منحت شكل وهيئة للكون. بهذا المعنى ربطوا المقام الرابع بمفاهيم تتعلق بالقانون والعدالة والسخاء والحماية

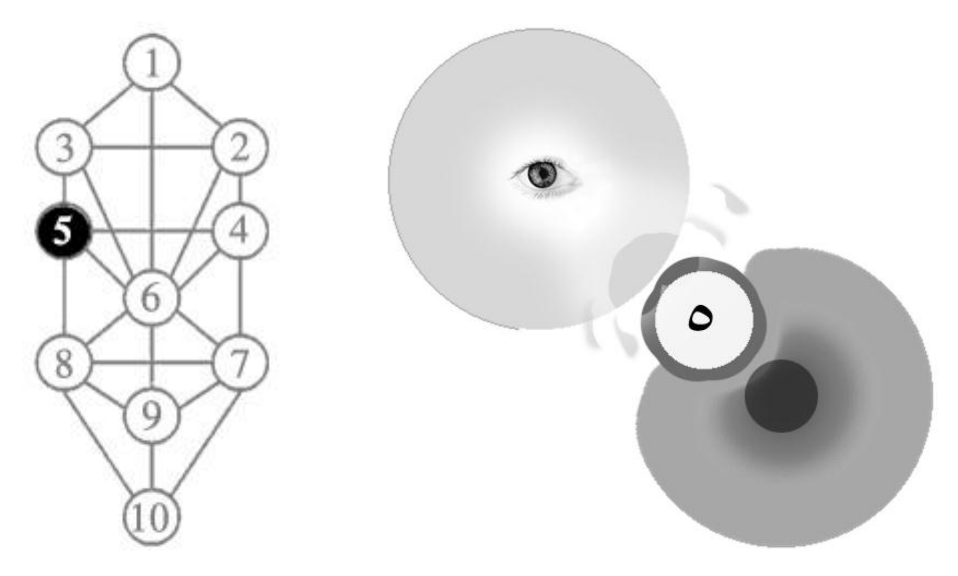
وغيرها من سمات ترتبط بالفخامة والعظمة فتوحي عموماً إلى الملوك، ولهذا نرى الإغريق يربطون المقام الرابع بالإله "زيوس" Zeus أو جوبيتر Jupiter (بالروماني) وهو ملك الآلهة.



الإله "زيوس" Zeus أو جوبيتر Jupiter وهو سيّد الآلهة.

المقام الخامس

إذا كان المقام الرابع يمثل تدفّق الطاقة بغزارة خارج الفقاعة العلوية فإن المقام الخامس يمثل كبح وتحديد هذه الطاقة حتى تنقبض وتنحسر. لهذا السبب أشاروا إلى هذا المقام باسم العزم. حيث هنا تكمن طبيعة الانضباط والتقييد والمنع والصرامة. لكن هذه السمات هي التي تجعل الشخص يتمتع بضبط النفس أمام الصعاب، والعزم الذي يدفعه إلى الاستمرارية دون هوادة، وقوة التماسك التي تمنع الانهيار. لهذا السبب جعل الإغريق هذا المقام يمثل الإله مارس Mars (المريخ) إله المقاتلين الأشداء والرياضيين الجسورين.



إن حالة كبح الطاقة المتدفقة والتي يمثلها المقام الخامس لها معاني إيحائية كثيرة يمكن استنتاجها. إن العلاقة بين المقامين الرابع والخامس تمثل معادلة التمدد والانقباض التي نراها متجلية في كل مكان في الطبيعة. لكن سمة الانقباض والتدمير التي يمثلها المقام الخامس هي سمة إيجابية ومفيدة. مثلاً، إذا أردت صناعة الورق فلا بد من قطع شجرة.. إذا أردت إلغاء العبودية فعليك تدمير الثقافة التي تعزّز هذه الممارسة المقيتة.. إذا أردت تغيير رأي أحد الأشخاص فعليك أولاً تدمير معتقداته بخصوص المسألة المعنية. إذا أردت المحافظة على نفسك من أي اعتداء جسدي أو معنوي فعليك أن تكون صارماً وصلباً بدرجة معينة في معاملة الآخرين بحيث تصنع لنفسك حدود رادعة. بهذا المعنى يصبح التدمير والقسوة والصرامة سمات إيجابية. صحيح أن هذا المقام صارم بحيث يعادي

أي تغيير من أي نوع، لكنه في الحالة الطبيعية يفعل ذلك لصالحنا، تذكّر أنه يمثل الجهاز المناعي في أجسامنا بحيث أي كائن مجهري غريب يُباد فوراً، وهذا لصالحنا بكل تأكيد.

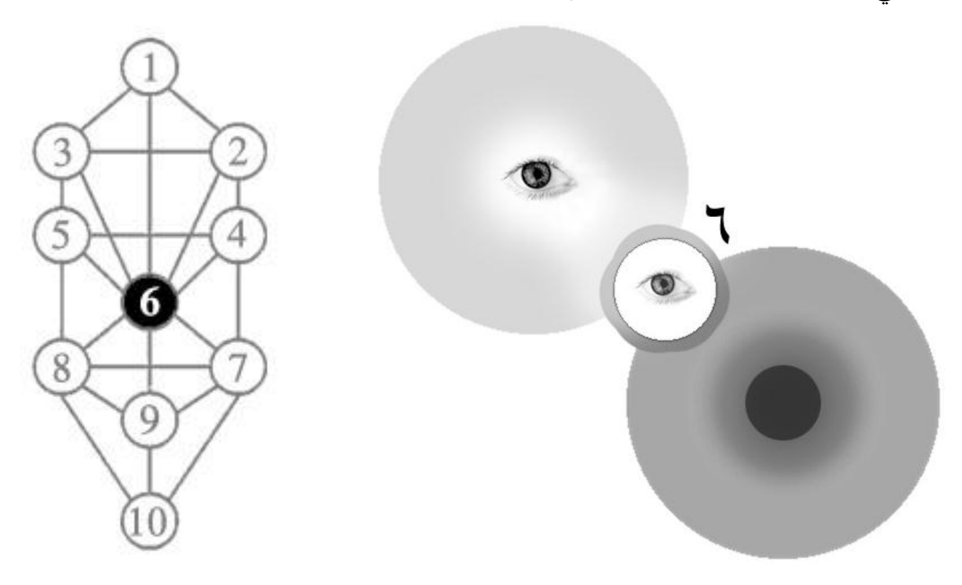
لكن الحالات الموصوفة سابقاً هي حالات نمطية أو مثالية، حيث تختلف المعايير لدى كل إنسان، وفي الإنسان الدنيوي عموماً تكون الحالة شاذة ومنحرفة في الأغلب. وهنا يأتي ضرورة التوازن بين المقامين الرابع والخامس حيث يكون هذا التوازن مختلاً بين المقامين داخل كل فرد منا. فالكثير من الشطح في السلوك وكثرة التغيير وتعدد الأفكار وغيرها من أمور غير منضبطة يؤدي في النهاية إلى حصول أشياء كثيرة وبسرعة كبيرة مما يخلق حالة فوضى... بينما على الجانب الآخر، قلة التغيير وغياب الأفكار الجديدة والكثير من الضبط والإنغلاق والبروتوكولات المانعة تؤدي إلى حالة اختناق وعقم. وجب أن يكون التوازن قائماً بين الحالتين المتطرفتين. هذا العامل الموازن بين الحالتين يمثله المقام السادس الذي ستتعرف عليه في الفقرات التالية.



المرادف الإغريقي لصاحب هذا المقام هو الإله "آريز" Aries، والروماني هو "مارز" Mars. غالباً ما جعلوه إله الحرب والرياضة والقوة الجسدية عموماً، لكن هذه صفات محرّفة لهذا الإله. هو في الحقيقة يرمز إلى ضبط النفس ورباطة الجأش وهذه فعلاً صفات يحتاجها المحاربون والرياضيون.

المقام السادس

المقام السادس يُعتبر مركز الشجرة وتشير إليه تعاليم القبالة باسم الجمال، لأنه يمثل التوازن والانسجام والتناغم والوسطية بين كافة الطاقات المتفاعلة بين مقامات الشجرة، بقسميها العلوي والسفلي، وكذلك قسميها الأيمن والأيسر.



لقد ذكرت حالة التوازن والانسجام والوسطية بطريقة هندسية ربما أو فيزيائية، لكن لهذه الحالة الكثير من المعاني من الناحية المعنوية والنفسية والعقلية أيضاً. مثلاً، ذكرت في الفقرة السابقة أن هذا المقام يمثل حالة توازن بين المقامين الرابع والخامس، أي أن المقام السادس هو حالة التوازن بين حالة الانفتاح الزائد وبين الصرامة المتعصّبة. لكن هناك المزيد بخصوص سمة التوازن المرتبطة بهذا المقام. الأمر الأهم بخصوص هذا الموضوع هو الجانب الأخلاقي والذي له علاقة وثيقة بحالة التوازن. التوازن الأخلاقي الذي يتميّز به هذا المقام هو ما يمكن أن نعتبره وفق مفاهيمنا المألوفة الأخلاق الفطرية، وهذا النوع من الأخلاق له درجة تجلّي متفاوتة بين البشر. هذه الأخلاق ليس لها علاقة بالتنشئة أو التربية أو التقاليد الاجتماعية، بل بالعكس تماماً، حيث يمكنها أن تتدمّر وتزول نتيجة التنشئة والتربية والتقاليد (خصوصاً الدينية المتطرفة منها والتي تدعو إلى كره الآخرين والحقد على كل من هو مختلف). هذه النوعية من الأخلاق لها نكهة خاصة بحيث قد لا تحترم بالضرورة المبادئ الأخلاقية التي تحكم المجتمع بل قد تسخر من تلك المبادئ وتنتقدها.

يمكن أن نراها موجودة بدرجة عالية عند بعض الأشخاص بينما نجدها غائبة تماماً عند البعض الآخر. لكن الفرد الذي تكون حاضرة لديه سوف نجده يتمتع بجودة شخصية عالية، استقامة وحسن الحكم على الأمور، وحس فطري بصحّة الأشياء، وتقدير عالي للعدالة والرأفة بالآخرين، واستعداد تام للقتال من أجل، أو الدفاع عن، تحقيق العدالة لإغاثة أي مظلوم (هنا يكمن النمط الأوّل للمخلّص الذي ضحّى بنفسه). في هذا المقام يكمن ذلك الشيء الذي نسميه الضمير.

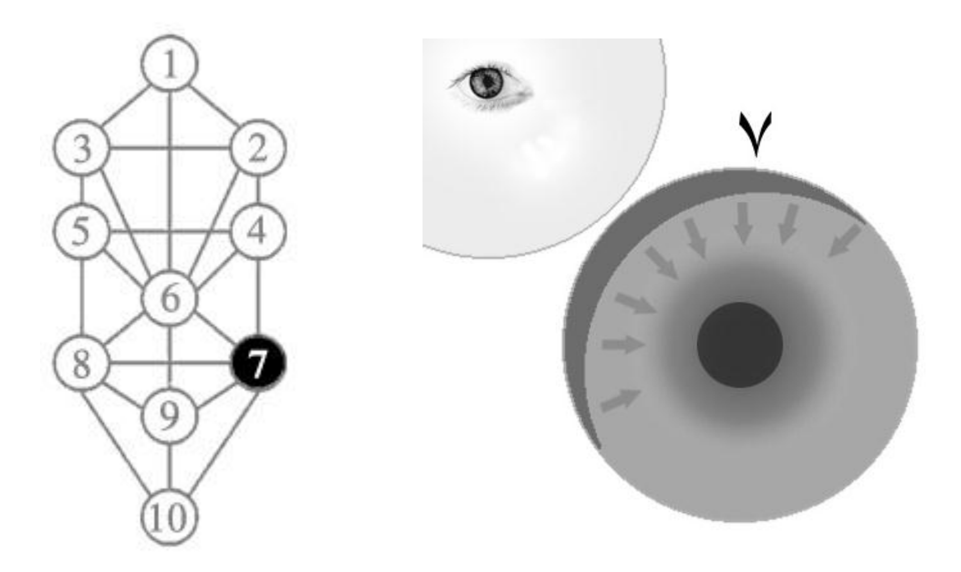
إذاً، المقام السادس يمثل حالة التوازن والاتزان بكل أنواعه وجوانبه. لكن للأسف الشديد، حالة التوازن هذه تكون غائبة أو وجودها جزئي في كيان الأفراد الدنيويين. جميع جوانب حياتنا العصرية تعمل ضدّ حالة التوازن هذه، حتى طريقة تنشئتنا وتقاليدنا الاجتماعية وسلوكيات حياتنا العصرية.. جميعها تساهم في قمع وتدمير هذه الحالة المرهفة والرقيقة وبالتالي نادراً ما نراها متجليّة اليوم في الأشخاص. هذا الجانب المقموع في شخصيتنا (أي التوازن الأخلاقي) يمثل أحد الأهداف الرئيسية للمدارس السرية التي تعمل على إعادة إنعاشها وتنشيطها في جوهر المريد فتسطع وتزدهر من جديد. فيتجلّى حورس من جديد في داخلنا ويقارع شيط الذي هو الأنا الدنيوية التي تسيطر على كياننا بالكامل، فيتغلب عليه أخيراً ويجلس على العرش. وبالتالي، وفقاً لتعاليم شجرة الحياة نرى أن هذا المقام لا يمكن أن ينشط بكامل روعته إلا بعد أن يضحّي المريد بالأنا الدنيوية لديه (قتل الأسد)، وهذا ما وجب عليه فعله قبل متابعة تسلّق الشجرة في مسيرته الطويلة نحو الارتقاء الروحي.



المرادف الإغريقي لصاحب هذا المقام هو "دايونيسوس" Dionysus، والروماني هو "باخوس" Bacchus. وهناك أيضاً المرادف الإغريقي/الروماني الشهير هو الإله "أبولو" Apollo.

المقام السابع

هذا المقام هو أوّل مستويات العالم الدنيوي، وهو يمثّل مهجع العاطفة والرغبة والمشاعر وتلك القوى الدفينة التي تحفّز على خلق الحالات الذهنية المختلفة. هذا هو المكان الذي يجعل الفرد متفهماً للأمور بواسطة المحبة والرضى وليس بالمنطق العقلاني. هذا هو الموقع الذي يمكّن الفرد من التلذّذ بالفنون بكافة أنواعها وأشكالها لكن هذا التلذّذ ليس بالحجة والبرهان.



سمي هذا المقام باسم النصر لكن لهذه التسمية شرح عرفاني مستفيض لا مكان له الآن لكن لا بد من أن يستنبطه القارئ عبر قراءة المواضيع المختلفة في هذا الكتاب. هنا تتخذ الطاقة المتجلية نزولاً عبر الشجرة هيئة استثارات ومحفّزات حيوية، أي مثلاً: لماذا نستمر في العيش؟ لماذا العناء في ذلك؟ ما الذي يحفزنا فعلياً على القيام بأفعال ونشاطات مختلفة؟ قد يخطر في ذهن أحد الفنانين رؤيا لقطعة فنية معيّنة، لكن ما الذي يحفزه على رسمها أو نحتها أو تلحينها؟ لماذا نحن نرغب في المنافسة والربح؟ لماذا نحن نهتم بما يحصل مع الآخرين؟.. إلى آخره. المقام السابع يعبّر عن المحفّزات الحيوية الأساسية الخلاقة وذلك بطريقة تجعلنا نميزها على أنها دوافع أو مشاعر أو عواطف. المقام السابع يمثل القوى المحفّزة التي تحكم سلوكنا لكنها غير عقلانية ويُعجز التعبير عنها بالكلام أي هي دوافع غير عقلانية وما قبل شفوية pre-verbal. مثلاً، حاول أن تسأل ولد

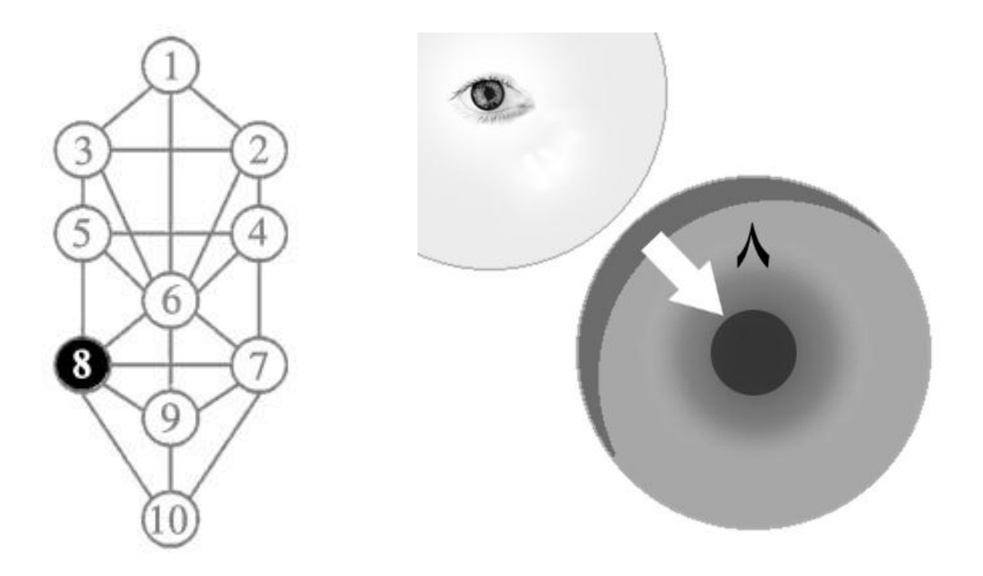
صغير لماذا اختار هذه اللعبة في المتجر وليس تلك اللعبة، فسيقول لك أنه يريدها فقط ولا يعرف لماذا. اسأله عن الفائدة منها أو ما هي حسنتها، يقول لك أنه لا يعرف لكنه يريدها. حاول أن تغيّر طبيعة أحد الأشخاص أو قناعاته الخاصة عبر الجدال المنطقي وسوف تكتشف أن هذا مستحيل. هذا هو مفعول المقام السابع.



المرادف الإغريقي لصاحب هذا المقام هو الإلهة "أفروديت" Aphrodite والمرادف الروماني هو الإلهة "فينوس" Venus. معروف أنها إلهة الإغراء والإغواء لكن يبدو أن هذه السمات سطحية بالنسبة للمعنى الحقيقي لهذا المقام.

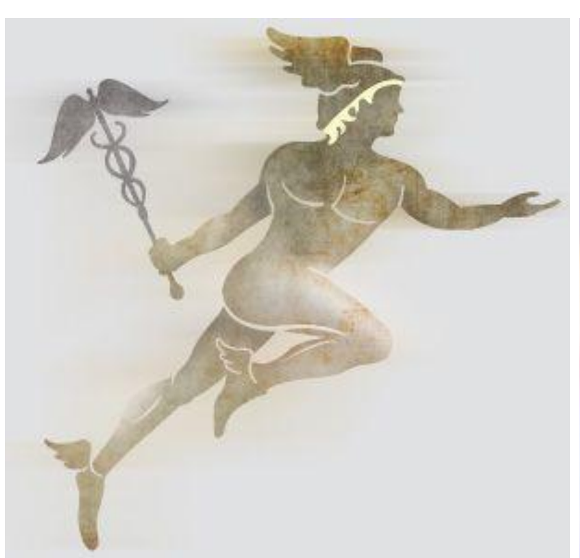
المقام الثامن

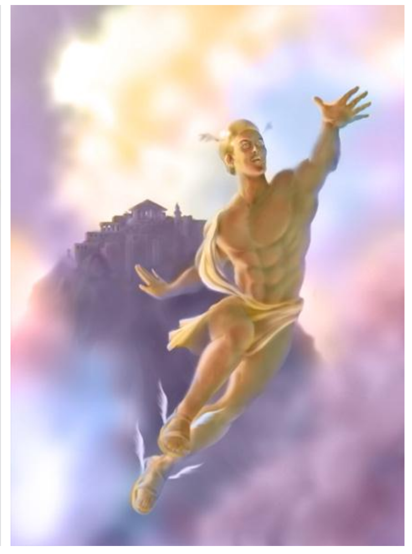
هذا المقام هو معاكس تماماً للمقام السابع. المقام الثامن يمثل كل ما هو منطقي وعقلاني. هنا يتم ضبط وصقل العواطف والمشاعر بقوة الفكر والعقلانية. هو يتعلق بالذكاء والمنطق وبكل ما هو فكري. هذا المقام يمنح الاتزان والثبات والصيغة العملية للطاقة العاطفية المتدفقة من المقام السابع. المقام الثامن هو ذو طبيعة تحليلية وتخمينية ونظرية وبالتالي لا يأخذ بالعواطف والمشاعر.



إذا عدنا إلى السؤال الذي طرحناه على الولد الصغير لماذا اختار هذه اللعبة وليس تلك، وكان جوابه: ".. أنا أريدها فحسب.." ، فسوف نكتشف أنه إذا توجهت بنفس السؤال لشخص بالغ فسوف تحصل على كمية كبيرة من الأسباب التبريرية. نحن نعيش وسط ثقافة اجتماعية بحيث من الضروري تقديم تبريرات منطقية لما نفعله. المقام الثامن هو الموقع الذي يمنح شكلاً لاحتياجاتنا ودوافعنا الداخلية وذلك عبر منحها أسباب وتفسيرات عقلانية. لذلك المقام الثامن هو مقام المنطق والتجريد واللغة والتواصل. بفضل هذا المقام لدينا قدرة فطرية على التجريد، الانتقال مباشرة من الخاص إلى العام، كما أنه لدينا قدرة فطرية على إيصال هذه التجريدات المختلفة عبر استخدام اللغة والتعبير الكلامي.

لكن بنفس الوقت، فإن المبالغة أو الإفراط في التعبير عن سمات وخصائص هذا المقام يولّد التعصب والانغلاق، ومن جانب آخر، فإن التعبير عن العواطف دون تفكير يولّد مثلاً الغضب الغير قابل للسيطرة. لهذا وجب التوازن بين المقامين السابع والثامن للحصول على حالة وسطية مرضية.

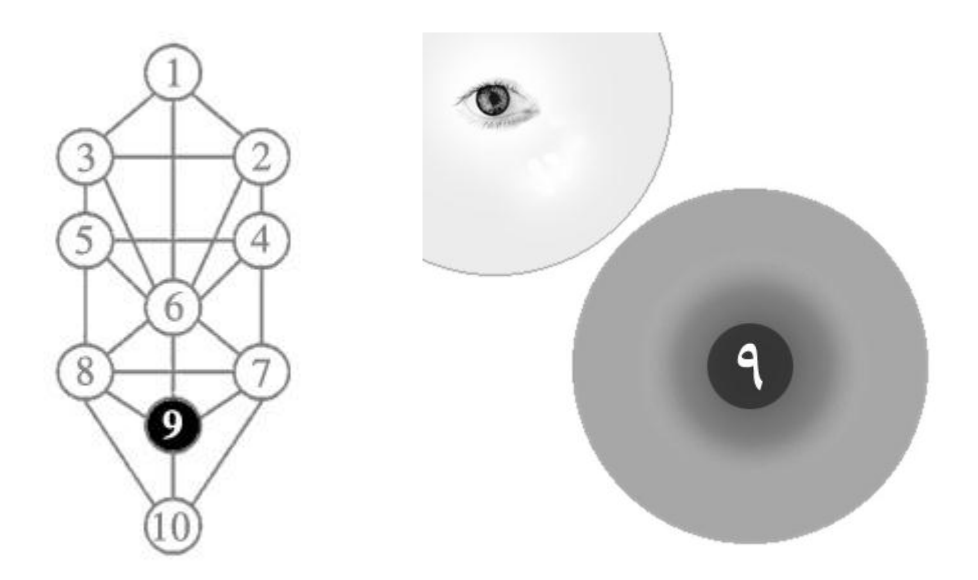




الرديف الإغريقي لصاحب هذا المقام هو الإله "هرمز" Hermes، والروماني هو "ميركوري" Mercury. رغم أنه يعتبر رسول الآلهة إلا أنه يمثل الذكاء الدنيوي، لهذا السبب تمتع الإله هرمز أو ميركوري بصفات مثل التجارة والحرفة الصناعية وحتى اللصوصية وقطع الطرق. رغم هذه الصفات الا أنه يمثل أيضاً الفطنة والتبصّر والدين والحكمة. يمكن تفسير هذه التناقضات بطريقة واحدة فقط: يمكننا استخدام ذكائنا الدنيوي إما للتعرف على الخالق وسرّ الحياة وسبيل الخلاص فنرتقي روحياً وننال الخلاص الأبدي، أو نسعى للبحث عن سبل تساعدنا للارتقاء الدنيوي المؤقت. (سوف أتناول هذا الموضوع بالتفصيل لاحقاً).

المقام التاسع

أشاروا إلى المقام التاسع باسم الأساس، وهو فعلاً يمثل الأساس لكن وفق معنيين مختلفين، الأوّل يجعله القاعدة التي تستند عليها المقامات العلوية السابقة حيث من خلالها تعبر عن قواها وطاقاتها بخصائصها المختلفة خلال تجليها في هذا العالم المادي. ومن جانب آخر هي تمثل الأساس الذي يستند عليه العالم المادي حيث هذا الأخير هو مجرّد تعبير مادي أو تجسيد متبلور لما تجمّع من طاقات وقوى مختلفة في المقام التاسع.



كافة القوى والطاقات التي تمثلها المقامات الثمانية السابقة تمرّ عبر المقام التاسع قبل أن تعبر عن نفسها بصيغتها النهائية في العالم المادي. وظيفة المقام التاسع هي جمع وتشكيل ودمج وتحويل هذه القوى والطاقات العليا ومن ثم قولبتها إلى نماذجها النهائية قبل أن تتجلى وفق هيئة نهائية في العالم المادي. لهذا السبب يُشار أحياناً إلى المقام التاسع بأنه يمثل الوعاء الحاوي للانبعاثات الثمانية السابقة (المقامات) وبعد اختلاطها ببعضها تخرج نحو التجسيد المادي الذي يعبّر عن نفسه من خلال المقام العاشر. من هنا نستنتج الدور المهم والأساسي للمقام التاسع بالنسبة للمخلوق المادي، حيث يمثل الطاقة الخفية التي تنسّق وتدير وتنشّط وتحيي وتحفّز كافة الأقسام والأعضاء والأجهزة وغيرها من الجزئيات التي يتألف منها الجسم المادي.

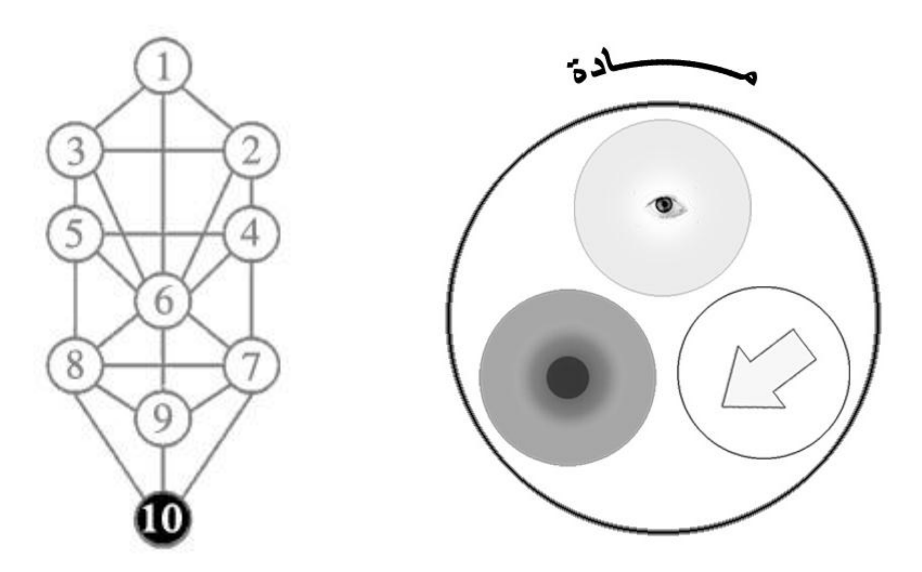
لكن من الجانب الآخر، أي وفق مفهوم تجاوزي، فإن المقام التاسع يمثل الانعكاس الدنيوي للمقام الأوّل القابع في أعلى الشجرة. والمقام الأوّل يمثل الحقيقة بينما المقام التاسع يمثل الوهم. وبهذا المعنى يُمثل المقام التاسع الخيال والحلم والوهم. لكن من منظور دنيوي مادي فإن هذه السمات الأخيرة (الخيال والوهم والحلم) هي التي تجعل الأمور تجري كما تفعله حالياً في هذا العالم المادي الذي نألفه، لكن علينا أولاً فهم سرّ هذا المبدأ جيداً قبل التعامل معه. من استوعب هذا المبدأ جيداً يصبح فقيهاً في علوم السحر والقدرة على تحويل الواقع كلياً. المهم أن نعرف الآن بأن المقام التاسع يمنحنا قوة التواصل والاتصال مع العالم الخارجي الذي يمثله المقام العاشر.



المرادف الإغريقي لصاحب هذا المقام هو الإلهة "أرتيميس" Artemis، والروماني هو الإلهة "ديانا" Diana.

المقام العاشر

المقام العاشر هو المقام الأخير في الشجرة، وأشارت إليه فلسفة القبالة باسم المملكة، ويمثل الخلطة النهائية التي تحوي مجموع المقامات الأخرى في الشجرة. المقام العاشر هو التعبير النهائي لتجسيد للكائن المقدّس القابع في الأعلى. هذا المقام يمثل العالم المادي الذي نختبره يومياً، كما يمثل الجسد المادي الذي نستخدمه لخوض تجاربنا في هذا العالم المادي. ومن جانب آخر، هو يمثل تبلور نهائي لكامل الطاقات العلوية التي تجعل الحياة المادية ممكنة في هذا العالم المادي. ومن جانب آخر أيضاً، فإن المقام العاشر يمنحنا القدرة على التعبير الذاتي في هذا العالم المادي.

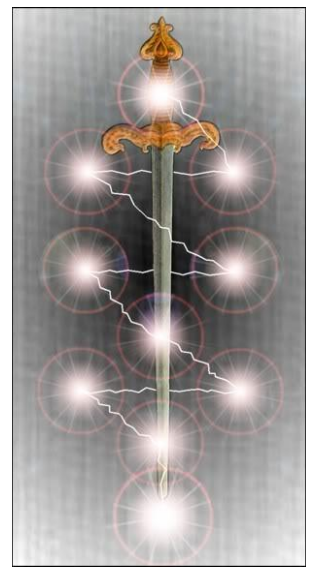


يُشار إلى المقام العاشر في أدبيات باطنية مختلفة باسم الملكة والبنت والعروس والبوابة. بصفته بوابة فهو المدخل الذي يمر عبره المريد إلى شجرة الحياة. بصفته الملكة أو البنت أو العروس، فهو يمثل السكينة وفق المصطلح العبري، وهي المحتوى الإلهي (الأنثوي) الذي تبلور وأصبح مادة صلبة. اعتبرت بعض التعاليم الباطنية المادة الصلبة بأنها تمثل الجانب الأنثوي بينما الشمس المركزية تمثل الجانب الذكري وبالتالي هو يلعب دور الملك أو الأب أو العريس، وعلى المريد أن يجمع بين العروس والعريس أو إعادة البنت إلى والدها، أو جمع الملكة مع الملك. وهذه جميعاً أوصاف رمزية مختلفة لعملية واحدة هي إعادة دمج الوعي الدنيوي مع الوعي الإلهي.

في الحالة العادية تكون السكينة (الحضور الإلهي) خاملة في كياننا المادي، لكن من أجل أن تستيقظ وتنشط فعلى المريد أولاً أن يطهّر المقامات الستة التي تعلو المقام العاشر، أي تلك المتعلقة بالنفس والأنا، وإلا سوف تتراجع السكينة وتعود إلى سباتها من جديد.

أعتقد أن الوصف المختصر لكل مقام أفضل من الوصف المسهب والممل وسوف أترك الأمر لك لاستنتاج باقي الخصائص والأوصاف بطريقة عرفانية، أي عبر التأمّل في الفكرة الرئيسية لكل مقام ومن ثم استنتاج المعلومات المتعلقة به بشكل بديهي.

فيما سبق وصف مختصر وسريع للمراحل التي تشكّلت خلال عملية التجسيد المادي والتي انطلقت من المستوى العلوي الباطني وانتهت في المستوى الدنيوي المادي. كل من هذه المراحل تمثل مقام قائم بذاته، وهذا المقام يمثل خاصية خاصة به، وله نشاطه ومفعوله الخاص وبالتالي له تجلّيه الخاص في المستوى المادي. هذه العملية تسمى مسيرة الصاعقة أو درب السيف في أدبيات القبالة (الصورة التالية) وهدفها شرح عملية الخلق المادي وكل ما يرافقه من جوانب نفسية وعقلية.



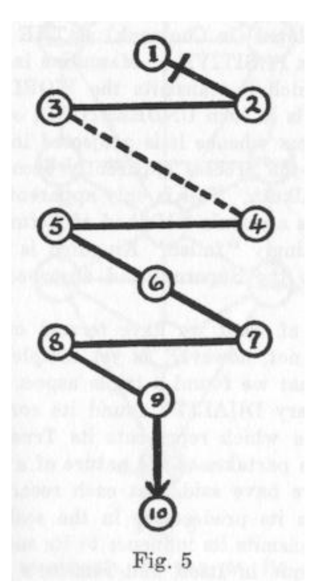


Fig. 5

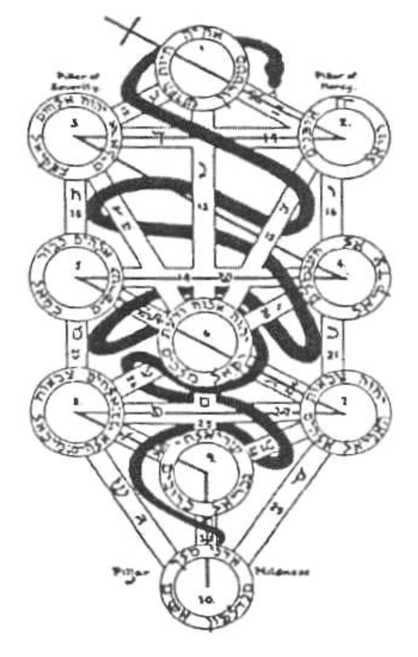
يُتبع درب السيف في تعاليم "شجرة الحياة" خلال وصف وشرح الآلية التي تجلى فيها الكون المادي عبر مراحل متعددة وبواسطة قوى متعددة تبيّنها الشجرة. السيف يمثّل المسار النازل للكيان المقدّس خلال تجليه في العالم المادي. أي "طريقة الخلق". إذاً، مسار السيف يمثّل آلية التجلّي. يتم تصويره

عموماً بحيث يكون مقبضه عند المقام الأوّل (التاج) أي في أعالي السماوات، ورأسه مغروس في المقام العاشر (المملكة). ويصورونه أحياناً على شكل صاعقة رعدية تضرب الأرض بشكل خاطف وسريع. والشكل المتعرّج للصاعقة هو ذاته المسار الذي تتبعه مراحل التجلّي عبر المقامات المختلفة للشجرة.

درب الأفعى

درب المريد خلال عودته إلى العالم السماوي

يوجد درب آخر وهو الأهم بالنسبة للمريد الذي ينشد الخلاص ويُسمى درب الأفعى الذي يمثّل مسار العودة. الأفعى تمثّل طريق التسلّق إلى أعلى الشجرة، الابتعاد عن الوجود المادي والعودة إلى الأصول الإلهية. يصورونها على الشجرة بحيث يكون ذيلها عند المقام العاشر (المملكة) أي الوجود الدنيوي، بينما رأسها يقبع عند المقام الأوّل (التاج) أي في أعالي السماوات. يبدو أن رمزية الأفعى ناسبت هذه العملية من جانب آخر، حيث معروف عنها بأنها تغيّر جلدها بين الحين والآخر. وهذا ما يحصل مع المريد خلال تسلقه مقامات الشجرة عبر مساراتها المتعددة، حيث كلما وصل إلى مرتبة معيّنة تتغيّر شخصيته بالكامل ويصبح إنسان مختلف تماماً.



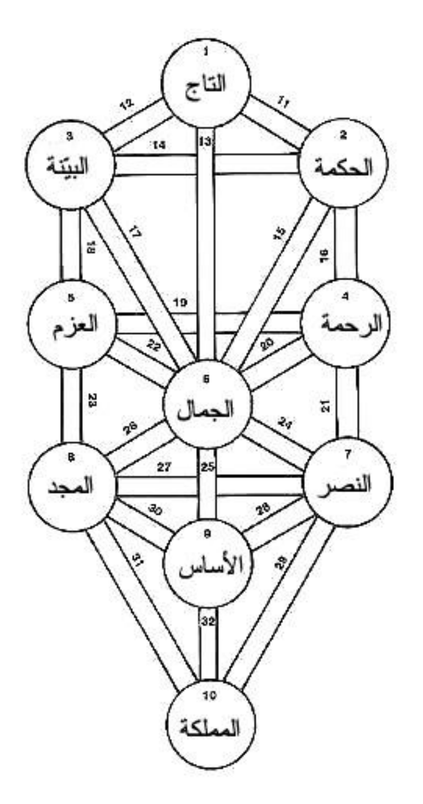
مسار الأفعى يمثّل الطريق إلى التحوّل والتغيير، الفهم والبيّنة، النمو الروحي للفرد. خلال اتباعه هذا المسار، يتعلّم المريد كل شيء عن التأمّل، النمو الشخصي، البحث عن المعرفة والبيّنة.

طريقة درب الأفعى تفرض على المريد المرور عبر كل المقامات، وكل مقام يتطلب فترة طويلة من الدراسة والتأمّل ومعالجة النفس ومن ثم ينتقل إلى المقام التالي وهكذا. لكن لا يمكن الحديث مطولاً عن درب الأفعى هنا لأننا بحاجة إلى التعرف على المسارات الرابطة بين المقامات، وهذه عملية طويلة ولا مكان لذكرها بالتفصيل في هذا الكتاب، لكن سوف أقدم فكرة عن هذه المسارات لأنها أساسية جداً في تكوين شجرة الحياة، كما أنها تمثل أداة ضرورية للمريد خلال تسلقه الشجرة إذ بغياب هذه الأداة لن ينجح أبداً في معرفة كيف يتصرف وأين يسير وكيف يسير.

المسارات الواصلة بين مقامات الشجرة

تعرّفنا في الصفحات السابقة من هذا الكتاب على مقامات الشجرة، وهي تُعتبر أساسية للدخول إلى رحاب مجال هذه الفلسفة الواسع. لكن في الحقيقة، رغم ما اطلعنا عليه من معلومات تتعلّق بمقامات الشجرة إلا أننا لازلنا في أعتاب هذا المجال ولم نتقدم خطوة إلى الداخل. فالجزء الأكبر من هذا الداخل يحتله موضوع آخر، هو الأكثر أهمية، ويتمثّل بالمسارات الواصلة بين مقامات الشجرة. إذا أردنا تقييم المكونات التي تتألف منها منظومة الشجرة من حيث الدينامية والفعالية نقول: المقامات تمثّل طاقة روحية ثابتة، بينما المسارات تمثّل طاقة روحية ديناميكية. فبالتالي، من الضروري التعرّف على طبيعة هذه المسارات وآلية عملها، وذلك عبر الدور الذي تلعبه في المنظومة.

تحتوي الشجرة على عشرة مقامات، تمثّل الأرقام ١ إلى ١٠، وموصولة مع بعضها بـ٢٢ قناة أو مسلك أو مسار، وهذه المسالك تمثّل الأبجدية العبرية المؤلفة من ٢٢ حرف. إذا أضفنا الأرقام العشر الأوائل مع المسالك (الأحرف) الـ٢٢ نخرج بالرقم السحري ٣٢ كنتيجة نهائية، والذي، حسب التعاليم، يمثّل مسالك الحكمة الـ٣٢. وحسب تعاليم القبالة أيضاً، تُعتبر الأحرف والأرقام مفاتيح كل المعرفة، حيث من خلال الاستعانة بالنظام السرّي الذي استُخدم لترتيبها سوف تُكشف كافة أسرار الخلق. ولهذا السبب تُسمى "مسالك الحكمة". هذه الحقيقة الخفية لازالت محجوبة بعناية في منظومة الدرجات الماسونية الـ٣٢.



المقامات في الشجرة (من ١ إلى ١٠) تمثل طاقة ساكنة، بينما المسارات الرابطة بينها (من ١١ إلى ٣٢) تمثّل طاقة ديناميكية. ولهذا السبب فإن معرفة المقامات وحدها لا يكفي للخروج بنتيجة مجدية من أي نوع.

وفقاً لفلسفة القبالة (التي هي معقدة جداً بالنسبة لغير المطلعين على التعاليم السرية) نجد أن كل من هذه المسارات منسوب إليه حرف أبجدي، ورقم معيّن، وأحد أوراق التاروت الرئيسية، وأحد الكواكب أو الأبراج الفلكية، ولون معيّن. وفي المراجع السحرية اليهودية يوجد حالات أو نشاطات معيّنة (تحضير الأرواح مثلاً) يمثّل كل مسار من مسارات الشجرة وسيلة تذكيرية معيّنة تساهم في تحفيز نشاط معيّن (مثل أحد أنواع البخور، الحيوانات، المعادن، الأحجار الكريمة.. إلى آخره) لكن لا جدوى من الدخول في هذا الجانب الأخير.

الأمر المهم هو أنه من أجل استيعاب هذه المسارات ودورها في المنظومة، لا يمكن الاعتماد كلياً على النصوص المعقّدة لفلسفة القبالة التي هي مُشفّرة بمعظمها، ليس هناك وسيلة أوضح من

استخدام مجموعة أوراق التاروت، أي عبر الاطلاع على معانيها الرمزية، وكذلك معاني مواقعها في مخطط الشجرة، لكن لا يمكننا الاعتماد على المراجع المنشورة لتحقيق ذلك حيث جميعها متناقضة ومتضاربة وبالتالي غير صحيحة. (سوف أتناولها في إصدار لاحق)

لكن المسألة الأهم هي أننا، في كل الأحوال، لن ننجح باستيعاب هذه المنظومة وما تمثلها وكل ما توفره من استخدامات وتطبيقات وروائع مذهلة إلا إذا أجرينا تغييرات جذرية في طريقة تفكيرنا (أي التخلّص من بعض الشوائب العلمانية/المادية مثلاً)، وأعتقد أن هذه مسألة تُعالج بالتدريج عبر الأجزاء السابقة وكذلك اللاحقة من هذه المجموعة.

في الحقيقة، ليس هناك أي مرجعية مجدية يمكن الاعتماد عليها للوصول إلى حقيقة واضحة وجلية. لقد عبّر الساحر الماسوني "أليستر كراولي" Aleister Crowley عن هذه الحالة الزئبقية التي سببت له إرباك شديد وحيرة كبيرة (ربما بسبب جهله الواضح بكامل هذا المجال) خلال تناول موضوع شجرة الحياة ومقاماتها ومساراتها وأوراق التاروت وذلك في كتابه الذي بعنوان كتاب توث" The Book Of Thoth (الذي يتناول أوراق التاروت خصوصاً) المنشور عام ١٩١٢م. لازال هذا الكتاب يُعتبر حتى الآن المرجع الأساسي (بل الأوّل دون منازع) بالنسبة لكل باحث أو ممارس جاد في هذا المجال. ربما يعود السبب إلى عامل الوضوح، وكذلك الأسلوب العصري في تناول الموضوع مما يجعله سهل الفهم. لكن هذا الكتاب لا يجدي بشيء بالنسبة للعارفين المطلعين على التعاليم السرية كاملة. إنه يجدي فقط بدغدغة عقول الجاهلين الذين يجهلون أنهم يجهلون.

كتب كراولي يقول في كتابه:

".. الرقم ٢٢ يمثّل عدد الأحرف الأبجدية العبرية. كما أنه عدد المسارات في الشجرة وفقاً لسفر يتزرع (الكتاب). هذه المسارات توصل بين المقامات العشرة في المخطط المُسمى "شجرة الحياة". لماذا عدد المسارات ٢٢ فقط؟ لأن هذا هو عدد الأحرف العبرية، حيث كل حرف يمثّل مسار معيّن. لماذا وجب على الأمر أن يكون كذلك؟ لماذا المسارات موزّعة على مخطط الشجرة بهذه الطريقة تحديداً؟ لماذا وجب أن لا يكون هناك مسارات توصل بين المقام [٢] و[٥]، والمقام [٣] و[٤]؟.."

".. لا يستطيع الفرد الإجابة عن أي من هذه الأسئلة. هذا يذكرني بقول الشاعر (براونينغ): ".. من يعلم كيف الحرف "ألف" أصبح وصياً على "الثور"، ولماذا يقول اليهودي، لا "جمل" يشبه الحرف "جيم"؟..". كل ما نعرفه هو أن هذا الترتيب المُعتمد تقليدياً من قبل "مهما كانت هويته" الذي صاغ منظومة "التاروت" وفق مخطط شجرة الحياة.."

كتب كراولي يقول في مكان آخر من الكتاب:

".. ليس هناك منظومة تعاليم أكثر صرامة من المنظومة العبرية. وتعاليم "سفر يتزراغ" Sepher Yetzirah (الكتاب) هي الأكثر عمقاً وتجذّراً بين عناصر منظومة التعاليم العبرية. إنها الأكثر دوغماتية.."

".. تُبرّر مصداقية منظومة أوراق "التاروت" ليس بالإيمان الأعمى، بل بالتطبيق العملي. فبالتالي، إن الانشقاق من منظومة تعاليم القبالة الصارمة والجافة والمتصلّبة بشكل كبير هو عمل مبرّر، ويمكن إثبات ذلك بالتجربة العملية أيضاً. النقطة المُثارة في الفقرات السابقة، أي بخصوص طريقة اختيار المسارات الواصلة بين مقامات معيّنة وليس غيرها، هي في الحقيقة مرتبطة بالتعبير عن مبادئ عقيدية مهمّة تتعلّق بمسائل تخصّ شعائر الانتساب إلى المدرسة السريّة.."

....

انتهى الاقتباس

يبدو أن السيّد أليستر كراولي لا ينتمي إلى مجموعة المتطلعين على التعاليم الحقيقية كما الكثيرين غيره، وذلك رغم تأثيره الكبير على مجموعة واسعة من القراء والمتتبعين لأعماله المكرّسة لهذا المجال تحديداً. أعتقد أن هذا الجهل الواضح بالتعاليم السرية هو السبب الرئيسي الذي جعله ينحرف عن طريق الصواب فانتهى به الأمر يمارس أعمال سحرية شيطانية وتأسيس جمعيات منحرفة لا تنفع بشيء سوى إضافة المزيد من الوباء لهذا العالم الموبوء أصلاً.

إذا كان شخص بمستوى الماسوني أليستر كراولي لا يفهم المبدأ الذي تستند عليه المسارات الواصلة بين مقامات الشجرة فهذه مشكلة كبيرة تكشف عن الضعف المعرفي الذي يعاني منه الكثير من الماسونيين ذوي المكانة البارزة في مجالهم المعهود. لكن في جميع الأحوال، الذين يتكلمون لا

يعرفون بينما الذين يعرفون لا يتكلمون... هذه هي الحال دائماً وأبداً. لا بد من وجود أشخاص يعرفون الحقيقة لكنهم لا يظهرونها أبداً أمام الناس، خصوصاً عبر نشر معرفتهم في الكتب المنشورة. بالتالي كافة الكتب التي تتناول الماورائيات المتعلقة بفلسفة القبالة هي كتب غير صحيحة. بما فيها تلك التي يكتبها الفقهاء اليهود. الظاهر أمام العموم يكون مزوّر دائماً، بينما الذي يقبع في الخفاء هو الأصيل. والأصيل لن يكون أبداً من نصيب الناس العاديين.

وفقاً لكافة المراجع المتوفرة للعموم، نجد أن الأحرف المنسوبة إلى المسارات تكون على الشكل التالي:

النسخة العربية الكاملة لشجرة الحياة القبلانية

وتضمّ [٢٢] حرف موزّع بين المسالك على النحو التالي:

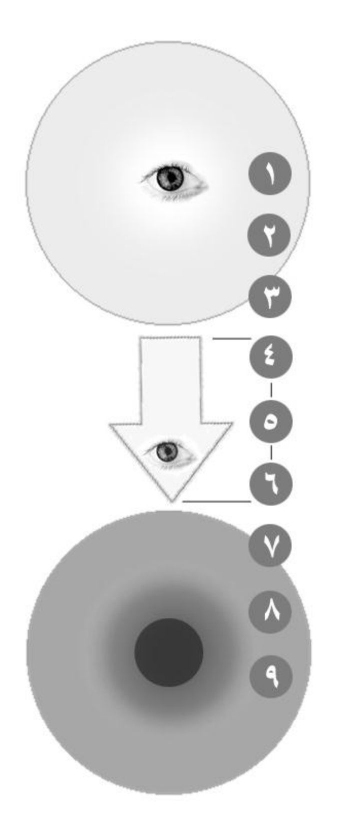
	الحرف	***من المقام***	***إلى المقام***
١	أ	من ١	إلى ٢
٢	ب	من ١	إلى ٣
٣	ج	من ١	إلى ٦
٤	د	من ٢	إلى ٣
٥	هـ	من ٢	إلى ٦
٦	و	من ٢	إلى ٤
٧	ز	من ٣	إلى ٦
٨	ح	من ٣	إلى ٥
٩	ط	من ٤	إلى ٥
١٠	ي	من ٤	إلى ٦
١١	ك	من ٤	إلى ٧
١٢	ل	من ٥	إلى ٦
١٣	م	من ٥	إلى ٨
١٤	ن	من ٦	إلى ٧
١٥	س	من ٦	إلى ٩
١٦	ع	من ٦	إلى ٨
١٧	ف	من ٧	إلى ٨
١٨	ص	من ٧	إلى ٩
١٩	ق	من ٧	إلى ١٠
٢٠	ر	من ٨	إلى ٩
٢١	ش	من ٨	إلى ١٠
٢٢	ت	من ٩	إلى ١٠

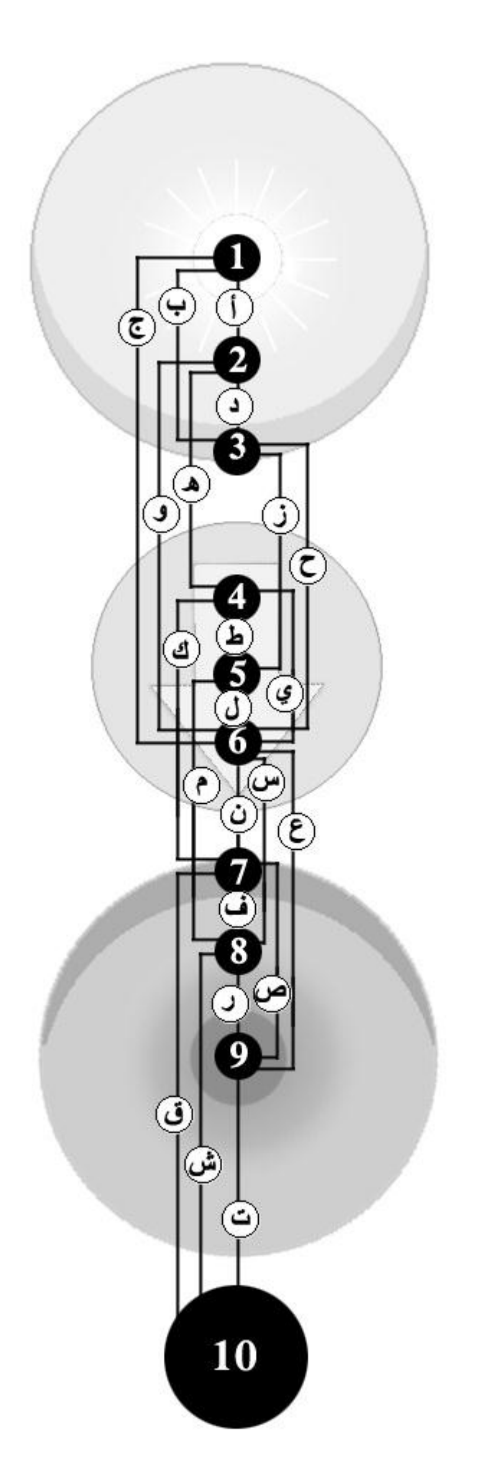
شجرة الحياة والمسالك الواصلة بين المقامات، وكل مسلك مُمثّل بحرف أبجدي

في الحقيقة، لا نستطيع الاستفادة من المسارات أو استخدامها بشكل مجدي وفعال قبل أن نفهمها ونستوعبها بشكل جيّد وسليم. علينا أولاً معرفة ماذا تمثل المسارات ومن أين جاءت، ولماذا هي بهذه الصيغة، حيث توصل بين بعض المقامات بينما لا توصل البعض الآخر. وهذا بالذات ما عجزت القبالة اليهودية والمراجع الماسونية عن معرفته أو كشفه، والسبب واضح طبعاً وهو الجهل بهذا الجانب كلياً. لقد أخذوا المراجع المنحدرة إليهم بشكل أعمى ودون أي محاولة لفهم المسألة.

لو أن أحد هؤلاء الفقهاء الماسونيين الجهابزة حاول استخدام صيغة الفقاعتين (العلوية والدنيوية) كما فعلت في هذا الكتاب لكان توصل إلى الحقيقة بكل سهولة. لكن يبدو أن الأمر مقدر أن يكون كذلك على أي حال. أجريت سابقاً مقارنة بين نموذج الفقاعتين وبين مخطط شجرة الحياة ووجدنا أنهما متطابقتين بشكل كامل، وبالتالي لا بد من أن نجد ضالتنا في هذه الصيغة تحديداً.

وفق صيغة الفقاعتين (العلوية والدنيوية) تبين أن مقامات شجرة الحياة هي عبارة عن مراحل مختلفة لمسيرة التجلّي والتي تبدأ من النواة الشمسية وتنتهي عند التجسيد المادي. كل مرحلة تمثل حالة خاصة تمرّ فيها عملية التجلّي، وهذه الحالة لها خصائصها وسماتها التي تميزها عن غيرها. كما هو مبيّن في الصورة المقابلة.





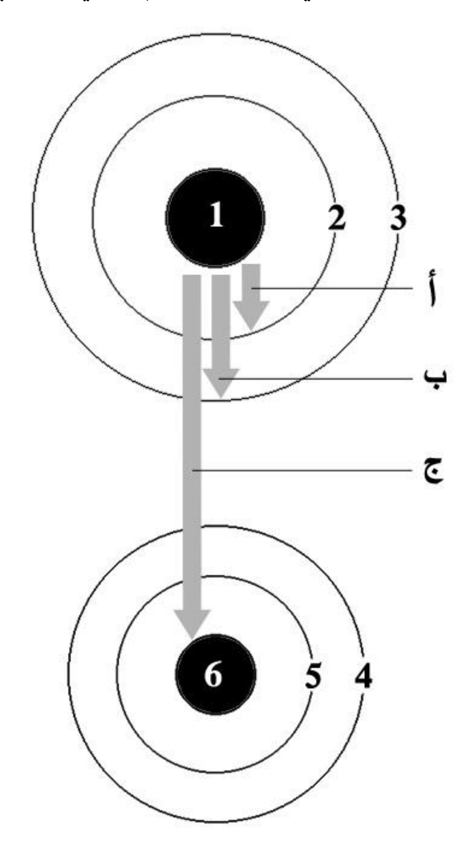
بعد إجراء دراسة متفحّصة تبين أن كل مسار من المسارات يمثّل الحركة الديناميكية المقطعية للنفحة الشمسية منذ انبعاثها من النواة وحتى تنتهي عند التجسيد المادي. أي أن المسارات هي في الأساس عبارة عن سلسلة متصلة للنبضة الشمسية لكن تم تقسيمها إلى مراحل مختلفة وكل مرحلة لها طبيعتها الخاصة وسمتها الخاصة وذلك حسب موقعها بين المراحل المختلفة (المقامات العشرة) لمسيرة التجلّي.

الأمر ليس معقداً كما يبدو في الصورة لكنني مضطرّ إلى جعل الخطوط تظهر بهذه الطريقة الالتفافية كما الدارة الإلكترونية لكي أتجنب التشابك فيما بينها. مع أن المبدأ بسيط في الحقيقة. سوف يتم توضيحها جيداً مع الشرح في الصفحات التالية.

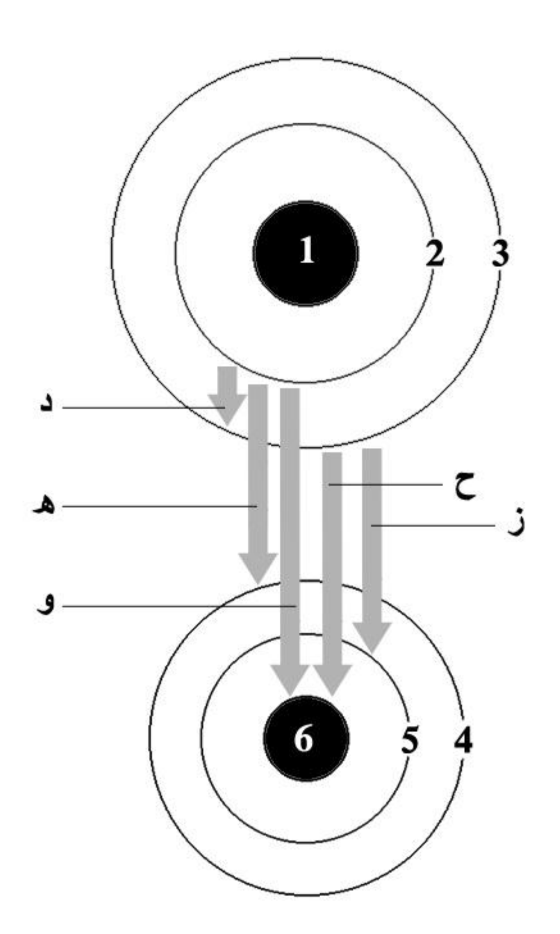
وصف مراحل مسيرة النبضة الشمسية

والتي أصبحت تمثل المسارات في مخطط شجرة الحياة

من أجل أن نستوعب الطريقة التي تشكل وفقها المبدأ الذي يمثل المسارات علينا أولاً التعرف على الصيغة الفعلية لمراحل النفحة الشمسية. يمكننا فعل ذلك عبر وصف تفاصيل مسيرة النفحة منذ انطلاقها من النواة الشمسية حتى انتهاءها في التجسيد المادي. وهي كما يلي:

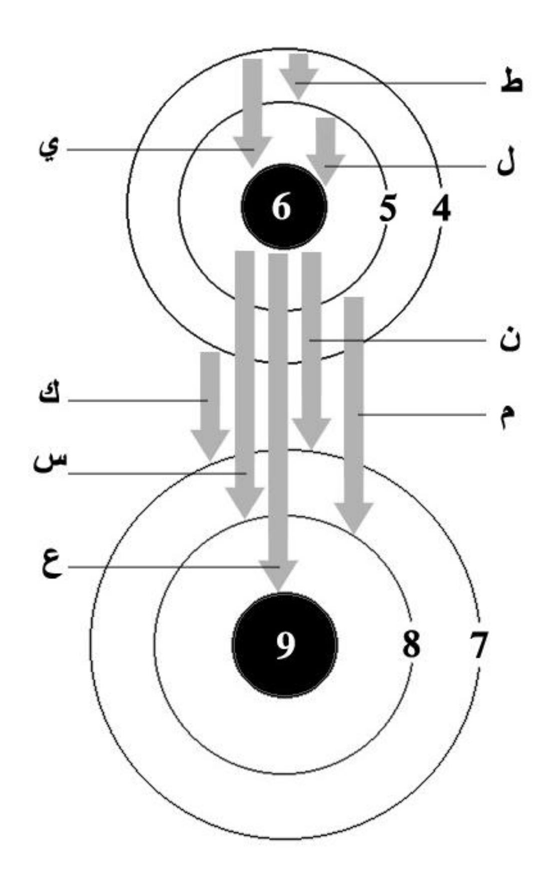


انطلق الإشعاع الشمسي من النواة الممثلة بالمقام [١]، وكانت انطلاقته تشبه [الثور] (أ) القوي والعنيد وهذه الحركة القوية والخاطفة فعّلتَ الحكمة في المقام [٢]، وتابع مسيرته التي كانت متباطئة لأنها تبدو محصورة داخل إطار [بيت] (ب) لكنها اخترقت جداره الممثل بالمقام [٣] وتابع مسيره الطويل الذي يشبه سفر [الجمل] (ج) حتى وصل مقصده البعيد الممثل بالمقام [٦] الذي هو الوعي الديناميكي للإله الأعلى (النواة الشمسية) الذي أراد اختبار العالم الدنيوي المتجلّي في الأسفل.



حركة الوعي الديناميكي هي أسرع من أي شيء آخر لأن سرعتها لحظية. ما أن وصل هذا الوعي الديناميكي إلى المقام [٦] حتى لحقت به ريح الحكمة المنطلقة من المقام [٢] مشكلة [باب] (د) للمرور عبر المقام [٣] ثم صنعت [نافذة] (هـ) في المقام [٤] حتى وصلت مغروسة كما [المسمار] (و) في المقام [٦]، ثم تبعها محتوى المقام [٣] لكنه توجّه مباشرة كما [السيف] (ز) نحو المقام [٥] لينتهي به الأمر متوقفاً عند [حيط] (ح) المقام [٦].

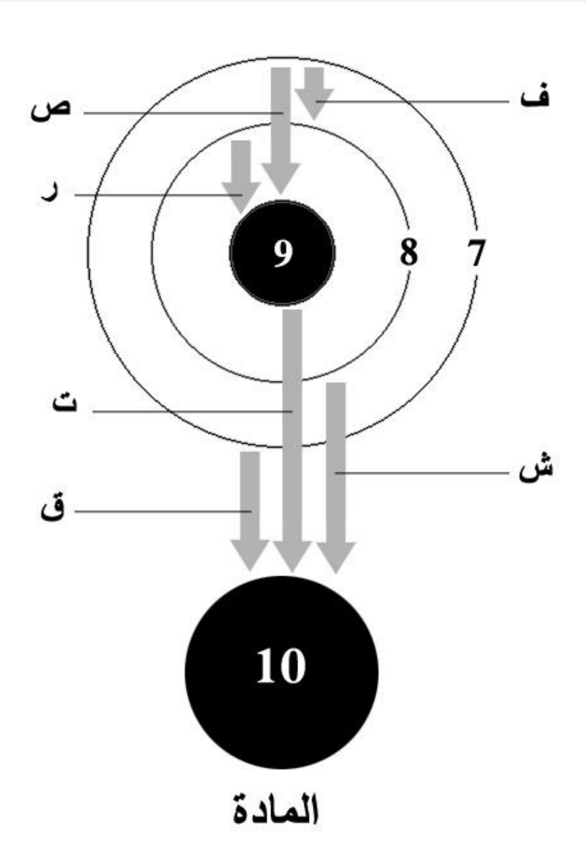
ملاحظة: حركة <u>الفكر</u> تكون أسرع من حركة <u>الهواء</u> والذي بدوره يكون أسرع من <u>المحتوى</u> الذي هو أكثر كثافة. وهذه مسيرة منطقية لحركة الإشعاع الشمسي الذي له طبيعة عقلية إلى جانب طبيعته المادية. إذاً: المسارات [أ] و[ب] و[ج] تمثل مراحل حركة الوعي، بينما المسارات [د] و[هـ] و[و] تمثل مراحل حركة القوة الشمسية أو الريح الشمسية، وأخيراً المسارات [ز] و[ح] تمثل مراحل حركة المحتوى أو الأثير الشمسي.



التيارات المتتالية للدفق الشمسي القادم من الفقاعة العلوية باتجاه المقام [٦] حرّكت تيّار من المقام [٤] باتجاه المقام [٥] لكنه كان متباطئاً ومتمايلاً كما حركة [الأفعى] (ط)، لكنه تابع مسيره كما [اليد] (ي) الممدودة نحو المقام [٦] ثم تابع مسيره ليصل إلى المقام [٧] (الذي يمثل حدود الفقاعة الدنيوية) فمسك به كما قبضة [الكف] (ك). بعد انتهاء مسيرة التيار المنطلق من المقام [٤]، انطلق تيار جديد من المقام [٥] بتحفيز من الحركة السابقة حتى وصل المقام [٦]، وحالة التحفيز هذه صورت برمز [المهماز] (ل)، لكن هذا التيار استمر قدماً يتخذ شكل دفق [ماء] (م) باتجاه المقام [٨]، وهذا المسار الذي يشبه الدفق المائي يعود سببه إلى أننا أصبحنا في العالم الدنيوي وعنصره هو عنصر الماء. لهذا السبب نجد المسار التالي المنطلق من المقام [٦] نحو بداية هذا العالم الدنيوي أي المقام [٧] رمزوا له بمسار [السمكة] (ن) لأن الحركة هنا هي حركة سباحة. عند وصول المسار من المقام [٦] إلى المقام [٨] نبدأ الشعور بالسماكة [تسميكة] [س] في هذه البيئة المائية. لكن مع وصول المسار من المقام [٦] إلى المقام [٩] وضحت الرؤية التي رمزوا إليها برمز [العين]

(ع). *(للتعرف على معاني الكلمات المرافقة للحروف بين قوسين أنظر في الجدول الوارد لاحقاً والملاحظة المضللة قبله).*

الوعي المتحرّك يمثل المقام [٦] لكنه محصور بين محتويين: المحتوى ذو الأصل العلوي وله طبيعة مائية والممثل بالمقام [٤]، وبين المحتوى ذو الأصل الدنيوي وله طبيعة نارية والممثل بالمقام [٥]. وبالتالي فإن المسارات [ط] و[ي] و[ك] تمثل مراحل حركة المحتوى المائي، بينما المسارين [ل] و[م] يمثلان مراحل حركة المحتوى الناري، وأخيراً [ن] و[س] و[ع] تمثل مراحل حركة الوعي الديناميك الممثل بالمقام [٦].



لكن وضوح الرؤية لا ينفع في أحيان كثيرة، حيث المسار الذي يليه، والمنطلق من المقام [٧] إلى المقام [٨] يرمز له بفتح الفم [فاه] (ف)، والمسار الذي يليه والمستمر من [٧] إلى [٩] يمثل [الصنارة] (ص)، والمسار التالي يمثل نهاية هذا المسار في العالم المادي [١٠] ويسمونه [قف] (ق) أي وقف أو جمد أو يبس. الحركة قبل الأخيرة تنطلق من المقام [٨] مبتدئة من المسار الواصل

بالمقام [٩] ويسمونه [رشّ] (ر) ومعناه رش الماء أو دفعه، ومن ثم ينتهي بمسار منطلق من [٨] إلى العالم المادي [١٠] ويسمونه [شنّ] (ش) ويعني الغور أو التدنيس. والحركة الأخيرة انطلقت من المقام [٩] نحو العالم المادي [١٠] ويتشكل المسار [تاع] (ت) أي الماء المنبسط على الأرض وتفسره المراجع اليهودية بأنه علامة صليب مرسومة على الأرض. *(للتعرف على معاني الكلمات المرافقة للحروف بين قوسين أنظر في الجدول الوارد لاحقاً والملاحظة المضللة قبله).*

المحتوى الذي يتألف منه العالم الدنيوي ذو طبيعة نارية وممثل بالمقام [٧]، وهذا هو الموقع الذي تتابع منه المسارات التالية انطلاقها، إذ من هذا الجانب الخارجي للفقاعة الدنيوية ينطلق كل من المسارات [ف] و[ص] و[ق] وتمثل مراحل حركة المحتوى الدنيوي، بينما المسارين [ر] و[ش] يمثلان مراحل حركة الريح الدنيوية الممثلة بالمقام [٨]، وأخيراً المسار [ت] يمثل حركة الكثافة الهلامية الممثلة بالمقام [٩] نحو التجسيد المادي.

....

من هنا جاء ترتيب الأحرف العربية (الأبجدية) ونحن نعلم أن ترتيب الأحرف العربية (وكافة اللغات السامية القديمة عموماً) هو ثابت على مرّ العصور، وقد تم تحويل هذا الترتيب إلى نوع من الأغنية الشعرية التي كنا نرتلها كطلاب باستمرار وكانت وسيلة مجدية لحفظ هذا الترتيب بحيث يرسخ في الذاكرة. هذا الترتيب الشعري هو التالي:

".. أبجد.. هوز.. حطي.. كلمن.. سعفص.. قرشت.. ثخذض.. ظغ.."

بعد إلغاء الكلمتين الأخيرتين (ثخذض وظغ) يبقى الأحرف الاثنان وعشرين التي تهمنا في منظومة الشجرة. أي الأحرف التالية:

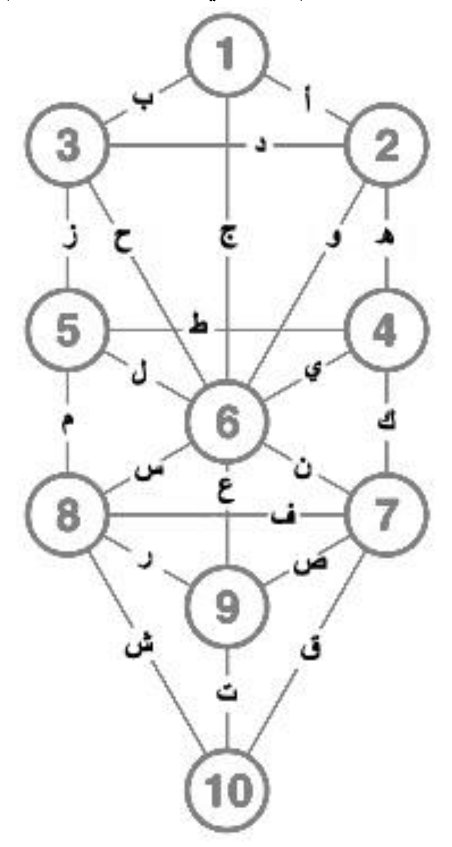
[أ] [ب] [ج] [د] [هـ] [و] [ز] [ح] [ط] [ي] [ك] [ل] [م] [ن] [س] [ع] [ف] [ص] [ق] [ر] [ش] [ت]

ملاحظة: ربما لاحظ القارئ الكريم أنني أوردت أسماء أشياء مختلفة (بين قوسين) للأحرف الممثلة للمسارات. في مراجع القبالة وخلال تناول موضوع المسارات وعلاقتها بالأحرف ينسبون الأحرف إلى أشياء مختلفة ليس لها علاقة ببعضها لكنها بكل تأكيد توصف الحالة التي يختبرها المسار خلال

مسيرته من مقام إلى آخر، الجدول التالي يبين الأشياء المرتبطة بالأحرف. لا أحد يعرف لماذا نُسبت تلك الأشياء للمسارات لكن خلال وصف مراحل هذه المسارات وتوجهاتها سوف نجد المنطق الذي يقبع في جوهر هذه الأشياء المنسوبة.

الحرف العبري	لفظه الكلامي	الحرف العربي	القيمة الرقمية	الرمز
א	أليف	أ	١	ثور
ב	بيت	ب	٢	بيت
ג	جمل	ج	٣	جمل
ד	داث	د	٤	باب
ה	هيه	هـ	٥	نافذة
ו	فاو	و	٦	مسمار
ז	زين	ز	٧	سيف
ח	حيث	ح	٨	حيط
ט	طيث	ط	٩	أفعى
י	يود	ي	١٠	يد
כ	كف	ك	٢٠	كف
ל	لامد	ل	٣٠	مهماز
מ	ميم	م	٤٠	ماء
נ	نون	ن	٥٠	سمك
ס	سامك	س	٦٠	تسميكة
ע	عين	ع	٧٠	عين
פ	فه	ف	٨٠	فم
צ	صادي	ص	٩٠	صنارة
ק	قوف	ق	١٠٠	قف
ר	رش	ر	٢٠٠	رشّ
ש	شن	ش	٣٠٠	شنّ
ת	تاو	ت	٤٠٠	علامة صليب

بعد معرفة الصيغة الأصلية التي تشكلت وفقها المسارات، هذا يجعل توزيع الحروف (الممثلة للمسارات) مختلفاً على مخطط الشجرة الذي نألفه في الكتب المنشورة، أي وجب أن تكون كما يلي:

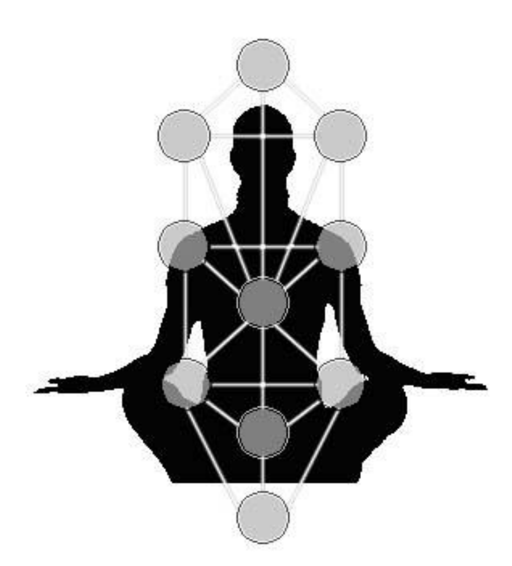


صحيح أن الأخطاء لم تتجاوز عدة مواقع للأحرف، لكن هذا يكفي لإجهاض كامل العملية التي يجريها الفرد ومهما كان نوعها (ارتقاء روحي أو علم تنجيم أو تحليل الشخصية أو غيرها)

لا نستطيع الإسهاب في موضوع المسارات أكثر من ذلك لأن هذا الكتاب يتناول موضوع آخر مختلف تماماً، لكن سوف أخصص كتاب كامل وشامل عن الفلسفة المتناولة لتعاليم شجرة الحياة وتكون متحررة من أي صبغة عبرية أو هندية أو غيرها.

الشجرة هي عبارة عن خريطة للطاقات الشخصية ووظائفها المختلفة. إنها طريقة مجدية لجلب التوازن والانسجام إلى حياة الفرد، وذلك بمساعدة التعاليم التي تتمحور حول مخطط شجرة الحياة. يرتقي الإنسان روحياً درجة درجة نحو الاندماج أخيراً مع الله وذلك عبر الحوزة على معنى كل مقام

بالتوالي ومن ثم معالجتها في كيانه (تحويل قطبيتها) والأمر ذاته مع المسارات الواصلة بين المقامات والتي تمثل قوى وطاقات نشطة في كيان الفرد، هذه أيضاً بحاجة إلى معالجة. ويعتبر إنجاز الارتقاء من مقام إلى آخر بأنه حوزة على مستوى جديد من الحكمة والمعرفة.



بالرغم من أنها تبدو معقّدة للوهلة الأولى، بسبب تعدد المواضيع التي تشملها، لكن مع ذلك يمكن اعتبار منظومة شجرة الحياة الأكثر تكاملاً ووضوحاً وسهولة الاستخدام بالمقارنة مع التعاليم الإيزوتيرية الشرقية ومفاهيمها المعقّدة. وبما أنها مختلفة عن التعاليم الإيزوتيرية الأخرى، فبالتالي لا بد من أن رياضتها الروحية تختلف أيضاً، بحيث صيغت بطريقة تجعلها تتناغم مع المخطط الهندسي لشجرة الحياة وخصائص مقاماتها العشرة ومساراتها الاثنين وعشرين. مجرّد ما فهمنا طريقة توزيع المقامات ومعنى ووظيفة المسارات الرابطة بينها والتي تمثل العلاقة التي تدمج المقامات لخلق صيغة معيّنة، نستطيع بعدها إصلاح الخلل الحاصل في كينونتنا واستعادة التوازن عبر ممارسة تمارين معينة تشمل "التصوّر الفعال" وبالإضافة إلى صياغة طريقة حياة جديدة متناغمة مع كياننا العلوي الأصيل.

الطاقة موجودة في حياة الفرد ومتجلية في كيانه في أي حال من الأحوال، لكن هو الذي يحدد نوعية وصيغة تجلّي هذه الطاقة إن كانت لصالحه أو غير صالحه وذلك عبر طريقة تفكيره. هذه هي الخيمياء العقلية التي تحدث عنها القدماء، أو علم التحوّل العقلي وفقاً للمنهج الهرمزي. المسألة إذاً هي مسألة عقلية أكثر من أي شيء آخر. التدريبات التي يخوضها المريد (إن كان هرمزي أو يوغي

أو غيره) تستهدف إحداث تغييرات في منظومته العقلية وهذا يكفي لحصول التغيير المرتقب والمُمثل بتجلّي قوة الشمس الباطنية في كيانه. ***السؤال هو***: كيف يمكن لكامل كينونة الإنسان أن تتغير أو تتحوّل كلياً مجرّد أن غيّر أو بدّل طريقة تفكيره. في الجواب على هذا السؤال المهم يكمن السرّ العظيم للعقل. هذه الفكرة ستتوضح جيداً بعد قراءة الموضوع التالي.

الخيمياء العقلية

وتأثير العقل على الجسد

الجميع أصبح يسلّم اليوم بحقيقة تأثير العقل على الجسد بطريقة أو بأخرى. يمكننا ملاحظة هذه المعادلة بوضوح في حياتنا اليومية، حيث المزاج المرح والسعيد يجسّد دائماً حالة صحيّة سليمة، بينما المزاج المحبط أو الحزين أو الخائف أو الحقود أو الغضوب يجسّد حالة صحيّة سيّئة. وإذا أردنا الدخول في بعض تفاصيل هذه المعادلة نلاحظ وجود الكثير من الدلائل الجليّة التي نختبرها في حياتنا اليومية. كلّنا رأى كيف يصبح وجه الفرد شاحباً أثناء الخوف، أو أحمر أثناء الغضب. لا بد أن شعرنا يوماً بأن ضربات القلب لدينا توقفت تماماً عندما تنتابنا حالة رعب مفاجئة، وكذلك حصول تسرّع في وتيرة التنفّس وزيادة خفقان القلب في حالة انفعال عاطفي. جميعنا يألف حقيقة أن تلقي الأخبار السعيدة أو الوجود في جمعة مرحة يزيد من الشهيّة على الطعام، بينما تلقي الأخبار السيئة أو الوجود في جمعة حزينة يؤدي إلى فقدان الشهيّة. إن مجرّد الحديث عن أطعمة شهيّة يؤدي إلى سيلان اللعاب، ومجرّد الحديث عن حادثة غير مستحبّة أو وصف منظر مزعج سوف يؤدي إلى الشعور بالغثيان. يبدو جلياً أن الحالة العقلية وثيقة الصلة بذلك الكيان الخفي المسؤول عن إدارة مجرياتنا الجسدية. ورغم سيطرة هذا الكيان الخفي على كامل مجريات الجسم، لكن يبدو واضحاً أنه يخضع لتأثير الحالة العقلية (أو المزاج، أو طريقة التفكير). الأفكار المحبِطة تؤثّر على الدورة الدموية، والتي بدورها تؤثر على كل جزء من الجسم عبر حرمان هذه الأجزاء حصتها من الأكسيجين والغذاء. الأفكار المتنافرة تسبب فقدان الشهية، وهذا يعني أن الجسم لن يتلقى حصته من الغذاء اللازم، وبالتالي يصبح الدم واهناً. لكن على الجانب الآخر، التفكير المتفائل يساعد على الهضم ويزيد الشهية وينشّط الدورة الدموية وهو في الحقيقة يعمل نفس وظيفة الدواء المقوّي للمنظومة الجسدية. معروف أيضاً بأن اللعاب في الفم يتحوّل إلى سم قاتل في حالة الغضب الشديد. وحليب الأم المُرضِعة يصبح ساماً بالنسبة للطفل إذا سيطر عليها غضب شديد أو حالة رعب. العصارة المعدية تتوقف عن الجريان بحريّة إذا أصيب الشخص بالإحباط أو الخوف الشديد.

هذه مجرّد عينات من مئات الحالات الأخرى التي نختبرها في حياتنا اليومية والتي تثبت قدرة تأثير العقل على الجسد.

لقد نالت هذه الظاهرة اهتمام الباحثين العلميين منذ البداية، وأقيم العديد من الاختبارات والتجارب لدراسة هذه الاستجابة التي يبديها الجسم للحالات العقلية أو القناعات الشخصية أو حتى الإيحاءات الكلامية. والاعتراف الطبّي بهذه الظاهرة ليس جديداً، بل يمكن اعتباره إعادة اعتراف (جزئي) بمكانة العقل في مجال الطب والعلاج. كافة الأدبيات الطبية، القديمة والحديثة ورد في شروحاتها ذكر سيطرة العقل على الجسد في مجال الصحّة والعلاج. ولطالما أسند العلم الطبّي مُعظم ممارساته على هذا المبدأ وإن بطرق غير مباشرة. ما من مدرسة طبيّة محترمة أهملت وصاية طلابها خلال التدريب العملي بضرورة أخذ مبدأ التأثير العقلي في الحسبان خلال التعامل مع المرضى. الأسلوب المرِح في التعامل مع المرضى، والكلام المعسول الهادف إلى رفع المعنويات وإحياء الأمل من جديد، كلها تصرفات تم وصاية الطبيب على ممارستها خلال تعامله مع المريض. فهي تحتلّ في المهنة الطبية العصرية المرتبة الثانية بعد التعقيم والعلاج الدوائي.

هذه مجرّد عينة بسيطة من ظاهرة تأثير العقل على الجسد وكذلك تأثير القناعات وطرق التفكير على كامل كيان الفرد. وقد استقينا هذه الأمثلة من معلومات عامة سائدة اليوم والجميع يسلم بها، حتى الجهات العلمية الرسمية. لكن للأسف الشديد، بسبب التوجه العلماني المادي للمنهج العلمي الرسمي، هذا الموضوع لا يتجاوز حد هذه المعلومات المقتضبة والعابرة. بينما في الحقيقة هناك الكثير مما يتعلق بهذا الموضوع وقد مثّل موضوع أساسي لدى القدماء. ومنه انبثق علم التحول العقلي أو الخيمياء العقلية، وكان يعتبر علم العلوم لأنه يمثل جوهر العلوم قاطبة. الأمر المهم والجوهري الذي يتعلق بالتحوّل العقلي ليس له علاقة بالجسد بالنسبة للقدماء بل بالنفس والمستوى الروحي عموماً، حيث التحوّل العقلي يمكنه إحداث تغييرات جذرية في التركيبة الروحية والنفسية للفرد، وهذا ما ركز عليه الحكماء القدامى تحديداً.

مجرّد أن غيرت طريقة تفكيرك فسوف يتغيّر كامل كيانك. الذين يمشون على النار دون أن يصابوا بأي أذى يعتبرون أكبر مثال. هذا ولم نتحدث عن الذين يغرسون السيوف في أجسادهم دون خروج نقطة دم واحدة، وغيرها من إنجازات مذهلة تتم بقوة الفكر. تغيير طريقة التفكير يفعل أشياء كثيرة على المستوى المادي فما بالك المستوى العقلي والنفسي والروحي؟! لا يستطيع الفرد تقدير مدى

عظمة هذا الإنجاز، هو ذاته الإنجاز الذي اهتمت به كافة المدارس السرية في العالم القديم، وحتى المحافل المعاصرة مثل الماسونية والصليب الوردي وفرسان الهيكل وغيرها، جميعها تحدثت عن "العمل العظيم" The Great Work وهو فعلاً عظيم لو أنكم تعلمون. هذا المصطلح ورد في الأدبيات الهرمزية (Magnum Opus) ويشكل محور الكثير من المحافل السرية لكن كل منها تتناوله من زاوية مختلفة وبمعنى مختلف.

".. يمكن للعقل أن يتم تحويله من حالة إلى حالة، درجة إلى درجة، وضعية إلى وضعية، قطب إلى قطب، ذبذبة إلى ذبذبة. علم التحوّل الهرمزي هو فنّ عقلي في المقام الأوّل.."

القيبلان

ملاحظة: أنظر في موضوع التحول العقلي الوارد في كتاب القيبلان المذكور بالكامل في الجزء السابع من هذه المجموعة.

....

العمل العظيم

THE GREAT WORK

الإنجاز النهائي.. الخلاص الكلّي.. الاندماج الكامل مع العالي

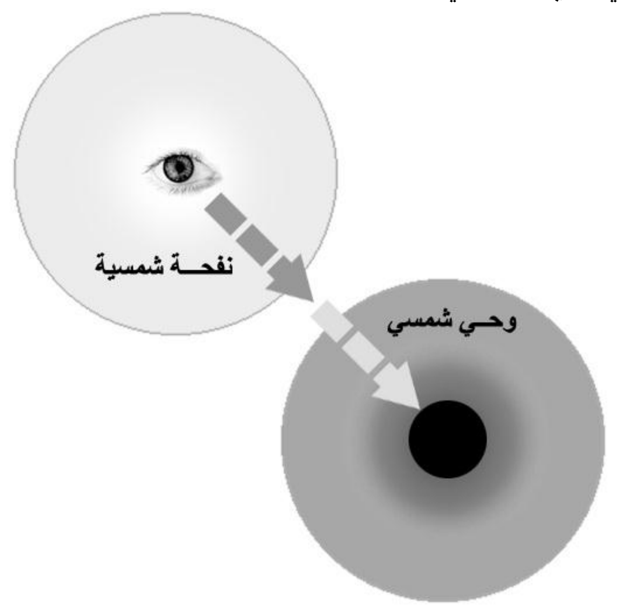
لا بد أننا أصبحنا نستوعب جيداً تلك المقولة الهرمزية الشهيرة: ".. كما في الأعلى كذلك في الأسفل، وكما في الأسفل كذلك في الأعلى.."، وعلى هذا المبدأ بالذات استند العمل العظيم الذي يهدف إلى توحيد المحتوى الذي يتألف منه كل من الخالق والمخلوق بحيث يحصل الاندماج الكامل بين الاثنين. المحتوى الإلهي نقي ولكن محتوى المخلوق الدنيوي ملوث بالشوائب، وبالتالي لا يمكن في هذه الحالة حصول أي اندماج في المحتوى. تحدثت تعاليم القبالة عن العالم الأكبر MACROCOSM (الخالق) والعالم الأصغر MICROCOSM (المخلوق)، وبين هذين العالمين يوجد تماثل حيث قيل أن الإنسان خُلق بصورة الخالق [جلّ وعلا]. الكلّ يتألف من محتوى واحد، جوهر واحد، وبالتالي نحن كبشر نحوز بجوهرنا على كافة الإمكانيات والقوى التي تتجلّى في الطبيعة وكذلك في الخالق [جلّ وعلا]، لكن في حالة الإنسان العادي، على هذه القوى والإمكانيات الدفينة أن تخرج وتتجلى عبر التطوير قبل أن نقول بأننا أصبحنا نمثل فعلاً عالم صغير كامل متكامل أي أصبحنا نمثّل فعلاً صورة للإله الأعلى [جلّ جلاله]. إن حالة التماثل هذه والتي تحوزها عبر التطوير والاجتهاد هي التي تسميها المدارس السرية العمل العظيم THE GREAT WORK. إن الاتحاد مع العالي [جلّ وعلا] يُعتبر لدى كافة الأديان بأنه يمثل بطريقة أو بأخرى العمل العظيم الذي بانتظارنا، إن كان ذلك عاجلاً أم آجلاً.

تحدثت تعاليم القبالة عن خلق الكون عبر الأب والأم والابن والبنت (والجميع يُعبر عنهم بكلمة يهوه IHVH)، ووصفت كيف حصلت هذه العملية عبر مقامات شجرة الحياة، حيث تروي أخيراً كيف تم طرد آدم وحواء من الجنة (تجلّي الذكر والأنثى في العالم الدنيوي) وكيف انحدر الإنسان إلى [ملكوث] MALKUTH، وهو العالم المادي إذ أصبح في النهاية يمثل الكائن الحيواني العالق في شباك الدنيا الفانية، بحيث يتمتع بالقليل من الإدراك والمشاعر وغيرها من جوانب الصحوة الدنيوية الضيّقة. حينها يدخل دور التعاليم الباطنية التي تعرف المرتبة الجليلة لهذا الكائن الساقط في شباك العالم الدنيوي فتمنح السبيل الوحيد لخلاصه. فتبدأ اللغة المشفّرة بشرح كيفية حصول هذا الخلاص، فتقول مثلاً أنه وجب رفع هذا المخلوق الساقط إلى عرش الأم، أي أن يتمتع بالبيّنة (المقام [٣]) ومعناه أن يتبيّن أمره وحالته ومن ثم يدرك جيداً مدى بهجة الخلاص ويتعلم بعدها السبيل إلى

تحقيق ذلك. أما عملية الخلاص فيتم شرحها باللغة الرمزية المشفّرة كما يلي: على البنت أن تتزوّج الابن، فتصبح هي الأم التي بدورها تستثير قوة الأب، وبعد اتحاد هذين الأخيرين يندمج الجميع مرة أخرى مع التاج. والتاج هنا هو أعلى مقام شجرة الحياة، أي الشمس المركزية أو الذات الإلهية القابعة في جوهر الإنسان. أما بخصوص زواج البنت من الابن ومن ثم التحوّل إلى أم واستثارة قوة الأب فهذه العملية تبدو معقّدة للوهلة الأولى لكنها ليست كذلك إطلاقاً، خصوصاً بعد أن أصبح لدينا فكرة أولية عن شجرة الحياة ومقاماتها.

نحن في الحالة العادية كما البنت (السكينة) العالقة في الأسر لدى التنين، أي نحن مجرّد مخلوقات تتمتع بمشاعر حيوانية مع القليل من قوة الإدراك. لكن في داخلنا مخزن هائل من القوة الأوتوماتيكية (العقل الباطن أو اللاوعي) ويمثل قسم كبير من منظومتنا العقلية. هذا القسم من كياننا يمثله المقام [٩] في شجرة الحياة والذي تسميه تعاليم القبالة "الأساس". هذا الوعي الأوتوماتيكي يهتم بالوظائف الحيوية للجسد، وذلك دون أي حاجة للأنا الواعية والتي هي في النهاية مجرّد شيء محدود ويمثل في أغلبه شيء وهمي (الأنا الوهمية). وهنا يدخل دور الابن الذي بدأ تجليه في المقام [٨] وفق منظومة شجرة الحياة، والذي يمثل الذكاء والمنطق. هذا هو الوحي الإلهي الذي تتحدث عنه التعاليم الباطنية. هو هرمز وفق الأساطير الإغريقية وميركوري (عطارد) وفق الأساطير الرومانية، إذ يسمونه رسول الآلهة. هو الوحي الإلهي الذي يتجلّى في كيان الفرد.

وفقاً للتعاليم الباطنية، الوحي الشمسي يمثل إنعكاس النفحة الشمسية في العالم الدنيوي. ويمكن التعبير عنها في الشكل المقابل. لهذا السبب منح الإغريق الإله هرمز (عطارد) لقب رسول الآلهة، هذا لأنه يمثل الوحي الإلهي (هو المقام [٨] في شجرة الحياة) وهو انعكاس للنفحة الإلهية (المقام الثاني في الشجرة).





هرمز (ميركوري بالرومانية) رسول الآلهة

في البداية يكون المنطق والذكاء لدينا موجّه كلياً نحو شؤون الدنيا (في هذه الحالة يكون ميركور أو عطارد لا زال يمثل إله اللصوص والتجار وقاطعي الطرق)، وبالتالي لا يمكن لهذه الخصائص أن تمثل وحي إلهي حيث الأمر يتطلب شروط خاصة قبل أن يتجلّى هذا الوحي، أهم هذه الشروط هو إجراء تغييرات جذرية في المقام [٨] من شجرة الحياة (تغيير طريقة التفكير وبالتالي يتحوّل الذكاء باتجاه آخر). لكن المهم أن تجلّي الابن وفق الفلسفة الباطنية يبدأ في هذا المقام من الشجرة. وبعد تجلّيه عليه تزوّج تلك النفس الدنيوية العالقة في العالم المادي والتي تسميها التعاليم العبرية "السكينة" (أو بيرسوفون لدى الإغريق) وهي البنت وفق تعاليم القبالة، وحضورها ضروري لكي يتم التطور الروحي. إن المبدأ الأنثوي أساسي في القسم الدنيوي من كياننا، والسبب هو أن كامل كياننا الدنيوي هو مجرّد امتداد للمحتوى الأنثوي المدفوع من قبل نواة الشمس المركزية القابعة في الجانب الباطني (أنظر في تشريح الفقاعة الشمسية المذكور في فصول سابقة وكذلك التدرجات المختلفة للمحتوى).

بما أن المبدأ الأنثوي هو الحاكم في العالم الدنيوي (كما سأشرح بالتفصيل لاحقاً) فإن الفرد لا يتلقى الحكمة الإلهية مباشرة لأن هذه الأخيرة ذات طبيعة ذكرية (المقام [٢])، وبالتالي أوّل ما وجب حضوره قبل تفعيل الوحي الإلهي هو البيّنة (المقام [٣]) وهي الأم وفق التعاليم، إذ عندما نتبيّن الأمور فسوف نستطيع حينها الإدراك بشكل واضح وجلي. لكن من أجل حضور البيّنة في كياننا الدنيوي علينا القيام بإجراءات معيّنة تفرضها علينا التعاليم الباطنية، وحينها فقط يولد هذا الابن الإلهي بداخلنا والذي تبدأ ولادته من المقام [٨] (وهو مقام المنطق والذكاء).

إذاً، عندما نتبيّن ونتفهّم الأشياء والعالم من حولنا سوف نستطيع حينها إدراك الأمور على حقيقتها وبوضوح وبشكل مباشر، دون أي تدخل للأوهام الدنيوية التي تشوّه المشهد وتسيء تفسيره. عندما نصل إلى هذه الحالة من البيّنة حينها تتجلّى الحكمة الإلهية التي تمثل الأب، وبعدها فقط نستعيد نور التاج الممثل بالشمس المركزية، أو الإله الأعلى.

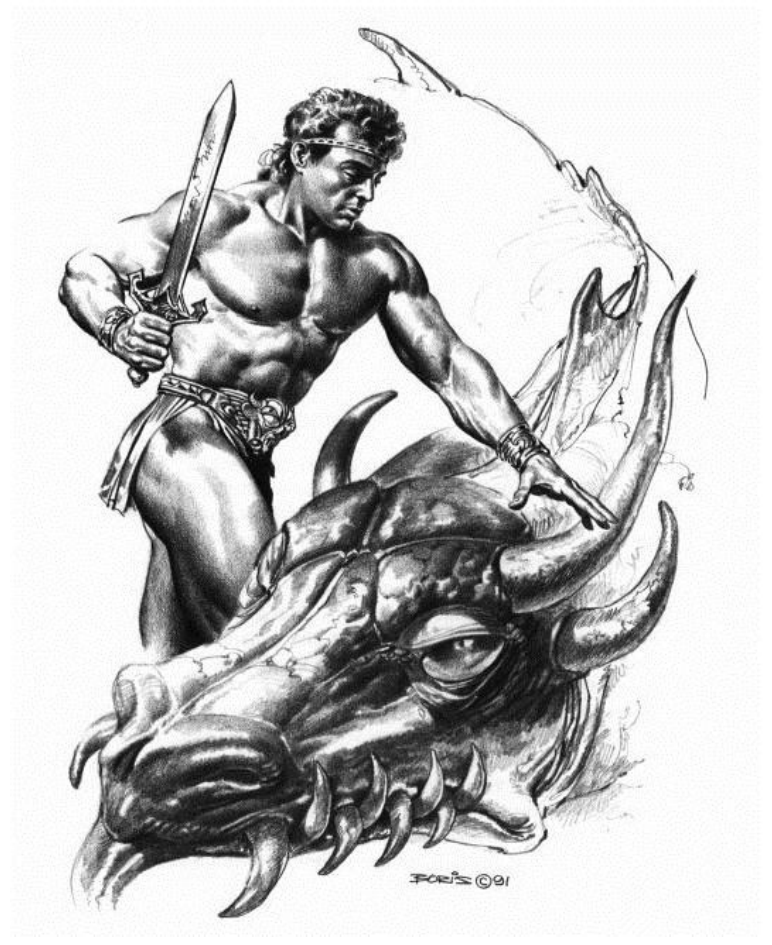
إذاً، الجهاد في سبيل العالي يبدأ من حضور الوحي الإلهي الذي تجلّى بدوره بعد إجراء تغييرات جذرية في المقام [٨] من شجرة الحياة (أي تغيير طريقة التفكير). هذا الجهاد المقدّس، الجهاد في سبيل العالي، يتمثّل بتسلّق شجرة الحياة التي تمثّل الدرب الروحية نحو التحوّل والتنوّر والخلاص ومن ثم الاندماج أخيراً مع الله [تعالى]. التحوّل الأوّل يحصل عند المقام [٩] الذي يمثل اللاوعي أو العقل الباطن أو غيرها من تسميات تستخدم إلى هذا الكيان العقلي الهائل بالمقارنة مع عقلنا

الواعي. تذكر أن الكيان الدنيوي مؤلف من المقامات الثلاثة: [٧] و[٨] و[٩]، والمقام [٩] هو المهيمن (أي يشمل المقامين الآخرين). وجب العلم أن ذكائنا الدنيوي (المقام [٨]) وعواطفنا ومشاعرنا الدنيوية (المقام [٧]) هي محكومة في أغلبها من قبل العقل اللاواعي (المقام [٩]) وهذا الأخير موجّه دنيوياً بشكل شبه كامل لدى الإنسان العادي. بالتالي فإنه من الواجب الضروري عند جميع المدارس الباطنية تحويل النفس الحيوانية لدى الإنسان الدنيوي، لكن هذا التحويل لا يجري عبر الكبت والقمع بالغصب بل عبر الوعي بتلك العواطف والمشاعر والرغبات الدنيوية. حينها فقط يتعلم كيف يتحرر من سيطرة هذه العواطف، وليس هذا فحسب بل يتعلم كيف يسيطر هو عليها أو يرتقى فوقها بحيث يستخدمها فقط عند الضرورة ووفق إرادته بحيث لا ينجرف معها في أي حال من الأحوال. خلال هذه العملية يحاول المريد دائماً وباستمرار أن يحوّل الطاقات الحيوانية الدنيوية إلى طاقات أرقى وأسمى وهذه الحالة تأتي بشكل طبيعي مجرّد أن سيطر على عواطفه الدنيوية. إذا لم ينجح المريد في هذه المهمة الأساسية فسوف يستمر بالوقوع في شباك تلك الطاقات الحيوانية وبالتالي لم يذهب إلى أي مكان خلال تطوره الروحي. لطالما وصفنا الأشخاص الذين يتصرفون بدافع من طاقاتهم الدنيوية بأنهم "حيوانات" وهذا عمل مبرّر إذا نظرنا للمسألة من زاوية الموضوع الذي نتناوله الآن. لكن من الجانب الآخر، وجب أن لا ننسى حقيقة أن جميعنا نملك هذه الطاقات الحيوانية في كياننا ويعود لها الفضل في بقائنا أحياء في هذا العالم المادي. وجب علينا الموازنة دائماً بين الأطراف النقيضة، والاعتدال في النظر إلى الأمور.

بعد السيطرة كلياً على طبيعتنا الدنيوية نكون بذلك قد قتلنا الوحش بداخلنا كما تصوره الأساطير. وحينها فقط يستطيع الفرد أن يعتبر نفسه كائن بشري. قبل ذلك يكون <u>حيوان</u> بالنسبة للتعاليم الباطنية. هنا يكون قد كبر الابن الذي ولد في المقام [٨] وصار شاب، أي بدأ يتجلّى في المقام [٦] وهو مقامه الأساسي في شجرة الحياة. هنا يصبح اسمه في التعاليم المصرية "حيرو" Heru (أو حرّو أو حورس Horus باللفظ الإغريقي) أي <u>الحرّ</u> وفق المفهوم العربي. لقد تحرّر المريد كلياً من أغلال الوحش الدنيوي المقيت الذي غالباً ما يصورنه بهيئة تنين ضخم وعنيف. لكن هذا لا يكفي وفق نظام الارتقاء الروحي للمدارس الباطنية حيث لازال هناك الكثير من الأمور المهمة الأخرى.

في المقام [٦] يبدأ نشاط <u>الابن</u> المقدس الشاب، حيث تم تحويل الطاقات الدنيوية إلى طاقات أرقى وأعلى. أي هنا يتبع الفرد طريقة تفكير طاهرة وخالية كلياً من الشوائب الغريزية الدنيوية. لقد أصبح مقتنعاً بالحقيقة الجديدة بعد استنتاجها منطقياً عبر ذكاءه الدنيوي (المقام [٨]) مما ساعده كثيراً على

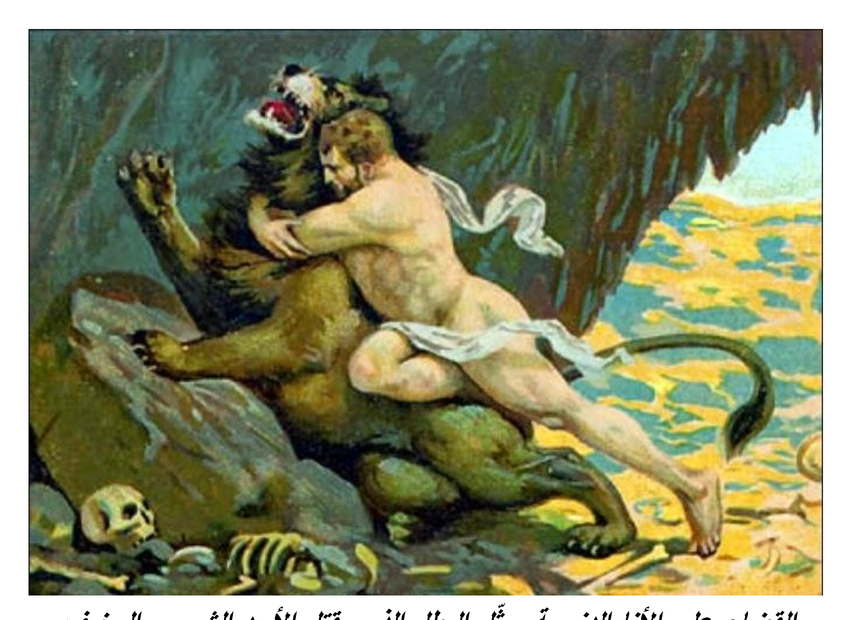
تنقية (وليس قمع) عواطفه وغرائزه الدنيوية. فبدأ الجوهر الإلهي الأصيل في المقام [٦] بالتجلّي تدريجياً. بدأ المخلّص في الظهور الجزئي في كيان المريد. أقول جزئي لأن هناك عقبة أساسية وجب إزالتها قبل تجلّي مفعول المقام [٦] بكامل روعته.



السيطرة الكاملة على طبيعتنا الدنيوية تماثل البطل الذي يقتل التنين الضخم والعنيف

من أجل أن يتجلى المخلص في كياننا علينا أولاً إجراء تغييرات جذرية في كينونتنا الدنيوية والتي تمثلها ثلاثة مقامات في شجرة الحياة والتي تؤثر على طريقة تفكيرنا وبالتالي على أسلوب حياتنا في هذه الدنيا. هذه المقامات هي: [١] الرغبة والشهوة، الانجراف وراء المسرات [٢] المكر وطلب المجد الدنيوي، التعصب لأفكار وقناعات محددة [٣] الوهم الدنيوي الذي يسحرنا بمغرياته الفانية ومن هذا المقام بالذات تخرج أوامر اللاوعي الذي يسيطر كلياً على سلوكنا وتفكيرنا. مجرّد أن تغلبت على هذه النوازع سوف يبدأ المخلص بالتجلّي في كيانك.

وجب العلم أن الإحساس بالأنانية تبقى عالقة في مقام [٦] وهذا هو التحوّل الكبير الآخر الذي على المريد إنجازه. الأنا هي شيء مركّب وتم تكوينه عبر سنوات طويلة من التربية والتنشئة وغيرها من مؤثرات اجتماعية وبالتالي فإن تفكيك الأنا صعب جداً لدى الفرد فما بالك إلغاءها بالكامل. الأنا تحاول دائماً المحافظة على بقائها عبر تعزيز الأحاسيس الأنانية المختلفة المتعلقة بمواضيع مثل: ".. هذا لي." و".. هذا أنا..."، وهذين الموضوعين لوحدهما كافيان لصرف مجهود كبير لإلغائهما. تعتبر الأنا ضرورية في كياننا لكي نتمكن من التعبير عن أنفسنا لكنها بنفس الوقت تبقينا منفصلين عن الآخرين. لكن عندما ننفتح على أشخاص آخرين وكائنات حيّة أخرى على هذا الكوكب وعلى الطبيعة ككل وعلى الطاقات المختلفة من حولنا وفي الكون أجمع، حينها يحصل تحوّل كبير في داخلنا. يختفي الإحساس بالأنا كلياً بداخلنا، فيجد الفرد نفسه جزءاً من عالم معقّد وكبير مليء بالكائنات المشابهة أو المختلفة عنه. هنا يبدأ الإحساس لدى الفرد بأنه يشكّل جزء لا يتجزأ من الكون. غالباً ما يرمزون لعملية التضحية بالأنا على أنها عملية قتل الأسد في جوهر الفرد.



القضاء على الأنا الدنيوية يمثّل البطل الذي يقتل الأسد الشرس والمخيف

لكي يتجلّى المخلّص بكامل روعته بحيث ينشط بكامل طاقته عليك القضاء على الأنا الدنيوية وتفعل ذلك عبر معالجة المقام الرابع والمقام الخامس والسادس. أي: [٤] تجلّي الحكمة والإحسان والتبصّر في الأمور [٥] المحافظة على ضبط النفس وعدم الانجراف وراء الدوافع الغريزية التي تثير الصراعات غير المجدية [٦] التواضع والتفاني وانعدام الأنانية بشكل كامل.

عندما يُقتل الأسد في المقام [٦] يرتقي المريد إلى التحوّل الأساسي التالي ويقبع عند عتبة العالم العلوي ويسمى في تعاليم القبالة "داث" Daath أي المعرفة. هنا لا يكتفي الفرد بالتعرّف على أصله الإلهي فحسب بل يتحوّل جوهره بالكامل إلى جوهر إلهي. لطالما كان جوهره إلهياً منذ البداية، لكنه الآن أصبح على علم بذلك عبر الاختبار المباشر. في هذا الموقع على عتبة العالم السماوي (الفقاعة العلوية) تزول تماماً بقايا الشعور بالإنفصال. لا أقصد هنا الإنفصال عن باقي الكائنات الأخرى في الكون بل أقصد الانفصال بين الخالق والمخلوق. هنا يكتشف الفرد أن الانفصال ليس حالة فعلية بل مجرّد إدراك مخادع. لكن الآن أصبح يرى الانفصال ضمن الوحدة الكليّة مع الخالق [جلّ وعلى]. إذاً، عند "داث" يتحول الانفصال إلى وحدة، فيدخل المريد إلى وحدة كاملة مع الكلّ العظيم، اندماج كامل مع الواحد الأحد. هذا هو الاندماج الذي يُسمى وفق تعاليم اليوغا بالتحوّل الكبير إلى الجسم الماسي diamond body. إنه إدراك الجوهر الحقيقي للإنسان.

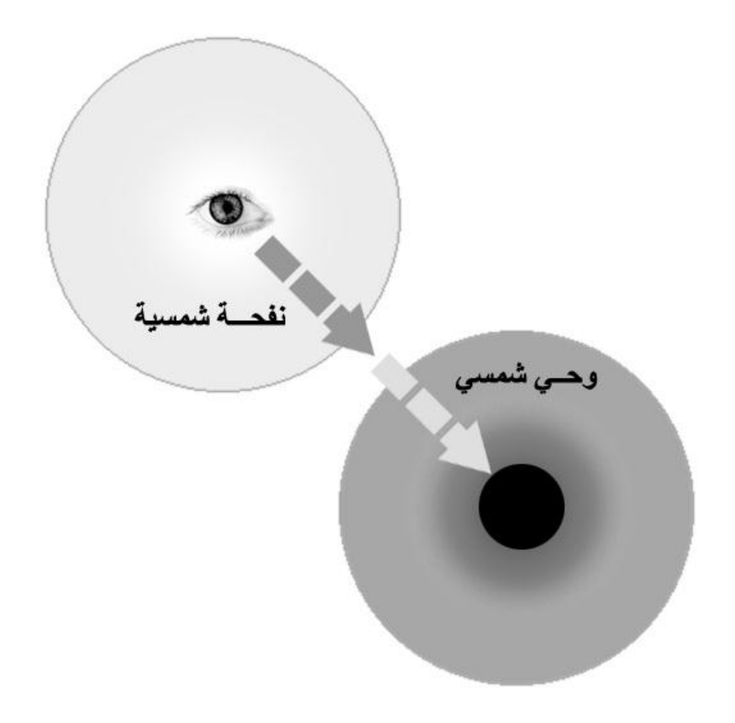
هذا مجرّد اختصار شديد لتلك العملية الطويلة التي قد تستغرق سنوات بالنسبة للمريد الذي انخرط في درب الخلاص، وتستغرق عدد كبير من الحيوات (تقمصات متتالية) للإنسان العادي الذي هو منخرط أصلاً في هذه الرحلة الطويلة للخلاص لكن تطوره بطيء في الحالة العادية ورغم ذلك كله فهو لا يعلم بوجود هذه الرحلة أصلاً، لأنه جاهل، ويجهل أنه جاهل، ولازال يظن أن البهجة تأتي فقط عبر الانغماس بمسرات الدنيا الفانية ويا له من مغفل مسكين.

....

الوحي الإلهي

وقصة تجلّي الرسالة الإلهية

تحدثت في الفصول السابقة عن أمثلة على الشخوص المقدسة المذكورة في الأساطير، وجميعها التي تمحورت حولها الأديان مثلت النفحة الشمسية التي تنطلق من الفقاعة العلوية، أي مصدرها الشمس المركزية (الذات). لكن هناك نوع مختلف من الشخوص المقدسة التي تحدثت عنها الأساطير وتمحورت حولها بعض الأديان أيضاً وهي تلك التي تمثل انعكاس للنفحة الشمسية، بحيث تنشط ضمن مجال الفقاعة الدنيوية. ومن أجل عدم الخلط بين الاثنين يمكن تسمية هذا الانعكاس الوحي الشمسي، هذا الاسم الأخير يناسبها فعلاً لأنها تتميز بهذه الصفة كما سنرى لاحقاً.



وفقاً للتعاليم الباطنية، الوحي الشمسي يمثل إنعكاس النفحة الشمسية في العالم الدنيوي. لهذا السبب منح الإغريق الإله هرمز (عطارد) لقب رسول الآلهة، هذا لأنه يمثل الوحي الإلهي. وقد شرحت سابقاً كيف يمثل المقام [٨] في شجرة الحياة

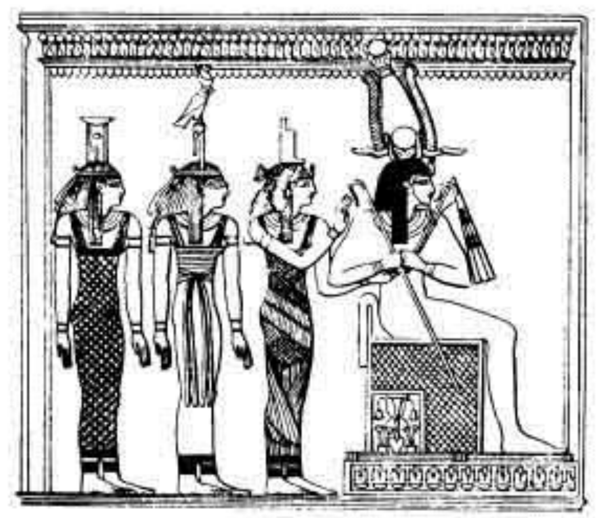
وفقاً للمراجع العبرية، أحد اسماء الله [تعالى] هو "هاشم" (HaShem יהוה) ومعناه الحرفي "الاسم"، أي كما لو أنهم يشيرون إلى صاحب الاسم لكن دون تسميته تفادياً لتدنيسه، وبالتالي أصبح لدينا صورة واضحة عن المسألة. وفقاً لهذه الحقيقة الجديدة نستنتج أن بني هاشم هم ذاتهم بني إسرائيل. أي أن هذا الرسول الجديد الذي تجسّد بلحم ودم هو من ذرية هاشم لكن كبار القوم من بني هاشم (الذين يمثلون مقامات الشجرة) لم يعترفوا به بعد. وجب عليه إثبات جدارته أولاً قبل أن يعتبر من سلالة هاشم الجليلة.

ملاحظة: أرجو أن تتخلوا هنا عن أي أحقاد قومية أو اختلافات سياسية أو دينية أو غيرها من عقد نفسية دفينة. نحن نتحدث عن مراجع دينية عريقة جداً حتى لو كانت غريبة عنا ثقافياً، وبالتالي فإن رفضها لأسباب نفسية بداخلكم لا تقدم ولا تؤخر في المسألة. هذه المراجع موجودة على أي حال وعلينا أن نسلم بها ونتعامل معها بالمنطق والعقل. هي كتابات ظاهرية لمعلومات باطنية جليلة. بالتالي احذر من تكفيرها أو التقليل من قيمتها المعرفية. غايتنا معرفة الحقيقة وليس تغليب معتقداتنا الخاصة على غيرها بحيث نتماشى مع مبدأ ".. القرد بعين امه غزال.."، أو ".. لا أحد يقول عن زيته عكر..". هذا المبدأ لن يفيدك خلال سعيك الصادق وراء الحقيقة.

تحدثت الأساطير المصرية عن الإلهة "أمنتي" Amenti أو "أمنتت" Amentet، يُزعم بأن هذه الكلمة تعني بالمصرية القديمة "العالم السفلي" أو "عالم الأموات"، وهذا الاسم يمثل جهة الغرب أيضاً وفق الأسطورة المصرية، حيث هناك في تلك الجهة تغرب الشمس فيغيب الإله رع من المشهد كلياً. والموقع الذي تغيب فيه الشمس في كياننا هو المستوى المادي، وهذا هو المستوى الذي تحكمه "آمنتي". بما أن "آمنتي" تمثل إلهة الغرب فهذا يجعلها إلهة العالم المادي أيضاً وهو عالم الأموات الذي تحكمه في الأسطورة. هذه الإلهة تذكرنا بموقع "سكينة" ("شكينا" بالعبرية) في التعاليم العبرية، وهذه الأخيرة تقبع في المستوى المادي أيضاً، هذا جعل الإلهة "آمنتي" تعني "الساكنة" أو "***آمنة***" مثلاً.

زوج الإلهة آمنتي هو الإله "أكن" Aken أو "أقن" Aqen، ويمثل إله العالم السفلي أيضاً. لكن له وظيفة أخرى إذ هو الأمين على قارب الإله رع الذي يقله عبر العالم السفلي ليلاً. وهذه دلالة على أن "أكن" يمثل الأمين على الجسد المادي الذي يقبع فيه رع لكن دون أن يكون له أي نشاط لأن

الوقت ليل حيث يسود الظلام المادي (غياب رع). توصفه الأسطورة بأنه يمثل الخادم الذليل للإله رع، أي هو عبد رع.. أي هو عبد الإله.. (***عبد الله***).



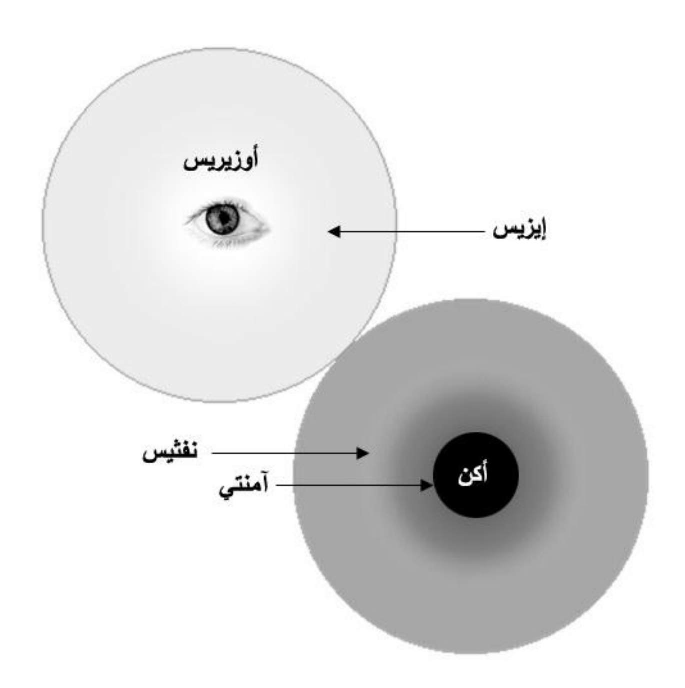
الإله أوزيريس ويتبعه كل من إيزيس، نفثيس، وآمنتي

التعاليم المصرية المتمحورة حول الإله أوزيريس (بدلاً من رع) تصور الإلهة "آمنتي" وهي إحدى نساء أوزيريس، وتظهر معهم في الكثير من اللوحات الفنية والصور الجدارية.

هذا يثبت حقيقة أن للإلهة "آمنتي" حيّز مكاني في الامتداد الذي يوصل أوزيريس (الشمس) بالعالم المادي، ويمكن التعبير عنها في الشكل ما بعد التالي:



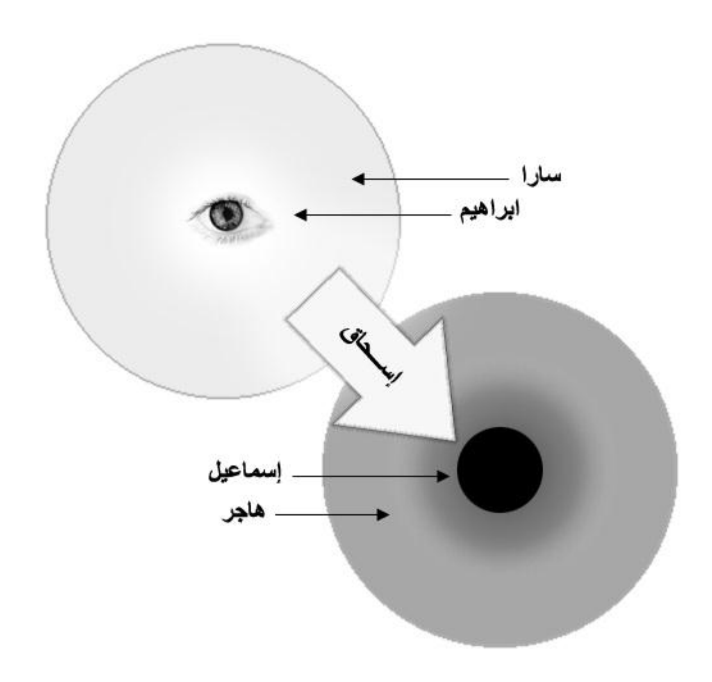
هذا يجعل موقع كل من "آمنتي" و"أكن" في الفقاعة الدنيوية كما في الشكل التالي:



آمنتي وأكن يحتلان النقطة المادية المتبلورة بينما نفثيس تحتل المحيط بكامله

في الحقيقة فإن الأساطير التي تتناول الإلهة "آمنتي" والإله "أكن" هي قليلة، والذي بقي صامداً نجده مبعثر ومنقوص ومحرّف وبالتالي لا نستطيع استخلاص صورة واضحة عن أحداث القصة وأدوار الآلهة، لكن يوجد صيغة أخرى انتشرت في الشرق الأوسط وهي قصة تتمحور حول ذرية اسماعيل.

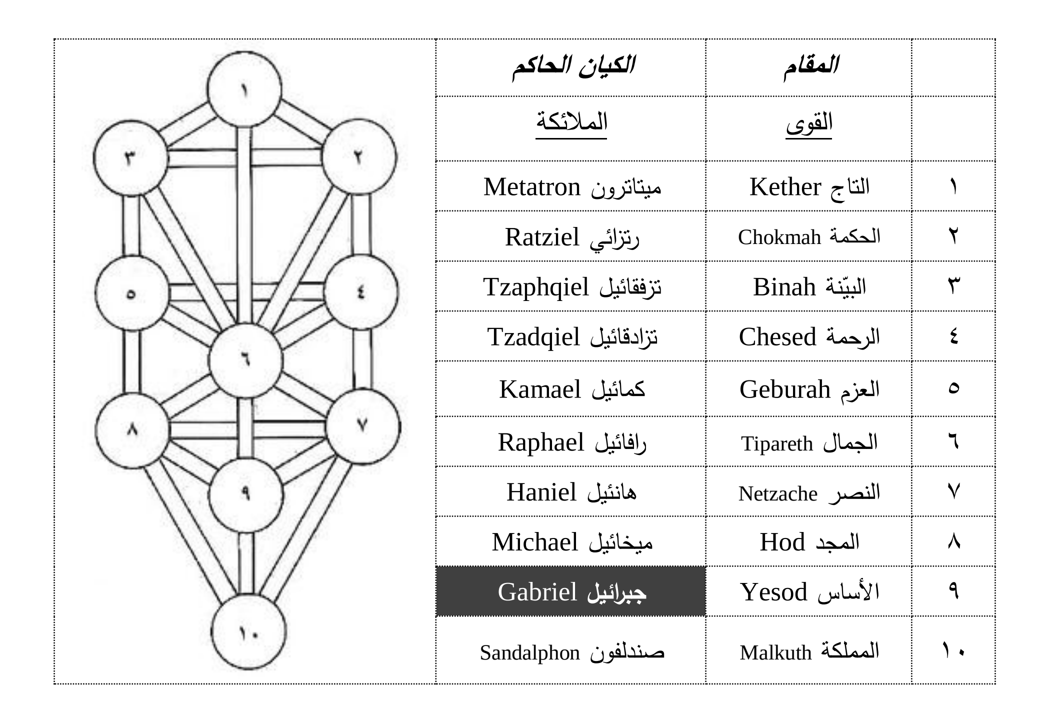
قلنا أن اسماعيل يمثل القسم المادي من الفقاعة الدنيوية (الشكل التالي) وهذا بالتالي يجعله حاكم العالم المادي، وعندما نتحدث عن إنسان ما بصيغته المادية/الجسدية فهذا يعني أننا نتكلم عن بني اسماعيل. بالتالي عندما يرغب المريد أن يخوض في درب الارتقاء الروحي فهذا يعني أن ابن اسماعيل جاءه الوحي وقرر الجهاد في سبيل العالي. هذا الشخص تمرّد على واقعه الدنيوي وقرر الخلاص، فأصبح مريداً وتخلى عن أنانيته وأسلم نفسه لله وجاهد في سبيله.



ذكرت سابقاً كيف أنه غاية المريد هو تنقية النفس لديه من أجل الخلاص، لكن لا يمكن له أن يقرر هذا النوع من الجهاد لولا أن النفس لديه صافية بدرجة معيّنة بحيث يسمح محتواها لتجلّي نور الوحي الذي يحثّ الفرد للانطلاق في مسعاه. وبالتالي لكي يتجلى هذا الوحي في كيان الفرد وجب أن تتوفر بيئة مناسبة لذلك. وجب على الفرد أن يكون صادق وأمين على الأقل.

عندما يتجلّي الوحي الشمسي في الفرد تكون قد توفرت الظروف لتتجلى فيه النفحة الشمسية، الرسالة الإلهية، النور الإلهي،.. إلى آخره، وبالتالي أصبح يمثل رسول الإله الأعلى والذي يمشي بين البشر، وهنا يقولون أن النفحة الإلهية (كلمة الله) صارت لحم ودم.

وفقاً لمخطط شجرة الحياة، بني اسماعيل يحتل المقام العاشر، وهو مقام التجسيد المادي. بالتالي لا بد من الوحي أن ينزل عليه من مكان وحيد وهو المقام التاسع في شجرة الحياة، وهذا هو المقام الذي يحتله جبرائيل في منظومة الملائكة العبرية والمبينة في الشكل التالي:

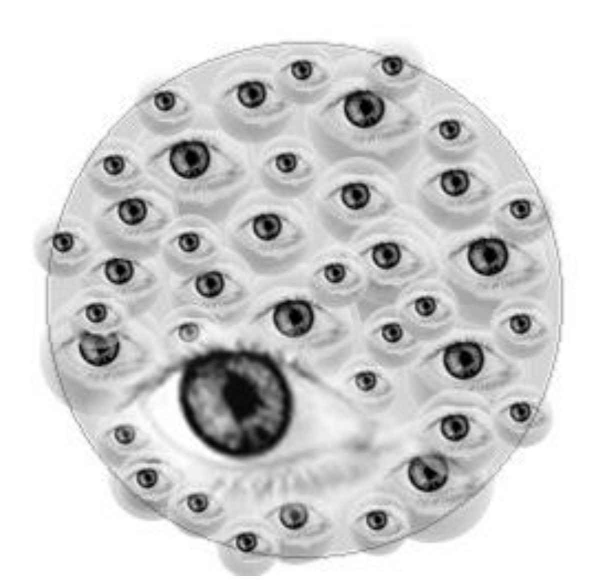


	المقام	الكيان الحاكم
	القوى	الملائكة
١	Kether التاج	Metatron ميتاترون
٢	Chokmah الحكمة	Ratziel رتزائي
٣	Binah البيّنة	Tzaphqiel تزفقائيل
٤	Chesed الرحمة	Tzadqiel تزادقائيل
٥	Geburah العزم	Kamael كمائيل
٦	Tipareth الجمال	Raphael رافائيل
٧	Netzache النصر	Haniel هانئيل
٨	Hod المجد	Michael ميخائيل
٩	Yesod الأساس	Gabriel جبرائيل
١٠	Malkuth المملكة	Sandalphon صندلفون

أهمية الجانب الأنثوي في عملية الجهاد نحو الخلاص

لا بد من أننا أصبحنا نعلم الآن أن الفقاعة الدنيوية يحتلها محتوى أنثوي، حتى القسم المادي المتكاثف في مركزها هو عبارة عن محتوى متبلور حتى الصلابة. هذا يعني بالتالي أن ***كامل الفقاعة الدنيوية محكومة بطبيعة أنثوية***. بالإضافة إلى ذلك، هذه الفقاعة الدنيوية تحتل ذلك الجانب من سلسلة التجلّي الذي يحكمه عامل الزمان والمكان، أي هو دائم التوالد والتكاثر الوفير. وقد عبرت عنها رمزياً في الكتاب كما في الشكل التالي:

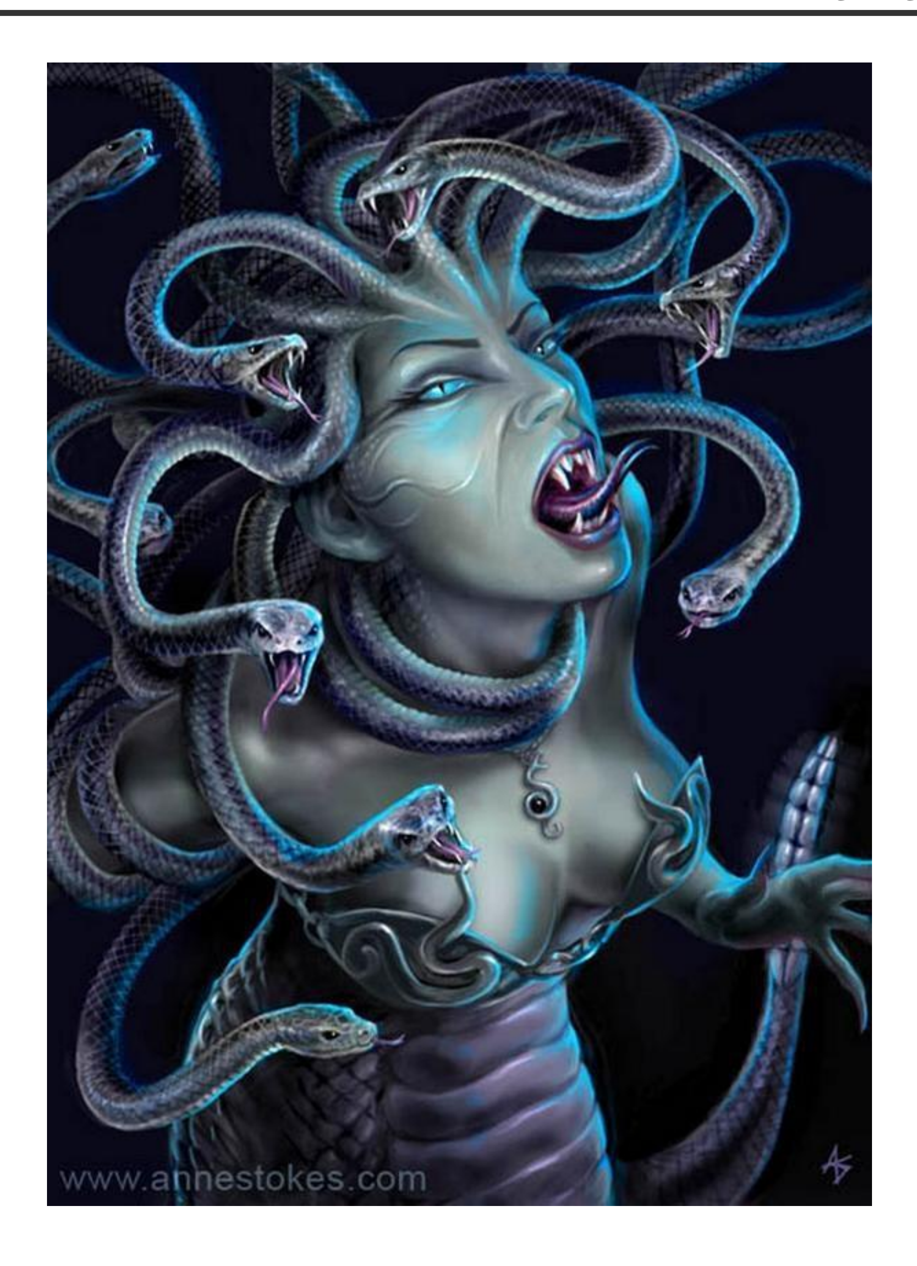
قبل كل شيء علينا التعرف على حقيقة أن الفقاعة الدنيوية مؤلفة من مجموعة كبيرة من الكينونات الأنثوية ذاتية التوالد الدائم والمستمر، وهذه الكينونات الأنثوية هي ذاتها الآلهة المختلفة والمتنوعة التي تحدثت عنها الأساطير الإغريقية كما سنرى لاحقاً. هذا يشير إلى أن كل من هذه التجليات الأنثوية هي متعددة الجوانب والوجوه والوظائف والسيئات والحسنات وغيرها من اختلافات متنوعة.



العالم الدنيوي دائم التوالد وغزير التكاثر بسبب خضوعه لسيطرة عاملي الزمان والمكان، بالإضافة إلى أنه محكوم بالمبدأ الأنثوي

السؤال الكبير إذاً هو: طالما أن الأمر بهذه الدرجة من التعقيد، كيف سيتمكن المريد من تنقية هذا الجانب الدنيوي من كيانه؟ كيف يمكن السيطرة على النفس لديه طالما تحتوي كل هذه التفرعات المعقّدة واللانهائية من الكينونات الأنثوية الملوثة بالطبيعة المادية والمآرب الدنيوية النجسة؟ قبل الإجابة على هذا السؤال علينا التعرف على مجموعة من المواضيع المهمة بخصوص المبدأ الأنثوي ثم نعود إلى المريد وجهاده في سبيل الخلاص.

....



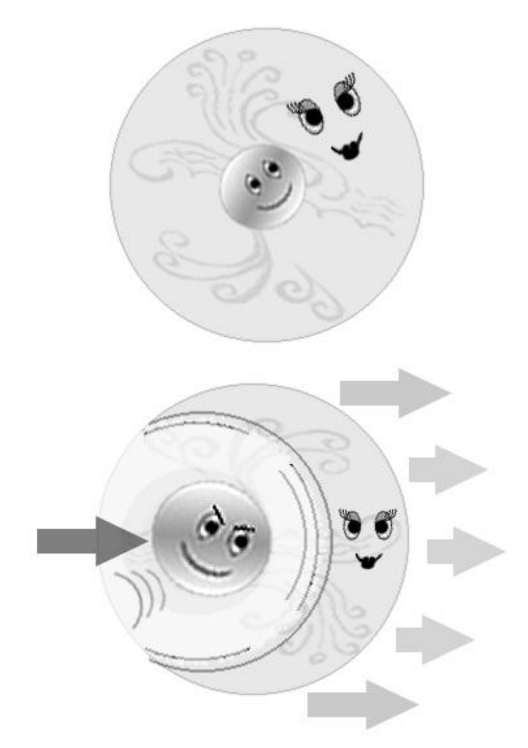
هكذا صور الإغريق الكينونة الدنيوية في أساطيرهم، هذه هي الميدوسا Medusa التي مثّلت تحدي كبير للبطل "بيرسيوس". هكذا تكون النفس بعد أن تدنست في العالم الدنيوي المقيت. الأفاعي التي تملأ شعرها تمثل عدد كبير من النزوات والخواطر الشريرة التي تسيطر على تفكير الإنسان الدنيوي. تصور الأسطورة كيف أنه كلما قطع البطل إحدى الأفاعي يولد بدلها فوراً عدد إضافي منها. هكذا يكون العالم الدنيوي المحكوم بعاملي المكان والزمان، حيث التوالد والتكاثر المستمر دائماً وأبداً.



هكذا صور الإغريق الكينونة الدنيوية في أسطورة أخرى، هذه هي الهايدرا Hydra التي مثّلت تحدي كبير للبطل هرقل. وهذه أيضاً كلما قطع البطل أحد رؤوسها يولد مكانه أكثر من رأس. كيف تمكن الحكماء من حلّ هذه المعضلة في سبيل تطهير النفس؟ هذا ما سنتعرف عليه عبر توالي المواضيع التالية.

عودة إلى مبدأ الذكر والأنثى

الفكرة النهائية التي استخلصناها سابقاً عن مبدأي الذكر والأنثى هي أن المبدأ الذكري يتخذ دائماً دور مصدر القوة بينما المبدأ الأنثوي يلعب دور المحتوى الحاضن لهذه القوة، أي تلعب دور المركبة التي تحمل القوة أو الغلاف الذي يكسوها أو الوسيط الذي ينقلها. أي بمعنى آخر، لا تقتصر هذه العلاقة في الفقاعة الشمسية، بل تشمل كافة الظواهر والمجريات الحاصلة في الكون، مثلاً، كافة الطاقات في الطبيعة، إن كانت طاقة فكرية أو كهربائية أو مغناطيسية أو هوائية أو مائية .. إلى آخرها، جميعها تتألف من عنصر ذكري يمثل نشاط قوة وعنصر أنثوي يمثل المحتوى الحاضن لهذه القوة.



كل ظاهرة في الوجود مؤلفة من مكونين رئيسيين: عنصر ذكري يمثل نشاط قوة وعنصر أنثوي يمثل المحتوى الحاضن لهذه القوة. وإذا كانت القوة الذكرية متحرّكة فإن المحتوى الأنثوي يلعب دور المركبة التي تنقل تلك القوة المتحركة.

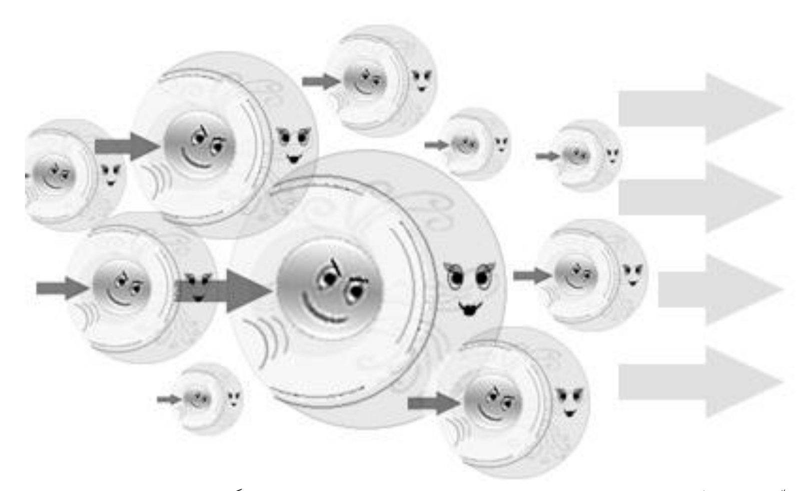
النـــــــور

بجانبيه الذكري والأنثوي

توصف كافة التعاليم كيف أن إله الشمس لديه رفيقة أو زوجة أو أخت (آدم وحواء مثلاً) هذه الرفيقة أو الزوجة أو الأخت تمثل المظهر الأنثوي للشمس. لكن كيف يمكن ترجمة هذه الفكرة عملياً؟ وفقاً للتعاليم الباطنية إن للمبدأ الشمسي جانب ذكري وجانب أثوي. الجانب الذكري من المبدأ الشمسي يمثّل مبدأ النور الكوني اللانهائي، نور الواقع الحقيقي. هذا النور يختلف تماماً عن ضوء الشمس العادية التي نراها في السماء. إنه يمثل نور العالم. إنه تلك القوة التي تتجلى في كل شيء موجود. ليس فقط قوة الحياة بل قوة الوعي. هو الواقع اللانهائي الذي تعتمد عليه كل الأشياء. هو النور في داخلها والذي يحييها. هو النور في عيوننا الذي يمكننا من قراءة كتاب بشكل صحيح. هو النور في قلوبنا الذي يمنحنا الحب. هو النور المتجلي في كل مكان والذي يحول الجهل والأنانية والانحراف والخوف إلى تنور باطني مشعّ. هذا يعني كما عبر عنه المتصوفون خلال وصفه: حصول تغيير في ما يراه الفرد عندما ينظر إليه. الفرد غير المتنور ينظر إلى عالم مليء بالمصاعب، بينما الفرد المتنور ينظر إلى عالم تُنفّذ فيه مبادئ كونية راسخة إن كان ذلك يعجبنا أم لا. الأمر الذي يهمنا هو إنه من الممكن للفرد أن يقيم علاقة وثيقة أو يوافق نفسه مع هذا النور.

هذا النور هو مبدأ عام وليس النور المرئي العادي الذي نراه حولنا والذي يمثل أحد جوانب المبدأ العام. أقصد النور الذي يحوّل الحياة الداخلية لكل شيء حيّ. هو النور الذي يشعّ ساطعاً في كل ما هو غير واضح أو غير كامل أو غير يقين. عندما نقول فلان متنور فهذا لا يعني أنه يشعّ بالضوء العادي بل لأنه أصبح يرى الأمور بطريقة أوضح. وفقاً لهذا المفهوم، مبدأ المحتوى (الأنثوي) يمثل هذا النور في حالة التجلّي أو البيان، وهذا يختلف عن حالة النور بصيغته المبدئية (مظهره الذكري). الصيغة المتجلية لهذا النور أي (مظهره الأنثوي) تصبح أداة التنور لكل شيء حيّ. وفقاً لتعاليم القبالة، المظهر الذكري لهذا النور هو الحكمة بينما المظهر الأنثوي هو البيّنة. لذلك فإن المبدأ الأنثوي لا يمثل قوة ثانوية بل يمثل مبدأ قائم بذاته ولا يتجلى سوى عبر وسيلة مناسبة، والوسيلة المناسبة له هي عملية الخلق، أي التجلّي والبيان. وفوق كامل عملية الخلق بكل ما تشمله وتحويه نجد مبدأ النور الوحيد المتغلغل في كل شيء حيّ. لذلك تعتبر الإلهة الأم حالة تحقيق الغاية الإلهية وهذه الغاية تُمثل المبدأ الأبدي للأمومة. لهذا السبب نجد أن التعاليم السرية تعتبر الفضاء الأبدي

بذاته، أي المسرح اللانهائي لوجود الأشياء، أي ذلك الذي تنبثق منه كل الأشياء وإليه تعود، هذا البحر الكوني العظيم يمثل قوة أنثوية. من هنا جاء مفهوم الأم العالمية أو عذراء العالم.



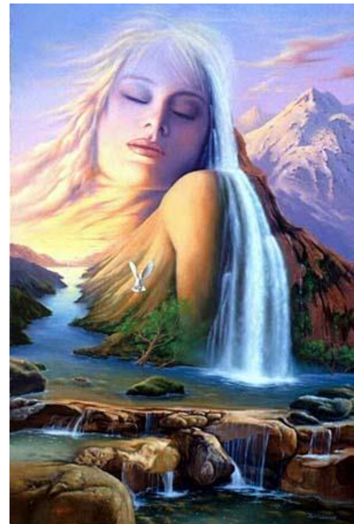
الكون المتجلّي لا يتألف من محتوى سيولي انسيابي كما نراه ظاهرياً بل هو عبارة عن بحر من الجسيمات الذرية الدقيقة، وبالتالي فإن أي انسياب سيولي أو انبعاث إشعاعي هو عبارة عن تيار جارف من الفقاعات الدقيقة المؤلفة من عنصر ذكري وعنصر أنثوي. إشعاع النور المنبعث من الشمس مؤلف من جانبين: ذكري وأنثوي. الجانب الذكري يمثل الحقيقة الإلهية أو الحكمة، بينما المبدأ الأنثوي يمثل هذه الحقيقة في حالة التجلّي أو البيان.

يوجد صيغ كثيرة أخرى لتجلّي الطاقة الأنثوية والقوة الذكرية، حيث لا يقتصر الأمر على موضوع النور. يمكننا إدراج مثال آخر يبين كيفية تجلّي هذه العلاقة الثنائية بين المبدأ الأنثوي والذكري وذلك من خلال الموضوع التالي:

الطاقة الأنثوية الخلاقة

طاقة الأنثى ولادة وراعية ومنمية وناشئة ومبدعة وخلاقة ويمكن أن نترجمها فيزيائياً بأنها العنصر المضخم للقوة الذكرية والمدبّر لها. فالقوة الذكرية ليس عليها سوى زرع البذرة المبرمجة بتوجيهات معينة فقط، بينما الباقي يبقى على عاتق الطاقة الأنثوية التي ترعى هذه البذرة وتنميها وتقويها حتى تكبر وتزدهر. الأمر مشابه للأرض الخصبة التي مهما كان نوع النبات التي ترغب في زرعه فسوف

ينمو ويزدهر. كل ما عليك فعله هو زرع البذرة في الارض، والباقي يقع على عاتق الأرض الخصبة التي ترعى هذه البذرة وتنشئها وتنميها حتى تكبر وتزدهر. لهذا السبب يُنسب إلى الطبيعة خاصية الأمومة، وآلهة الزراعة هي دائماً أنثوية لدى القدماء.




الطبيعة الأم

المبدأ الأنثوي مطواع، أي هو متقبّل لكل شيء يُفرض عليه. هو لا يحدد الهدف الرئيسي لتوجهه أو نوعية نشاطه بل يتم زرع هذا الهدف في رحمه من قبل الإرادة الذكرية، لكن مجرّد أن تم زرع الهدف في رحم هذه الطبيعة الأنثوية فسوف تعمل جاهدة على تنمية ورعاية كامل المقومات التي يمكن تسخيرها من أجل تحقيق هذا الهدف الرئيسي. مبدأ الأنثى هو العنصر الفاعل دائماً في أي عملية نمائية إذ هو العنصر المبدع والخلاق والمدبّر والأهم من ذلك هو العنصر المنشّط والمنمّي لأي شيء يزرع بداخله في البداية على شكل بذرة.

الأمر لا يقتصر على زرع البذرة النباتية في الأرض الخصبة، فقد تكون البذرة فكرية مثلاً، وقد تعرفنا على هذا الموضوع في الأجزاء السابقة تحت عنوان "الجندر العقلي"، حيث تعرفنا كيف المنظومة العقلية لدى الفرد مؤلفة من جانبين: الجانب الذكري وهو الجانب الواعي، والجانب الأنثوي وهو الجانب اللاواعي. النظريات العصرية لا تتحدث عن اللأنثى والذكر في المنظومة العقلية بل عن العقل الواعي والعقل اللاواعي. ميل المبدأ "الأنثوي" يكون دائماً باتجاه تلقّي الانطباعات

والإيحاءات القادمة من الآخرين (أي أنه حاضر دائماً لتقبّل زرع البذور في رحمه)، بينما ميل المبدأ "الذكري" يكون دائماً باتجاه منح الانطباعات والإيحاءات للآخرين (أي أنه حاضر دائماً لإلقاء البذور).



رأينا كيف أن للمبدأ "الأنثوي" مجال عمل أوسع وأكثر تنوعاً من مجال المبدأ "الذكري"، حيث المبدأ "الأنثوي" يوجّه عملية توليد الأفكار الجديدة التي تُزرع في رحمه، وكذلك المفاهيم والاهتمامات، كما أن عمله يشمل الخيال أيضاً الذي يغذي الأفكار وينميها ويجعل لها أساس راسخ. وهذا القسم الخفي هو الذي يسيّر الفرد كلياً بشكل لاإرادي لكن دون أن ينتبه للمسألة، إذ يعتقد بأن عقله الواعي (الذكر) هو الذي يسيّر الأمور لأنه يقبع غالباً في القسم "الواعي" من عقله ولا يُدرك بأنه يملك شيئاً يُسمى "اللاوعي" وهذا الأخير هو الأقوى والأكثر تأثيراً على سلوكه وطريقة تفكيره.

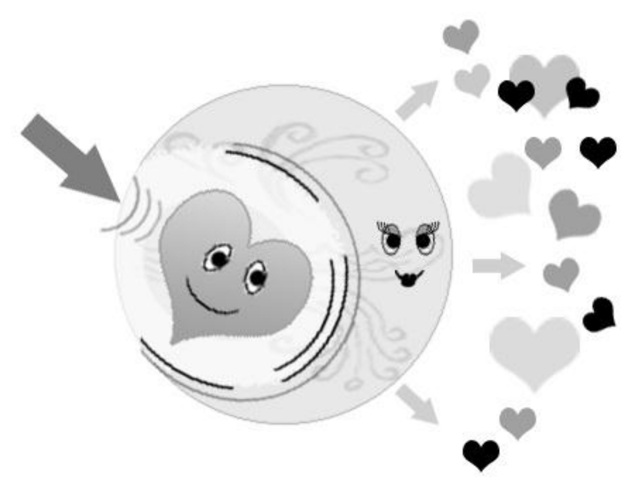
يمنحنا مبدأ "الجندر العقلي" كل الحقيقة الكامنة وراء الظواهر المتعلّقة بمجال التأثير العقلي، والتنويم المغناطيسي، والعلاج بقوة العقل وقانون الجذب وغيرها من إنجازات عقلية مختلفة قد نعتبر بعضها معجزات فعلية. إن طريقة سلوكنا أو تفكيرنا أو عيشنا بشكل عام (إن كانت سلبية أو إيجابية) هي نتيجة مباشرة وحتمية لتأثير القناعات المزروعة في العقل اللاواعي لدينا، أي بمعنى آخر، الجانب

الأنثوي من منظومتنا العقلية. قد لا تكون هذه القناعات مزروعة من قبلنا شخصياً، إذ نكون قد نشأنا عليها منذ طفولتنا، أو تلقيناها من أشخاص آخرين، لأننا مُستقطبون دائماً نحو المبدأ "الأنثوي" من عقلنا بينما المبدأ "الذكري" الذي يحتوي على الإرادة يُترك مُهملاً دون تفعيل أو استخدام رغم أن الأمر يبدو غير ذلك. لكن مجرّد أن قمنا بتغيير هذه القناعات (مستخدمين إرادتنا الذكرية) فسوف تتغير حياتنا بالكامل. سوف أذكر مثال واحد ربما نستوعب من خلاله مدى عظمة هذا الجانب الأنثوي وقوة تأثيره على كياننا الجسدي.

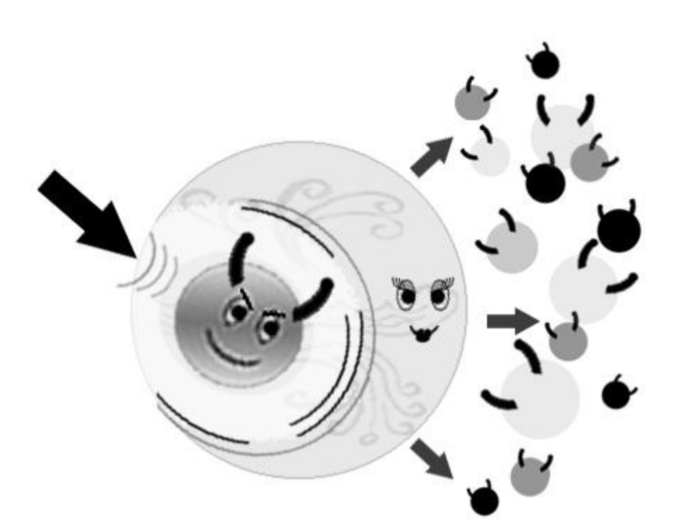
جميعنا نشأنا على قناعة أن النار تؤذينا إذا لمسناها، أي إذا مشينا على الجمر مثلاً فسوف تكوي أقدامنا وسنشعر بالألم الشديد. الجميع يسلم بهذا الأمر لأنه بالنسبة لهم يمثّل منطق علمي سليم. لكن يبدو أن هذه مجرّد قناعة راسخة في الجانب الأنثوي من عقلنا، أي في اللاوعي لدينا. وتبين عبر التجربة أنه مجرّد تغيير هذه القناعة الراسخة عبر طرح الإرادة الذكرية (وهذه العملية تتطلب إجراء معيّن) سوف يستطيع الفرد المشي على النار دون أن يصاب بأذى. هذا مجرّد مثال على مدى قوة العقل اللاواعي، ولا نعلم إلى أي حد يمكن أن يصله هذا الجانب من عقلنا بحيث يمكننا من تحقيق الإنجازات المذهلة.

هكذا يكون الجانب الأنثوي قوي وفعال في كياننا. رغم هذه القوة التي يبديها إلا أنه يفتقد للإرادة أو الحكم السليم حيث هذه الأخيرة من اختصاص الجانب الذكري. اللاوعي لدينا رغم عظمته وجبروته بحاجة إلى توجيه دائم. الأمر يشبه آلية ثقيلة مثل البلدوزر والتي رغم قدرتها الضخمة على الإنجاز إلا أنها بحاجة إلى سائق يوجهها. البلدوزر لا تستطيع إدارة نفسها بنفسها، هي تتحرّك وفق توجيهات السائق. يمكن أن يستخدمها مثلاً للتدمير والتحطيم وغيرها من أشكال الأذى، أو يمكن أن تُستخدم للتعزيل والبناء، الأمر يتوقف على نوايا السائق. الأمر ذاته ينطبق على اللاوعي لدينا، إذ يمكن أن يعمل الآن على تنفيذ قناعات مزروعة مسبقاً تؤدي إلى الضرر بصحتنا أو تعقيد حياتنا دون أن ندري.

اللاوعي لا يستطيع الحكم على الأشياء إن كانت صح أو خطأ، أو إن كانت حلال أو حرام، أو ما هو مفيد وما هو ضار، أو ما هو منطقي أو غير منطقي. كل ما عليه فعله هو تنفيذ القناعات المزروعة فيه بشكل أعمى. العيب لا يكمن في اللاوعي بل في العقل الواعي الذي يحصد ما زرعه. (هناك المزيد عن هذه الفكرة لاحقاً).



المبدأ الأنثوي يولّد ويرعى وينشئ كل ما زرع في رحمه. إذا زُرع خير فسوف يولّد الخير



المبدأ الأنثوي يولّد ويرعى وينشئ كل ما زرع في رحمه. إذا زُرع شرّ فسوف يولّد شرّ

إذا تناولنا هذا المبدأ الأنثوي المتأصل في الطبيعة بصفته كيان واحد فسوف لن نصل إلى نتيجة مجدية في دراستنا. في الحقيقة فإن هذا المبدأ الأنثوي متعدد الجوانب والأقسام والوظائف والخصائص. إن تعدد الآلهة الإناث في الأساطير القديمة لم يأتي من العدم إذ يوجد سبب منطقي لذلك. لقد فهم القدماء حقيقة أن هذا الكيان الأنثوي العظيم المتجلي في الطبيعة له جوانب وسمات كثيرة، وقد مثلوا كل من هذه الجوانب بإلهة قائمة بذاتها. ففي الأساطير الإغريقية نجد عدد كبير من

الآلهة الإناث وجميعها تمثل المبدأ الأنثوي العام ويرمز إليها جميعاً بالقمر الهلال، لكن كل منها تمثّل خاصية مختلفة أو جانب مختلف من جوانب المبدأ الأنثوي. فيما يلي بعض الأمثلة على الآلهة الإغريقية وما تمثله من معاني باطنية:

سيبيل
Cybele



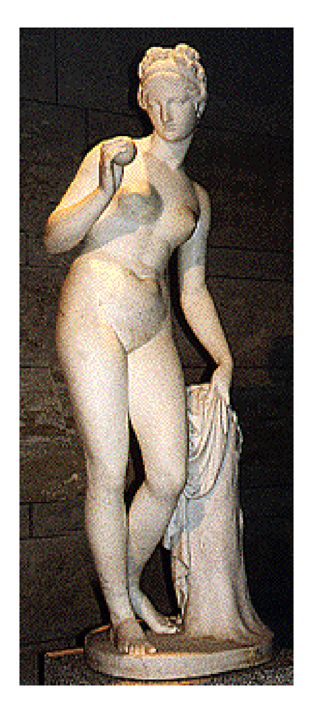
يشيرون إليها إيضاً باسم "ريا" Rhea ولقبها هو "الأم العظيمة". كانت تُصوّر أحياناً مع عدد كبير من البيوض على جسمها مما يشير إلى الطبيعة الأنثوية الولادة على الدوام. التكاثر والتوالد المتكرر والمستمر، وبالتالي إلى الغزارة في الإنتاج، هي سمة الطبيعة التي تكون في حالة دائمة من الإنتاج والخلق. لقد تم تصوير العديد من الآلهة بهذه الصيغة مثل الإلهة عشتار. غالباً ما يصورون هذه الإلهة بين أسدين أو جالسة في عربة يجرها أسدان. وهذا يرمز إلى قوة الدفع إلى الأمام خلال عملية التوالد والتكاثر. قوة التدفق في غزارة إنتاج الطبيعة من حولنا هو شاهد على هذه الخاصية، حيث لاحظنا كيف أن بعض النباتات تفلق الصخور أو تشقّ الأرضيات الاسمنتية خلال نموها، وأحياناً ترفع بلاطات حجرية ثقيلة من مكانها عندما تقف عائق أمام تقدمها. عندما تتجلّى هذه الخاصية الأنثوية في حالة معيّنة فإنها تتجلّى بقوة كبيرة لا يمكن تعطيلها أو إعاقة تقدمها.

سيلين Selene



معروفة في الأساطير بتعدد علاقاتها الغرامية. هي تمثل تلك السمة من الطاقة الأنثوية التي لديها قابلية لأن تعشق في أي لحظة، هذه القابلية للعشق ليس لها علاقة بعدم الأخلاق أو عدم الالتزام أو الإخلاص، بل هي مجرّد سمة من سمات الطبيعة الأنثوية، أي لديها قابلية لأن تتقبل أي مبادرة من المبدأ الذكري مهما كان نوعه، قبيح أو جميل (أي شرير أو خيّر) قوي أو ضعيف، إلى آخره. يصورونها بلون أبيض ناصع وهو دليل على براءتها ورقة مشاعرها، لكنها لا تستطيع مقاومة ذلك الدافع القوي في جوهرها للتزاوج والعشق والغرام. وهذا الدافع القوي يمثله الحصانان الأبيضان الذين يجران عربتها، أو تصور أحياناً وهي تركب ثور وهذا الأخير يعبر عن مدى قوة ذلك الدافع الجوهري الذي لا يُقاوم.

أفروديت Aphrodite



المرادفة لها في الأساطير الرومانية هي "فينوس" Venus. تمثل القدرة على الاستقطاب بالإغراء والافتتان الذي لا يُقاوم. هذه الخاصية تخلق حالة ولع وهيام في الكائن المستهدف. أنت تستطيع أن تربط حبل حول عنق أحدهم وتجبره على الاقتراب منك وإتباعك أو تقوده أينما شئت، لكن هذه الطريقة العنيفة ليست مجدية بالمقارنة مع قوة الإغراء والإغواء التي يمكنها أن تحقق هذا الإنجاز بشكل ميسّر ودون أي عناء. الإغراء له قدرة جذب أقوى بكثير من الحبل المشدود. وهذا أحد الخصائص الرئيسية للطبيعة الأنثوية. أفروديت تمثل الانسجام وكل ما هو محبب للقلوب. كل ما يثير الولع والهيام وخلجة العاطفة في الكائن المستهدف. أي شخص (ذكر أم أنثى) لديه ميزة الجاذبية والقرب من قلوب الناس تكون فينوس نشطة لديه، أي تكون هذه الخاصية من المبدأ الأنثوي (الاستقطاب) قوية لديه. يمكن لهذه الخاصية أن تنبعث من لوحة فنية أو عمل جميل أو أي شيء مثير للعواطف ومحرّك للرغبة.



أرتيميس Artemis

المرادف لها في الأساطير الرومانية هي "ديانا" Diana. تصوّر دائماً بأنها صيادة، وهذا يرمز لخاصية مهمة جداً يتميز بها المبدأ الأنثوي. الشخص العادي لا يستطيع استيعاب هذه الخاصية لكن كل من اطلع في الجزء الخامس على مفهوم الوعي الديناميكي يستطيع فهم الفكرة. أرتيميس لها علاقة مباشرة بقوة الجذب حيث هي التي تلتقط المرغوب وتجذبه ولهذا يصورونها بزي الصياد. هي التي تأتي بالأفكار الخلاقة للشعراء والفنانين المبدعين. كما أن القدماء ربطوها بالازدهار المادي لأنها تجلب الفرص الجيدة والأشخاص المناسبين لتحقيق هذه الحالة. وقد عبدها الفتيات اللوات أدركن سن البلوغ حيث تساعدهن في جلب الأزواج المناسبين. وقد يستنجد السحرة بهذه القوة الأنثوية لتحقيق غاياتهم المختلفة وقد تكون الأهداف قابعة في مواقع بعيدة عنهم. هي في النهاية تمثل ذلك الشيء الذي يستطيع الذهاب بعيداً وجلب أو إنجاز ما هو ضروري أو مناسب مع الكائن المعني.

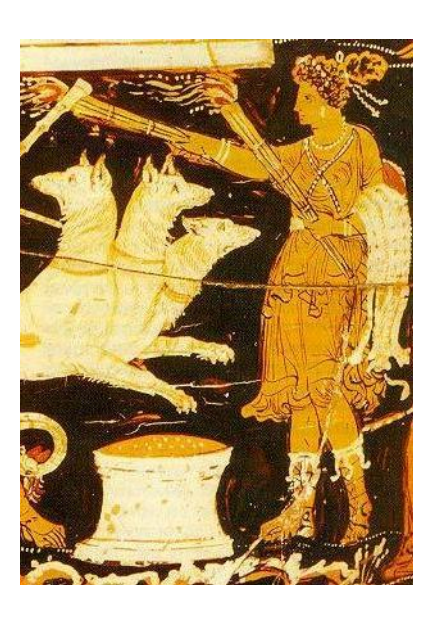


هيبي Hebe

لعبت "هيبي" في الأسطورة دور الساقية التي تقدم المشروب للآلهة. رديفتها الرومانية هي "جوفينتاس" Juventas. هي تمثل الإحياء المتجدد، أي بمعنى ديمومة الشباب. لهذا السبب نراها متزوجة من هرقل، البطل القوي والجبار الذي يستمد نشاطه وقوته من هذا المصدر الغامض الذي لا يمكن وصفه تحديداً ولكن التسمية الأنسب هي "حيوية الشباب" التي يتمتع بها الأبطال الأشداء. وقد روت الأسطورة كيف أن "هيب" زودت الإله "آريز" Ares (إله الحرب) بمياه الحمام التي نشطته. هي طاقة أنثوية تتجلّى في الكائن بحيث تحافظ على ديمومة شبابه وحيويته وقوته الشبابية المتجددة على الدوام.



Hecate



هاكيت (أو هيكاتي) تعني بالإغريقية "هي التي تحقق إرادتها" (أي: هي التي تجتهد لتحقيق الإرادة الذكرية المزروعة فيها). غالباً ما مثلت لدى القدماء إلهة الشعوذة والسحر، إذ كان يُعتقد بأنها تجلب المرض والعجز والموت أينما حلّت. كانت تعتبر أيضاً إلهة تقاطع الطرق. وغالباً ما يصورونها تصطحب كلبين أو ثلاثة وتحمل في يدها شعلة. أو يصورونها أن لها ثلاثة رؤوس حيوانية، واحد رأس كلب والثاني رأس أفعى والثالث رأس حصان. وكانت تصور أحياناً بثلاثة رؤوس بشرية.

دعونا ننحي موضوع السحر والشعوذة جانباً، ونجري تحليل للرموز المنسوبة لهذه الإلهة للتعرف على معانيها الباطنية. عندما يصورونها بثلاثة رؤوس حيوانية فكانوا يقصدون المعاني التالية: الكلب يرمز إلى قدرة الانفصال عن الكيان والذهاب بعيداً نحو الهدف أينما كان موقعه (وعي ديناميكي)، الأفعى ترمز إلى الحركة والنشاط، الحصان يرمز إلى قوة الاندفاع إلى الأمام بعناد ودون تراجع. معنى ذلك هو أن هذا الجانب من الطاقة الأنثوية هو قوي ومصمّم ويمكنه التأثير في الهدف أينما كان وبالتالي ليس هناك حدود لتأثيره القوي والعنيد.

لكن بنفس الوقت صوروها وهي تحمل شعلة بيدها والشعلة ترمز إلى الحكمة والمعرفة، كما أنهم جعلوها إلهة تقاطع الطرق، أي الاختيار بين عدة توجهات. وقد رمزوا إلى هذه التوجهات بجعل لهاكيت ثلاثة رؤوس بشرية أو حتى ثلاثة أجسام في جسم واحد (كما في الصورة التالية). وهذا يعني أن هذه الطاقة الأنثوية التي نعتقد أنها شريرة ومدمّرة دائماً ليس من الضروري أن تكون كذلك، حيث الأمر يتوقف على اختيار الفرد.



هاكيت بأطوارها الثلاثة

هاكيت تمثّل قوة فرض قناعة معيّنة تحكم طريقة تفكير الفرد. ومعنى اسمها يشير إلى هذه الحالة حيث: هي التي تحقق الإرادة. أي بمعنى آخر، إذا تملك أحدهم وسواس فكري بأنه مريض مثلاً فإن هذه الطاقة الأنثوية تعمل جاهدة على تحقيق هذه القناعة وبالتالي يتجسّد في النهاية مرض فعلي. وفق المصطلحات العصرية يسمون هذه الحالة التفكير السلبي والذي يتجاوب معه اللاوعي بحيث يعمل على تجسيد هذا التفكير في كيان الفرد وفي حياته عموماً. لكن الأمر الذي لا يستطيع المنطق العصري استيعابه هو أن هذه الطاقة الأنثوية، أو اللاوعي، تستطيع أن تذهب بعيداً عن

الفرد وتجسّد تأثيراً فعلياً هناك. بالتالي فإن التأثير السلبي قد يكون له قوة مدمرة خارج كيان الفرد وأهم تجلياته هو ما نعرفه بـ"إصابة العين". هذه القوة المدمرة هي ذاتها التي يسخرها المشعوذون.

لكن عندما يجعلون هاكيت إلهة تقاطع الطرق، فلهذا مقصد مهم جداً. إن القوة المدمرة التي تمثلها هاكيت يمكن تحويلها إلى قوة معمرة والأمر يعود لاختيار الفرد الذي يكون واقفاً على تقاطع طرق ومحتاراً أي طريق يختار. الشعلة التي تحملها بيدها تعني أنه على الفرد أن يتمتع بالحكمة والمعرفة المناسبة لاختيار الطريقة التي تؤدي إلى السيطرة على هذه الطاقة العجيبة التي تتجلّى في أي حال من الأحوال. أما السبب الذي يجعلها طاقة مدمرة في أغلب الأحيان فهو أن تفكير الإنسان ملوّث دائماً بالشؤون الدنيوية وبالتالي يبقى معرضاً دائماً لخطر هذه الطاقة مع أنه لا يدري بوجودها أصلاً في كيانه. وربما تكون هي السبب الرئيسي وراء بؤسه وشقاءه في الحياة لكنه يجهل ذلك. إذاً، تجلّي الأمراض في كياننا يعود إلى طريقة تفكيرنا. وكذلك الحال مع شقائنا في الحياة والذي يعود سببه إلى قناعاتنا السلبية عن أنفسنا والتي تعمل هاكيت دائماً على محاولة تجسيدها على أرض الواقع. تغيير طريقة التفكير وجعلها أكثر إيجابية هو الحل الوحيد لهذه المسألة. لا نستطيع إلقاء اللوم على هاكيت إذ هي إحدى الطاقات الفطرية الموجودة في الطبيعة، والعيب هو فينا لأننا نفتقد للحكمة التي تمكننا من توجيهها لصالحنا (سوف أتناول هذا الموضوع بالتفصيل لاحقاً).

هذه ليست سوى عينة بسيطة من مجموعة واسعة من الآلهة الإناث التي تمثل جوانب مختلفة لمبدأ أنثوي واحد، حيث هناك المزيد من آلهة القمر في الأساطير الإغريقية مثل: أندروميدا Andromeda وبنديس Bendis وهستيا Hestia وأيجا Aega وديميتر Demeter وغيرها.

إذاً، الوظائف والأدوار المختلفة التي يلعبها المبدأ الأنثوي في الطبيعة (الفردية أو الكونية) قد تم تصنيفها وتحديد أنواعها ووظائفها المختلفة وتم تصويرها في الأساطير المختلفة للحضارات القديمة بشكل آلهة أنثوية متعددة رغم أن جميعها تمثل مبدأ واحد. لهذا السبب نلاحظ في الأساطير المصرية كيف لعبت "إزيس" أدواراً مختلفة (شريرة أو خيّرة حسب الحالة) وقد أشاروا إليها بأسماء مختلفة في الأساطير وذلك تناسباً مع الأدوار التي لعبتها، وهذه إحدى الصيغ المختلفة للإشارة إلى تعدد جوانب المبدأ الأنثوي. وكما رأينا في حالة تعدد الآلهة الإغريقية الأنثوية المختلفة، حيث ذكرت عينات منها فقط، صحيح أنها تبدو ظاهرياً شخوص مختلفة لكنها تمثل مبدأ واحد لعب أدوار مختلفة في حالات مختلفة. هذه الحقيقة ستتوضح جيداً خلال اطلاعنا على الإلهة الهندية "شاكتي"

وتجلياتها المتعددة. هناك قائمة أخرى من الآلهة الإغريقية الإناث التي تعبر عن جلالة مقام المبدأ الأنثوي وتضم مثلاً هيرا Hera وغايا Gaia وأثينا Athena وغيرهن، لكن سأتناول الإلهة أثينا لما تحمله من رمزية تفيد موضوعنا.

آثينا
Athena





أثينا هي إلهة الحكمة والحرب والعدالة لدى الإغريق. هي ابنة زيوس (سيد الآلهة) من زوجته الأولى "ماتيس" Metis إلهة الحكمة أيضاً. هي تحكم مجال الفنون والاقتصاد والحرف أيضاً. هي مشهورة بنصائحها الحكيمة في حالتي الحرب والسلام. هي الاستراتيجية المحنكة، والعبقرية في مجال السياسة والحكم المدني. رديفتها في الأساطير الرومانية هي "مينيرفا" Minerva.

غالباً ما يصورونها تلبس لباس الحرب، أي تضع خوذة على رأسها وتحمل بيديها رمح ودرع، مما يجعلنا أمام بمقاتلة مسلّحة. وغالباً ما يصورون بومة جالسة على كتفها (البوم رمز الحكمة والنظر الثاقب). تلعب في الأساطير دور المساعد للأبطال مثل هرقل وجاسون وأوديسوس وبيرسيوس

وبروميثيوس وغيرهم. لم يكن لها في أي من الأساطير زوج أو خليل من أي نوع، وبالتالي عُرفت غالباً باسم "أثينا العذراء".

بما أنها المولود الأوّل لزيوس سيد الآلهة مما جعل لها مكانة خاصة لديه وبالتالي فإن الأسلحة التي اشتهرت بها هي قوية وفتاكة ويقتصر استخدامها عليها وعلى والدها فقط، بما في ذلك الصاعقة الرعدية التي اشتهر باستخدامها زيوس لسحق خصومه. من بين ألقابها التي اشتهرت بها نجد: "التي لا تعرف التعب"، و"العذراء"، و"التي تقاتل في الأمام" و"ذات العين الثاقبة" أو "بعيدة النظر" (كما طير البوم الذي يستطيع الرؤية في الظلام الحالك).

كل هذه الألقاب والأوصاف والمكانة البارزة التي نسبت لأثينا لها معاني باطنية من المهم معرفتها حتى يتوضّح دور هذا المبدأ الأنثوي الجليل في كيان الفرد وفي الطبيعة عموماً. الحكمة التي نسبها الحكماء لأثينا هي تلك الحكمة بصيغتها المتجلّية في عالمنا، ذكرت سابقاً أن الجانب الذكري للنور هو الحكمة بينما الجانب الأنثوي هو البيّنة، وبالتالي الحكمة التي قصدها الحكماء خلال وصف أثينا هي تلك التي تمثلها حالة التجلّي أو البيان، وهذا يختلف عن حالة الحكمة بصيغتها المبدئية (المظهر الذكري) والتي لا يستطيع الإنسان الدنيوي استيعابها. الإنسان الذي نقول عنه بأنه حكيم هو الإنسان الذي تتجلى لديه حقيقة الأشياء بوضوح تام، أي يكون على بينة من الأشياء وبالتالي يعرف كيف يتصرف حيالها.

عندما تتجلّى آثينا في كيان الفرد، وهي إلهة الحكمة والمعرفة والاستراتيجيا الحربية، يصبح عارفاً كيف يتصرف ويناور وسط معركة الحياة. بالإضافة إلى ذلك فإن أثينا أيضاً صاحبة القوة العظيمة التي منحها اياها زيوس سيّد الآلهة. وأحد ألقابها هو"التي تقاتل في الأمام" أي أنها تقاتل إلى جانب المريد، أو حتى أمامه، في مواجهة مصاعب الدنيا وما تشمله من قوى شريرة (إن أتت بصيغة أشخاص أو ظروف).

لكن قبل أن تتجلى أثينا في الفرد عليه أولاً أن يعقل ويتوكّل. أي يكون عاقلاً في تفكيره ومتعقلاً في سلوكه، ومتوكلاً على الكائن العالي في تسيير شؤونه الدنيوية. أي بمعنى آخر، وجب أن يزهد الفرد كلياً بشؤون الدنيا ويكفّ عن ذلك الصراع المحموم لنيل أو تحقيق جوائزها الزائلة ويكتفي بما يوفره قدره وينشد درب الارتقاء الروحي، وبالتالي يستلم الجانب العلوي (التجاوزي) من كيانه زمام الأمور.

فتتولى أثينا أمره وتدير شؤونه الدنيوية بكل حكمة وبعد نظر، وبالتالي تصبح أموره بخير ولم يعد يصيبه أي أذى من أي نوع. لأن أثينا تمثل الجانب الأنثوي لذلك الكيان الخفي الذي نسميه الذات أو النفس العليا أو الـ"كا" KA. هو ذلك الكيان الذي يتجلى لدى المريد الباحث عن الحياة الأبدية تاركاً خلفه الدنيا ومغرياتها.

إحدى تجليات أثينا في الطبيعة تتمثل بتلك الملكة الفطرية الموجودة لدى المرأة (أو أي حيوان أنثوي آخر). هي تلك الملكة الفطرية التي تمكن المرأة مثلاً من اختيار أو انتخاب الزوج الأنسب لها من أجل إنتاج ذريّة جيّدة وذات جودة عالية منسجمة مع الطبيعة. لأن أثينا حكيمة وبعيدة النظر فبالتالي لا تنخدع بالمظاهر الآنية. لكن مع تقدم الحضارة الإنسانية وزيادة تعقيد الحياة راحت هذه الملكة الفطرية تتراجع في جوهر المرأة. لكنها لازالت موجودة بقوة عند باقي الحيوانات الإناث. منذ أن فقدت المرأة حريتها في اختيار الزوج المناسب، حيث أصبحت في إحدى العصور التاريخية تُباع وتُشترى كما الحيوان، أصبحت تنتج ذريّة مشوّهة. هذا التشوّه في أولادها لم يقتصر على الناحية الجسدية فحسب بل طال جميع النواحي: الأخلاقية والنفسية والروحية والفكرية. لقد غابت أثينا كلياً في كيان المرأة الدنيوية وبالتالي حُرمت هذه الأخيرة من بعد النظر والحكمة في اختيار الزوج. لقد تعطلت تماماً هذه الملكة الفطرية بعد سلب المرأة حقها في الاختيار وبالتالي ذريتها لم تعد تناسب البيئة المحيطة. حتى في هذه الأيام، لو منحت المرأة حرية الاختيار فسوف تعجز عن اختيار الرجل الأنسب لأنها موجهة دنيوياً، مما يجعلها محرومة من تأثيرات وفضائل أثينا الحكيمة. غالباً ما يكون الاختيار الفطري للمرأة اليوم موجه إلى صاحب المال أو المكانة الاجتماعية البارزة ولم يعد يهم إذا كان هذا النوع من الناس منحطاً من الناحية الفكرية أو الأخلاقية أو الروحية. ويمكنك تصوّر نوعية الذريّة التي ينتجها هذا التزاوج.

هذا هو المبدأ الأنثوي الجليل الذي نادراً ما نراه متجلياً عند البشر الدنيويين في هذا الزمان لأن الإنسان أصبح بعيد جداً عن جوهره الأصيل. أصبح ينظر إلى مكان آخر، إلى عالم الأوهام ومغرياته التي تستحوذ على انتباهه كلياً. في هذه الحالة لا تستطيع أثينا التجلي في حياته أبداً. لقد ترك الانسان الدنيوي وحيداً يواجه مصيره بنفسه. بدلاً من أثينا نجد أن هاكيت الشريرة تفعل فعلها في كيانه وحياته ومصيره. ما ذكرته لا يمثل كامل تجليات أثينا في الطبيعة، إذ هناك تجليات كثيرة أخرى لها يمكننا استنباطها من خلال التعرف لاحقاً على جوانب كثيرة أخرى للطاقة الأنثوية.





لقد اتبع الحكماء الهنود طريقة مختلفة خلال الحديث عن هذه الطاقة الأنثوية. بدلاً من الحديث عن عدة آلهة نساء يمثلن الجوانب المختلفة للمبدأ الأنثوي، تحدثوا عن واحدة لكنها متعددة الوظائف والتجليات واسمها "شاكتي".

شاكتي هي تشخيص للقوة الأنثوية المقدسة الخلاقة لدى الهنود. ويشيرون إليها في الهندوسية باسم الأم العظيمة المقدسة إذ يعتبرونها الطاقة الخلاقة المتأصلة في، والمنبعثة من، الخالق [عزّ وجلّ]. وبما أن الطاقة الأنثوية وجب ربطها بمبدأ ذكري فبالتالي جعلوها زوجة الإله شيفا Shiva بحيث اتخذت اسم "بارفاتي" Parvati، وزوجة الإله "فيشنو" بحيث اتخذت اسم "لاكشمي" Lakshmi. وفي الحقيقة لديها عدد من الأسماء المختلفة بحيث كل اسم يمثل أحد الأدوار أو الوظائف في الطبيعة. من أشهر أسمائها الأخرى "ساتي" Sati و"دورغا" Durga و"كالي" Kali. كلمة "شاكتي" مشتقة من أصل سنسكريتي (شاك) وتعني "أن تقدر" أو "القدرة" أو "التمكين". هي الطاقة الكونية الأوّلية التي

تمثل كافة القوى الديناميكية التي تتحرك في الكون بكامله (وكذلك في الإنسان على المستوى الأصغر).

من خلال الصور المألوفة للإلهة شاكتي نلاحظ أن تعدد أيديها وتنوع الأدوات التي تحملها يمثل تعدد وتنوع جوانب المبدأ الأنثوي، أي بعكس الحكماء الإغريق، بدلاً من الحديث عن عدة آلهة نساء، تحدثوا عن واحدة لكنها متعددة الوظائف والتجليات وهذا ما يعبر عنه تعدد الأيدي. ركوبها على النمر (أو الأسد) يعبر عن مدى قوة هذه الطاقة الأنثوية خلال عملها أو نشاطها.



الصورة تمثل الجانب المؤذي لشاكتي والذي تتخذ فيه اسم "دورغا" Durga. معنى هذه الكلمة هو "العمل الرهيب" أو "العمل المروّع"، لكن بصفتها زوجة "شيفا" فهذا يجعلها غير شريرة بل هي عادلة

بشكل مطلق، وبالتالي فإن تجلّيها على شكل قوى مروّعة أو رهيبة له سبب يتعلق بتحقيق العدالة الكونية لسبب ما قد يتعلق بالكارما مثلاً، وهذه الأخيرة لا تروق للإنسان الدنيوي لأنه جاهل للحقيقة وبالتالي لا يفهم الطبيعة الشمولية للمجريات الكونية. لهذا السبب يعتبر "دورغا" بأنها شريرة.

تعرفنا سابقاً على حقيقة أن الآلهة الإناث تمثل في الأساطير زوجات أو خليلات أو رفيقات الآلهة الذكور، وبالتالي هي تمثل الطاقات أو القوى النشطة لهؤلاء الآلهة الذكور، أي بمعنى آخر، الطاقات النشطة في هذا العالم المتجلّي تمثل الجانب الأنثوي لتلك القوى الكونية الأساسية. بالتالي فإن "شاكتي" تمثل جميع هذه الطاقات والقوى المختلفة المنبعثة من الآلهة الذكور.

لهذا السبب نرى كيف أنه في إحدى المذاهب الهندوسية (الشاكتية Shaktism) يتم التركيز على عبادة شاكتي (ويسمونها أحياناً "ديفي" Devi) بصفتها الإله النهائي والمطلق. السبب الذي جعلهم يعبدون هذه الأم المقدسة كإله أعلى هو لأنها تمثل الجانب المتجلّي للإله في عالمنا وليس الجانب الذكري. ويعتقدون أنه طالما استمر وجود هذا العالم الدنيوي فسوف تبقى شاكتي تمثل الخالق [جلّ وعلا] لأنها تمثل جانبه المتجلّي.

أما على المستوى الفردي، فإن شاكتي تمثل نشاطات البرانا (الطاقات) المتنوعة في تركيبة الإنسان. كما أنها تمثل تلك القوة الكامنة في الإنسان والتي يسميها ممارسو اليوغا "كونداليني" Kundalini وهي قوة نائمة في أسفل العامود الفقري ومرتبطة بالشاكرا السفلى. يصورونها بهيئة الأفعى الملفوفة والتي وجب إيقاضها في سبيل تحقيق الانعتاق الروحي من خلال اتحادها مع شيفا القابع في قمة الرأس. هذا ما تتمحور حوله تعاليم الهندوسية "التانترية" Tantric Hinduism.

يمكننا اعتبار شاكتي من ناحية أخرى أنها تمثل القوة النفسية أو الطاقة العقلية للإله الأعلى (على المستوى المطلق) وكذلك الإنسان (على المستوى الفردي). لكن هذه الطاقة العقلية تتجلّى وتنشط وتتوجّه حسب طبيعة صاحبها أو صاحبتها (الجانب الذكري)، وبالتالي إن كانت طبيعته شريرة فسوف تتجلّى بمظهر شرير، وإن كانت طبيعة صاحبها خيرة فسوف تتجلّى بمظهر خير. لكن الأمر لا يتوقف على هاتين الحالتين فقط حيث هناك حالات عقلية ونفسية مختلفة بشكل لا نهائي عند البشر، وكل خلطة من هذه الخلطات العقلية/النفسية تجسّد طاقة مميزة عن غيرها. ويمكنك أن تتصور مدى الاختلاف في نوعية هذه الطاقات.

شاكتي إذاً تمثل أي كيان طاقي في الطبيعة، إذ قد تمثل انبعاثات أو انسيابات حيوية أو سيولة كونية أو غيرها من تجليات طاقية واعية منتشرة في الطبيعة. الأمر ذاته ينطبق على المستوى الفردي الذي يزخر بهذه الكيانات الطاقية المتنوعة بجوهره. لكن المشكلة عند هذا المستوى الفردي هي أن طريقة تفكير الإنسان (السلبية) تجعل هذه الكيانات الطاقية تعمل بطريقة معاكسة لمصلحته، وهذه هي الحالة السائدة في أيامنا. بما أن هذه الطاقات ذات طبيعة أنثوية فبالتالي تنشط وتتصرف وفقاً لطريقة تفكيرنا التي تتحكم بالجانب الذكري لهذه الطاقات وهنا تكمن المشكلة. على هذه الفكرة بالذات استندت المدارس المختلفة مثل اليوغا والتي تتمحور تعاليمها حول هدف واحد وهو التعلم على ضبط طريقة التفكير. طريقة التفكير هي التي تحدد صيغة وهيئة تجلّي هذه الطاقة في الفرد.



هذه الصورة تبيّن الإلهة "كالي" Kali، وهذا الاسم يعني "السوداء" أو "الأسود". مظهرها مخيف ومرعب ويبدو واضحاً من إيحاء وجهها بعيونها المغلولة ولسانها الممدود. هنا يكمن الأذى الحقيقي،

حيث الشرّ واللؤم والخباثة. هي إلهة الدمار والشؤم والبؤس. مربوط حول خصرها حزام من الرؤوس والأيدي المقطوعة لضحاياها. لكن علينا أن نتروى قليلاً قبل أن نصدر حكم سريع. نحن نعيش في طبيعة خيّرة ولا يمكن أن تخلق هكذا طاقة شريرة بشكل طبيعي. إننا نرى كالي بهذه الصورة الشريرة لأن تفكيرنا دنيوي وبالتالي من الطبيعي أن نخاف ونرتعد منها. وجب العلم أن هذه إحدى تجليات "شاكتي" الأم العالمية المقدسة التي تمنح بركتها وحسناتها للجميع. أما كيف تتحول هذه الطاقة الحنونة والرقيقة إلى طاقة رهيبة ومؤذية فهذا يعود إلى سلوك الإنسان الدنيوي بطريقة حياته الخاطئة وتفكيره المنحرف. تظهر "كالي" بتأثيرها المدمر فقط للجهلاء الذين انحرفوا عن الطريق الصحيح بينما هي تبارك وتساعد أولئك الذين يجتهدون لمعرفة الخالق واحترام الطبيعة وقوانينها. هذه الإلهة تذكرنا بالإلهة الإغريقية "هاكيت" المذكورة سابقاً.



إحدى التجليات المرغوبة لشاكتي هي عندما تتخذ طبيعة الإلهة التي تسمى "لاكشمي" Lakshmi، وهي إلهة الازدهار والسعادة والتناغم والحظ الوفير وحتى الثروة والمال. هي تمثل الازدهار والحظ بجانبيه الروحي والدنيوي. أيديها الأربعة تمثل العوامل الأربعة في التقاليد الهندوسية التي تساهم في جلب الحظ والانسجام والثروة وهي: "دارما" dharma و"كاما" kāma و"أرثا" artha و"موكشا" moksha.

يوجد نوعين من الازدهار بالنسبة للإنسان: الازدهار الدنيوي الذي يتمثل بالثروة والمال الوفير، والازدهار الروحي الذي يتمثل بالنعيم الفردوسي الذي يناله الفرد بعد انعتاقه من قيود الدنيا. وكلاهما من اختصاص الإلهة "شاكتي" (لاكشمي). من أجل الازدهار الدنيوي على الفرد تفعيل كل من "كاما" kāma وهي الرغبة، و"أرثا" artha هي نزعة تجميع الثروة والممتلكات. لكن من أجل الازدهار الروحي على الفرد تفعيل كل من "دارما" dharma وهي ما يعتبر الناموس وفق التقاليد الهندوسية (نظام او قانون كوني طبيعي واخلاقي وينطبق على جميع المخلوقات والاشياء) وهو سلوك رشيد، وكذلك السعي لتحقيق "موكشا" moksha وهي الانعتاق من الحياة المادية لباقي وجوده المتجلّي في حياته الكونية. وبكل تأكيد، فإن الازدهار الثاني، أي الروحي، هو الذي يدوم إلى الأبد لأن الإنسان اكتسب الازدهار إلى الأبد، بينما الازدهار الدنيوي هو مؤقت بحيث يكتسبه الفرد لمدة حياة واحدة فقط من بين الحيوات العديدة التي عليه تقمصها خلال وجوده المتجلّي في حياته الكونية الطويلة.

إن ما ذكرته عن "شاكتي" في الفقرات السابقة يمثل عينات قليلة من تجلياتها العديدة، لكن الفكرة الجوهرية التي وجب استنتاجها هي أن العامل الوحيد الذي يقرر الصيغة التي تتجلّى وفقها "شاكتي" هو طريقة التفكير وكذلك طريقة السلوك التي يتبعها الفرد في حياته اليومية. كما ذكرت سابقاً، الطاقة موجودة في حياة الفرد ومتجلية في كيانه في أي حال من الأحوال، لكن هو الذي يحدد نوعية وصيغة تجلّي هذه الطاقة إن كانت لصالحه أو غير صالحه وذلك عبر طريقة تفكيره. هذه هي الخيمياء العقلية التي تحدث عنها القدماء، أو علم التحوّل العقلي وفقاً للمنهج الهرمزي. المسألة إذاً هي مسألة عقلية أكثر من أي شيء آخر. التدريبات التي يخوضها المريد (إن كان هرمزي أو يوغي أو غيره) تستهدف إحداث تغييرات في منظومته العقلية وهذا يكفي لحصول التغيير المرتقب والمُمثل بتجلّي قوة الشمس في كيانه.

....

تجلّي الطاقة الأنثوية بكامل جلالتها وروعتها في كياننا

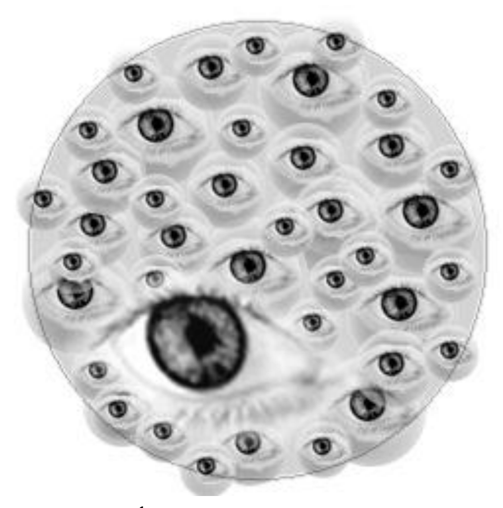
هو الهدف الأسمى للتعاليم الباطنية الاسلامية

كيان الانسان مؤلف من مجموعة كبيرة ومتنوعة من القوى والطاقات. كل من هذه القوى والطاقات لها خصائصها وسماتها ونشاطاتها ووظائفها التي تميزها عن غيرها. بما أن كياننا متعدد القوى والنشاطات فهذا يجعله وفق التشريح الباطني الرمزي متعدد الأزواج والزوجات. لكن في الحالة العادية تكون هذه القوى لدى الإنسان الدنيوي ذات قطبية سالبة، أي بمعنى آخر، هي مُستقطبة دنيوياً (أي شريرة وفق المفهوم الديني). في هذه الحالة تكون الطاقة الأنثوية الجليلة غائبة كلياً عن هذه البوتقة الدنيوية الفوضوية. لكن ما أن يقرر الفرد أن يصبح مريداً، أي يطلب الانخراط في درب التنور والانعتاق من أمور الدنيا، تبدأ الطاقة الأنثوية الجليلة بالتجلّي تدريجياً لكي تساعده في مسعاه، لأنه كما ذكرت سابقاً، هذه الطاقة تمثل الجانب الأنثوي لذلك الكيان الخفي الذي نسميه الشمس المركزية أو الذات أو النفس العليا أو الـ"كا" KA، أو الإله الأعلى... إلى آخره. وهو ذلك الكيان الذي يتجلى لدى المريد الباحث عن الحياة الأبدية تاركاً خلفه الدنيا ومغرياتها.

لكن الأمر ليس بهذه البساطة التي نتصورها. إن الطاقة الأنثوية الجليلة لا تتجلى هكذا في كياننا مجرّد أن اتخذنا قرار الانخراط في درب التنور والانعتاق من أمور الدنيا، حيث هناك الكثير من المراحل العملية ولكل مرحلة إجراءاتها الخاصة. أهم هذه المراحل هي تلك التي تتمثل بالقضاء على كامل القوى الذكرية الشريرة في كيان المريد والسيطرة على كافة الطاقات الأنثوية (زوجات تلك القوى الذكرية) التي يتم جمعها في النهاية لتندمج مع بعضها لتكوّن كيان أنثوي واحد موحد وهو هذا الكيان الجليل الذي نحن بصدده والذي يسميه الإغريق أثينا Athena.

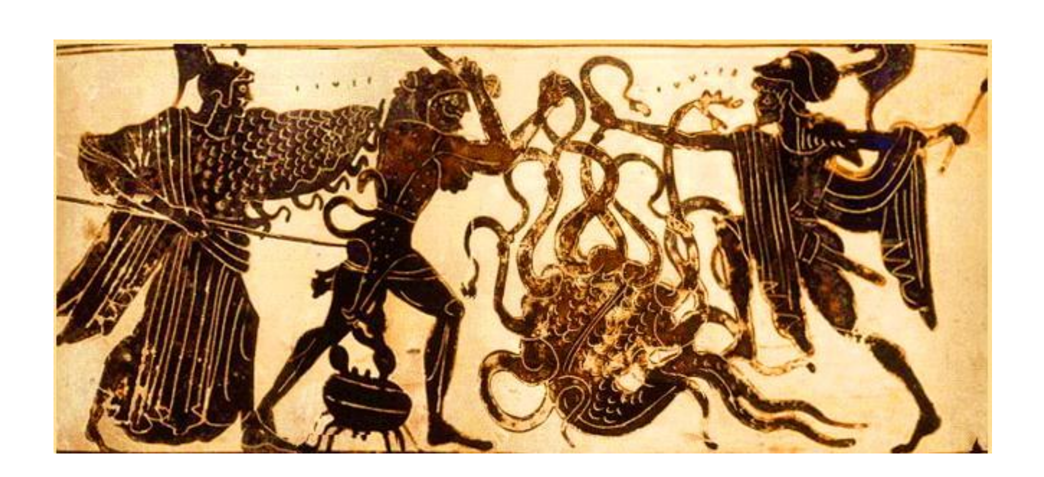
ملاحظة: عندما أتحدث عن المريد أقصد الرجل أو المرأة. وأينما أتحدث عن المريد أكون بذلك قاصداً المريد الرجل والمريدة المرأة، حيث المرأة أيضاً لها مساهمات كبيرة في مجال الارتقاء الروحي، وكل ما يحصل من علاقات تفاعلية بين القوى الذكرية والطاقات الأنثوية داخل المريد الرجل هي ذاتها تحصل أيضاً داخل المريدة المرأة حيث لا يوجد فرق بين الاثنين إطلاقاً. ليس هناك علاقة بين المرأة المريدة وبين الطاقات الأنثوية الناشطة في كيانها، أي مجرّد ما طرحت إرادتها الذكرية فسوف يحصل تفاعل مع هذه الطاقات الأنثوية كما حالة الرجل تماماً.

تذكر أن العالم الدنيوي دائم التوالد وغزير التكاثر بسبب خضوعه لسيطرة عاملي الزمان والمكان، وبالتالي فإن تطهير هذا الجانب من كياننا والذي تقبع فيه النفس يعتبر أمراً صعباً ويتطلب مجهود كبير من قبل المريد.



الكينونة الدنيوية مؤلفة من مجموعة كبيرة من الكينونات الأنثوية ذاتية التوالد الدائم والمستمر

هذه الكينونات الأنثوية الدنيوية الملوثة بشرور العالم المادي هي ذاتها التي تمثلها تلك الوحوش المختلفة والمتنوعة التي تحدثت عنها الأساطير الإغريقية وأشهرها هايدرا Hydra والميدوسا Medusa. هذا يشير إلى أن كل من هذه التجليات الأنثوية هي متعددة الجوانب والوجوه والوظائف وغيرها من تنوعات مختلفة يرمزون لها بالأفاعي المتعددة.





الكثير من اللوحات الفنية الإغريقية الأثرية (كما الشكلين السابقين) تصوّر البطل هرقل يصارع وحش الهايدرا Hydra. هذا المخلوق مثّل في الأسطورة أحد تحديات هرقل الاثنى عشر. هو حيوان مائي متعدد الرؤوس يعيش في المستنقعات. له جسد يجعله ينتمي للزواحف لكن له رؤوس متعددة وكل منها تمثل أفعى كبيرة. المعنى الباطني لهذا الوحش المخيف هو القوى النفسية العديدة التي وجب على المريد كبتها وإخمادها في كيانه، وهذا الإنجاز ليس بالسهولة التي نتصورها. إن كونه مخلوق مائي مؤنّث متعدد الرؤوس يجعله ممثلاً للكينونة الدنيوية التي هي متوالدة ومتعددة الجوانب بالإضافة إلى كونها تمثل المبدأ الأنثوي وعنصر الماء هو رمز هذا الجانب من كيان الفرد.

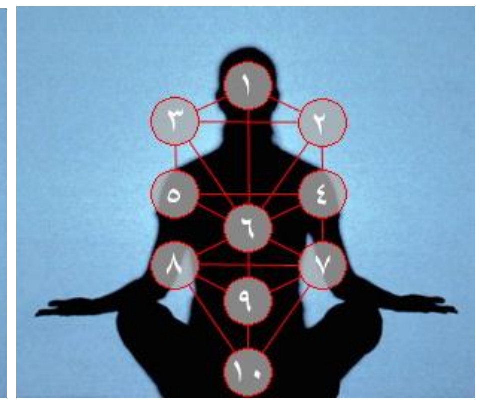


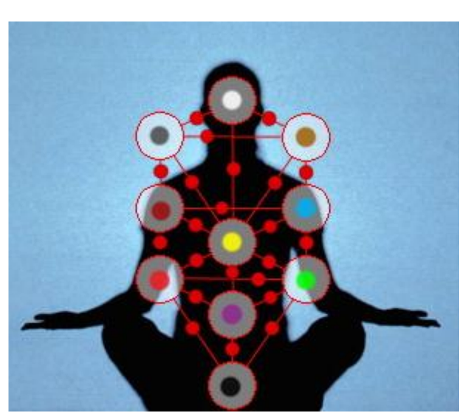
من بين الأمثلة الأخرى على الوحوش الأسطورية التي تمثل الكينونة الدنيوية للفرد نجد الميدوسا Medusa التي تحوّل كل من نظرت إليه إلى حجر. بالإضافة إلى أن شعرها كان مؤلف من أفاعي خطيرة ومميتة. تحدثت الأسطورة كيف مثّلت تحدي كبير بالنسبة للبطل "بيرسيوس" الذي تغلب عليها أخيراً بمساعدة أثينا وهرمز، حيث تمكن من قطع رأسها. عبر الحيلة والخداع.



ميدوسا الشريرة كما تظهرها إحدى اللوحات الفنية، إذ تمثل الكينونة الدنيوية للفرد والتي تقبع فيها النفس. تغلب عليها البطل بيرسيوس بعد أن تمكن أخيراً من قطع رأسها ثم أعطاه للإلهة أثينا، ولهذا رمزية كبيرة في المعنى الباطني للقصة.

كان الحكماء يصورون هذه العملية التدريبية المضنية التي يخوضها المريد بهدف تطهير النفس وكأنها حرب فعلية يشنها ضد القوى الشريرة. وقد اختاروا مصطلح مناسب لذلك وهو الجهاد في سبيل العالي. وفق التعاليم السرية، الجهاد في سبيل العالي يتمثل بعملية تسلّق شجرة الحياة واحتلال مقاماتها، الواحد تلو الآخر، ابتداء من المقام العاشر في الأسفل وصولاً إلى المقام الأوّل في الأعلى، حتى يتم الاندماج أخيراً مع الكيان القابع في المقام الأعلى ويشيرون إلى هذا الكيان بأسماء مختلفة حسب اختلاف الحضارة أو الثقافة والمعتقد، لكنني اكتفيت بكلمة "العالي" وعليك استنتاج الأمر بنفسك. تحدثت المزيد عن تعاليم شجرة الحياة في مكان آخر في هذا الكتاب.





هذه الحرب المقدسة التي يخوضها المريد تتمثل بمصارعة القوى الشريرة في كيانه وبالتالي هي ليست حرب فعلية تتمثل بالاعتداء على الآخرين. القوى الشريرة التي تحدثت عنها التعاليم السرية في كيان المريد تتمثل بأنواع مختلفة من السمات والنوازع والشهوات النامية لديه والتي تغويه وتشركه بالمغريات الدنيوية المختلفة وتدفعه إلى اقتراف الخطايا فتعيق سبيله نحو الانعتاق ومن ثم الارتقاء الروحي. بوجود هذه النوازع والشهوات يوجد الكثير من الأشراك في درب المريد وبالتالي عليه مقارعتها والتغلب عليها جميعاً. الأمر مشابه تماماً لمصارعة الوحوش في الأساطير الإغريقية لكن الصيغة الشرق أوسطية تختلف نوعاً ما. الكائن الشرير في القصص الرمزية للتعاليم السرية الشرق أوسطية هو ليس الوحش أو التنين أو غيره، بل صوروه بهيئة الإنسان الشرير الذي ينصب الأشراك ويضع الأفخاخ دائماً في درب المريد، فكانوا يسمونه "مشرك" أي الذي ينصب الأشراك أو يسعى دائماً لاستمرارية تقييد المريد بالمغريات الدنيوية (أي إشراكه) وبالتالي يعيق تقدمه الروحي.

كانت التعاليم تشير إلى هؤلاء الأشخاص الأشرار بأسماء عادية (فلان ابن فلان ابن فلان) وتوصف كل من هؤلاء الأشخاص ومكانتهم الاجتماعية وانتمائهم القبلي بطريقة تجعلها مفهومة لدى المريد الذي يحوز على مفاتيح المعاني الباطنية لهذه الأوصاف. كل من هؤلاء الأشخاص المشركين يمثل جانب دنيوي معيّن في الفرد والذي عليه محاربته والقضاء عليه.







المشركون وفق التعاليم الباطنية الإسلامية هم مجموعة من الشخصيات الرمزية التي تمثل كل واحدة منها أحد النوازع والسمات السلبية في كيان المريد والتي تنصب له الأفخاخ في طريقه بهدف إعاقة تقدمه. وغالباً ما يكون لها نفوذ قوي في كيان الفرد.

أمثلة على بعض المشركين الذين وردوا في التعاليم:

. *أبو سفيان*: كلمة (سفي) تعني متفرّق أو متناثر. الهزيل، الضعيف، الخفيف، المنجرف أو الشارد. (سهولة الانقياد، قابلية للانجراف مع النزوات بغضّ النظر عن حسناتها أو سيئاتها)

. *أبو جهل*: الجهل يعني اعتقاد الشيء على خلاف حقيقته، عدم معرفة. حمق. غلظ. جهل الأمور على حقيقتها. (الجاهل الذي يجهل بأنه جاهل، بالتالي هو أحمق وعنيد في تصرفاته وطريقة تفكيره)

أبو لهب: أشاط، انتفض، عطش، اشتهى، استثار، تحرّق، لجّ، جفل، غليان، اهتياج. (النفس المتهيّجة تكون سهلة الإغواء، سهلة الاستثارة، سهلة الانجراف وراء الغرائز والعواطف)

الوليد بن المغيرة: الوليد معناه كثير البنين والمال (تعددية، توالد)... بن مغيرة معناه بن السفلى أو ابن الطاغية أو المعتدية. (تمثل تلك القوة الفطرية في الكينونة الدنيوية التي تدفعها إلى التكاثر

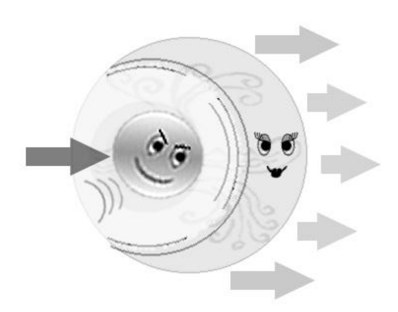
والتعدد بشكل غزير ووفير، وهذه هي السمة الرئيسية في الكينونة الدنيوية التي هي محكومة بعاملي المكان والزمان. هي طاقة متمددة في كيان الفرد بحيث تكون طاغية عموماً في كل أنحاء كيانه. إذا كانت هذه الطاقة المتمددة محكومة من قبل قوة ذكرية إيجابية يكون ذلك لصالح الفرد، بينما إذا كانت محكومة بقوة ذكرية سلبية فتمثل مشكلة وجب اتخاذ إجراءات حيالها)



المجاهد في سبيل "العالي"، الذي عليه مواجهة المشركين الأشرار الذين يعيقون سبيله. نفس المبدأ الذي اتبعته الأساطير الأخرى، كتلك الإغريقية التي تمحورت حول البطل هرقل الذي يصارع الوحوش، الهدف ذاته لكن الصيغة اختلفت من حيث السيناريو والحوار والشخوص.

من أهم النقاط التي شدد عليها الحكماء في العملية هي تلك المتعلقة بالمبدأ الأنثوي. وبسبب تعدد جوانب ومظاهر هذا المبدأ الأنثوي المتجلّي في كيان الفرد، كانوا يشيرون إلى تلك الجوانب المختلفة بكلمة النساء (وليس امرأة واحدة). كان على المريد خلال جهاده في سبيل العالي أن يصارع الذكور الأشرار ويقتلهم ويسبي زوجاتهم (اللواتي تفرّخن الشرّ خلال تزاوجها معهم). وعملية السبي أيضاً هي وصف رمزي لعملية باطنية تجري في كيان المريد. سبق وذكرت أن الأنثى لا تقرر أو تحكم على الأمور بل الذكر الذي تزاوج معها (مهما كان نوعه أو قطبيته) هو الذي يفرض إرادته. من هنا جاء الاسم "كافر"، حيث هو القوة الذكرية التي تستولي على الكينونة الأنثوية وتزرع إرادتها، بينما دور

الأنثى هو دعم وتعزيز الإرادة الذكرية مهما كانت طبيعتها. وصفت سابقاً عملية استيلاء القوة الذكرية على الكينونة الأنثوية وفق الشكل التالي:



الكافر : معناه في القاموس الزارع، المستتر أو المختبئ، الظلامي، الأسود،.. هذا يجعل الكافر يعني الشيء الظلامي المستتر الذي يزرع الشرّ في القسم الأنثوي من كيان المريد. هو القوة الذكرية التي تقبع في لب الطاقة الأنثوية بحيث أصبحت تفرّخ ذرية على شاكلته.

مجرّد ما ارتبطت الطاقة الأنثوية بقوة ذكرية فسوف تتلقى إرادته (بذرته) في رحمها وتعمل على تفريخ ورعاية وتنمية ذريّة هذه الإرادة مهما كان نوعها. طاقة الأنثى ولادة وراعية ومنمية وناشئة ومبدعة وخلاقة ويمكن أن نترجمها فيزيائياً بأنها العنصر المضخم للقوة الذكرية والمدبّر لها والمعزّز لثباتها ورسوخها وانتشارها. القوة الذكرية ليس عليها سوى احتلال أو السيطرة على الطاقة الأنثوية وذلك عبر اقتلاع الذكر الذي كان يحتلها سابقاً (أي سبيها) ومن ثم زرع بذرته الخاصة، بينما الباقي يكون على عاتق الطاقة الأنثوية التي ترعى هذه البذرة وتنميها وتقويها حتى تكبر وتزدهر ويتكاثر نوعها وينتشر. أما كيف يتم اقتلاع الذكر الشرير واستبداله بذكر آخر داخل كيان الفرد فتمثل عملية طويلة وشاقة تستحق فعلاً اسم "الجهاد". وصفت التعاليم هذه المجريات الخيميائية الحاصلة في كيان الفرد بطريقة رمزية مبدعة ولكن لا يمكن فهم تفاصيلها إلا بعد الحيازة على مفاتيح المعاني الباطنية للرواية الظاهرية.

الجاري هو الشيء المتحرك، المنافس، المنغمس، الدافق، الفائض، (هذه هي سمات الفقاعة الدنيوية المحكومة بعامل المكان والزمان).. وبعد تأنيث الكلمة نجد أن ***الجارية*** هي حيّة (أفعى). هذا يجعل ***الجارية*** بين النزوة المؤقتة التي تهيّج أو تحرك المشاعر فتخلخل تماسك المريد، وبين العادة الدائمة أو الطبع السلبي الراسخ وبالتالي لهذه العوامل جميعاً أثر سلبي على المنظومة العقلية والروحية

للمريد. فما عليه سوى تجريدها من زوجها الشرير (وفق مفهوم الكافر المذكور سابقاً) ومن ثم سبيها، وكلمة ***سبي*** باللغة العربية القديمة تعني سلخ جلد الأفعى. المفهوم الشعبي لعملية "تغيير الجلد" معناه تغيير الهوية أو السلوك أو التوجه. أي بمعنى آخر سبي الجارية يعني نزعها من الذكر الكافر الذي يستحوذ عليها ومن ثم أسرها وإخضاعها أو تطويعها لصالح المريد، فتتغيّر هويتها تماماً فتفرّخ بعدها ذريته الإيجابية.



كل ما قيل وروي عن الجواري والنساء في النصوص الظاهرية له معنى باطني عميق ويكشف عن حقائق مذهلة تجري في كيان الفرد وليس في محيطه أو أي مكان آخر على أرض الواقع كما يتصوره الغافلون



هذه الطريقة في التعامل مع النزوات والميول والطبائع الدنيوية تشبه طريقة الأساطير الإغريقية لكن كيف تحولت الجواري من أفاعي خطيرة إلى نساء جميلات فعلينا سؤال المفسرين والكتاب ذوي الخيال الخصب الذين ازدهروا وفعلوا فعلهم في العصر العباسي والذين نجحوا في تزوير كل شيء وخلطوا بين المفاهيم بطريقة لا يصدقها العقل.

كان الأمر بالنسبة للمريد شبيهاً بالألعاب الإلكترونية الشائعة في هذه الأيام حيث السعي دائماً لتجميع المزيد من النقاط لصالحك، كلما سبيت المزيد من الجواري النساء التابعة للأشرار كلما قطعت عملية التفريخ السلبي المتزايدة باطراد، وبالتالي ازداد رصيدك من الطاقة الإيجابية وكانت فرصتك أكبر خلال اجتهادك في سبيل العالي. ومن ناحية أخرى، كلما سبيت المزيد من النساء كلما قلّ منسوب الشر في كيانك وهو متزامن مع تعاظم حضور الطاقة الأنثوية الجليلة، لأن النساء اللوات تسبيهن يندمجن مع جسم الطاقة الأنثوية الجليلة في كيانك مما يزيد من ضخامته وبالتالي حضور هذه الطاقة يتعاظم تدريجياً في كيانك. مجرّد أن قضيت على كامل العناصر الذكرية الشريرة وفزت بكامل الزوجات من النساء سوف تجتمع هذه الجوانب الأنثوية المختلفة ليتجلّى أخيراً كيان أنثوي واحد موحّد وهو ذلك الكيان الأنثوي الجليل.. وهو كيان عظيم لو أنكم تعلمون.

ملاحظة: تذكّر أن عملية سبي النساء واجب على المريدة المرأة أيضاً، حيث ذكرت سابقاً أن هذه العملية الخيميائية الحاصلة في كيان الإنسان هي متشابهة عند الرجل والمرأة معاً. فالإرادة التي يسخّرها المريد أو المريدة هي ذات طبيعة ذكرية، وهي التي تستخدم لإخضاع الجواري من الطاقات الأنثوية المختلفة. هذه العملية تتطلب الشرح المفصّل وسوف أتناوله لاحقاً.

بدء الجهاد في سن الأربعين

إذا ألقينا نظرة على الشروط والقوانين السائدة في معظم المدارس الدينية نلاحظ وجود حظر يمنع الأشخاص الذين لم يتجاوزوا سن الأربعين في الاطلاع على التعاليم الباطنية أو الانخراط في تدريباتها العملية. فالتقاليد اليهودية مثلاً وهي تهمنا هنا لأنها أساس الأديان الابراهيمية، تقول:

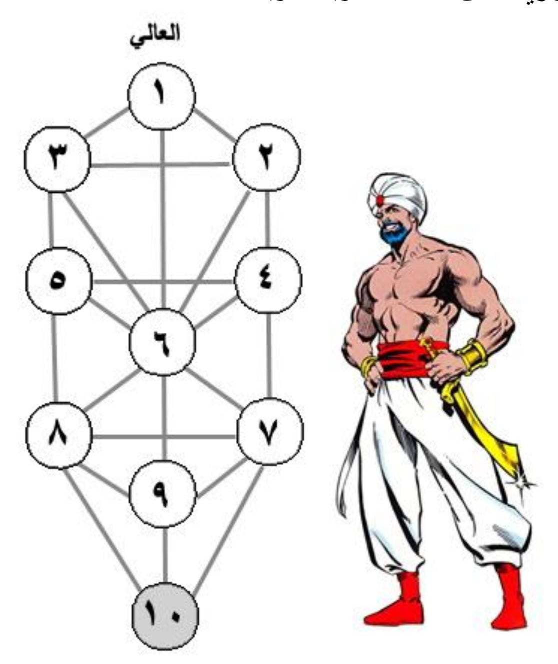
".. لكي يتمكن الفرد من الانتساب إلى علوم الميركابا السريّة، فإن المركز المرموق والعقلية الحكيمة لا يكفيان. وجب على المنتسب أن يتجاوز سن الأربعين من عمره. وحتى لو توفرت كافة شروط الانتساب، فهذه ليست ضمانة كاملة بأنه يستطيع تحمّل الأسرار المخيفة التي قد تعرّض قناعاته الدينية للخطر، وتعطّل مسيرة تقيّده بالقوانين الدنيوية.."

هذا الحظر لا يقتصر على اليهود بل نراه منتشر في معظم التقاليد الأخرى حول العالم. ولهذا الحظر أسباب كثيرة لكن أهمها، وهو الذي يفيدنا هنا، أنه قبل الأربعين تكون الطاقة الأنثوية بكامل تفرعاتها مشغولة في تنمية وتعزيز القسم الدنيوي من الإنسان. وهذا يشمل جسمه المادي وكل ما

يتمحور حوله من شؤون دنيوية. فالطاقة الأنثوية تمثل في هذا الوقت قوة النمو والتغذية وتتعلق بالجسم المادي تحديداً إذ هو الذي ينمو ويكبر ويزدهر. كل ما يتعلق بعملية التغذية أو التزويد بالعناصر المادية كالإنماء والتكبير هو من اختصاص هذا الجانب الأنثوي. هذه المرحلة هي ضرورية لبقاء الفرد قوياً ومتماسكاً وبالتالي من غير المناسب تعطيلها عن وظيفتها الطبيعية وتسخيرها نحو هدف يفرض الامتناع عن التعامل مع أي شيء يتعلق بالشؤون الدنيوية فهذه العملية منافية لمسيرة الطبيعة. بالإضافة إلى أنها تفشل أي محاولة للانعتاق من شؤون الدنيا لأن الفرد سيواجه صعوبات كبيرة في ذلك. لكن هناك حد معين يتوقف عنده نمو الانسان المعنوي والجسدي، أي في سن الأربعين، فتبرد حماسته للحياة وتهدأ نفسه كما يقولون، وبالتالي ينحسر نشاط الطاقة الأنثوية هنا وتكفّ عن الدفع إلى الأمام بالاتجاه الدنيوي. في هذه الفترة بالذات، والتي تكون هذه الطاقة الأنثوية شبه شاغرة، وجب استغلالها وتسخيرها لهدف آخر وهو الاجتهاد للارتقاء الروحي. من هنا جاءت العبارة الشهيرة الواردة في النصوص المقدسة ".. فلمّا قضى زيد منها وطراً زوّجناكها.." صحيح أن كلمة زيد استُخدمت في النصوص كاسم لشخصية عادية وردت في الرواية لكنها في الحقيقة تعني الشيء الذي يكبر وينمو (أنظر في القواميس العربية)، أي أن زيد يمثل الجسم، وبعد أن انتهت حاجته لهذه الطاقة الأنثوية التي كبرته ونمته تزوجها المريد (الذي يتبنى هذا الجسم) لكي تعينه خلال اجتهاده في سبيل العالي. كما أن لهذه الزوجة التي مُنحت للمريد معنى باطني مهم. اسمها في التعاليم هو "زينب" ومعناها في القاموس "الشجرة العطرة حسنة المنظر"! هي ذاتها شجرة الحياة والتي تمثل هنا مخطط تفصيلي لكامل كيان الفرد، بكل ما يشمله من قوى وطاقات، أي أنه في سن الأربعين كامل القوى والطاقات التي يتألف منها كيان الفرد أصبحت حاضرة لمؤازرته في مسعاه في سبيل العالي.

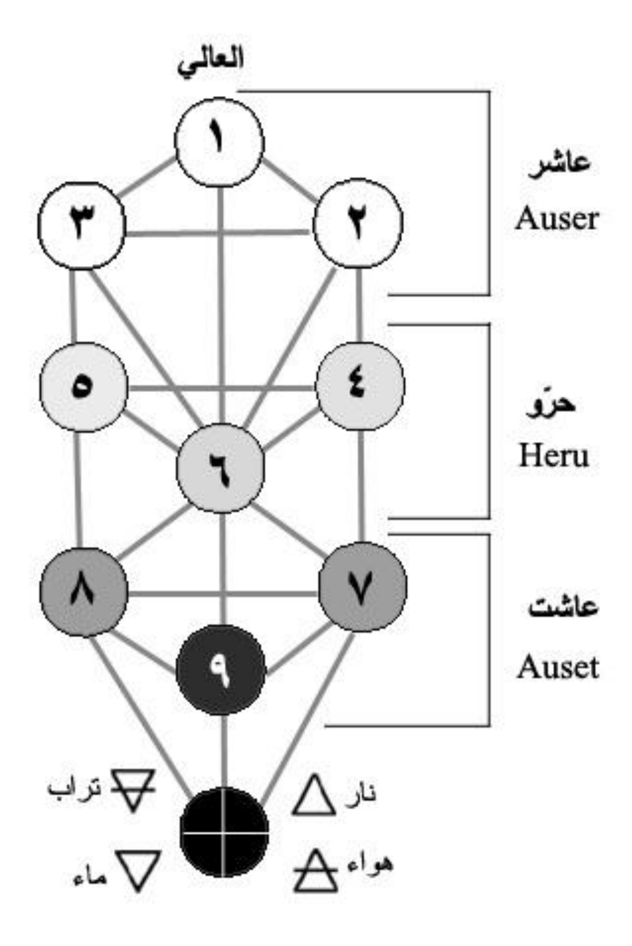
ملاحظة: العبارة الواردة في الفقرة السابقة (فلمّا قضى زيد منها وطراً زوّجناكها) هي إحدى العبارات الواردة في النصوص المقدسة والتي تم استغلالها من قبل المغرضين بهدف التشكيك بالنصوص والحط من قيمتها الأخلاقية، لكن عندما يفهموا المعنى الحقيقي لهذه العبارة وغيرها من عبارات ستتوضح أمور كثيرة لم تكن في الحسبان. سوف يكتشفون أنه ما تحويه هذه النصوص من معاني باطنية هو أكثر رقياً مما يظنون. بالإضافة إلى أن العامل الرئيسي الذي ساهم في تشويه هيبة هذه النصوص والحط من قيمتها هو التفسير الخاطئ من قبل مجموعة من الجهلاء الذين زعموا بأنهم عارفين. هذا الزعم المغلوط الذي كان بحسن نية أو سوء نية، عن جهل أو دراية، هو السبب الرئيسي وراء ما تتعرض له النصوص المقدسة من تهجّم واعتداء عبر العصور.

كما ذكرت سابقاً، وفق التعاليم السرية، الجهاد في سبيل العالي يتمثّل بعملية تسلّق شجرة الحياة واحتلال مقاماتها، الواحد تلو الأخر، حتى الاندماج أخيراً مع المقام الأعلى. خلال هذه المسيرة الجهادية الطويلة سوف يواجه المريد الكثير من المصاعب ويسبي الكثير من الجواري. لكن احذر، فهناك فرق كبير بين النساء والجواري. النساء تمثلن الجانب الأنثوي للقوى المتعلقة بمقامات شجرة الحياة، بينما الجواري هي الجوانب الأنثوية لنزوات دنيوية طارئة أو دائمة وقد تمثل أجزاء ثانوية تابعة لنساء المقامات. المهم أن الجواري أقل شأناً من النساء إذ هذه الأخيرة تمثل طاقات أنثوية أساسية، بينما الجواري تمثلن طاقات أنثوية ثانوية.



أما النساء، اللوات تمثلن الطاقات الأنثوية الأساسية فيتوزعن على الشكل التالي: في بداية انطلاق المريد في جهاده في سبيل العالي عليه أولاً السيطرة على الطاقات الأساسية الأربعة التي تشكّل أساس كيانه المادي، وهذه الطاقات تمثل التجليات الدنيوية للمبادئ الكونية الأربعة وهي عناصر [النار، الهواء، الماء، التراب]. وتقول النصوص بأن المريد لا يستطيع أن يوفق بينها بسهولة لذلك سيضطر أن يكتفي باثنين أو حتى ثلاثة. إذاً، وفقاً للمعنى المقصود للنصوص، لدينا أربع نساء في هذا المستوى الأدنى من الشجرة وعلينا تزوجهن قبل البدئ في رحلة التسلق للأعلى. (أنظر في الشكل التالي)

ما أن تجاوز المريد هذه المرحلة الدنيا في الشجرة (والتي تشمل إجراءات وتدريبات كثيرة قد تستغرق شهور طويلة وحتى سنوات) تبدأ مرحلة جديدة حيث يدخل على المقام التاسع في الشجرة، وهذا المقام هو أحد المقامات الثلاثة التي يتألف منها كيان عاشت Auset وهذا أحد الأسماء المصرية القديمة للإلهة "إزيس" (إيزيس هو الاسم اليوناني)، معناها الباطني هو الشيء الحيوي أو الشيء الحيّ والنامي في الكيان، أي الشيء العائش (*عائشة*). فتوصف التعاليم كيف المريد يدخل على عاشت في التاسعة (أنظر في الشكل التالي). هذه العبارة الأخيرة أيضاً أسيء تفسيرها وسبب ذلك مآسي كبيرة عبر القرون (شاعت عملية تزوّج فتيات صغيرات لا يتجاوزن التاسعة من عمرهن).



مخطط شجرة الحياة وفق التعاليم الباطنية الإسلامية والتي على المريد الانخراط في تدريباته الروحية وفق مساراتها الواصلة بين المقامات. هذه عملية مضنية نادراً ما ينجح أحد في إنجازها بالكامل

على المريد بعدها متابعة تسلق الشجرة عبر المسارات الواصلة بين المقامات وكل من هذه المسارات والمقامات تتطلب كم هائل من التدريب والاجتهاد والمصارعة الروحية/نفسية/عقلية وذلك عبر خوض تدريبات خاصة حتى يتمكن المريد أخيراً من تزوج الأنثى الممثلة للمقام. إنه جهاد بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، لكنه في النهاية يبقى جهاد روحي/نفسي/عقلي وليس جهاد فعلي كما ألفناه عبر تاريخنا الأسود. عندما يصل المريد إلى المقام الأخير يكون قد تزوج تسعة نساء، وبعد إضافة النساء الأربعة في المقام العاشر يكون المجموع ثلاثة عشر زوجة. هل أصبحت تعلم الآن من أين جاءت هذه الأعداد النسائية التي يتجادل حولها الباحثون والمفسرون؟.. افهم إذا كنت تستطيع...

ربما لاحظت في الشكل السابق أنني استخدمت تسميات مصرية قديمة خلال تقسيم مقامات الشجرة إلى ثلاثة أقسام (عاشر Auser، وحيرو Heru، وعاشت Auset). ذكرت سابقاً أنها تمثل الآلهة أوزيريس وحورس وإيزيس حيث هذه الأخيرة هي أسماء الآلهة باللغة الإغريقية. إذا نظرت إلى الأسماء المصرية لهذه الآلهة سوف تكتشف أنها قريبة جداً لكلمات عربية تحمل نفس المعنى أو ذات المفهوم المتعلق بتعاليم شجرة الحياة. إذا أخذنا كلمة عاشر (عاشر يعاشر معاشرة) نجد أن معناها بالعربية الصاحب أو القرين، ومعنى القرين هنا المستوى الباطني لكل فرد أو كائن حي وهذه الفكرة توضحت جيداً في هذا الكتاب. وقد شرحت معنى كلمة عاشت في الفقرة السابقة، إذ لها الكثير من الألفاض المختلفة حيث في اللغة الآرامية (والعبرية) تُلفظ إشي كما في الكلمة المركبة إشي/رع/أل (إسرائيل). أما كلمة حيرو فهي قريبة لكلمة حرّ العربية (مع الضمة على الراء) وهذا بالضبط هو الدور الذي يلعبه حورس في الأسطورة المصرية كما رأينا سابقاً.

ملاحظة مهمة: ربما لاحظ القارئ العزيز بأنني أسعى دائماً في كتاباتي إلى تحويل الكلمات العبرية أو الكلدانية أو الآرامية مثلاً أو حتى بعض المصطلحات المصرية القديمة إلى اللغة العربية محاولاً إيجاد رابط أو معنى مرادف يوصلنا إلى المغزى الفعلي للكلمة. قد يظن البعض أنني أحاول "جعلكة" الكلمة لكي تتناسب بالقوة والغصب مع كلمة عربية مناسبة لكي أصل إلى ما أريده من نتائج، لكن هذه ليست الحقيقة حيث إذا نظرت إلى الكلمات المعنية ودققت في أمرها تجدها متشابهة تلقائياً في المعنى والمغزى مع كلمات عربية. تذكر أنه كامل لغات الشرق الأوسط القديم هي متفرعة من أصل واحد وقد أطلقوا عليها جميعاً اسم اللغات السامية Semitic languages، وتشمل الآرامية (السريانية) والعربية والعبرية والآشورية والفينيقية والكلدانية والكنعانية والأكادية والنبطية والعمورية والمندائية وغيرها. لهذا السبب، رغم وجود اختلافات في الأبجدية أو اللفظ أو الكتابة في هذه اللغات إلا أننا

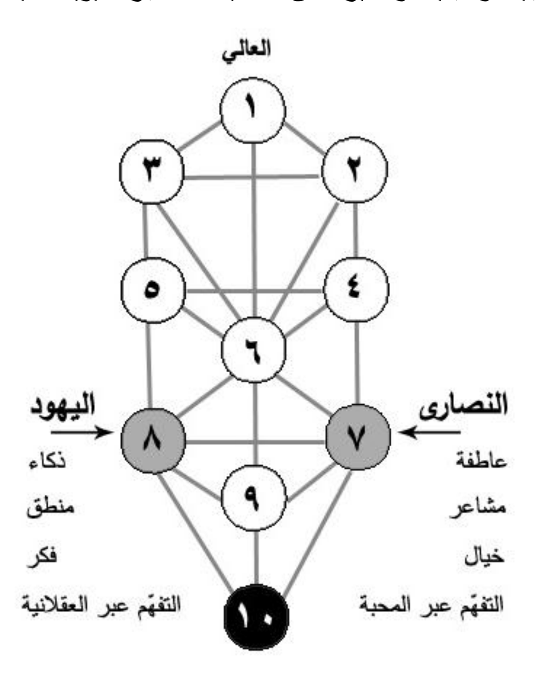
نستطيع إيجاد الكثير من التشابهات في معاني وألفاظ الكلمات. الأمر الآخر المساعد هو أننا نتناول موضوع مشترك بين كافة الحضارات القديمة وأقصد التعاليم الباطنية، وهذه الأخيرة تتحدث عن نفس الموضوع ونفس العبادة وتسعى إلى نفس الهدف وتتبع نفس الخطوات والإجراءات وبالتالي لا بد من وجود مفاهيم ومصطلحات مشتركة بينها جميعاً مهما اختلفت اللغة.

معضلة "..اليهود والنصارى.." في النصوص

طالما أن المريد خلال جهاده يتعامل كلياً مع كيانه الداخلي وليس في أي مكان خارج كيانه فبالتالي إن مفهومي "اليهود" و"النصارى" بعيدين كل البعد عن ما نألفه أو ما جعلونا نعتقد، إذ لا يمكن للفرد أن يحوي في جانبه الباطني يهود ونصارى! فهذا أمر غير منطقي! وهنا يكمن السؤال الكبير: إلى ماذا يرمز كل من اليهود والنصارى في النصوص الباطنية الإسلامية؟

المقام السابع في شجرة الحياة اسمه نيزاخ Nezach في العبرية، ويعني النصر (النصر يوحي إلى الثبات والاستمرارية والمصارحة والإخلاص، وهذه السمات تنتمي إلى عناصر المقام [٧] في شجرة الحياة). لكن هذه الكلمة العبرية قريبة من كلمة نيزاريت Nezaret وهي الاسم المرادف للناصرة في العربية. وهذا يكفي لجعله ممثلاً لكلمة نصراني. بينما المقام الثامن اسمه هود Hod بالعبرية ومعناه المجد (المجد يوحي إلى الإشراق والعظمة والملكية، وهذه السمات تنتمي إلى عناصر المقام [٨] في شجرة الحياة)، وهو قريب من كلمة يهود بالعربية (يا . هود)، وهذا يكفي لجعله ممثلاً لكلمة يهود. لقد استخدمت هذه الطريقة السريعة للمقارنة بين الكلمات فقط لكي أتجنب الطريقة المشروعة وفق العلم الباطني لأن تلك الطريقة تتطلب مساحة كبيرة ولا مجال لذكرها الآن، لكن يمكن اختصارها بعدة سطور وأترك الأمر لك لكي تستنتج الفكرة عرفانياً: إذا نظرت إلى المذهب المسيحي ستجده يعتمد على العاطفة والمشاعر بنسبة أكبر في عبادته، والعاطفة تمثل الموضوع الرئيسي الذي يتمحور حوله المقام السابع في شجرة الحياة. وكذلك إذا نظرت إلى المذهب اليهودي فسوف تجده يعتمد على الذكاء الدنيوي والعقلية العملية بنسبة أكبر في عبادته، والذكاء الدنيوي يمثل الموضوع الرئيسي الذي يتمحور حوله المقام الثامن. فما على الحكماء القدامى سوى التعبير عن المقام السابع (وما يمثله من معاني) برمزية النصارى. وكذلك الحال مع المقام الثامن (وما يمثله من معاني) حيث

عبروا عنه برمزية اليهود... افهم إذا كنت تستطيع. النصوص لا تتكلم عن اليهود والمسيحين الفعليين. نحن أمام نصوص دينية موجهة إلى الإنسانية جمعاء، كيف لك أن تفترض وجود تفرقة بين الأعراق والمذاهب في نصوص جليلة موجهة للإنسان بصفته إنسان مجرّد، خالي من أي صبغة عرقية أو دينية أو مذهبية أو قبلية أو غيرها من تصنيفات تعتبر دنيوية فانية.



كل ما ورد عن اليهود والنصارى في النصوص الدينية يتناول جوانب معيّنة من كيان الفرد والتي يمثلها كل من المقام السابع والمقام الثامن في مخطط شجرة الحياة. أنظر في تعاليم شجرة الحياة للتوسع أكثر في الموضوع. إن أساليب القدماء في التشفير هي مذهلة فعلاً! وزيادة لمعلوماتك فإن المقام [٩] يمثل الدين الإسلامي، لكن لا مكان لشرح الفكرة الآن.

من هم أهل الكتاب؟

يقول المفسرون الجاهلون بأن عبارة أهل الكتاب الواردة في النصوص المقدسة تشير إلى اليهود أو النصارى وذلك حسب ورودها في سياق الآية. لكن هذا التفسير خاطئ وبعيد كل البعد عن الحقيقة. ما قصده الكتاب المقدس في مصطلح أهل الكتاب هو الكهنة ورجال الدين. هم تلك الفئة المتسلّطة من الناس التي تسيء استخدام الدين لغايات متعددة لكن النتيجة تكون في جميع الأحوال سوء فهم

وسوء تطبيق التعاليم الدينية بصيغتها الأصلية. هذه الفئة المتسلّطة موجودة في كل الأديان والمذاهب. أهل الكتاب هم ذاتهم الكهنة الذين واجههم سيدنا يسوع في المعبد واتهمهم بالضلال والاستغلال والتعصب حول أفكار ومعتقدات غير مجدية روحياً. بهذا المعنى الجديد، وجب اعتبار رجال الدين المسلمين بأنهم أهل الكتاب الذين تحدث عنهم القرآن الكريم، وبالتالي وجب معاملتهم كما أوصانا هذا الكتاب المقدس تجاه أهل الكتاب، خصوصاً أولئك المشايخ المنافقين الذين يطلون علينا عبر شاشات التلفزيون ويبثون سمومهم حيث يدعون الناس إلى كره بعضهم البعض وقتل بعضهم البعض.

قريش ومكة ويثرب

إذا تعرفنا على المعاني السريانية لكل من قريش ومكة ويثرب (المدينة المنورة) سوف تتجلى أمامنا صورة مختلفة تماماً عن تلك الأحداث التاريخية المزعومة. سوف نتعرف على المعنى الباطني لتلك القصة الرمزية التي تحولت فيما بعد إلى تاريخ فعلي (والويل لمن يخالف هذا الزعم المفروض بالسيف).

المعاني السريانية لكل من مكة وقريش ويثرب

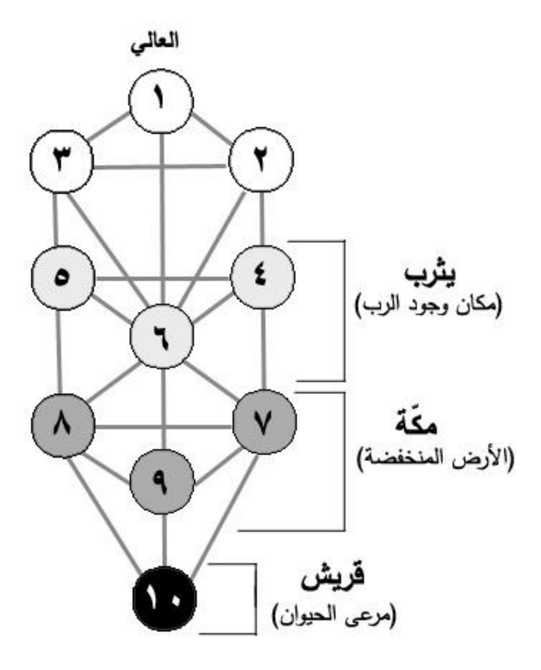
١. قريش هي كلمة سريانية وتعني [رعاة البقر] أو [مرعى البقر] ويمكن أن يكون الحيوان إما بقر أو أي حيوان آخر قابل للرعي. المهم أن المعنى الباطني لهذه الكلمة هو الجانب الحيواني من كياننا وهو يمثل المستوى المادي (أنظر في مخطط شجرة الحياة في الشكل التالي).

٢. أما كلمة مكة فلا يمكن تفسير معناها بالعربية لأنها ليست عربية أصلاً بل سريانية، وهي متكونة من أربع أحرف وهي (م–ك–ك–ة) أي مككة وتعني [الأرض المنخفضة]. والمعنى الباطني لهذه الكلمة هو الجانب الدنيوي من كياننا (الفقاعة الدنيوية)، وعلى مستوى كوني يمثل العالم الدنيوي للكون المتجلّي. (أنظر في مخطط شجرة الحياة في الشكل التالي).

٣. أما كلمة يثرب فهي كلمة سريانية وتعني أيث رابو ، أي الرب موجود أو [مكان وجود الرب]. والمعنى الباطني لهذه الكلمة يشير إلى الجانب المتوسط ما بين العالمين (العلوي والدنيوي)، أي

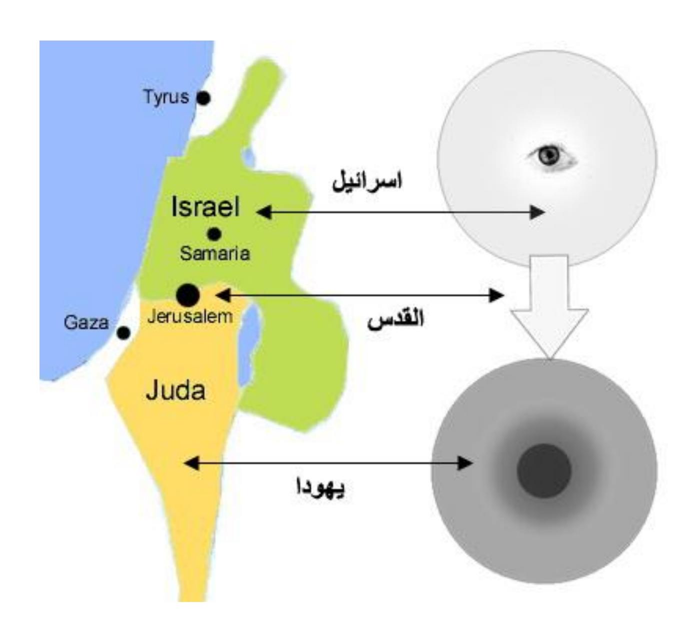
يمثل الثالوث الأوسط في شجرة الحياة (وهو مؤلف من المقامات [٦] و[٥] و[٤]). (أنظر في مخطط شجرة الحياة في الشكل التالي).

قبيلة قريش التي كانت حاكمة لمكة تعني أن الجانب الحيواني للفرد يسيطر على الكينونة الدنيوية التي تمثل مكة (المكان المنخفض). بعد أن نزل الوحي على المريد المحمد وبدأ جهاده في سبيل الله ومواجهة المشركين في مكة (المقام [٩] و[٨] و[٧]) وصل إلى حد معيّن لم يعد بمقدوره التقدم أكثر، إذ عليه أولاً معالجة القسم الأعلى الممثل بالمقام [٦] (يثرب) حيث من هذا الموقع (بعد صقل شخصيته حتى بروز الشخصية الإلهية أو تجلّي المخلص) يستطيع القضاء على بقايا المؤثرات السلبية في القسم الدنيوي الممثل بمكة في الرواية. وفي يثرب نلاحظ تغيير في المريد المحمد حيث أصبح أكثر قوة وعزم وشدّة (المقام [٥]) بالإضافة إلى أنه أصبح أكثر توسعاً وانتشاراً وغنىً (المقام [٤])، وبعد معالجة هذا القسم الأوسط الذي يهيمن عليه المقام [٦] (الشخصية الإلهية الحقيقية) قرر العودة إلى القسم الدنيوي (مكة) ليقضي تماماً على بقايا الطاقات السلبية فينضّف هذا القسم بشكل كامل من عناصر النجس الدنيوي.



بعد إسقاط أسماء المدن الرئيسية (التي جرت فيها أحداث الحكاية الرمزية الممثلة بالسيرة النبوة) على منظومة شجرة الحياة نجد أن مكة تمثل القسم الدنيوي من كيان الفرد بينما يثرب تمثل القسم الأوسط، أما قبيلة قريش فهي الجانب الحيواني الذي يحكم القسم المادي من الكيان.

اسلوب استخدام المواقع الجغرافية كرموز لمواقع مختلفة في كيان الإنسان قد استخدم أيضاً في الكثير من التعاليم القديمة أهمها التعاليم المصرية التي تحدثت عنها في جزء سابق، وكذلك في الإنجيل حيث استُخدمت خريطة فلسطين لتمثل كامل كيان الفرد بقسميه العلوي والدنيوي، حيث ورد في النصوص كيف أنه تشكل دولتين في هذه المنطقة وهما [١] دولة إسرائيل في الشمال، و[٢] دولة يهودا في الجنوب، بينما في الوسط تماماً تقع مدينة القدس. (الشكل التالي)



بعد أخذ رمزية هذه الخريطة في عين الاعتبار ومن ثم إسقاط الأحداث الواردة في نصوص الإنجيل والتي حصلت في هذه البقعة الجغرافية، سوف يتكشف لديك الكثير من الحقائق الباطنية. أشهرها قصة سيدنا يسوع (المخلص) الذي جاء من شمال فلسطين (في المملكة الشمالية أي القسم العلوي) ثم جاء إلى القدس ومن ثم صلب خارج المدينة في الجانب الواقع على حافة المملكة الجنوبية (القسم الدنيوي)، وهذا يرمز إلى أن النفحة الإلهية المنطلقة في الجانب العلوي وصلت إلى حدود الجانب الدنيوي وماتت مصلوبة حيث البيئة الدنيوية غير مناسبة لتجليها وازدهارها.

إذاً، تبين أن التعاليم المتعلقة بشجرة الحياة هي محور النصوص المقدسة لكافة الأديان حول العالم، وتكشف عن مستوى راقي من التعاليم الروحية. أما كيفية حصول هذا الكم الهائل من التحريف والتشويه لمعاني النصوص ومغزاها فهذا يتعلق بمجريات سياسية تاريخية بعيدة كل البعد عن الفقه الروحاني الأصيل. اسألوا الفقهاء المأجورين الذين ازدهروا في العصر العباسي!

....

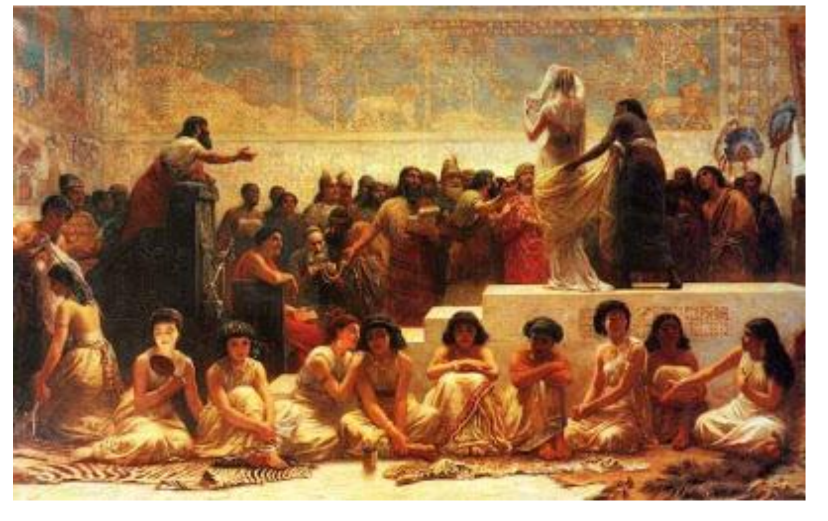
الكارثة التي حلّت على المرأة

نتيجة سوء تفسير النصوص

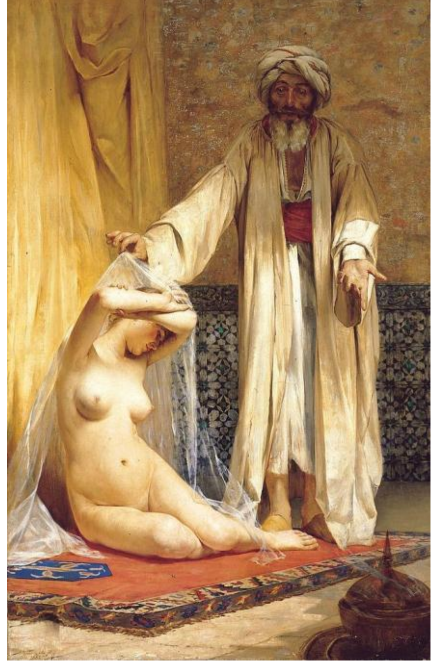
التفسير السيء والمحرّف للتعاليم المتعلقة بالمبدأ الأنثوي أدى إلى خلق أبشع الممارسات التي شهدها التاريخ الإنساني مثل السبي الفعلي للنساء والتجارة بهن في سوق الرقيق. ازدادت هذه الممارسة رواجاً وشهدت ازدهاراً كبيراً ترافق من الجانب آخر مع ازدياد بؤس الضحايا وهوان عائلاتهم. السبب الرئيسي لهذا الازدهار هو دعم هذه الممارسة وتعزيزها من قبل السلطة الدينية التي برزت في إحدى فترات التاريخ والتي أساءت تفسير النصوص عبر أخذها بمعناها الظاهري بدلاً من المعنى الباطني. واستمرت هذه المحنة التي أصابت البشرية مدة قرون من الزمن.



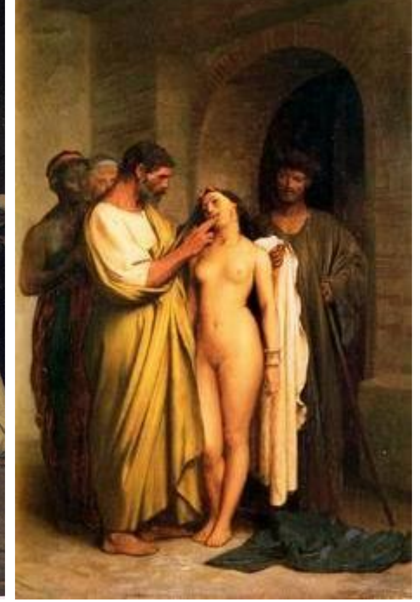
كان سبي النساء مألوفاً في كامل أنحاء العالم القديم، لكنه لم يكن معزّز دينياً كما حصل بعد التفسير الخاطئ للتعاليم الدينية

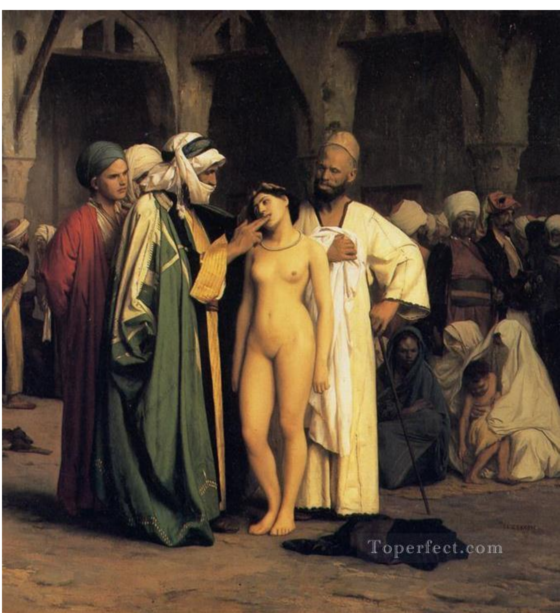


كان سوق الجواري مزدهراً أينما انتشر الدين الجديد!!

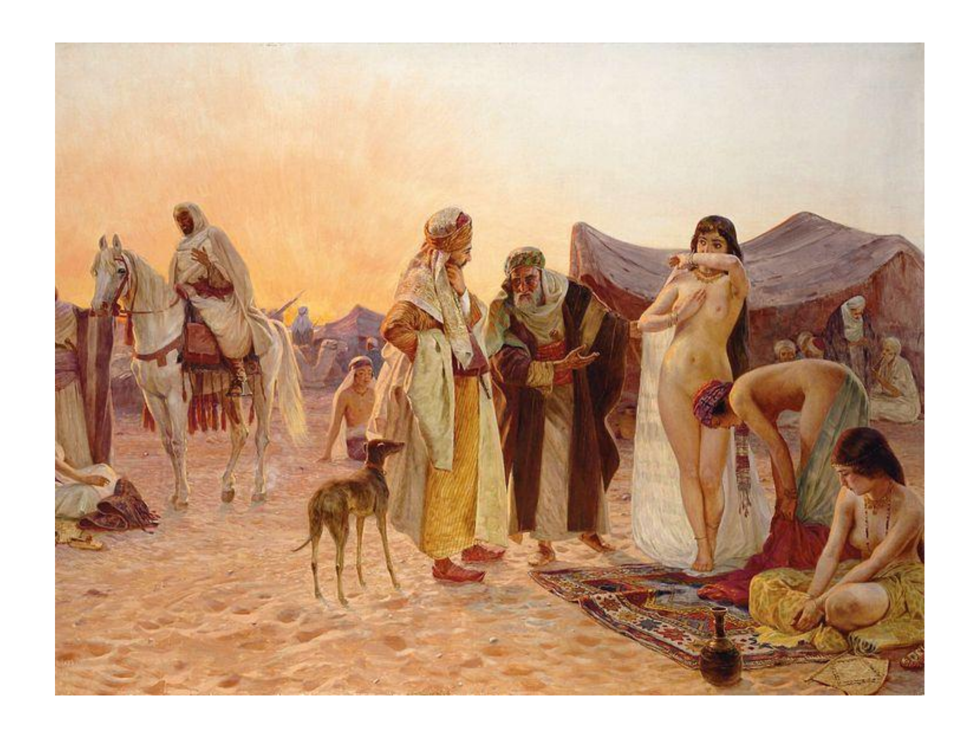


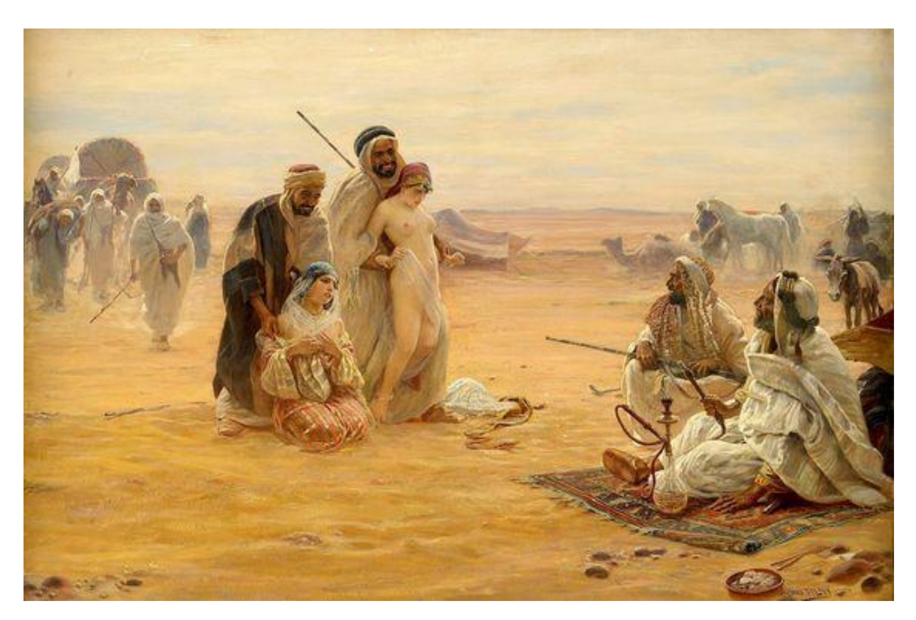




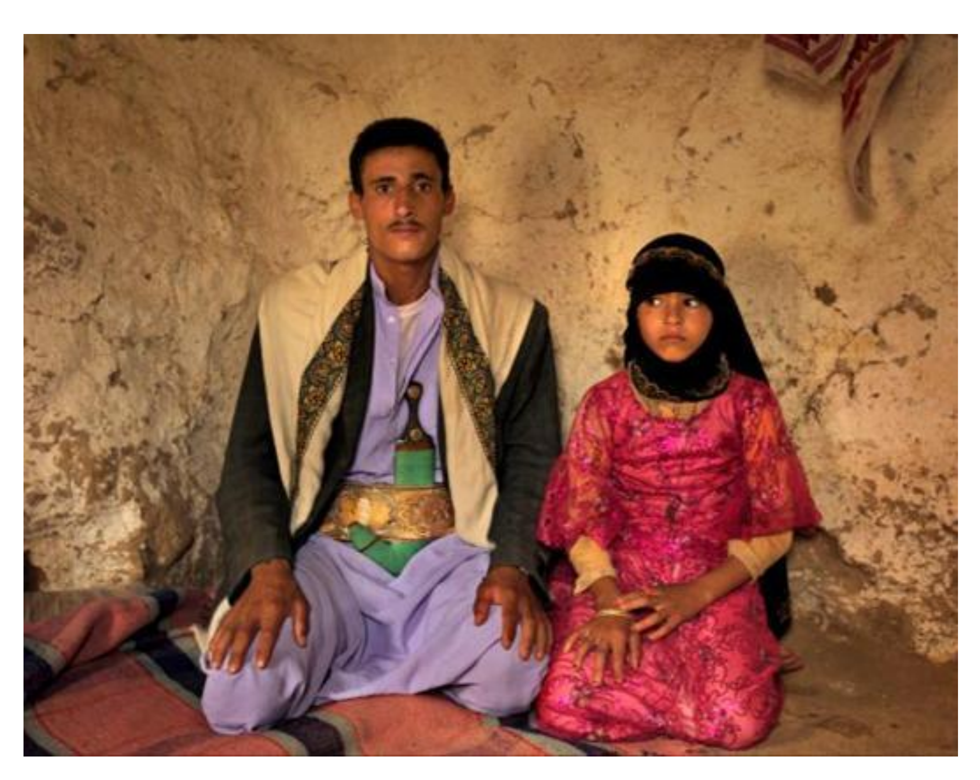


ازدهرت ممارسة سبي النساء والتجارة بهن في أسواق النخاسة، وذلك بدعم وتعزيز من السلطات الدينية التي أساءت تفسير النصوص عبر أخذها بمعناها الظاهري بدلاً من المعنى الباطني. واستمرت هذه المحنة التي أصابت البشرية مدة قرون من الزمن.





لطالما وجدت تجارة الرقيق عبر مراحل التاريخ المختلفة، لكن لم تكن أبداً مدعومة بنصوص دينية. وعندما تقرّ سلطة دينية معيّنة بصوابية الأمر فهنا تكمن المصيبة الكبرى. السؤال الكبير يطرح نفسه: أين الروحانية في هذه الممارسة؟ من المستفيد منها سوى الأشخاص الذين يعتبرون من أدنى مستويات البشرية انحطاطاً؟!

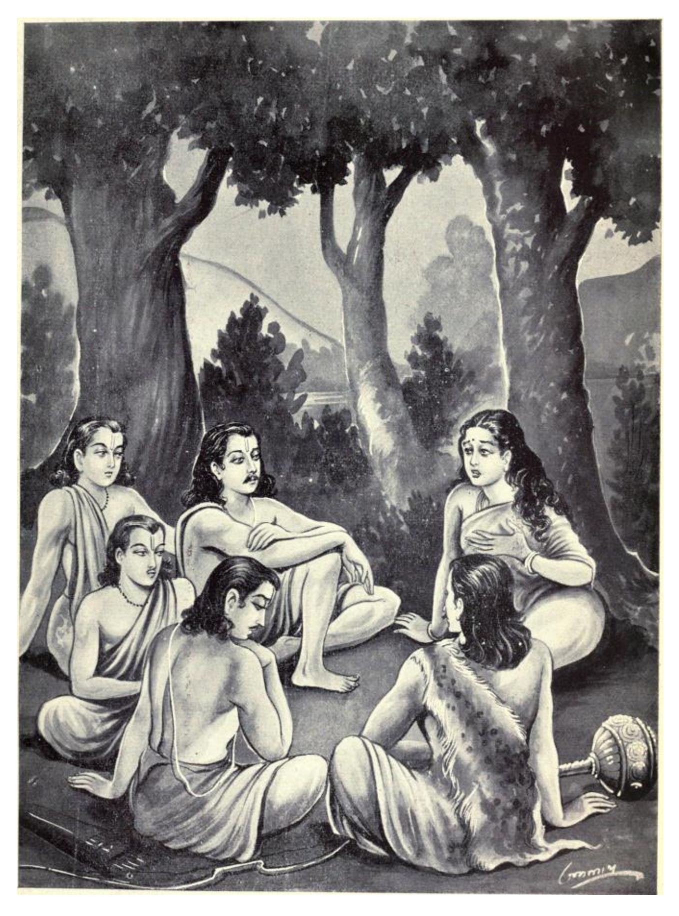


<u>الدخول عليها في التاسعة</u> لم يثير أي مشكلة طالما هكذا ورد في التعاليم!!



<u>الدخول عليها في التاسعة</u> لم يثير أي مشكلة حتى لو كان الفرد عجوزاً في خريف عمره!!

ليس في كل الحالات يكون الرجل متعدد الزوجات بل هناك حالات نرى فيها أن المرأة متعددة الأزواج. أشهر الأمثلة هي تلك التي وردت في ملحمة الماهابارتا Mahabharata الهندية حيث الأميرة درووبادي Draupadi متزوجة من الأخوة الباندافا وهم خمسة أمراء. طبعاً هذه ليست حالة واقعية بل مجرّد حكاية رمزية تمثل امتلاك خمسة أشخاص لنفس نوعية الطاقة الأنثوية وتمثل في القصة إحدى القدرات الخارقة.



الأميرة درووبادي مع أزواجها الخمسة كما تروي ملحمة الماهابارتا الهندية.

خلال ضبط طريقة تفكيره يستطيع الفرد أن يكتسب صيغة جديدة لتجلّي الطاقة الأنثوية في كيانه، كإحدى القوى الخارقة مثلاً، وهذا يرمز له بالزواج من مرأة جديدة، أي اكتساب طاقة جديدة. إن زواج الأميرة درووبادي من خمسة أخوة ترمز للقوة الخارقة التي اكتسبها هؤلاء الأخوة إذ لا تعني الزواج بمعناه الحرفي.

لقد تم إساءة تفسير هذه الرواية الرمزية بشكل كبير، حيث نجد في بعض المناطق في الهند وباكستان تقليد شعبي يسمح للرجل إذا سافر بعيداً أن يمنح زوجته لأخيه (أو كل أخوته أحياناً) فيستخدمها هذا الأخير حتى يعود الزوج. يبررون هذا التصرف بالإشارة إلى الشخصيات المقدسة في نصوصهم الدينية الذين فعلوا ذلك دون أي تردد أو وجل. وهذه تعتبر إحدى الحالات الصارخة الناتجة من سوء التفسير للنصوص المقدسة.

الإمام العليّ

إمـــام الزمـــان

قد يستاء الكثير من الناس عبر سماعهم بعض التصريحات الصادمة هنا وهناك والتي قد يجهر بها عفوياً أفراد من أتباع المذهب الشيعي الكريم (أو أي من المذاهب التي نصنفها علوية) والتي تجعل سيدنا علي في مقام الله (تعالى) لكن هذا الاستياء مبرر لأن المستائين (وربما المصرحين الغافلين أيضاً) يجهلون تلك التعاليم الباطنية التي تروي القصة الفعلية التي تتحدث عن صراع العليّ مع معاوية. هذه القصة التي أخذنا بها كقصة تاريخية فعلية هي ذاتها قصة أوزيريس وشيط في الأسطورة المصرية القديمة. المعنى اللغوي للاسم معاوية هو صغير الكلب أو الثعلب (أنظر في القاموس). هل يعقل أنه في الروايات الدينية نلاحظ أنه دائماً تتناغم أسماء الشخصيات مع أدوارها أو صفاتها في الرواية؟ جميعنا نعلم من خلال الرواية التاريخية المزعومة كيف كان معاوية داهية وهذا ما يرمز له الثعلب. على أي حال، يدخل في معنى هذا الاسم الكلب أيضاً، ويرمز هذا الأخير في العلوم الباطنية للجسد المادي. عندما يقولون أن معاوية تغلب على سيدنا العلي فهذه دلالة على أن الجسد (حياتنا المادية/الدنيوية) تغلب على تجلي الله [تعالى] في كياننا. فغاب عن حياتنا الدنيوية بالكامل ولم يبقى سوى معاوية الذي يصول ويجول في كياننا الدنيوي.

لكن هناك نقطة مهمة وجب الانتباه لها. كما ذكرت سابقاً، كلمة معاوية تعني صغير الكلب، وهذه دلالة على أن الجسد يكون في صغره ولازال في طور النمو، وبالتالي سوف تدفعه الغريزة والفطرة إلى تغليب الاهتمام بشؤون الدنيا على حساب العالم العلوي وهذه حالة طبيعية كما ذكرت سابقاً حيث من هنا جاء قانون البدء في الجهاد للارتقاء في سن الأربعين، وذلك لأن الجسد في حينها قد

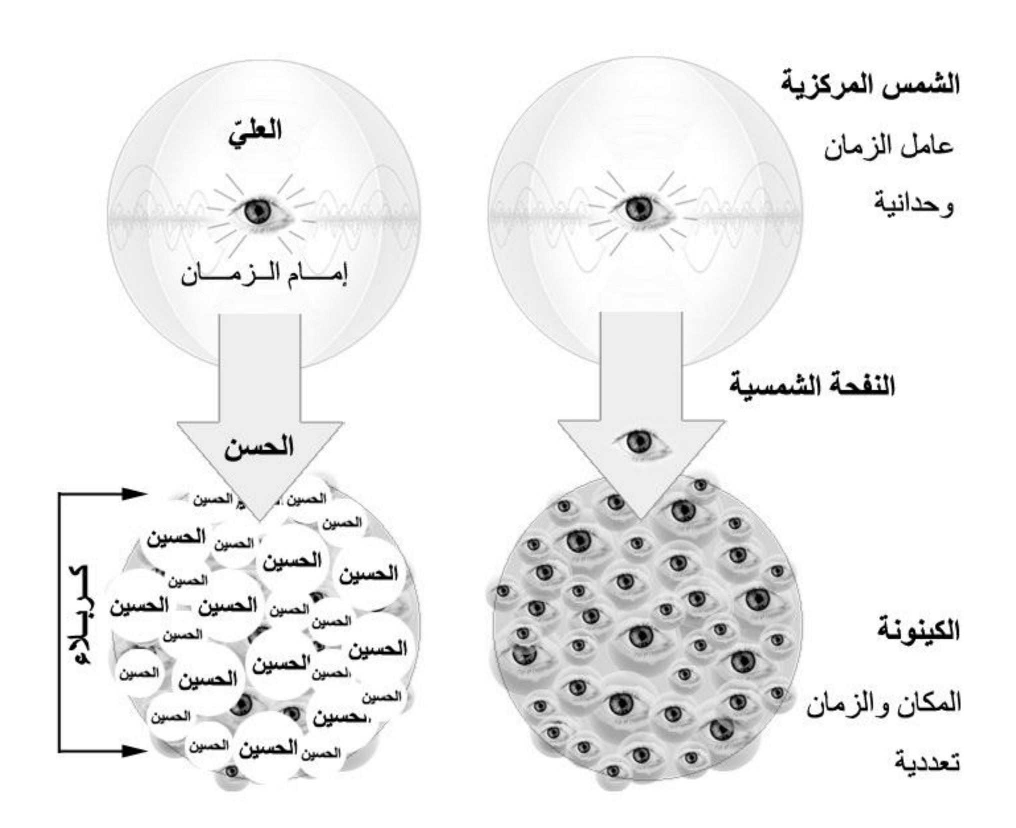
أكمل نموه ولم يعد بحاجة إلى الطاقة الأنثوية لترعاه، وبالتالي سوف تتفرّغ هذه الأخيرة تماماً لمؤازرة المريد في مسعاه للارتقاء الروحي. على هذا الأساس وردت في النصوص المقدسة المقولة التالية ".. فلمّا قضى زيد منها وطراً زوّجناكها.." والتي أسيء تفسيرها.

لكن يوجد المزيد من الأمور المهمة في هذا الموضوع تحديداً. خلال فترة نمو الجسد، أي قبل أن يكتمل تماماً، تستمر النفحة الإلهية في التجلّي بشكل متكرر في كيان الفرد وذلك مع كل نبضة شمسية (كما شرحت سابقاً) لكنها ما تلبث أن تموت مع كل محاولة في اختراق كياننا الدنيوي، لأن البيئة غير مناسبة لتجلّيها. لقد عرف الحكماء الأوائل للمذهب الفلسفي الشيعي كيف يوصفون الأمر بشكل مذهل فعلاً. قالوا أن السبب الذي يمنع تجلّي النفحة الإلهية في كياننا الدنيوي هو أنه محكوم من قبل طاغية يُسمى يزيد! وهنا يبدأ فصل جديد من الرواية. المعنى الحرفي لكلمة يزيد هو الجسد الذي في طور النمو! جعلوا يزيد طاغية بكل ما تحويه الكلمة من شرور. وهذا يعني أن الجسد المادي الذي في طور النمو يكون طاغي على تفكير وتصرفات الفرد بشكل كامل بحيث يمنع ظهور أي معارضة تردعه عن التوصل إلى غاياته الدنيوية المختلفة. (الإفرازات الهرمونية تكون غزيرة خلال طور نمو الجسد مثلاً فتمنع الفرد من التفكير السليم. أنظر في التصرفات الجنونية للمراهقين وسوف تعلم عن ماذا أتكلم).

إن أكبر خطأ يمكن للفرد اقترافه هو أن يصبح رجل دين في سن المراهقة أو ما قبلها. نلاحظ أن معظم المتديّنين يفرضون على أولادهم عيش حياة دينية صارمة. هم يجهلون أن عملية الفرض هذه لا تصنع من أولادهم متديّنين بل منافقين يتظاهرون بالتزامهم الديني! وطبعاً لا نستطيع لوم هؤلاء الأولاد بل المشكلة تكمن في أجسادهم التي في طور النمو بالإضافة إلى نفوسهم التي لم تهدأ بعد، إذ هي بحاجة إلى استكشاف العالم الدنيوي واختباره. بدلاً من أن يساهم الدين في تهدئة نفس الشاب، نرى حصول مفعول عكسي حيث تدفعه حماسته إلى المغالاة في ممارسته الدينية ومن هنا يولد التعصب الديني الطائش وغير العقلاني!

في الرواية التي تناولت الطاغية يزيد أشاروا إلى النفحة الإلهية باسم مختلف. هو الحسن ابن العليّ. المعنى الحرفي لكلمة الحسن هو الجميل وباللغة الآرامية يعني القوي الصلب، وكلا المعنيين يناسبان

دور النفحة الإلهية التي تخرج في البداية قوية وراسخة بالإضافة إلى نقاوتها وجمالها المحبب للقلب، لكن هذه النفحة مع قوتها ونقاوتها لا بد من أن تواجه المصير المحتوم حيث تتبعثر وتنتشر عند دخولها العالم الدنيوي فتخور قواها وتتلاشى. لأن هذا العالم (كما شرحت سابقاً) محكوم بعامل الزمان والمكان، فبالتالي بدلاً أن تبقى هذه النفحة متماسكة وقوية نجدها تتفرّق وتنتشر وتتبعثر. وهنا يقولون: قُتل الحسن فجاء الحسين (يمثل الاسم الثاني صيغة تصغير للأوّل) وهذا الأخير (سيدنا الحسين) لم يدم طويلاً حيث قُتل في معركة الحياة الدنيوية التي ملؤها الكرب والبلاء (كرب + بلاء = كربلاء)، وذلك على يد رجال يزيد. الشكل التالي يعبر عن هذه الفكرة بشكل واضح:



الشكل السابق يشمل مقارنة بين نموذج الشمس المركزية والنفحة الشمسية والكينونة (على اليمين)، وبين مواقع كل من سيدنا العلي وسيدنا الحسن وسيدنا الحسين في النموذج ذاته (على اليسار)

أما كيف تم دمج شخصيتين مختلفتين (سيدنا عليّ وسيدنا محمّد) اللتان تمثلان أصلاً مبادئ دينية مختلفة، وذلك في رواية واحدة تتحدث عن نزول الرسالة في الجزيرة العربية ثم خروجها بصيغة فتوحات، ثم انقسام المسلمين وتمحور كل مجموعة حول شخصية معيّنة، فما علينا سوى سؤال الرواة الذين ازدهروا في العصر العباسي وأحدهم كان محظوظاً بحيث طلب منه أحد الخلفاء العباسيين أن يكتب له سيرة مفصّلة لما حصل في بدايات تاريخ دين إمبراطورتيه المجيدة فيهديها لأحد أولاده (لقراءتها له قبل أن ينام سريراً في الليل) فنجح هذا الراوي الموهوب (ابن اسحاق) بالخروج بسيرة مذهلة فيها إبداع ما بعده إبداع، وخيال خصب منقطع النظير. هذه هي ذاتها السيرة التي انتشرت وسيطرت على عقول الناس عبر الفترات المتلاحقة (رغم إجراء تغييرات كبيرة في أحداث الرواية وذلك على يد راوي موهوب جاء لاحقاً اسمه ابن هشام ٨١٩ . ٨٢٠م). أصبحت هذه الرواية فيما بعد تمثل حقيقة تاريخية ثابتة والويل ثم الويل لمن يكذّبها أو يحاول التشكيك بمصداقيتها!

أنا شخصياً أعتقد أن الخليفة العباسي لم يأمر بكتابة تلك السيرة من أجل تسلية ابنه كما تزعم المراجع، بل لسبب أهم وكان يمثل مشكلة سياسية/فقهية كبيرة في زمانه، وهو ذلك الصراع الكبير لكنه خفي بين مذهبين فلسفيين مختلفين تماماً وكانا سائدين في ذلك العصر. الهدف من تلك السيرة كان منح شرعية دينية للأسرة العباسية في المقام الأوّل، ومن ثم التوحيد بين المذهبين الفلسفيين المتناحرين، لكن يبدو أنه لم ينجح في مسعاه حيث تطورت الأحداث عبر الزمن إلى أن تحول هذان المذهبان إلى أكبر مذهبين على الساحة الإسلامية (السنة والشيعة).

بما أننا في سياق الحديث عن المذهب الشيعي الكريم فلا بد من أن نذكر مفهوم جوهري آخر تتمحور حوله معتقداته وهو مفهوم المهدي المنتظر. إن المعنى اللغوي لهذا الاسم يشير إلى دوره في الرواية الدينية. المهدي المغيّب/المنتظر هو النفحة الإلهية الغائبة تماماً عن الإنسان الدنيوي. لقد قمنا بتغييبها كلياً من مسرح حياتنا لأننا اخترنا العيش بأوهامنا الدنيوية ودرنا ظهورنا للحقيقة الإلهية الجليلة. لكي يظهر المهدي المغيّب/المنتظر في حياتنا علينا التحضير له. وهذا عمل يتطلب إجراءات كثيرة لكي يتحقق. أولها تطهير النفس كما وصفتها أكثر من مرة في هذا الكتاب، فيتجلى الوحي الإلهي أولاً، ثم مع مرور المراحل المتتابعة تصبح الظروف مناسبة لمجيء المهدي المنتظر فيتجلى نور الإله في كياننا.



يمكن تصوّر حالة الكرب والبلاء التي تعانيها النفحة الإلهية المتجلّية في الكينونة الدنيوية من خلال اللوحات الفنية التي تعبّر عنها أساطير الحضارات القديمة. إن الاجتهاد للقضاء على هذه الحالة المميتة بالنسبة للنفحة الإلهية في الكيان الدنيوي يعتبر بطولة فعلية بكل ما تعنيه الكلمة من معنى. إن تنقية النفس ليست أمر بسيط. هذا ما أكّدت عليه الأساطير الإغريقية المذكورة سابقاً.

الرسالة تبقى ذاتها في كل مكان وزمان

أعيد وأكرر ما أوردته في الجزء السابق، لكن هذه المرة أقولها بكل ثقة، خصوصاً بعد إثبات صحة ما قلته بشكل واضح وجلي. ***الدين واحد في كل زمان ومكان***. من كتابات الفلاسفة القدامى في كل الأعراق والحضارات، من أناشيد الشعراء من كافة الشعوب، من مواعظ الأنبياء من كل الأديان وفي كل الأزمان.. نستطيع جمع بقايا هذا التنوّر الذي أضاء كيان الإنسان.. هذا الانكشاف للوعي الروحاني الجليل. أحدهم عبّر عنه بطريقة معيّنة، والآخر عبّر عنه بصيغة أخرى، لكن جميعها في النهاية تروي نفس القصة. كل من اختبر هذا التنوّر، حتى بأدنى درجاته، أدرك التشابه الكبير بين تجربته الخاصة وهذه الرسالة أو هذه الفلسفة أو هذه المواعظ أو هذه الأنشودة، رغم القرون المديدة التي تفصلها عن بعضها.

هذه الرسالة متشابهة في كل زمان وكل مكان لأنها تمثّل أنشودة النفس، والتي مجرّد أن سمعتها مرّة سوف لن تنساها أبداً. رغم أنك قد تسمعها خارجة من أفواه شخصيات شبه همجية غير متحضّرة، أو من شخصيات مصقولة ذوي جودة عالية، لكن الأمر سيّان، حيث تبقى النبرات ذاتها ولن تفقد الرسالة معناها او رونقها أو تأثيرها.

قد تأتينا هذه الرسالة منبعثة من مصادر عديدة. قد تأتي كأنشودة جميلة من بلاد مصر القديمة، أو من بلاد الهند حيث لازالت تصدح ويتردد صداها عبر العصور، من فلاسفة اليونان وروما، من راهب مسيحي جليل قابع في صومعته في أحد الأديرة النائية، من متصوّف إسلامي مُكرّم يخطب في حضرة مريديه، من فيلسوف كنفوشيوسي أو طاوي في بلاد الصين، من أحد شعراء الهنود الأمريكيين خلال رواية إحدى مغامرات النبيّ الهندي البطل،... مهما كانت صيغة هذه الرسالة وكيفما تم إلقائها فسوف تبقى محافظة على ذات المضمون.

الخلاصة

منذ زمن بعيد جداً وضع الحكماء الأوائل وصايا وتعاليم خاصة للناس مع نصح بالالتزام بها إذا أرادوا الخلاص والعيش بسلام. البعض لازال يظن بأنها وصايا إلهية نزلت من السماء مباشرة عبر أنبياء، بينما البعض الآخر يعتبر هذه الفكرة غير منطقية وبعيدة كل البعد عن الواقع. لكن هذا لا يهم، المهم هو أنه أعطي لنا طرق حياة معيّنة عبر حكايا رمزية ووصايا أخلاقية ودروس روحية ثمينة تكشف عن حكمة راقية تهدف إلى مساعدتنا على معرفة المعنى الحقيقي وراء الخطة الإلهية للوجود البشري. قد يقول الكثيرون بأنه ما من إثبات فعلي على أن هذه الوصايا والحكم هي كشوفات إلهية نزلت من السماء، وقد يكون هذا كلام صحيح، لكن عدم أصولها السماوية لا يمنع كونها وصايا مجدية ومهمة وذات قيمة روحية كبيرة حيث من المعروف مدى الكوارث التي تصيب الفرد إذا خرق هذه الوصايا وعصا تلك التعاليم المقدسة. ليس من الضروري معرفة من أنزلها أو من نشرها، الأمر الأهم هو كيف نلتزم بها. ومن خلال فعل ذلك نستطيع حماية أنفسنا على المدى الطويل في حياتنا الكونية الأبدية.

رغم بحثنا المستمر عن مصادر الطاقة التي تحرّك حياتنا العصرية وآخرها الطاقة النووية التي لازالت غامضة بنسبة كبيرة، من المثير معرفة أن مصدر الطاقة الوحيد الذي أهملناه هو ذلك المصدر الباطني الكامن بداخلنا. ربما هناك كمية كافية من الطاقة داخل كل إنسان بحيث إذا أسيء استخدامها يمكنها تدمير الكرة الأرضية. لكن من ناحية أخرى هناك كمية كافية من الطاقة داخل كل إنسان تجعله ممكناً له، بشكل تدريجي ومنهجي، أن يصبح في النهاية قادراً السيطرة بالكامل على وجوده في هذا العالم وكل ما يشمل هذا الوجود من عناصر ومقومات، ويصبح الفرد قادراً على تلبية كافة الحاجات التي يمكنها أن تطرأ في حياته، لأن هذه الحاجات متناغمة مع المصادر النابعة من داخله أصلاً. وعندما تطرأ هذه الحاجات الملحّة التي عليه مواجهتها في حياته تتقدم مصادره الداخلية فوراً لمواجهتها وتلبيتها. لكن الإنسان العادي لا يتنبه لهذه القدرة العجيبة لديه لأنه جاهل للحقائق الكونية الرائعة التي تحكم حياته، بالتالي نرى أنه في الحالة العادية، تلك المصادر الداخلية الهائلة لديه لا تستطيع فعل شيء للفرد إلا إذا قطع على نفسه عهد اختياري تجعله ملتزماً بتلك الوصايا والتعاليم المقدسة المذكورة سابقاً. وهذا ما نعتبره ممارسة دينية حقيقية وليس الممارسات التي نألفها اليوم في كافة الأديان المعاصرة حيث النفاق والخداع الذي يمارسه المتديّن على نفسه قبل

الآخرين. الدين الحقيقي يعتمد أولاً وأخيراً على المصادرة الداخلية للفرد وليس بأي شكل من الأشكال على المصادر الخارجية كما يفعل المتدينين الحاليين. وهذه الفكرة سوف تتوضح لاحقاً.

نحن اليوم مثقلين بشكل كبير بقوانين وتشريعات من صنع بشري، وهي القوانين والتشريعات التي نألفها في حياتنا اليومية. هذه القوانين الدنيوية بأغلبيتها غير ملائمة أو كفوءة أو حتى مجدية من الناحية الروحية. نحن مثقلين بشبكة معقدة من التشريعات والضوابط القانونية والدستورية التي تعاني من خلط كبير في القيم والمعايير الأخلاقية والتي نحتار في التعامل معها بشكل سليم، إذ ليس هناك أي فائدة وراء الالتزام بكافة هذه القوانين البشرية دون معرفة السبب وراء وضعها وحول ماذا تتمحور وبالتالي فالمسألة معقدة جداً وتحتاج لمتخصصين في القانون كالمحامي مثلاً أو المستشار القانوني. قد نكون من الأشخاص الملتزمين بالقانون طوال حياتنا لكن مع ذلك نبقى قابلين للموت في سن مبكر من عمرنا، أو قابلين للوقوع في محنة كبيرة تدمّر معنوياتنا بالكامل، أو نقع في شباك عادة سيئة كالمخدرات والتي يمكنها أن تدمر صحتنا وحياتنا. التشريعات القانونية لا يمكنها أن تحمينا في أي من الحالات السابقة. يبدو أن هناك جانب آخر بخصوص هذا الموضوع، وهو حقيقة أن كافة هذه التشريعات البشرية تتعلق بالقوانين التي تحكم حياتنا الدنيوية فحسب. وحياتنا الدنيوية لا تمثل الواقع الحقيقي، وبالتالي علينا أن نفكر وفق نمط الإبقاء على الإيمان بالواقع الحقيقي الذي نجهله اليوم بالكامل. لا يمكننا الاستمرار بالعيش بفردوس الحمقى الذي صنعناه لأنفسنا بهذا العالم الدنيوي. لا نستطيع الاستمرار بالادعاء أن كل منا له حريّة كاملة في حياته. وجب أن لا نفكر بكمية الحرية التي يمكن اكتسابها أو كم يمكننا تدميره من السلطة التي تحكم حياتنا. المشكلة تكمن في كيفية التخلّي عن السياسة المادية الدنيوية غير الحقيقية وغير الجوهرية والسعي إلى ترسيخ السياسة الأصلية والمتمثلة بالقوانين الفعلية للخطة الإلهية الحاكمة للطبيعة. إذا استطعنا المحافظة على قوانين الخطة الإلهية سوف نرى أن باقي المسائل تحلّ نفسها بنفسها. لكن إذا خرقنا هذه القوانين ليس هناك أي تشريع قانوني بشري يستطيع إنقاذنا. سوف نندثر بكل تأكيد لأننا خرقنا القوانين الأساسية للحياة، وهذه القوانين الأساسية لها أثر عميق في حياتنا إلى درجة أنها تمثل المسالك الأصلية التي ترشد سلوك الطاقة الحيوية التي بدورها تتجلّى وتتصرف بطريقة سليمة في مسيرة تكشّف وتطور الكائنات الحية.

هذا بالضبط ما تقوله التعاليم السرية، التي تدعوك للسكون والهدوء والسماح للقوانين الإلهية بأن تعمل وتتصرف تلقائياً دون أي تدخل منك. وجب أن نفسح المجال للخير أن يتجلى في حياتنا

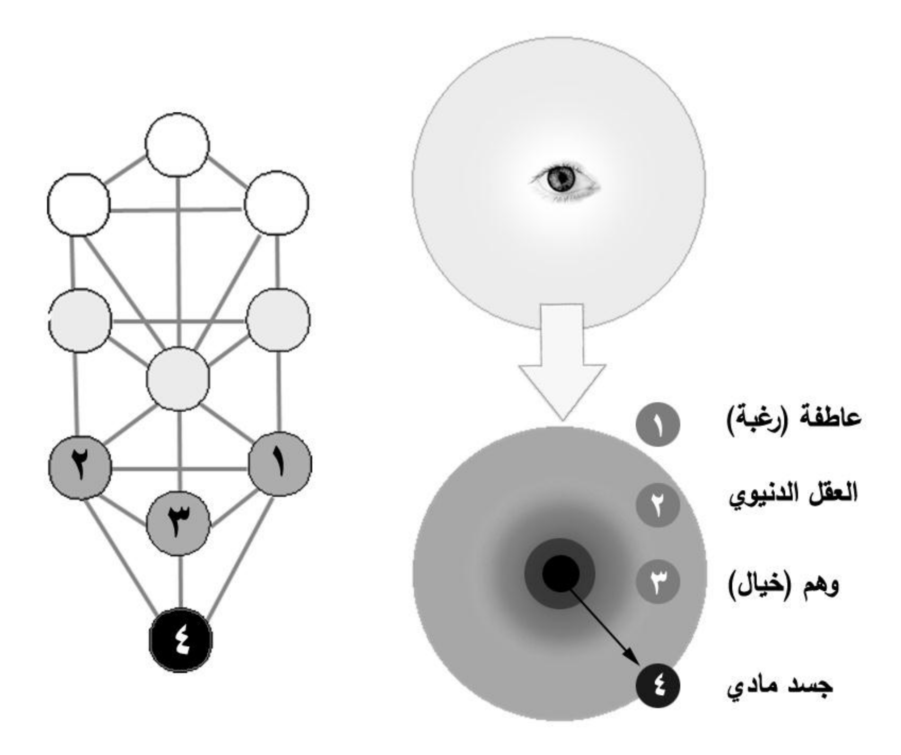
بطريقته الخاصة وليس وفق رغباتنا الخاصة. مهما بدا لنا الأمر غير ذلك إلا أن تجلي هذا الخير يكون لصالحنا في جميع الأحوال. علينا أن نحاول دائماً وأبداً السماح لتلك القوانين الطبيعية أن تتجلى بطريقتها الخاصة في حياتنا. أما كيفية التصرف حيال ذلك فهو أمر بسيط، علينا فقط أن نكون منضبطين، علينا معرفة ماذا نفعل، وعلينا تحضير أنفسنا لإطاعة قوانين لازلنا اليوم نتجاهلها بالكامل. أحد الحلول لهذه المشكلة هو اكتساب معرفة سليمة عن حقيقة الحياة البشرية، عن مساوئها الفعلية وحسناتها الفعلية، عن مكامن عجزها وقوتها. وجب معرفة المزيد عن الكائن البشري، ماذا يستطيع فعله وماذا يعجز عن فعله. علينا الفهم بشكل جيد تركيبة جسده المادي وعلاقتها بمنظومة الوعي لديه وكذلك امتداده الباطني العظيم. نحن بحاجة إلى اكتشاف المكونات الفعلية لما هو طبيعي، وأقصد ما هو طبيعي ذلك الذي يتعلق بالجانب الباطني (الجانب السماوي) للإنسان وليس ما هو طبيعي المتعلق بالجانب غير الحقيقي للإنسان الدنيوي.

إذا استطعنا اكتشاف النمط الأساسي لما هو الأفضل لنا، نستطيع بعدها البناء على النتيجة بشكل سليم. الكثير من الناس يقولون بأنهم حاولوا العيش وفق ما ظنوه الأفضل بالنسبة لهم، لكن هذا الأفضل إذا لم يكن جيّد بما يكفي لتوفير البقاء بشكل سليم في هذا العالم لا يمكننا الأخذ بمزاعمهم جدياً. ما وجب اعتباره الأفضل هو ذلك الذي يكون الأقرب إلى الواقع الحقيقي، وليس ذلك الذي يكون أقرب إلى إشباع الأنا ورغباتها الدنيوية. علينا أن ندرك جيداً بأن ذلك الذي هو أفضل للجميع هو أيضاً الأفضل لنا، وأننا لم نعد مجرّد كيانات منفصلة تصارع من أجل البقاء مثل مجموعة حشرات طائفة في حوض ماء. نحن أكثر من ذلك بكثير، نحن كائنات نعيش معاً ونشهد على ملايين السنوات من التطور والارتقاء. نحن كائنات رائعة جداً بحيث عجز أعظم العلماء عن فهم تركيبة وآلية عمل أجسادنا المذهلة. الإجراءات الذهنية لمنظومتنا العقلية هي هائلة جداً بحيث بقيت غوامض وألغاز عصية عن الفهم والاستيعاب حيث عجزوا عن وضع حدود لهذه المنظومة العقلية العظيمة.

كما تعرفنا في هذا الكتاب، وضع الحكماء الأوائل مخطط عام لتركيبة الإنسان وتشمل جانبه الدنيوي والعلوي (الظاهري والباطني)، ونحن كبشر عاديين لازلنا عالقين في شباك الجانب الدنيوي وغارقين في أوهامه لدرجة أننا لم نفطن يوماً إلى وجود جانب باطني لدينا، وهذا الجانب الأخير هو الأهم لأنه الحقيقي. لكن من أجل إدراك هذا الجانب السماوي الساحر أو الإفادة من بعض حسناته المبهجة علينا أولاً إجراء تغييرات جذرية في جانبنا الدنيوي بهدف توفير الظروف المناسبة لتجلّي

تلك القوة المنبعثة من الجانب الباطني التي يسمونها النور السماوي أو النفحة الإلهية أو إشعاع الشمس المركزية أو المخلّص كما تسميه معظم الأديان.

من أجل التعامل مع الجانب الدنيوي بشكل سليم خلال معالجته وتوفير الظروف المناسبة لتجلّى النور السماوي، علينا أولاً معرفة واستيعاب المكونات التي يتألف منها هذا الجانب الدنيوي والتي تتطلب المعالجة، وهي: [١] الجسد المادي، ويقع وفق المخطط في مركز دائرة تتألف من ثلاثة مكونات متدرّجة تبدأ من [٢] العاطفة (الرغبة)، ثم [٣] العقل الدنيوي، ثم [٤] الخيال (الواقع الوهمي الذي نعيشه في العالم الدنيوي) وهذا القسم الأخير يمثل فكرة يفهمها معظم الناس بشكل خاطئ لكن الأمر سيتوضح جيداً لاحقاً.



المكونات التي يتألف منها الجانب الدنيوي للإنسان. المكونات المرقمة في كل من الفقاعة الدنيوية ومخطط شجرة الحياة هي بطريقة متوافقة مع سياق الشرح السابق بينما الأرقام الحقيقية لمكونات الفقاعة الدنيوية وكذلك مقامات شجرة الحياة هي: المقام [٧] يمثل العاطفة، والمقام [٨] يمثل العقل الدنيوي، ومقالم [٩] يمثل الخيال، والمقام [١٠] يمثل الجسد المادي.

الجسد

(المقام العاشر في شجرة الحياة)

أجسادنا تمثل أعجوبة فعلية بحيث يعجز الإنسان محاكاتها ميكانيكياً أو إلكترونياً. هذه الأجسام تعتمد في بقاءها على معجزات فعلية تتحقق بالآلاف كل يوم. هذه الأجسام تتحرّك وتنشط وتحيا بفعل قوى وطاقات لا زلنا عاجزين عن استكشافها أو تحديد مصادرها أو حتى تعريف هويتها. ويمكن لهذه الأجسام أن تخدمنا جيداً وبكفاءة عالية إذا آمنا بتلك القوى والطاقات واعتمدنا عليها واحترمنا القوانين التي تحكمها. وطبعاً فإن الالتزام بتلك القوانين يعني الالتزام بحياة هادئة ومتأملة، والحياة الهادئة المتأملة تبدأ عبر إلغاء كافة الأشياء التي تسبب الإسراف والخسارة في كياننا. وهذه الخسارة متعلقة مباشرة بالمبالغة في إجهاد الوظائف الجسدية والعقلية. بالتالي مثلاً ليس من المناسب أن يبالغ الفرد في التمارين الجسدية لأنه بذلك يسرف كمية كبيرة من الطاقة. وجب أن يكون التمرين الجسدي معتدل وسليم. أما المبالغة في الممارسة الجنسية أو الشراهة في تناول الطعام فهذه تعتبر بين المشاكل الأساسية التي تسيء للمنظومة الجسدية. كافة الوظائف الجسدية وجب أن يكون استخدامها معتدلاً ويفضّل أن تستخدم بطريقة فنية. الجسم البشري يمثل شيء رائع بالفعل، خصوصاً بالنسبة للفنان الذي يعرف كيف يستخدمه. الجسد هو شيء بحاجة إلى كمية هائلة من المعرفة الفنية الجمالية. هذا بالإضافة إلى توفير أكثر الحمايات الممكنة والمحببة لكافة الوظائف الجسدية المختلفة. إذا كان الجسد مرتاحاً بحيث لم ينهك بإجهادات مبالغ بها، يمكنه في أي حالة طارئة أن يلبي صاحبه ويؤازره. الجسد الذي تم العناية به بشكل سليم يصبح مساعداً قوياً وكفؤاً في فترات الشدائد. بينما الجسد الذي أنهكته الاستخدامات المبالغ بها لا يمكن أن يكون له أي فائدة لصاحبه بأي حال من الأحوال.

العاطفة

(المقام السابع في شجرة الحياة)

صحيح أن الطاقة العاطفية هي أكثر رهفة من الطاقة الجسدية بحيث لا يمكن إدراكها أو لمسها لكنها تسيطر على الكيان الجسدي، وبالتالي يحدد مستوى صحة ودرجة إجهاد الجسد بناء على مدى سطوة العاطفة على المجريات الجسدية بحيث تستعبد الجسد بهدف تحقيق غاياتها ورغباتها المختلفة وحينها تعتبر دكتاتوراً أو طاغية مستبد لا بد من أن يؤدي طغيانه على الجسد إلى إنهاك الجسد

وتفكيك أواصره الوظيفية. بعد دراسة الطبيعة العاطفية نجد نوعين مختلفين للعاطفة: تلك الطبيعة التي تنعش الجسد، وتلك الطبيعة التي تنهك الجسد. كل ما هو أناني وطامع وشهواني ونهِم وغير منطقي وغير عادل وغير متوازن وإلى آخره.. هو عبارة عن سوء استخدام للطاقة العاطفية. بينما حب الجمال والكرم وحب الصداقة والمودة والتعاون والألفة وغيرها من سمات تعتبر فضائل عاطفية، وهذه الفضائل تحمي الجسد لأن الجانب المسيطر على الجسد يبعث طاقة محسّنة وبناءة للجانب الجسدي وليس طاقة استبدادية مدمّرة. لهذا السبب توصي التعاليم الباطنية دائماً (المدارس التأملية عموماً مثل اليوغا أو الزن) بالاسترخاء التدريجي للإجهاد على المستوى العاطفي. يمكننا محاربة الإجهاد العاطفي وقمعه عنوة عبر إجهاد عاطفي مضاد، أي عبر الالتزام بمنهج انضباطي صارم يجعلك تخضعه بالقوة كما يفعل مدرّب الحيوانات، لكن هذا لن يؤدي إلى نتيجة مجدية وفعالة بل يؤدي إلى إسراف الكثير من الطاقة وكذلك المزيد من الإجهاد العاطفي. العلاج الشافي لهذه المسألة هو الإجتهاد نحو خلق حالة من السكون إلى أقصى الحدود وبالتالي لم تحتاج إلى صرف أي كمية من الطاقة. فقط الاسترخاء بعيداً عن الضغوطات بكل أنواعها. هذا لا يعني بأي حال من الأحوال أن نهمل واجباتنا اليومية في الحياة، أو الاستغناء عن أي من التزاماتنا العاطفية السليمة، بل فقط العمل على عدم صرف أي طاقة عاطفية على أي من عاداتنا السلبية التي تسيطر علينا عموماً وتنهك أجسادنا (كالتدخين أو الإفراط في الطعام والممارسة الجنسية مثلاً). كافة العادات السلبية لها تأثيرات تدميرية على الجسد. لهذا السبب وجب علينا دائماً محاولة إخضاع طبيعتنا العاطفية تحت السيطرة العقلانية. مجرّد أن بدأنا السيطرة عليها نجد هذه الطبيعة العاطفية محببة وأليفة. فمثلاً نكتشف أنه من الأفضل أن نكون سعداء بدلاً من التعاسة الدائمة. وأن المسامحة تزيل عن كاهلنا الكثير من الأثقال بعكس حالة الحقد الذي يثقل النفس. إذا ألغينا ذلك الميل الدائم إلى تأنيب الذات ورثاء الذات نجد بروز شعور جديد بالرضى والاكتفاء في طبيعتنا. وكل هذه الإجراءات تجعل حياة الفرد أكثر استقراراً وهدوءً. هذه الحالة تقدم لنا المزيد من الأمان والمزيد من الأصدقاء المفيدين، وتجعلنا محبين للحياة ومحسنين بطبيعتنا، وكذلك تجعلنا أكثر قبولاً في حياة المحيطين بنا.

لهذا السبب وجب مراقبة النوازع العاطفية لدينا. أي في كل مرّة نتعرض فيها لأي تحفيز أو استثارة عاطفية علينا اللجوء إلى حالة سكون تام. علينا أن نكون هادئين بأقصى درجة ممكنة. إلى أن يمرّ هذا المحفّز دون أن يستثير عاطفتنا (الغضب). هذه العملية تتطلب الكثير من التدريب لكن لا بد من أن يصل الفرد في النهاية إلى نتيجة مجدية. بدلاً من كبت هذه المحفزات العاطفية وجمعها ومراكمتها وخلطها مع الخيال الذي يضيف إليها المزيد من العوامل المحفّزة الإضافية مما يؤدي إلى

حالة عاطفية متطرفة أو متفجّرة، كل ما عليك فعله هو السكون مع محاولة التعرف على الخير الكامن في هذه الحالة التي تتعرض لها. مثلاً، إذا قام أحدهم باستثارتك عبر مضايقتك أو إغضابك أو إزعاجك بأي حالة من الأحوال كل ما عليك فعله هو الهدوء للحظات واعلم أن هذه فرصة كبيرة لأن تختبر نفسك عبر عدم الاستثارة والبقاء ساكناً. وعندما تنجح في استغلال هذه الفرصة بطريقة سليمة تكون قد اكتسبت درساً جديداً تعلمت من خلاله كيف تضبط نفسك. مهما حصل معك بحيث يجعلك مستثاراً أو منزعجاً عليك أن تعلم أن هذا مجرّد اختبار، وهو مشابه تماماً لتلك الاختبارات التي كانت تجرى في صالات المدارس السرية التي كانت تخرّج أسياد البشرية في العالم القديم، وإذا استطعت اجتياز هذا الاختبار بنجاح تكون قد ارتقيت درجة للأعلى نحو الانسان النموذجي الأصيل.

هكذا تكون العوامل العاطفية التي يمكنها أن تحمي الجسد المادي أو تدميره تماماً، والاختيار يعود لك في النهاية. والآن جاء دور العقل الدنيوي، وهنا نحن أمام عنصر محيّر وزئبقي بشكل كبير.

العقل الدنيوي

(المقام الثامن في شجرة الحياة)

العقل الدنيوي يمثل مركز لتبرير رغبات النفس الدنيوية. العقل الدنيوي يقول لنا دائماً بأننا على حق، إن كنا كذلك أو غير ذلك. وظيفته هي تبرير كامل أفعالنا إن كانت صح أو خطأ. كما أنه يقنعنا بأننا نستحق أي شيء نرغبه أو نريده وهذا أيضاً غير صحيح. العقل الدنيوي يقنعنا بأننا نعيش في عصر من السعادة والمرح لكنه كاذب ومخادع لأنه في الحقيقة القليل من الناس يعيشون بسعادة ومرح. يقول لنا بأنه علينا الحصول على أي شيء نريده لكن هذه مجرّد مبالغة نابعة من رغباتنا الدنيوية غير المنضبطة. نحن في حالة دائمة من طلب المزيد، وكلما حصلنا على المزيد نطلب أكثر وأكثر، وتستمر هذه الحالة من الرغبة والسعي للحصول والمراكمة والتجميع إلى أن يأتي الوقت الذي نغادر فيه هذه الدنيا ونترك كل شيء وراءنا. العقل الدنيوي هو مجرّد خادم لرغباتنا ومتعتنا. يستطيع إيجاد طرق ووسائل مختلفة لتبرير أي رغبة تولد في نفسنا. هو يدفعنا إلى الاقتناع بأن ما نرغبه هو حاجة ضرورية لنا. هو يساعدنا دائماً على تكوين صور مزورة عن بيئتنا وعلاقاتنا مع باقي الناس.

هذا العقل الدنيوي كسول بحيث القليل من العقول الدنيوية ترغب في التفكير بشكل مجدي وفعال. العقل الدنيوي يرغب في التمحور حول قناعة معيّنة والجمود عندها. يرغب في دعم ميل عاطفي معيّن والثبات عليه. هو يرغب في إقناع صاحبه دائماً بأن ما تطلبه الرغبة هو ضروري ومفيد رغم أن هذا غير صحيح، لكنه يسعى في جميع الأحوال إلى إقناع الفرد بوجوب تحقيق كل ما تطلبه الرغبة والعاطفة. هنا تكمن مشكلة العقل الدنيوي والتي إذا تفاقمت سوف تؤدي بالفرد إلى مصير بائس ملؤه المشاكل المستعصية وانعدام كامل للاستقرار النفسي والفكري وأخيراً الصحي.

كل هذه الأمور وجب أخذها بعين الاعتبار، رغم أن العقل الدنيوي بطبيعته ليس سيئاً بهذه الدرجة. هو سلبي فقط لأنه متروك ليعمل تلقائياً دون ضبط وسيطرة من قبلنا. عندما يترك العقل الدنيوي لوحده يكون خاضع دائماً للعاطفة والرغبة، وإذا كانت هذه العناصر الأخيرة غير منضبطة أيضاً لا بد من أن ينتج الكثير من المشاكل. الأمر المهم الذي وجب معرفته بخصوص هذا العقل الدنيوي هو أنه يمثل طاقة قائمة بذاتها، وهي طاقة هائلة جداً. في الحقيقة نحن نستنزف كمية من الطاقة العقلية بحيث تفوق الطاقات الأخرى بكثير، لأنه متما استخدمنا قوة عقلية معيّنة أو ملكة ذهنية معينة دون تدريبها وتهذيبها أو دون فهم ماذا نفعل خلال استخدامها نكون بذلك قد استنزفنا قوة تلك الملكة الذهنية دون جدوى فتذهب هباء.

وجب العلم بأن العقل الدنيوي بطبيعته الفطرية غير المهذبة هو الذي يعمل اليوم في هذا العصر الحديث خلف كافة نشاطاتنا. هو الذي يعمل في مجال السياسة والاقتصاد والعلم وكافة المشاريع العملاقة التي حققها الإنسان، وهي في الحقيقة لا تعني شيء ذو أهمية، خصوصاً من الناحية الروحية. لقد بنى لنا العقل الدنيوي عالم غريب ولا تبلغ أهميته أكثر من قلعة رملية بناها أحد الأطفال على شاطئ البحر. العقل الدنيوي الذي يحكمنا اليوم ليس مناسباً للإنسان البالغ، لكنه يمكن أن يكون مناسباً لطفل بعمر ثمان سنوات. هذا العقل غير راشد ولا يناسب الراشدين إطلاقاً. هو في الحقيقة غير مناسب إطلاقاً لمتطلبات هذا الزمن الموبوء بكل أنواع المشكال والكوارث التي يمكننا تخيلها. لهذا وجب منح هذا العقل المزيد من الوقت للهدوء والسكون، والسعي إلى تحريره من ضغوط العاطفة أو التوترات العصبية المستمرة للجسد. العقل في الحقيقة يمكن اعتباره معلّم لطيف، هو الحكيم العجوز لو عرفنا كيف نتعامل معه. لكنه يبقى في حالته الطبيعية كائن محافظ يسعى دائماً إلى تبرير كل ما نرغبه من حاجات. هو في حالة تحفيز دائم لأسوأ جوانب طبيعتنا الدنيوية.

الأمر الآخر الذي يستطيع العقل الدنيوي فعله هو العمل على استبدال التفكير البديهي بالعلم المنهجي وهما ليسا متشابهين كما يظن الكثيرون. العقل الدنيوي مثلاً خلق لنا علم منهجي (الذي نتعلمه في المدارس) وهذا العلم المنهجي هو مجرّد فرع من المعرفة الإنسانية وهدفه هو إطلاعنا عن كل شيء باستثناء ما نريد معرفته فعلاً! وهنا تكمن المشكلة. نحن ننخرط منذ طفولتنا في مدارس هذا العلم المنهجي وننهل من مواضيعه وعلومه حتى الإشباع، ونصبح أساتذة مرموقين ونقوم بتأليف الكتب حول مواضيع اختصاصنا ونحصل في النهاية على سمعة أكاديمية جيدة، لكن في نهاية الأمر بعد أن نصبح في خريف عمرنا نعود إلى المربع الأول في مستوى معرفتنا وكأن شيئاً لم يكن. القيم الحقيقية والدروس العظمى وخفايا الوجود التي تعتبر المواضيع الأساسية للحاجات الإنسانية ليس لها وجود إطلاقاً في قواميس العلم المنهجي الذي صنعه العقل الدنيوي.

لهذا السبب يصبح الفرد الذي نهل من العلم المنهجي محبوساً في كون فكري صغير خلقه تفكيره المحدود الذي يهدف بمعظمه إلى تلبية غرائزه وميوله الدنيوية. نحن نعمل ضمن نطاق عالم فكري مهما بدى كبيراً إلا أنه يبقى محدود، ونحن مندهشين بشكل كبير بهذا العالم الفكري لدرجة أننا نظن بأنه سيجلب لنا الخير الكبير، لكن هذا مجرّد وهم. نحن محبوسون ضمن نطاق فكري محدد. نحن نبرر أفكارنا دون فهمها بالكامل ونستمر بالتفكير وفق نمطها المحدود دون أي اعتبار للكون الحقيقي الذي نعيش في رحابه. لقد تم الافتراض بأن الكون هو كما نريده أن يكون. وإذا لم يكن كما نريده فسوف نجعله كما نريده إذا اجتهدنا بما يكفي لتحقيق الأمر. لكن هذا مجرّد وهم كبير، إذ لا يمكن لهذه الغاية أن تتحقق مهما طال الزمن حتى بعد انقراض عرقنا. لا نستطيع الهروب من حتميات المجريات الكونية. ليس هناك عمل فكري أكثر جدوى من التوصل إلى أساسيات الحقيقة الكونية. لا شيء آخر يخدم غايتنا. لا شيء آخر يمكنه مساعدتنا أكثر من هذا الإنجاز.

الواقع الوهمي

(المقام التاسع في شجرة الحياة)

تعرفنا في الجزء الثاني من هذه المجموعة على حقائق كثيرة سلم بها العلماء بحيث تفيدنا في الموضوع الحالي، وخصوصاً في شرح وتوضيح موضوع الواقع الوهمي الذي قصده الحكماء القدامى وهو السمة التي لزموها بالمقام التاسع في شجرة الحياة. لقد أجمع علماء الفيزياء الكمومية ومناصري

نظرية الهولوغرام على أن الكون بكامله هو مجرّد "فكرة"، والواقع موجود في ما نفكر به فقط. الواقع هو بقسمه الأكبر ناتج من الخيال ولدينا القدرة على تغيير العالم المحيط بنا بطرق جذرية تماماً.

الواقع، بكل ما يظهره من صلابة حقيقية هو مجرّد هولوغرام. الكون هو عبارة عن "هولوغرام"، وبالتالي وجب أن ننظر إلى كل الأشياء التي تبدو ثابتة وأزلية، مثل قوانين الفيزياء ومادة المجرّات، على أنها مجالات واقع، خداع بصري، وهم، ليس أكثر أو أقل حقيقةً من التجليات المُدركة في حلم كبير يتقاسمه الجميع. كافة الأشياء الثابتة، الدائمة، الأزلية، الراسخة.. وجب النظر إليها على أنها أوهام. فقط الوعي هو أزلي، الوعي الذي يتمتع به هذا الكون الحيّ. الواقع هو عبارة عن غيمة مركبة شديدة المرونة والتكيّف بفعل السيطرة الخفية للوعي.

كم هو عامل "الاعتقاد" حاسم وأساسي في تشكيل العالم الذي نراه، ليس فقط نفسياً بل فعلياً على أرض الواقع! تذكروا أننا كائنات جبارة.. نستطيع تغيير الواقع وقولبته لكي يتوافق مع معتقداتنا.

السرّ إذاً يكمن في الاعتقاد العام، "المنطق المألوف"، أو غيرها من تسميات تشير إلى تلك العوامل التي تساهم في تشكيل "مجال واقع" خاص لدى كل مجموعة بشرية وتعيشه فعلياً على أرض الواقع. هذا يجعلنا نستنتج بأن المرض مثلاً هو عبارة عن مسرحية ذهنية نقوم بتفعيلها في عقولنا بحيث تتجلى فعلياً فتصبح حقيقة واقعية... كامل حياتنا هي مسرحية ذهنية تعمل بنفس المبدأ.

يوجد أسطورة تمحورت حول مدينة شرقية قديمة. خرج منها رجل حكيم قاصداً مقابلة وباء الطاعون الذي كان يهدد باجتياح المدينة. صوروا هذا الطاعون بأنه كائن عملاق وجبار وقوي. طلب الحكيم من الوباء المارد أن يصنع معروفاً، توسل إليه بأنه إذا اجتاح المدينة أن لا يحصد أرواح الجميع، بل فقط واحد بين كل مئة فرد. وبالتالي يكون قد أخذ مئة فرد من المدينة ويعفو عن باقي الناس. رد عليه الوباء المارد قائلاً أن هذا طلب معقول ويمكن تلبيته.. وأضاف: ".. بالله العظيم سوف ألتزم بوعدي.. سوف آخذ واحد فقط من بين كل مئة فرد، وأترك الباقي يعيشون..". لكن عندما اجتاح الوباء المدينة مات جميع سكانها. فعاد الرجل الحكيم إلى الوباء وسأله معاتباً لماذا كسرت وعدك؟ أجابه الوباء أنا لم أكسر وعدي إطلاقاً.. لقد اكتفيت بواحد فقط بين كل مئة، لكن الباقي ماتوا من الخوف!

هذه قصة شعبية قديمة لكنها تخفي حكمة عظيمة. في فترة القلق والحصر النفسي وجب أن نحذر من الموت بفعل هذه الحالة التي تصيبنا بدلاً من التمتع بالأمل بوجود طرق كثيرة للنجاة من مأساتنا. المسألة الأهم التي وجب أخذها باهتمام هي: إذا كانت الحياة الداخلية لدينا ساكنة وهادئة فسوف تكون الإمكانيات أكبر لتحقيق حالة الأمان التي نتوق لها.

قرأت عن ممرضة في إحدى الدول الغربية وقد عملت لعدة سنوات في إحدى مخيمات المصابين بمرض الجذام (وهو داء بكتيري معدي) ورغم اتصالها المباشر مع المرضى بشكل يومي إلا أنها لم تصب بالمرض. فسألها أحدهم ما هو السبب الذي جعلك لا تصابين بالمرض إطلاقاً رغم أن الآخرون من زملائك أصيبوا به، قالت أن الأمر بسيط جداً، جعلته واضحاً لله [تعالى] بأنني أقوم بالوظيفة الأفضل بالنسبة له، وأن ما أراده سيكون وسأتقبله بكل صدر رحب، إذا أرادني أن أصاب بالجذام فليكن كذلك، وإذا لم يرد ذلك فسوف لن أصاب أبداً، لكن في جميع الأحوال سوف أخدمه عبر القيام بهذه الوظيفة الإنسانية. بهذه العقلية الإيمانية لم تصاب المرأة أبداً بذلك الداء الخطير. بينما الآخرون الذين عملوا بنفس المخيّم أصيبوا به. يبدو أن هناك سلامة هائلة عبر الالتزام بقناعة معيّنة خصوصاً إذا كانت هذه القناعة مرتبطة بالعقيدة. يبدو أن المعتقد مهم جداً في خلق الظروف المناسبة للفرد، وقد تحدثت عن هذا الموضوع بإسهاب في الجزء الثاني من هذه المجموعة. لكن هنا تتوضح الفكرة أكثر ولو بصيغة مختلفة. إنه من المهم جداً معرفة أن قدرة الفرد على الخلاص من أقسى الظروف وأخطرها مرتبطة بشكل وثيق بمدى استقرار عالمه الداخلي. هذا العالم الداخلي الذي وجب أن لا يبالغ في الانجراف مع القلق والخوف الذي رغم أنه مجرّد وهم إلا أن له تأثير سلبي كبير على حياة الفرد.

هناك قصة تعود إلى القرن السابع عشر عندما ضرب الطاعون مدينة لندن. كان الموت متربصاً بالناس في كل شارع. كان دفن جثث الموتى يمثل مشكلة كبيرة بسبب الأعداد الهائلة للضحايا. أحد الأفراد المصابين بالمرض أصبح هستيرياً جداً حيث سيطر عليه الرعب الشديد فراح يركض كالمجنون عبر شوارع المدينة ثم قفز إلى نهر الثيمز. لكن ما أن غاص في الماء اختفى المرض تماماً من كيانه، فخرج من النهر سليماً معافى! فسألوه ما السبب الغامض وراء هذا الشفاء العجيب؟ فأجاب بأنه لا يعلم تحديداً لكنه يعتقد بأن الخوف من الغرق في النهر طغى على خوفه من المرض!

في معظم الأحيان تكون المشاكل التي نعاني منها، إن كانت جسدية أو نفسية أو عقلية.. إلى آخره، تكون هذه المشاكل وهمية بالغنا في تخيّلها وتجاوبت معها ردود أفعالنا العكسية وكأنها تجسّدت بشكل فعلي، فنموت من هذه الحالات الوهمية التي هي خيالية أصلاً. هناك الكثير من الحالات التي حصل فيها أمور عجيبة كنتيجة لتكثيف الخيال إلى درجة التجسيد الفعلي. هذا بالضبط ما يحصل في المقامات المقدسة حيث تتم حالات شفاء عجيبة، مثل موقع لوردز في فرنسا. ليس الجميع يشفون من حالاتهم المرضية، لكن بعض الأشخاص الذين يتمتعون بدرجة كبيرة من الإيمان، درجة إيمان تكون أعلى من درجة الخوف من المرض، يشفون تماماً من أمراضهم. بنفس سرعة الفرد الذي قفز في نهر الثيمز والذي شفي من الطاعون.

الخوف يعتبر العاطفة المميتة والأكثر خطراً في الحياة. هو لا يؤثر على كياننا الجسدي فحسب بل على علاقتنا مع المجتمع أيضاً. يؤثر على وظائفنا في العمل. له أثر تدميري على الحياة الأسرية إذ يدمر العلاقة بين الأهل والأبناء. في أي زاوية من زوايا الحياة، الخوف يؤدي إلى الرهاب والذعر وهذا بالتالي يؤدي إلى الدمار. لهذا السبب وجب أن نعلم بانه في حالات المشاكل والكوارث بأنواعها علينا أن نحرص على عدم الخوف.

عالمنا الداخلي يتألف من مجموعة واسعة ومتداخلة من القوى والطاقات المختلفة. طالما بقيت هذه الطاقات الداخلية في حالة توازن وسلام سوف تكون الصحة بأفضل حالاتها. وجب العلم بأن كافة الأمراض التي يمكنها أن تصيب الفرد هي عبارة عن خلل في مسار أو عمل تلك الطاقات الحيوية الداخلية. حتى الحالات النفسية، مثل عدم السعادة، هي نتيجة خلل في مجرى الطاقات الداخلية، ومن ناحية أخرى، فإن هذا الخلل في توازن الطاقات قد يكون سببه نفسي أيضاً مثل العناد أو التعصب أو سوء التفكير أو التشبث في الرأي مما يؤدي إلى حالة انسداد في مجرى الطاقة. أهم العوامل النفسية المؤذية هي الخوف. على الفرد أن يلغي الخوف كلياً من حياته مهما كانت هذه الحياة موبوءة بالأمور المخيفة. إن أكبر حماية له في هذه الحالات هي قدرته على ضبط عواطفه ومخاوفه ورهابه وغيرها من حالات تجعله عديم الاستقرار مما يؤدي إلى خلل في توازن الطاقات النشطة بداخله.

في الأزمنة القديمة كان معروفاً جيداً أن الإيمان هو الدواء الناجع لحالات الخوف. كان لدى الفرد إيمان داخلي راسخ بوجود قوة عظيمة تقبع ما وراء كيانه. مجرّد أن احتل الإيمان مكان الخوف

تتجلى المعجزات بكل تأكيد. أهمها وأكثرها شيوعاً هي المعجزات العلاجية. في كل مكان يصبح الإيمان قوة هائلة وهي قوة خلاص من المحن الطارئة. وفق هذا المفهوم يمكن اعتبار الإيمان طاقة مهمة جداً.

نحن نعيش في عالم متحوّل يستجيب مع معتقداتنا. كل من يستوعب جيداً هذه الفكرة المذهلة يستطيع فعل الكثير في حياته لو أراد ذلك. يمكنه إعادة برمجة كامل منظومته الاعتقادية الراسخة في عقله الباطن وبالتالي يمكنه خلق عالم جديد مختلف تماماً. هنا تدخل أهمية الإيمان في المعادلة. الإيمان بوجود كائن ماورائي يحميك من شرور هذا العالم هو أمر جذري وحاسم في حياتك، لكن وجب فهم هذه المعادلة جيداً قبل أن تصنع لنفسك وهم جديد يسيطر على تفكيرك بحيث تعيش وتتصرف كالأحمق. هذا هو دور المقام التاسع في منظومة شجرة الحياة، هذا هو اللاوعي الذي تحدث عنه علم النفس العصري، ومن عرف كيف يتعامل مع هذا الجانب من كيانه سوف يتمكن من صنع المعجزات، وهذا ما سوف أتحدث عنه في الجزء التالي من هذه المجموعة وخلال الحديث عن الكاهونا وغيرهم من صانعي المعجزات.

آمن القدماء لسبب ما لا يستطيع الإنسان العصري فهمه اليوم، بأن كل المشاعر والعواطف والعقليات والمعتقدات والقناعات المختلفة هي كيانات مختلفة وليست مجرّد حالات ذهنية أو خواطر تنشأ في عقولنا. لهذا السبب خلقوا آلهة وشخوص خرافية تمثل كافة هذه الحالات العقلية المذكورة سابقاً. وهذه الآلهة أصبحت كائنات مستقلة يمكن استحضارها أو صرفها، وبهذه الطريقة أصبحت كافة العناصر العقلية الجيّدة تعتبر آلهة بينما العناصر العقلية المدمرة تعتبر شياطين شريرة. وفقاً للمعتقدات القديمة، متما حضرت العناصر المدمّرة (أي الشياطين) لا بد من أن يحضر المرض وحتى الطاعون بذاته! بينما عندما تحضر العناصر الخيّرة (أي الآلهة أو الملائكة) يسود السلام والمعافاة من أي مرض. ومع مرور الوقت أصبحت هذه الآلهة والشياطين تمثل كائنات حقيقية في المعتقد الشعبي وكانت تمثل السبب الرئيسي وراء الحالات الشريرة أو الخيرة التي تصيب الفرد أو المجتمع عموماً.

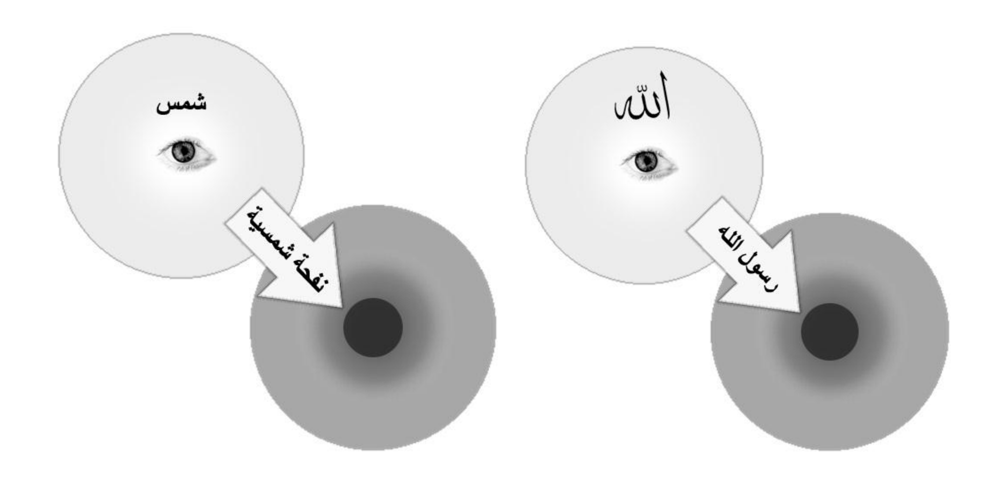
لكن في الحقيقة ليس هناك أي من تلك الكائنات الخرافية، إن كانت خيّرة أو شريرة، بل فقط كائن واحد لا غير، وهو الذي يتجلّى في كياننا عبر النفحة الإلهية. هذه النفحة التي تمثّل قوة هائلة للذات المركزية القابعة في الجانب الباطني من كياننا. هذه النفحة الإلهية هي المخلّص الحقيقي والفعلي.

ويمكنها تجسيد المعجزات في كياننا إذا سمحنا لها بالتجلّي فيه. لهذا السبب وجب علينا التعرف عليها والاعتراف بها والتعامل معها بطريقة سليمة.

النفحة الإلهية

(المخلّص)

النفحة الإلهية هي الطاقة الأقوى التي يمكننا اختبارها في كياننا. لقد تم وصف مدى قوتها في قصة بوذا عندما اختبر حالة التنور حيث انفتح الكون بكامله وكل العوالم والآلهة تدفقت نزولاً من مجرّة هائلة من الإشعاع الممتد من طرف الفضاء إلى الطرف الآخر. هكذا يكون تجلّي النفحة الإلهية في الإنسان بعد بلوغه التنوّر. بمعنى آخر، التنور هو هذا السمو في تجلّي الطاقة والذي يستلم زمام الأمور في حياتنا. لا نستطيع الجلوس منتظرين هذه الطاقة السامية للتجلّي هكذا لوحدها، بل هناك شروط لتجليها. علينا إدراك حقيقة أن النفحة الإلهية هي طاقة بحد ذاتها، وهذه الطاقة لها ميل إلى التحكم بسلوك الفرد الذي تجلت لديه. النفحة الإلهية هي قوة أخلاقية، يمكن اعتبارها الضمير إذا أردنا، هي بكل تأكيد ملاك حارس غامض، هي المخلّص، النفحة الشمسية هي ذاته رسول الله. هي شيء روحي خفي وغير ملموس لكن قوتها هائلة وهي أكثر قوة من أي شيء نعرفه في هذا العالم. هذه القوة الروحية تعمل على تعديل كامل القوى الناشطة في الجسد. بينما تكون وظائفنا العقلية والجسدية ناشطة بالطريقة العادية التي نألفها نجد أن النفحة الإلهية معزولة بالكامل عن كياننا الدنيوي ونحن في الحقيقة نبذل كل ما عندنا من مجهود للإبقاء على عزل هذه النفحة الإلهية ومنع أي من تأثيراتها للتدخل في سلوكنا اليومي. نحن اليوم لا نريد أن نخضع لسيطرة النفحة الإلهية! لأننا نعلم بأنها سوف تتدخل في طريقة عيشنا الملتوية حيث سوف تعمل على ضبط طموحنا وسباقنا المحموم للوصول إلى قمة المجد الدنيوي من غنى وسلطة ومراتب اجتماعية وغيرها من أشياء نعتبرها مهمة بالنسبة لنا. هي تتدخل أيضاً في كبح رغباتنا الدنيوية وحاجاتنا الغريزية المختلفة بالإضافة إلى منعنا عن تناول الكحول والمخدرات وغيرها من مسكرات ومواد مؤذية، أو منع أي نوع آخر من العادات السيئة. إذاً، بسبب ميولنا وتوجهاتنا الدنيوية الملتوية نحن لا نريد أن تتجلى النفحة الإلهية في كياننا وتستلم زمام الأمور. نحن نريد النفحة الإلهية أن تبقى ساكنة ومعزولة بحيث لا تتدخل في أي جانب من حياتنا. وبالتالي تبقى خاملة إلى نهاية حياتنا.



وردت ثنائية الشمس المركزية والنفحة الشمسية بأسماء ومصطلحات مختلفة في التعاليم والنصوص المنتشرة في كافة الحضارات وعبر كل الأزمان

إذا تمكنت النفحة الإلهية من قيادة الفرد وإدارة حياته فسوف يكون بأمان. سوف ينمو ويرتقى كما قدر له أصلاً. عندما يسيطر الأعلى على الأدنى حينها تتحقق المملكة الذهبية الإلهية التي تذكرها الأساطير دائماً، حيث لا يوجد استبداد ولا ظلم ولا قمع من قبل الرغبات الجامحة والتفكير الدنيوي المنحرف، كل جزء من كيان الفرد يكون محمياً وممنوح المصادر الكافية لأداءه السليم والمعافى.

قوة النفحة الإلهية تمنحنا استطاعة قوية للسلام. هي تمنحنا ذلك الشيء الذي يمكنا من تبيّن الأمور عبر السكون التام. هي التي تجعل الفرد مسالماً ومتفهماً بحيث لا يستخدم القوة أبداً أو بذل أي مجهود خلال سعيه في الحياة بحيث لا يكون مضغوطاً أو مرهقاً أو متوتراً بأي طريقة من الطرق. فيكون مسترخياً تماماً أمام الواقع وكل ما يجلبه له من مواقف وظروف. إذا استطاع اكتساب هذا التوجه في حياته، سوف تكون كامل طاقاته الداخلية بأفضل حالة من التوازن في علاقاتها التبادلية.

....

مبـدأ

اللّه ورسوله

(الشمس المركزية والنفحة الشمسية)

معظم المعتقدات القديمة سلمت بوجود كيان باطني وسيط يقبع بين العالم الروحي والعالم المادي. هذا الكيان الباطني يمثل خليط بين الروحي والمادي. يمثل جسر يربط بين الإنسان الطبيعي والإنسان الإلهي. يمثل وصلة بين السماء والأرض مشكلاً بذلك منظومة أساسية تعتمد عليها الخطة الإلهية. لهذا السبب تم الاهتمام بهذا الكيان الوسيط الذي أشاروا إليه بأسماء كثيرة مثل الروح أو النفس الخفية أو النفس العليا أو غيرها، لكنني استخدمت مصطلح "الذات" لتجنب أي خلط في المفاهيم. هي الشمس المركزية القابعة في الجانب الباطني والتي تنبعث منها "النفحة الإلهية" (أو النفحة الشمسية). بالنسبة للبعض، تعتبر هذه "الذات" نوع من الكيان المنفصل والذي يولد مع الإنسان لكنه لا يموت أبداً، حتى لو مات الإنسان جسدياً تبقى هذه "الذات" قائمة. لهذا يعتبرونها في الفلسفات الباطنية بأنها الفانية غير الفانية. لها بداية لكن ليس لها نهاية. وهذا الموضوع يصعب شرحه علمياً ولهذا السبب تخلى العلماء المنهجيين عن تناوله بدراستهم. لكن وفق بعض الفلسفات الدينية يوصفون الذات الباطنية بأنها عصا أحادية الأطراف. لها بداية لكن ليس لها نهاية. في التعاليم الصوفية المسيحية، تمثل "الذات" نوع من الجسم الروحي، وهو جسم سيدنا يسوع في الإنسان. هو تجلّي مبدأ المسيح المخلّص في طبيعة الإنسان الدنيوي. هذه "الذات" إذاً هي في حالة دائمة من السعي لتحقيق النمو الروحي للفرد. في مسيرة التطور لدى الإنسان تأتي فترة التحوّل بحيث تنتقل القيادة في الإنسان، والتي تقرر حياته ومصيره، من العقل الدنيوي إلى "الذات".

بالنسبة لمعظم الصوفيين، موقع "الذات" في جسم الانسان هو القلب. وفي معظم الفلسفات الدينية الشرقية يشيرون إلى مسيرة البحث عن الذات (الخلاص) باسم "عقيدة القلب". هو الانتصار التدريجي لقوة سامية متجاوزة لمنظومة الإنسان الدنيوية/المادية. النفحة الإلهية (الشمسية) التي تنبعث من "الذات" (الشمس المركزية) هي شيء يتجلى وينمو ويزدهر في الجانب الدنيوي للفرد. هذه النفحة الإلهية تتغذى على الفضائل المألوفة في الحياة. هذه النفحة تنمو وتزدهر إذا توفرت كامل العوامل والشروط المناسبة لها. تهذا المعنى تصبح أداة قياس. أي كما مقياس الحرارة. بحيث تكشف عن حالة الكيان الكلّي للإنسان. وفق التعاليم الصوفية المسيحية يشيرون إلى النفحة الإلهية باسم "عباءة الزواج" التي وجب على الفرد ارتداءها عندما يتوجه إلى الزواج مع الحمل الوديع. لهذا تعتبر

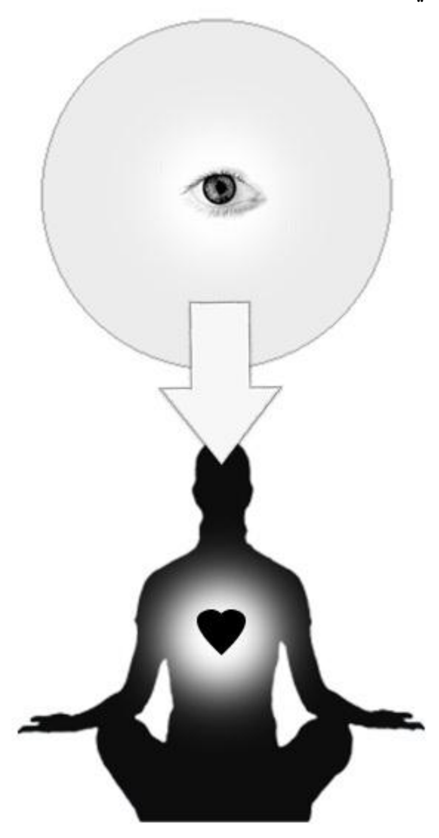
النفحة الإلهية جسم منفصل بحيث يتم تنميته بواسطة إجراء تغييرات في الشخصية والسلوك، فينمو ويتكشف تدريجياً عبر توالي الأجيال (الحيوات وفق مبدأ التقمّص)، حيث درجة الارتقاء التي وصل إليها في التجسيد الحالي تنتقل إلى التجسيد التالي دون تغيير. وهذا الجسم الإلهي في حالة دائمة من التجلّى والتكشّف عبر توالي الأجيال.

هو القوة الغامضة التي تنمو وتزدهر على فضائل الحياة وجمالياتها. هو يتغذى من خبرات الإنسان المتجلية بالتتابع دائماً وأبداً والتي تهدف إلى كشف أهمية الخير وجلالته في حياة الإنسان ومصيره. هذا الجسم الإلهي المتجلّي في العالم الدنيوي يعتبر مصدر الفنون كما حالة العقل الدنيوي الذي يمثل مصدر العلوم. كافة الأمور المادية سوف تخضع في النهاية لسيطرة القوة الإلهية المتنامية باستمرار في داخل الإنسان. كافة المعتقدات القديمة اجتمعت على حقيقة أن هذه النفحة الإلهية كانت أكثر قوة في الإنسان القديم بالمقارنة مع الإنسان العصري. هذا لأنه عبر العصور الماضية شهدت سيطرة تدريجية للعقل الدنيوي على كيان الفرد على حساب النفحة الإلهية، فزادت أنانية الفرد على حساب تفانيه. النفحة الإلهية ليست أنانية كالعقل الدنيوي بل جماعية في طبيعتها، أي هي عمومية أكثر من كونها خصوصية كالعقل الدنيوي.

قال الفلاسفة الإغريق بأن النفحة الإلهية وجب مساعدتها، إذ تعتبر طفل روحي صغير مولود في غابة الجسد المادي للإنسان والمحكوم بطبيعته الدنيوية، وهذه الغابة مليئة بالوحوش الضارية الممثلة بالشهوات والميول الغريزية للإنسان. وهذه النفحة الإلهية وجب تغذيتها ورعايتها وإرشادها وتحريرها. عندما أقول مساعدة النفحة الإلهية المتجلية في كياننا الدنيوي لا أقصد بذلك مساعدتها كمبدأ، إذ المبدأ الشمسي هو أسمى وأرقى من أي مساعدة منا ككائنات دنيوية، بل أقصد المساعدة على تحرير هذه النفحة المتجلية فينا عبر توفير الظروف المؤدية إلى نموها وازدهارها. النمو بالنسبة للنفحة الإلهية هو تحررها وتكشّفها التدريجي في الجانب الدنيوي. التجلّي التدريجي لما هو أفضل بالنسبة للإنسان.

تكريس النفس في سبيل النفحة الإلهية يمنحها دعم وتعزيز، حيث هي تتغذى على ما نعتبرها الفضيلة الإنسانية. كل فرد يغذي النفحة الإلهية لديه عبر وتكريس نفسه لهذا العمل. عبر التزامه بالمبادئ الأخلاقية المتعلقة بهذا الموضوع. عبر إدراكه لوحدة الحياة وجمال العيش وكل الأمور المتعلقة بهاذين المحورين. هذه النفحة الإلهية تبتهج بالفنون الراقية والموسيقى الجميلة، وأكثر من

ذلك كله فهي تبتهج بالفضائل العظمى. هذه النفحة الإلهية تتجلى بسرعة ويسر في أبسط الناس، لأنه متحرر جزئياً من الشباك الدنيوية المعقدة، فتجد سهولة في الازدهار بأفضل جوانب ذلك الفرد لتنطلق وتسود تدريجياً في باقي جوانبه الأخرى.



تبقى النفحة الإلهية في حالة دائمة من محاولة التجلّي في المستوى الدنيوي إلى أن يساعدها الفرد في توفير الشروط المناسبة لتحقيق هذا التجلّي

هذه النفحة الإلهية تمثل صلة وصل بين الإنسان الدنيوي وميوله الشخصية وبين المبدأ الكوني الأصيل الممثل للـ"ذات" (الشمس المركزية) التي تنبعث منها أصلاً. هي الزهرة المتفتحة في الجانب الدنيوي بينما جذورها تقبع في الجانب العلوي، هي الزهرة الحمراء التي تحدث عنها المتصوف الغربي وزهرة اللوتس في الفلسفات الشرقية. هذه الزهور ترمز إلى إطلاق ذلك الجانب من الإنسان والذي يعتبر أفضل جوانبه. لكن هذا عمل يتم انجازه تدريجياً عبر فترة مديدة وذلك من خلا التراكم التدريجي لما يمكن اعتبارها إنجازات بناءة. يتم إغناءها وتشريفها وتعظيمها وإطلاقها لكي تعبر عن

ذاتها، وذلك عبر مجهود الفرد خلال سعيه الدائم للنمو. هو في الحقيقة لا يزيد إليها أو يمنحها أي من سماتها السماوية الخاصة بل يغذيها ويرعاها فقط وهناك فرق بين الحالتين. الغذاء لا يخلق الجسم بل يزوده بمقومات بقاءه وعناصر نموه. وهذا ما يفعله الخير والفضيلة بالنفحة الإلهية في سبيل بقاءها ونموها. فهي تمنحها فرصة أكبر للتعبير عن ذاتها ومساحات أكبر للتجلّي والتوسع والازدهار.

لهذا السبب يعتبر إطلاق سبيل النفحة الإلهية في الجانب الدنيوي العمل العظيم بالنسبة للحكماء القدامى. هذا ما كان يهدف إليه علم الخيمياء في الغرب وكذلك علوم اليوغا الهندية. هذه العملية تهدف إلى إعادة البعث التدريجي للإنسان من داخله. لا يمكن لهذه العملية أن تتم سوى بهذه الطريقة، لأنه في داخل الإنسان نجد دائماً بذرة تجدده أو إعادة بعثه أو ولادته الجديدة. هذا المفهوم يكتسب المزيد من الشعبية اليوم، خصوصاً بعد أن بدأنا إدراك حقيقة أن العقل الدنيوي غير مجدي إطلاقاً عند استخدامه للخروج باستنتاجاتنا المصيرية المختلفة. فكرة أن العقل الدنيوي وحده قادر على تحقيق الغايات التي نرغبها هي فكرة غير سليمة وغير عقلانية أصلاً، حيث كافة خبراتنا العملية لم تبرر هذه الفكرة أبداً.

فكرة "الذات" كمبدأ وردت في أكثر من صيغة في الفلسفات القديمة لكنها جميعاً متشابهة وتؤدي إلى نفس النتيجة. في المدارس الأفلاطونية والسقراطية نجد الثالوث العظيم للقوة الإلهية مؤلف من الواحد والجميل والخيّر. الواحد هو الروح الإلهية الكامنة في الإنسان (الذات)، والخير يمثل السلوك والأخلاق وفعل تلك الحسنات التي تعتبر خيّرة، وأخيراً بين الواحد والخير نجد الجميل ويمثل العنصر الثاني (الابن) في الثالوث المقدس القديم، كما يمثل مبدأ المخلّص في التعاليم المسيحية. الجميل يمثّل وفق هذا مفهوم المحبة أيضاً، هو التمجيد لكل ما هو مثالي وبناء ونبيل في تركيبة الإنسان، هو انبعاث الإنسان الإلهي عبر الإنسان العادي، هو البعث عبر الشخصية العادية تلك التي تعتبر مركز التبجيل والتقديس التي تعتبر السمات الطبيعية في كافة المخلوقات.

بهذا المعنى تصبح النفحة الإلهية المخلّص الفردي لكل شخص تصحو بداخله. هذا الخلاص من الداخل كانت تمثل العقيدة المحورية لفلسفات الصوفيين القدامى. كانت النفحة الإلهية بالنسبة لهم عبارة عن بذرة صغيرة مزروعة في القلب، فتنمو مع الوقت لتتحول إلى شجرة كبيرة وكانت أغصانها تمثل الدواء الشافي لكل العلل. إن تجلّي النفحة الإلهية في الفرد تعتبر نوع من الولادة الثانية. قال

أحد المتصوفين بأن جسد الفرد مولود من الرحم بينما النفحة الإلهية مولودة من القلب. هذا هو أساس الضمير الذي يعتبر بالنسبة للمتصوف النفحة المقدسة بداخله وتكشف عن نفسها وتحثه على السلوك بطريقة متناغمة مع طبيعتها الخيّرة. النفحة الإلهية الحزينة هي تلك التي اعتدت عليها الطبيعة المادية الدنيوية وتركت فيها الكثير من الجروح. النفحة الإلهية تكون مجروحة نتيجة الشرور التي يقترفها الشخص. النفحة الإلهية تعاني من حزن كبير نتيجة أثقال الطبيعة التدميرية في شخصية الفرد. النفحة الإلهية تكون في حالة سعي دائم ومستمر لاعتراف الفرد بتلك الفضائل والقيم التي تجلب السلام والسعادة إلى حياته. لكن قبل حصول ذلك عليه التضحية بالكثير دنيوياً.

مع إلقاء نظرة على السلوك العام للناس، والمشاكل والصعوبات التي يواجهها كل فرد في حياته اليومية، نستنتج أن النمو الروحي هو الانتصار التدريجي لقوة الذات الباطنية على القوة الوحشية للأنا الدنيوية. الذات الباطنية هي القائد الذي يتولى القيادة بعد أن يدرك العقل الدنيوي عدم أهليته للقيادة. عندما نضع كامل حياتنا تحت قيادة العقل الدنيوي سوف نقع في مشاكل كثيرة. لكن من الناحية الأخرى، بعد تحرير العقل الدنيوي من قبل قوة الذات الباطنية سوف يتجدّد هذا العقل أو يولد من جديد، فيصبح أقوى الأدوات لفعل الخير يمكن للإنسان استخدامه في العالم الدنيوي.

إن تحوّل الفرد بالكامل هو عملية ثلاثية المراحل، أولاً، على الجسد أن يخضع لقوانين عقلانية ومستقيمة مع تلبية كافة حاجاته الأساسية. ثانياً، وجب تحويل العاطفة بعيداً عن الرغبات الشخصية ونحو التفاني والتعاطف الجماعي مع كل شيء حيّ. ثالثاً، وجب تحويل العقل الدنيوي بحيث لم يعد يعمل كأداة لإشباع الأنا وتمجيدها بل جعله كما خلق من أجله أصلاً وهو أداة إرشاد العالم أجمع والكشف عن الحكمة الإلهية وهي المعرفة النابعة مباشرة من الذات الباطنية. بالتالي فإن الذات الباطنية هي التي تحكم العقل الدنيوي وعندما يتم رفض هذا الحكم أو تشويهه تبدأ المشاكل المستعصية تتسرب إلى حياة الفرد.

الدين بصيغته الأصلية

لهذا السبب نجد أن الدين، بصيغته الأصيلة، يعتبر أعظم كيان معرفي يمكن للإنسان التعامل معه. إنها المعرفة الوحيدة التي يمكنها أن تخلق بداخلنا قوة حيوية هائلة. لكن للأسف الشديد، هذا الجسم المعرفي قد تعرض للانشطار والتبعثر والتشتت وليس هذا فحسب بل أصبحت أجزاءه المتناثرة تتناقض مع بعضها البعض وتحارب بعضها البعض. مجرّد أن تشتت الدين الأصيل إلى أجزاء

مبعثرة ومتناقضة ضاعت قيمته البناءة والشافية من كل العلل. لقد أصبح هذا التناحر الذي نشهده بين كافة أديان العالم يمثل خطر داهم على بقاء البشرية. كل من هذه الأديان تزعم بحوزتها على الحقيقة، لكن وجب العلم أن الحقيقة هي واحدة بينما الأضاليل هي كثيرة. وهذه الحقيقة غير موجودة في أي من تلك الأديان اليوم. يمكن لهذه الحقيقة أن تتجلى في حالة واحدة فقط، وهو عندما تعود هذه الأديان التي هي أصلاً أجزاء متناثرة لدين واحد أساسي فتندمج مرة أخرى لتشكّل ذلك الدين الأصيل، حينها تمثل الحقيقة الواضحة الجلية، تلك الطاقة الكونية الهائلة التي نسميها الله [تعالى]. هي الطاقة اللامحدودة التي تحكم وتسيّر كل شيء موجود. إذا قمنا بتفتيت هذه الطاقة وبدأنا نصنف: هذا ربي وذاك ربك، حينها نكون قد خلقنا مشكلة كبيرة وهي خطيرة جداً لو أنكم تعلمون. ما علينا فعله هو أن نرتقي إلى إدراك الصورة الكبرى بدلاً من التلهّي دون جدوى بالصور الصغرة المتبعثرة هنا وهناك. وجب التسليم بأن كافة الأديان تقبع في رحاب دين واحد أساسي. وهذا الدين الأساسي لا يمكنه أن ينقسم أو يتبعثر. كل تلك الانقسامات والتناقضات والتمايزات يعود سببها إلى العقل الدنيوي الذي يسيطر على تفكيرنا. هنا تكمن خطورة العقل الدنيوي بالنسبة لمعتقداتنا ومدى بعدها عن الدين الحقيقي. إحدى الغايات الأساسية للدين الحقيقي هو إخضاع العقل الدنيوي وتحويله، بينما الذي حصل عبر التاريخ هو العكس تماماً حيث تغلب العقل الدنيوي على الدين الحقيقي وأخضعه لرغباته الدنيوية المنحرفة.

إحياء النور الإلهي بداخلنا

بالعودة إلى موضوعنا الرئيسي، وفق التعاليم السرية، عبر المحافظة على السكون والهدوء الفكري وعبر الإلتزام والانضباط في سبيل إخضاع رغباتنا الدنيوية المختلفة (قتل التنين) وترويض الأنا الجامحة لدينا (قتل الأسد)، يمكننا التغلب على كافة مخاوفنا ومشاكلنا مهما بدت راسخة ومستعصية. يمكن أن نتجنب ضغوطات الدنيوية المادية عبر التخلّي عن الطموح لنيل المراتب والتشريفات، التخلّي عن الطموح للغنى المالي وجمع الممتلكات، التخلّي عن التميّز والارتقاء الاجتماعي، التخلّي عن الأنانية والتكبّر على الآخرين، والعيش بطريقة طبيعية جداً. وكل ما نملكه من طاقات وقوى هي مكرّسة للخدمة والعمل الصالح. علينا محاولة استخدام القوى التي نملكها بطريقة سليمة وكيف وجب أن تكون، أي من أجل الخير الأعظم ولخدمة أكبر عدد ممكن من الناس. وجب تكريس حياتنا الداخلية لتلبية حاجات الآخرين، لأن هدفنا من خدمتهم هو مساعدتهم على إطلاقة القوة الإلهية في داخلهم. إطلاق تلك القوة الباطنية الهائلة التي هي كامنة في كل

إنسان. الاختبار الأكثر روعة يأتي عبر المعرفة التدريجية لذلك الكمال الرائع الكامن في داخل كل منا. هي كامنة في داخل المجرم وكامنة في داخل عديم الأخلاق. هي كامنة داخل الغني وداخل الفقير. داخل العظيم وداخل الوضيع. وفي جميع الحالات هي تلك الشمس العظيمة التي تنبعث منها شرارة الحياة النشطة فينا. هي التي تدعونا دائماً إلى مشاركة كل كائن حيّ بغض النظر عن فصيلته أو عرقه أو مكانته أو نوعه. الكلّ يحوي في داخله على نفس الشمس. الشرارة الباطنية هي ذاتها بينما البيئة الخارجية هي مجرّد وهم كبير. في بعض الحالات يكون التجلّي الخارجي لهذه الشرارة الشمسية أكثر تطوراً من غيرها، فتحتل مساحات أكبر لتجليها. وفي حالة الإنسان، مهما تخصصنا في هذه الحياة الدنيوية، إن كنا رجل دين أو نجار أو معلم مدرسة أو حتى حاكم مستبد،.. كل ما نفعله في الحقيقة هو إطلاق جزء من هذه الشرارة الشمسية الناشطة بداخلنا. وعبر إطلاقها نحو التجلّي نكون بذلك مجسّدين لفضيلة معيّنة. لكن للأسف الشديد، بسب جهلنا بالموضوع نحن لم نتدرّب على إطلاق هذه الشرارة بحيث تتجلّى بكامل قوتها فتتجسّد بكامل روعتها وجلالتها. فالحاكم المستبد هو كذلك لأنه جاهل للحقيقة، ورجل الدين الذي يسوق الخرافات يفعل ذلك لأنه جاهل للحقيقة، وهكذا إلى آخره... ليس هناك شرّ في هذا العالم، بل فقط الجهل بالحقيقة، هذا كل شيء.

مهما أردنا فعله لإطلاق هذه القوة من داخلنا لكي تتجلى في حياتنا لا بد من أن يكون لدينا شيء نضحي به في المقابل. وليس هناك أنسب من الجانب الحيواني في كياننا ليلعب دور الأضحية التي نقدمها. من هنا جاء التقليد الذي عرفته كافة الشعوب القديمة ويتمثل بتقديم الحيوانات كأضاحي أمام المعابد التي تعتبر أماكن مقدسة ممثلة للعالم الماورائي. من هنا جاء تقليد ذبح الخرفان والماعز والدجاج وحتى الجواميس وجميعها ترمز إلى القسم الحيواني للفرد والذي يتعهد على نفسه بأنه استغنى عنه إلى الأبد وكرّس حياته للحياة الأبدية. لكن من يلتزم بهذا التعهد اليوم؟ من يعلم أصلاً بأن هذه الشعائر الدينية ترمز إلى هذا المعنى؟

من أجل أن تتجلى تلك الطاقة الإلهية الهائلة في كياننا علينا التضحية بالكثير وهذا يتطلب الالتزام بعمل مضني وشاق. ليس سهلاً التضحية بالغرائز الحيوانية التي نظنها تمثل عناصر المتعة والسعادة بالنسبة لنا في هذا العالم الدنيوي. هي في الحقيقة ليست كذلك لكن جهلنا بالموضوع يجعلنا مقتنعين بأنها عناصر متعة وعوامل إشباع للرغبات على أنواعها.

المعنى الحقيقي للأضحيات

كان القدماء يقدمون الأضحيات للأماكن المقدسة لأنهم فهموا الفكرة جيداً إذ عرفوا أن هذه المبادرة هي رمزية وتعبر عن شيء عظيم جداً. لم يكونوا يذبحوا الذبائح وتقديم القرابين بالطريقة التي نألفها اليوم وهي سطحية جداً وتعتبر في معظم الحالات رشوة تقدم للإله مقابل رضاءه. كان تقديم الأضحية يعتبر المرحلة الأخيرة من سلسلة طويلة من المراحل التي تسبقها. هذه المراحل مكرسة كلياً لتطهير النفس من الشوائب الدنيوية، وهذه عملية ليست بسيطة. كان الفرد خلالها يتغلب تدريجياً على أنانيته وغرائزه المختلفة وكل تلك المحدوديات المادية الأخرى التي تعيق ارتقاءه الروحي. فينجح في النهاية بعملية التطهير هذه والتي قد تستغرق سنوات، فيُسمح له بعدها بالدخول إلى المكان المقدس، وحينها فقط يقدم الأضحية التي تكون حيوان (غنمة أو معزاة) تعبيراً عن قتل الحيوان بداخله.



هكذا تكون الأمور في الحالة الطبيعية في الحياة. مهما اختلفت طريقة حياتنا العصرية إلا أنه مطلوب منا التضحية بجانبنا الحيواني من أجل أن تتجلى هذه الطاقة الإلهية الجليلة في كياننا. قد يرغب الإنسان العصري بذلك لكنه لا يعلم كيف ومن أين يبدأ. قد يسلم بأن الفكرة جيدة لكن الدوافع غير كافية للتضحية. لكن بنفس الوقت نجد أشخاص يعلمون ماذا عليهم فعله في هذا المضمار، صحيح أنهم نادرين جداً لكنهم موجودين على أي حال. قد يقرر أحدهم بأنه يريد فعل الخير، فيقول مثلاً: وجب على الناس أن يكون لهم بيوت جيدة ومناسبة وسوف أساعدهم بهذا الموضوع وبالتالي

سوف أتعلم مهنة البناء وأكرّس عمري لهذه المهنة التي تخدم الناس. وعندما يمارس مهنة البناء لهذه الغاية النبيلة (وليس للربح المادي) فسوف نلاحظ بأن تلك القوة الإلهية بداخله تنشط وتتجلى بطريقة تساعده وتسخّر كافة العناصر التي تساعد في تحقيق هذه الغاية النبيلة. هكذا يصبح البناء (أو أي صاحب مهنة أخرى) خادماً للحقيقة. هكذا وجب أن نكون جميعاً، خدام للحقيقة الإلهية الكامنة بداخلنا. نلاحظ مثلاً الطبيب الذي يعالج الناس بهدف الخدمة وليس الربح المادي نراه مبدعاً في عمله. هكذا يكون الإنسان خادماً للحقيقة، هذه هي إحدى أهم جوانب الممارسة الدينية الأصيلة.

بهجة الخلاص

الشمس المركزية التي تشعّ في جانبنا الباطني هي مكرّسة أصلاً لفعل الخير. وبالتالي كل من يخدم الخير ينال بركة هذه الشمس الباطنية وبالتالي ينال المواطنة الكونية. نحن مربوطون بمقتنياتنا وممتلكاتنا الشخصية وكل ما يرافقه من مشاعر وأفكار دنيوية ضيّقة وبالتالي سوف نبقى مواطنين خاصين ننتمي لبيئتنا الاجتماعية الضيقة. لكن عندما نبدأ بخدمة الغايات الأسمى في الوجود فسوف نعتبر مواطنين كونيين. وهذا يعتبر من الأهداف الأساسية للممارسة الدينية الأصيلة.

مهما كان الأمر، علينا إدراك حقيقة أنه لا يمكننا التهرّب من الغاية الإلهية، مهما تعلمنا أو توسعت معرفتنا أو مهما زادت قوتنا، الكل يستند في النهاية على مدى الكمال الذي حققه في كيانه ودرجة الصفاء التي سادت بداخله. عندما نلتزم بالقوانين الإلهية نكون حكماء وخيّرين، وبالتزامنا بالقانون الكوني الأصيل سوف نكتشف بأن فعل الأمور الأساسية هو السعادة العظمى وباقي الأمور الأخرى تصبح ثانوية. هذا يعيدنا إلى التعاليم السرية، حيث السكون الداخلي والضبط الذاتي سوف يوصلانا إلى تلك الحالة التي لا يمكن لأي توجّه فكري أو ميل عاطفي أن يتدخل لتحريف رؤيتنا للواقع الحقيقي.

قد يبدو هذا الأمر بالنسبة للإنسان العادي غير مجدي لكنه ليس كذلك. لأن الواقع الحقيقي هو أكثر جمالاً وروعة وأكثر قيمة من أي تفسير مزوّر للواقع يمكن أن تفرضه قناعاتنا الخاصة التي تخلقها بيئتنا الاجتماعية التي تصيغ توجهاتنا الفكرية وميولنا العاطفية. إنه من المهم جداً قبل كل شيء آخر أن يتشكل لدينا سلام داخلي. وإلى أن يتشكل هذا السلام الداخلي عند كل البشرية سوف لن يرى هذا العالم الموبوء أي استقرار أو سلام. سوف لن نتمكن من إدراك مصيرنا الحقيقي إلى أن تستقر حياتنا الداخلية. هذا شرط أساسي لكي يسود التوازن في عالمنا الخارجي.

آن الأوان للتسليم بأن القوى الكامنة للإنسان هي غير محدودة، وأن تكشّف الحياة هي حالة أبدية، وأن كل ما هو ضروري هو متوافر دائماً وأبداً، والحاجز الوحيد الذي يفصل بين ما هو متوفر دائماً وبين القليل الذي نحصل عليه نحن هو حاجز الجهل. لذلك علينا تكريس المزيد من الوقت لتحضير أنفسنا لمصير أكثر عظمة مما عرفناه سابقاً. ليس مصير مليء بالتشريفات والأمجاد الدنيوية والتمايز على الآخرين، بل مصير يسوده المعرفة الحقيقية بإنجازاتنا الداخلية. بالمعرفة الحقيقية لمكانتنا في الخطة الكونية. وكذلك سوف نتوصل تدريجياً إلى معرفة أنه كلما تقدمنا إلى الأمام وارتقينا إلى أعلى سوف نبقى تحت سيطرة تلك القوة الإلهية التي تدير مصائرنا. سوف ندرك في النهاية أنه مهما تقدمنا فسوف تبقى الحالة ذاتها وتتمثل بخضوعنا الدائم لطلب التجسيد الدائم والمستمر للغاية الإلهية. مهما توصلنا إليه من مراتب ومواقع سوف يكون عملنا دائماً لهدف واحد وهو حماية ذلك التدفق المستمر للقوة الإلهية عبرنا. سوف نكتشف طرق جديدة لاستخدامها. سنكتشف أيضاً أن هذه القوة الإلهية الباطنية هي المساعد الوحيد الذي يخلصنا من المشاكل الطارئة. هي المخلّص الوحيد. وفي النهاية، هذه القوة الغامضة بداخلنا سوف يتبين واضحاً أنها تمثل ذاتنا الحقيقية. وتحوي بداخلها على الإمكانية الوحيدة لأي قيمة موجودة في الطبيعة. هذه الشمس الباطنية الكامنة داخلنا تحوي بداخلها كون بأكمله، أوسع من أي كون يمكن تصوره. ليس هناك نهاية لتكشّف الحياة. لكن هذا التكشّف المستمر يتوجه دائماً نحو تبرير الوجود. سوف يأتي اليوم الذي سنكتشف فيه أن الكون هو مكان سعيد وبهيج. هو مكان لتحقيق الغايات الباطنية وليس للمعاناة. وأننا جميعاً ننمو نحو هذا الهدف النهائي. وعندما نستوعب هذا النمو وآلية عمله سوف تبدأ سعادتنا من هذه النقطة، ليس علينا الانتظار حتى البلوغ لنسعد، بل فقط عند فهمنا لهذه المسيرة العظيمة سوف نشعر بالسعادة. كل ما نؤمن به ونرغبه سوف يتحقق. يمكن أن يكون هناك مجتمعات سعيدة وأسر مكتفية.. يمكن أن يكون هناك أشخاص مشغولين بأعمالهم المثيرة والممتعة كالفنون والآداب وغيرها. لكن هذه الأمور تسعدنا لأننا لازلنا في منتصف الطريق. حيث إذا بلغنا نهايته سوف تتغير أهداف سعادتنا. لأن حالتنا تغيرت. في هذه المرحلة الراقية من البلوغ الروحي لم يعد هناك انفصال بيننا وبين الآخرين. الكل يصبح واحد. وبالتالي السعادة بالنسبة لنا تمثل شيء آخر مختلف تماماً. لا نستطيع تصور تلك الحالة في المستوى الحالي من تفكيرنا.

البحث عن شفاعة دين الرحمة

لطالما نصحوني وحذروني بأن تناول أمور دينية في كتاباتي سوف يوقعني في مشاكل خطيرة قد تؤدي بحياتي. لكني أطمئن أولئك المتعصبين الذين راحت تراودهم فكرة القتل والعقاب الشديد منذ هذه اللحظة، أطمئنهم بأن غايتهم ستتحقق عن قريب في جميع الأحوال. ها هي عصابات داعش وأخواتها قريبة من منطقة سكني بحيث تبعد عدة كيلومترات فقط. انهم ينتظرون كلمة السرّ من واشنطن أو لندن أو تل أبيب فيدخلون بعدها علينا والنتيجة معروفة مسبقاً. أعتقد أنه في هذه الحالة لم يعد التهذيب ينفع ولا مداراة المشاعر تفيد. لم يعد للأعراف مكان، ولا الخجل له جدوى. فليكن هذا الكتاب وسيلة متحضّرة ومجدية للرد على الشرّ بالشرّ، أو الأذى بالأذى. رغم أن الذين لديهم حسن تفكير وتقييم سليم للأمور سيعرفون أنه بالحصول على هذا الكتاب قد حازوا على كنز من الجواهر الثمينة. ربما هو مصدر إلهامهم الوحيد للخلاص. لكن بالنسبة للمتعصبين، هذا الكتاب يمثل صاروخ أرض/أرض يزعزع استقرارهم. فلتكن كذلك باذن الله.

لقد مُنحنا تعاليم روحية جليلة وراقية ومذهلة في روعتها، لكن هناك من سرقها منا وأعاد تقديمها لنا مصحوبة بتفسيرات مزورة صنعت تعاليم مشوّهة لا تصنع بشراً بل وحوش! أليس الأولى بنا أن نبحث عن سارق تلك التعاليم ومزوّر تفسيراتها بدلاً من ملاحقة كل من يشير إلى عورات تفسيراتها المزيفة؟! صحيح أن داعش وأخواتها هي بكل تأكيد صناعة الاستخبارات العالمية حيث تمثل أداة تنفيذ مخططات سياسية كبرى في منطقتنا، لكن من جهة أخرى نجد كل نشاط من نشاطاتها مدعوم بتفسير شرعي لأحد النصوص الدينية المقدسة! وهي ذاتها التفسيرات التي نأخذ بها في مؤسساتنا الدينية الرسمية. لهذا السبب نجد أن أكبر المؤسسات الدينية في بلادنا العربية (مثل الأزهر) تمتنع عن تكفير داعش! يقولون أنهم ممقوتون من قبل تلك المؤسسات لكنهم غير مُكفّرين! هل تعلم لماذا؟ لأن داعش وأخواتها رغم إجرامهم الوحشي وسلوكهم الهمجي المريض إلا أنهم لم يخرجوا عن الهوامش التي وضعها الدين الشرعي!! يا لها من مصيبة! هذا يعني: إذا جاءت كلمة السرّ من واشنطن أو لندن أو تل أبيب وتحرّكت جحافل داعش شرقي منطقتي بعدة كيلومترات، وانهمروا علينا كما الوطاويط، فإن تلك المؤسسات الدينية لن تحرّك ساكناً! ربما تعبّر فقط عن استياءها في تصريح إعلامي أو تصريحين! كما فعلوا حيال الأيزيديين! لكن من ناحية أخرى، أنا واثق بأن تلك المؤسسات سوف تقيم الدنيا ولم تقعدها عندما يعرفون بهذا الكتاب أو أي كتاب مشابه! وهنا تكمن

الفضيحة التي تكشف عن فظاعة الواقع! هذا الواقع الذي هو أقبح من الشيطان! لكن إذا كان الأمر كذلك، فليكن. بالنسبة للوطاويط الذين يحضرون أنفسهم للدخول إلى منطقتي، أطمئنهم بأنه يوجد مجموعة متعصبة من نوعيتهم في انتظارهم. ويبدو أننا موعودين باستعراض مبهج ومثير سيشهده العالم أجمع، لأن هذه المجموعة المتعصبة المتربّصة هي أكثر جنوناً من داعش. هي أكثر وحشية وبطش وممارسة قتالية خالية تماماً من الرحمة! سوف تشاهدونهم على شاشاتكم وهم يشربون دم أعدائهم كما عصير الفاكهة! لكن لماذا نتفاجئ، فهذا ما ألفناه عن الحروب الدينية. وحشية مطلقة!!

نحن نعيش في زمن ملعون... حيث قول الحقيقة يعتبر أمراً خطيراً. ليس هذا فحسب بل هو أمر رهيب ووقح ومشين. مهما رأيت من مآسي وموبقات في محيطك الاجتماعي/الديني عليك أن تتظاهر بأن كل شيء طبيعي وذلك لكي تحفظ نفسك من تهجّم المتعصبين الغاضبين. لكن ماذا تفعل عندما ترى هؤلاء المتعصبين يعتدون عليك ليس لأنك توجّهت بانتقاد يستهدف أي من القباحة التي تفوح منهم، بل فقط لأنك مختلف عنهم في العقيدة! هنا تدخل معادلة صراع البقاء. ليس في اليد حيلة سوى الردّ دفاعاً عن النفس! لكن سؤال أطرحه على هؤلاء الغاضبين: لماذا تترفعون علينا وعن ماذا تدافعون؟ أتساءل كيف يشعرون عندما يشاهدون أنفسهم يلعبون دور الوحوش الشرسة التي تدافع عن سيّدها المقيت. هذا السيّد الذي يقبع سالماً في الخفاء ويتمتع بمسرات الدنيا بينما يربطهم بجنزير من الفرائض المدسوسة والطقوس المزوّرة ويقودهم أينما شاء وكيفما شاء. عيش وتهنى يا أيها الغاضب القبيح وقم بتوريث هذه الوظيفة الوضيعة لأولادك وأحفادك.





أنظروا إلى هذه الكائنات شبه البشرية الظاهرة في الصور. هؤلاء ليسوا متدينين بأي حال من الأحوال. هم لا يفقهون الدين أصلاً! بل هم آلات قتل وتدمير مشحونة بقناعات خرافية لئيمة من قبل جهات مغرضة شريرة وذلك لتحقيق غايات شيطانية خبيثة. لكن رغم ذلك كله، نجدهم بالنسبة لبعض المؤسسات الدينية أطهر وأشرف وأنبل من أي فرد ينتمي لدين أو مذهب آخر! أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً! صدق أو لا تصدّق! نحن نعيش في زمن العجائب فعلاً!!

نحن لازلنا نأخذ بمراجع وتفاسير ومزاعم وتحريفات وتدليسات تعود للعصر الأموي والعباسي، وقد كانت هذه الأخيرة امبراطوريات توسّعية بشكل مهول، وهذا وحده يمثل جواب شافي على تساؤلاتنا المحيرة حول معتقداتنا المخيفة التي تجعل مجتمعاتنا تفرّخ وحوش آدمية. من حق الامبراطورية التوسعية أن تنفخ في نفوس وعقول رعاياها أفكار وقناعات تصنع منهم آلات قتل وتدمير وسيطرة مطلقة مترفعة عن أي مسائلة، وهذا ما نسميه وفق المصطلحات العصرية "التعبئة" (يعني الحقن بالأكاذيب بهدف رفع المعنويات والترفع عن المسائلة الأخلاقية وحتى القانونية مهما كانت الارتكابات). لكن وجب أن نعلم بأن ذلك الزمن قد ولّى منذ قرون.. آن الأوان لأن نعود إلى عقولنا ونستعيد أرواحنا التي ماتت منذ ذلك العصر.

لازال السؤال الكبير يفرض نفسه بقوة: لماذا أصبح الدين، مهما كان نوعه، يقتل الإنسان في داخلنا رغم أن مهمته فعل العكس؟ لماذا يدعونا بإصرار إلى كره الآخرين والترفع عليهم بكل ما لدينا من حقد وبغض واستياء؟ يدعونا إلى التجرّد من الأخلاق في معظم الحالات؟ يدعونا إلى التمتع بالخبث والرياء والغدر خلال التعامل مع الآخرين.. ليس لأنهم أشرار ولا لأنهم سيئين بل فقط لأنهم كفار! وما هو الكافر وفق معايير أسيادنا المرشدين؟ كل من يختلف عنا في العقيدة! وليس الأمر متعلق بمعايير أخلاقية أو إنسانية! فقط الاختلاف في الشعائر والمعتقدات. يا لها من كارثة إنسانية! لا يمكن للدين أن يتجرّد من الأخلاق بهذه الدرجة المريعة.. لا بد من وجود خطأ في مكان ما.. لا بد من أن فقهاءنا أغفلوا أمور كثيرة أساسية عبر التاريخ مما أدى بنا إلى هذه الحالة المزرية.

لقد احترفت الكنيسة في تحويل رعاياها إلى آلات قتل في العصور الوسطى فنشأت الحروب الصليبية التي استمرت قرون من الزمن. وقد احترفت النازية في صناعة آلات قتل من رعاياها الألمان في بدايات القرن الماضي فنشأت الحرب العالمية الثانية التي كادت تعيد أوروبا إلى العصر الحجري! الكثير من السلطات امتهنت هذا التحويل الشيطاني عبر التاريخ. لكن إلى متى سيستمر

هذا الحقن والنفخ في عالمنا العربي لتحويلنا إلى آلات قتل وتدمير وإلى ماذا ستحول بنا الأمور بعد انتهاء هذه الحفلة الجنونية التي ينظمها أسياد العالم القابعين في قصورهم الأرستقراطية المرفّهة؟!

الدين الحقيقي

تذكر أن الذين يعرفون لا يتكلمون.... بينما الذين يتكلمون لا يعرفون... والجاهلون يجهلون أنهم يجهلون. هذه هي حال العالم اليوم. إحذر من المنافقين المدّعين الذين يحتلون المنابر في مسرح حياتنا اليوم وفي هذا الزمان الموبوء بالأكاذيب والفساد والدنيوية المقيتة. صحيح أنهم مدعومين من وسائل الإعلام والمؤسسات الرسمية وجهات عالمية نافذة مما يجعلهم غير مكشوفين أبداً أمام الجاهلين الذين يجهلون بأنهم يجهلون، وهذه الشريحة الأخيرة تمثّل الأغلبية العظمى للأسف الشديد، لكن هؤلاء في النهاية مكشوفين أمام العارفين الذين يعرفون بأنهم يعرفون. احذر من أولئك الذين مهما بلغت مرتبتهم الاجتماعية أو السياسية ومهما ارتقت سلطتهم الدينية والفقهية إلا أنهم لا يعرفون ماذا يفعلون. يمكنك تمييزهم وكشفهم عبر إخضاعهم لمعيار واحد وحيد يحكم كل الأديان في العالم. هذا المعيار يحدد التعاليم الدينية الحقيقية من تلك المزورة الموبوءة بالأضاليل:

الدين الحقيقي يتمحور أولاً وأخيراً حول غاية واحدة أساسية وهي تنقية النفس لديك تحضيراً لتجلّي النور الإلهي في كيانك.

مهما كانت فرائضك وشعائرك الدينية ومهما كانت قناعاتك الإيمانية والتي غالباً ما تم غرسها في وجدانك من قبل جهات مغرضة خبيثة، لا يمكنها أن تتجاهل أو تتجاوز هذه الغاية الجوهرية التي تمثل المحور الأساسي لكل دين من الأديان. إذا التزمت بهذا المبدأ العام فسوف تنال الخلاص في النهاية بإذن الواحد الأحد. لكن إذا فضّلت تلك التعاليم والفرائض والقناعات التي تظن بأنها الأنسب لك بحيث تمنحك امتيازات دنيوية تتناغم مع مصلحتك الشخصية، فاعلم أن هذه المصلحة الشخصية مهما كانت مفيدة لك أو داعمة لموقعك الاجتماعي فسوف تبقى في النهاية مجرّد مصلحة دنيوية مؤقتة، لا تقدم ولا تؤخر في بلوغك الروحي الذي هو الأهم.

كلنا أبناء الله المقدسة، نحن تجليات متباينة للروح الكونية المبدعة، لا فرق بيننا سوى في درجة قربنا أو ابتعادنا عن شمسنا المركزية، وهي القسم المتجلّي من الخالق المحجوب [عزّ وجلّ].

لا فرق بين إنسان وآخر سوى في مدى تجلّي النور الإلهي في كيانه. هذا كل شيء! لا طقوس ولا شعائر ولا فرائض ولا غيرها من واجبات شكلية فُرضت على الرعايا بهدف تحويل المجتمعات البشرية إلى حضائر من الأغنام الخانعة بحيث يقوم الناس بمراقبة بعضهم البعض وإجبار بعضهم البعض على الامتثال، فيصبح الجميع خانعاً وضيعاً منبطحاً تحت أقدام الملوك والسلاطين! هذه كانت سياسة جميع حكام العالم القديم. هذه المنظومة الاجتماعية/الدينية المسخة التي تفرض حالة مراقبة ذاتية للمجتمع (فرائض دينية معقدة لا تجدي أي منفعة روحية للفرد لكنها تجعله خانع تماماً للحكام) وقد اعتُبرت هذه المنظومة منذ أيام بابل أعظم اختراع في تاريخ البشرية! اختراع شيطاني جاء هدية ثمينة للملوك! لكن الجاهلون يجهلون أنهم يجهلون!

بالنسبة للدين الإسلامي الحنيف، كيف يمكن أن يغفل القائمون على هذه الممارسة الدينية ذلك الجانب الأهم الذي يشكّل المحور الأساسي لكل دين؟ أم أنهم يقصدون تغييب هذا الجانب قصداً لأسباب تتعلق بالمحافظة على النظام الكهنوتي الذي نشأ في الدين الإسلامي الذي يحرّمه أصلاً، لكنه حصل في جميع الأحوال، وذلك بدفع وإصرار من قبل الملوك والسلاطين في إحدى الفترات الزمنية الغادرة؟ لماذا نرى كل الاهتمام منصبّ على الممارسة الدينية الشكلية كالصلاة والصيام وغيرها من شعائر مختلفة تدفع الفرد عنوة إلى شدّ الصفوف عبر الانضمام للحشود بالتناسخ السلوكي، ونلاحظ من جانب آخر تجاهل كامل لكل ما يتعلق بالأخلاق والمعاملة الحسنة والتضحية بالمال والعمل في سبيل نصرة المساكين والمظلومين كما يقرّ الدين الإسلامي الحقيقي؟ أي بمعنى آخر، نلاحظ أنه كلما زاد امتداد <u>الدين</u> في المجتمع كلما قلت نسبة <u>الأخلاق</u>!

طبعاً وبكل تأكيد، ظاهرياً نرى الكثير من الآداب والمعاملة الحسنة، لكن هذه مجرّد مسرحيات سطحية يحترفها كل مجتمع منافق! كل إنسان يتمتع ببصيرة يعلم جيداً أنه ليس هناك خير بمعناه الحقيقي في كافة المجتمعات الدينية، بل فقط مسرحيات وتمثيليات وبهرجة ظاهرية مفرغة المضمون! اللؤم والخوف والتهديد والوعيد والانضباط الخالي من الرحمة والابتزاز المعنوي

والاستغلال الجسدي هي العناصر الأساسية في المجتمعات الدينية المنغلقة. وفي هكذا أجواء لا يمكن أن يزدهر سوى المنافقين الذين يحترفون التمثيل المخادع بهدف التسلّق بأي ثمن حتى يصلون إلى غاياتهم الدنيوية المختلفة والتي غالباً ما تكون غايات منحرفة ومريضة! الذي لازال خاضع للأطماع والمسرات الدنيوية هو بكل تأكيد بعيد تماماً عن النقاء الروحي حيث نور الإله الصافي لم يلمس كيانه بعد. إن الزهد بالدنيا ومسراتها هو المعيار الأساسي في هذه الحالة. أقصد بالزهد هنا أن يتكل الفرد على الله كلياً بحيث يرضى بكل ما جاء به القدر من حسنات وسيئات، وعليه حمده وشكره في أي حال من الأحوال. تذكّر أنه على الحمد والشكر أن يخرجا من الوجدان وليس مجرّد فلكلور تمثيلي وكأن الفرد يدلّس لله وكأنه يتوجه إلى طاغية.

حتى السعي في هذه الدنيا حرام وفق الدين الإسلامي الحنيف. المسلم هو من أسلم نفسه كلياً لله تعالى وبالتالي فإن السعي (أي أن يبذل مجهود) يعتبر تجاهل لإرادة الله تعالى وهنا تكمن المسألة الكبرى التي تمثل لغز كبير لا يمكن أن يفهمه سوى العارف الحكيم. المسلم الحقيقي الذي سلّم أموره للباري [عزّ وجلّ] ليس مضطراً لأن يذهب إلى أي مكان، بل الدنيا كلها تأتي إليه! لأنه أسلم نفسه للعالي، وعلى العليّ العظيم أن يتدبر أموره! إذا لم تستوعب هذه الفكرة فأنت لم تصبح مسلماً بعد!

أما إذا كنت شخص متعبّد ليس لشيء سوى لأنك نشأت على عبادة وليّ جليل أو شخصية تاريخية مهمة في مذهبك الديني أو غيرها من أهداف عبادة فرضها عليك تقليدك الديني الخاص، فإليك توضيح لهذه المسألة التي لازالت غامضة بالنسبة للجميع تقريباً. عندما نقول <u>متعبّد</u> وفق مفاهيم علمية فهذا يعني أن الشخص لديه طبيعة داخلية أو نزعة فطرية للتبجيل والعبادة. لكن عليك أن تعرف بأنه تم استغلال هذه النزعة الفطرية من قبل السلطات الدينية القائمة في كل الأديان بحيث وجهتها لعبادة شخص ما أو كيان ما أو حتى صنم ما. أنت في جميع الأحوال لا تستطيع إلغاء هذه النزعة الفطرية بداخلك وبالتالي بحاجة إلى تفريغها باتجاه هدف معيّن. لكن دعني أكشف لك سراً بخصوص التعاليم الدينية الباطنية بما في ذلك الإسلامية منها. إليك النصيحة التالية والتي أنت لست ملزماً بها بكل تأكيد، لكن هذا ما يفعله كل إنسان متعبّد بالفطرة لكنه متطلع على الحقيقة الأصيلة. سوف أعرّفك على هدف عبادتي، وهذا ما يفرضه عليّ الإسلام الحقيقي:



هذا هو سيدي ومولاي وشفيعي يوم القيامة



هذا هو وسيلتي للخلاص من عذاب الآخرة





هؤلاء أطهر وأنقى من أي شخصية دينية تاريخية فُرض عليّ عبادتها والتي قد تكون شخصية وهمية! لكن هذه الكائنات المقدسة موجودة هنا والآن، بالتالي هي هدف عبادتي

صحيح أننا نرى الكثير من المحسنين الذين يلبون دعوة ضميرهم الحيّ فيساعدون ويتبرعون ويفعلون الخير بجوانبه المتنوعة وذلك من دوافع إنسانية بحتة، لكن عندما يقوم المتديّن بهذا العمل، وطبعاً تكون حسنته موجه لأبناء مذهبه حصرياً، يبدو واضحاً أنه يفعل الخير من باب أنه يتوقع الرد الإلهي المجزي على هذا العمل وليس لأنه خيّر بطبيعته. إنه يفعل الخير لأن دينه فرض عليه ذلك وهنا تكمن المشكلة. هنا تتكوّن ثغرة مناسبة لدخول الدجالين والخبثاء. من بين الأمثلة الصارخة على هذه الحالة هو ما حصل قبل سنوات قليلة وعلى نطاق واسع جداً. صحيح أن دمار بعض الدول العربية (خلال الربيع العربي المزعوم) هو نتيجة تآمر قوى شريرة مدعومة مالياً من قبل جهات دولية نافذة، لكن الذي يشكل نسبة كبيرة من هذا التمويل هو المحسنين في الدول الإسلامية الذين بعضهم يلبون فريضة دينية والبعض الآخر قد يكونوا أبرياء بطبيعتهم وأنقياء النيّة لكن تم استغلالهم (عبر التضليل الإعلامي) للقيام بأعمال إحسانية لجهات بعيدة كل البعد عن الخير. أحمد الله على أن نسبة كبيرة من هذه الحسنات المدفوعة بنيّة بريئة لم تصل إلى البلاد المستهدفة لتساهم بالمزيد من الدمار بل سرقها الخبثاء المنافقين وذهبوا إلى أوروبا وأمريكا والجزر السياحية النائية فاشتروا القصور وراحوا يعيشون ببذخ كما يفعل الملوك!

إذا لم ينفعل وجدانك كلما نظرت إلى محتاج أو بائس أو فقير أو مظلوم أو كئيب أو غيره من ضحايا الشيطان الذي يحكم هذا العالم الدنيوي المقيت فأنت لست مسلماً. وأنصحك أن تحتفظ بمالك لأن إحسانك غير مجدي. عندما تساعد فقير في المرة القادمة عليك فعل ذلك ليس بدافع الشفقة بل افعله وكأنك تتوجّه لكائن مقدس! تذكر أن هذا الموقف يُعتبر من بين الاختبارات المُقدرة لك في هذه الحياة الدنيوية وعليك اجتياز هذا الاختبار بنجاح. هناك أمر آخر يعتبر من أهم الأمور التي قد يغفل عنها حتى أفه الفقهاء في الدين. الشجاعة التي تتحدث عنها التعاليم الدينية، مهما كان نوع الدين، هي ليست الشجاعة التي ألفناها في حياتنا اليومية وفي ثقافتنا وتاريخنا ولا حتى في التعاليم الدينية المشوّهة التي ورثناها عبر توالي عصور مقيتة، حيث نعتبرها قسوة قلب وبطش شديد وانعدام الرحمة وغيرها من نماذج شيطانية أخرى زرعوها في عقولنا. إنها شجاعة من نوع آخر. هذه الشجاعة التي تقصدها التعاليم الدينية أصبحت غريبة عنا تماماً نتيجة التضليل والتزوير الطويل الأمد. يمكن أن تعتبر هذه الشجاعة اليوم بأنها نوع من الجنون وفق مفهومنا العصري للموضوع. الشجاعة التي تقصدها التعاليم الدينية الأصيلة تتمثّل بإنكار النفس أمام الصعوبات الطارئة. الشجاعة وفق المفهوم الديني الأصيل هي أن تضطرّ في إحدى الحالات أن تستغني عن نصف ما

تملكه، أو كله أحياناً، بهدف إغاثة مظلوم مستحق! هل سمعت عن هذا الأمر من قبل؟ الشجاعة التي يتكلم عنها الدين هو أن تبقى ثابتاً وراسخاً أمام ظروف حياتية قاسية جداً بحيث قد تدفعك قسوتها إلى اقتراف معصية بهدف تخليص نفسك من المعاناة! حافظ على ثباتك ولا تجعل إيمانك بالله تعالى يتزعزع، وتذكر أن ما تمرّ به هو اختبار وسوف تفرج في النهاية دون اقتراف معصية. لكن هذا كله يتطلب شجاعة. أستطيع الحديث مطولاً عن هذا النوع من الشجاعة لكن أعتقد أن الفكرة قد توضحت جيداً. طالما أنك سلمت أمرك لله تعالى فلا بد أن تكون من أشجع الشجعان، لأنك تعلم في قرارة نفسك بأن الكيان الذي يدعمك هو أعظم من أي حالة أو ظرف أو محنة أو خصم يمكن أن تواجهه، لكنه دفعك إلى المعاناة لأنه يختبرك ويطهّر نفسك وهذا هو هدف الحياة الدنيوية أصلاً. كل ما تملكه من قصور وحياة رغيدة سوف تبقى هنا بعد موتك وانتقالك إلى العالم الآخر، لكن أمر واحد فقط يرافقك وهو الحكمة التي اكتسبتها من خبراتك الدنيوية. وجب أن تعتاد على هذه الطريقة في التفكير إذا أردت الخلاص فعلاً.

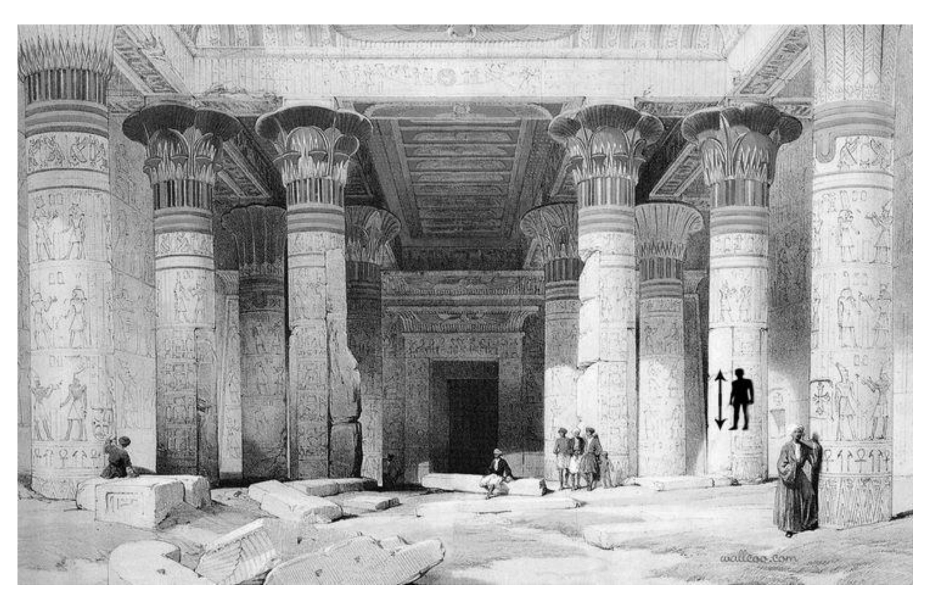
جئنا إلى هذه الدنيا لنختبر ونتعلم الكثير من الدروس التي تتنكّر بهيئة مواقف وظروف دنيوية مختلفة. بعض الدروس قاسية والبعض الآخر بسيط وسهل، لكن مهما كان الأمر فالله لا يحمل نفساً فوق طاقتها. هذه الدروس لها علاقة صميمية بتطوير الوعي لدينا وكذلك تطهير النفس. السبب الآخر الذي لا يقل أهمية هو أننا جئنا إلى هذا العالم لنخدم! الاختبار والخدمة.. هذا كل شيء.. أما باقي ما تبقى فهو أوهام لا تفيدنا عندما نعود إلى موطننا الأصيل... تذكر أننا زوار مؤقتين في هذه الدنيا الفانية.. بينما العالم الأبدي هو موطننا الأصلي.. ازهد واكسب. هنا يكمن الانتصار الحقيقي على الشيطان الرجيم!

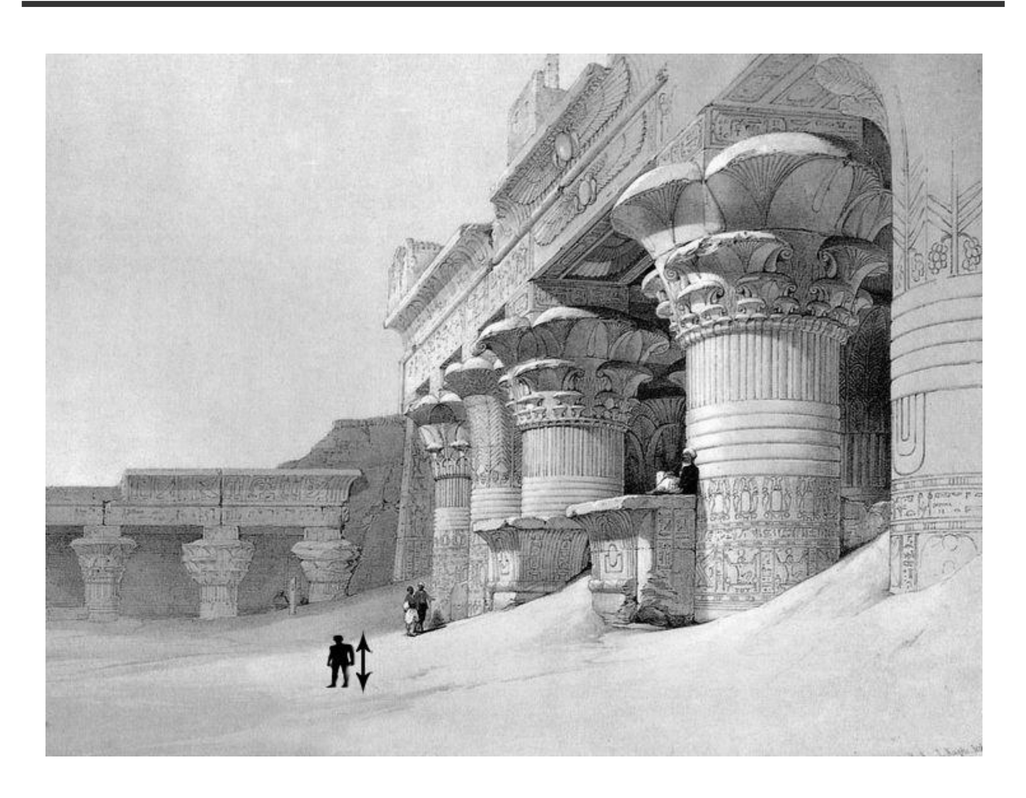
الخيار يعود لك على أي حال. أنت جئت إلى هذا العالم الدنيوي لتختبر وتخوض التجارب المختلفة التي تزيدك حكمة وتوسّع في الوعي حتى تصل إلى مرحلة معيّنة تمكنك من إدراك الحقيقة واضحة وجلية وتبدأ بعدها اتخاذ الاجراءات المناسبة حيالها. ربما أنت لست جاهزاً الآن لتقبل الحقيقة لأنك لم ترتقي إلى هذا المستوى من الحكمة والوعي الذي يخوّلك لهذا الأمر. لكن ما من مشكلة في ذلك، لا بد من أن يأتي الوقت الذي يجعلك مستعداً لتقبل الحقيقة. أنا فقط أدلك على وسيلة لاختصار الطريق. ما علي سوى الدعوة لك بالتوفيق.

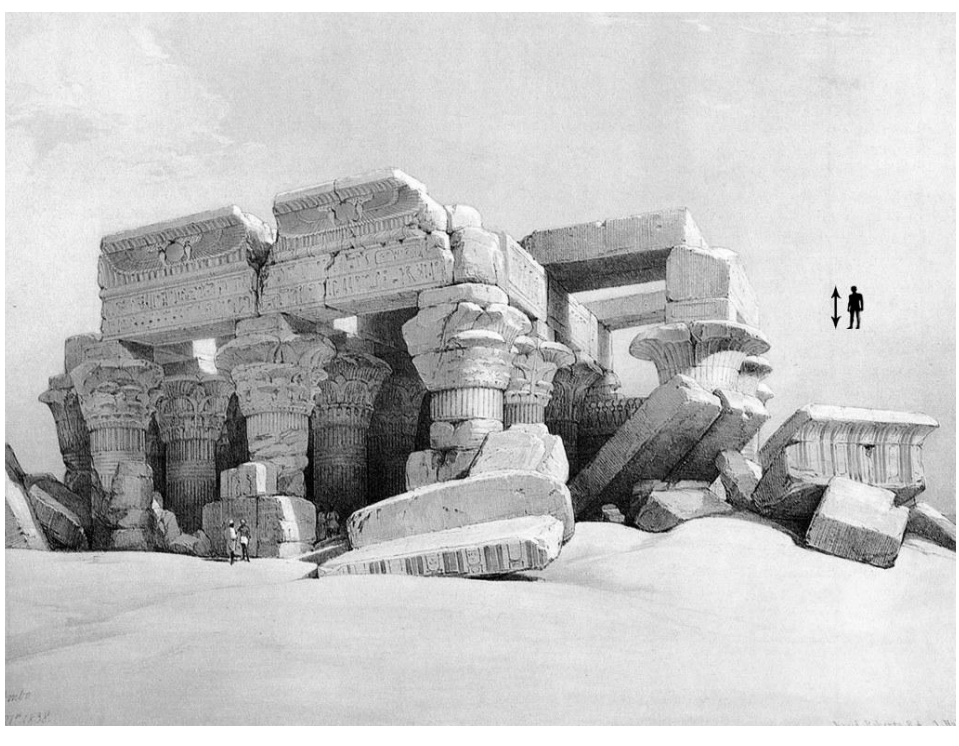
هل أسوّق فعلاً لعبادة الشمس؟

قد يبدأ المتحذلقون والمتذاكون الخبثاء باتهامي أنني من خلال هذا الكتاب أسوّق لعبادة الشمس، رغم أن هذا الكتاب واضح وجلي بحيث يتحدث عن الشمس الباطنية وأعلم أنهم يعرفون ذلك جيداً، لكني سأجاريهم في تدليسهم الخبيث وأتقدم بجوابي الذي سوف يصدمهم ويصدم الجميع: إذا كانت هذه الصروح الجبارة (الصور التالية) من إنجازات عبدة الشمس، فأنا أوّل عابد للشمس!



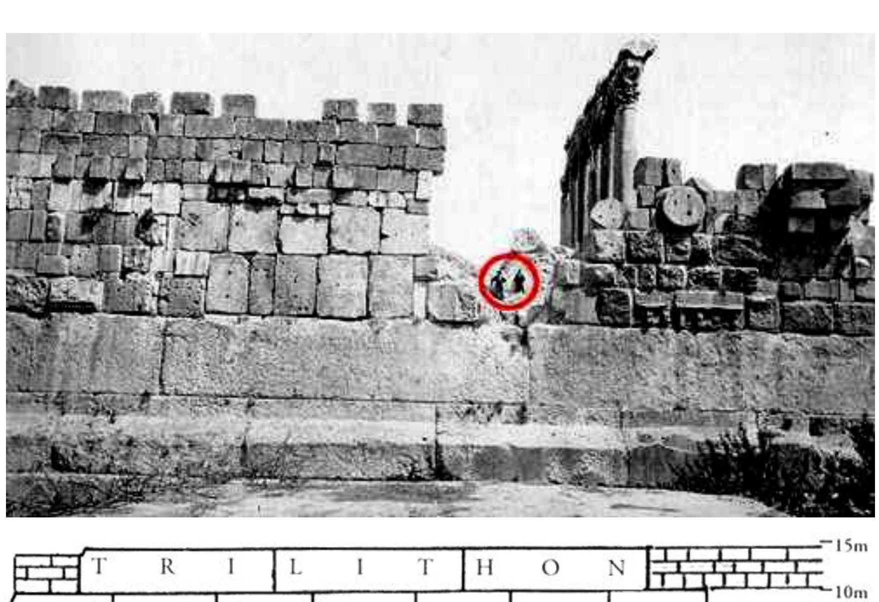


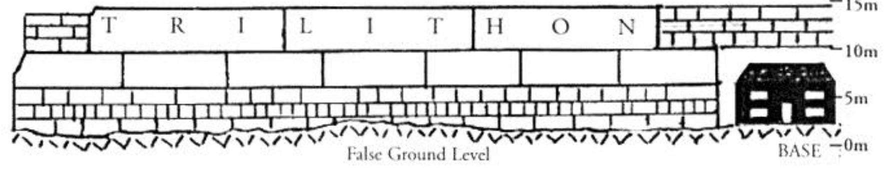






هذا الحجر العملاق يقبع في المقلع الموجود بالقرب من معبد بعلبك في لبنان، ارتفاعه حوالي ٥ أمتار وسماكته حوالي ٥ أمتار وطوله يزيد على ٢٥ متر! ولتحريكه بالقوّة العضلية يستلزم جهد ٤٠٠٠٠ من الرّجال. لكن عندها كيف سيستطيع هذا العدد الكبير الاقتراب من الصّخرة لتحريكها؟.. إنها معضلة حقيقية، وتجعل علومنا العصرية تبدو وكأنها ألعاب أطفال أمام هذا الانجاز الجبار!





منزل نموذجي مؤلّف من طابقين بالمقارنة مع أحجار موقع بعلبك العملاقة، لاحظ الرجلين في الصورة واللذان يبدوان كالنملتين بالمقارنة مع حجم الحجارة.

إذا كنت أعبد الشمس فهذا لا يمنعني من التمتع بدرجة كبيرة من الأخلاق وهذا يكفي إذ أنه ينوب عن أي ممارسة دينية منحرفة تجعلني دنيوياً منافقاً! أنا أعبد الشمس، نعم، لكني مؤمن بوجود خالق لهذا الكون بجانبيه الباطني والظاهري ولهذا السبب يسمونه رب العالمين، لكنه الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفو أحد. أنا أتلفّظ بهذه العبارات مع استيعابي لمعانيها جيداً. لذلك هي تخرج ليس من رأس لساني كالمنافقين الجاهلين بل تخرج من صميم الوجدان، هذا لأنني مندمج مع هذه العبارات بكل يقين وإيمان صادق. لكن ماذا عنكم يا أيها المنافقون؟ لكن مع ذلك كله، لنفترض أنني أعبد فعلاً الشمس الظاهرية التي تقبع في السماء، فهي تبقى أنقى وأطهر وأكثر خيراً وفائدة من إله حقود ولئيم يأمر عباده أن يقتلوا الآخرين وتدمير كل ما هو جميل!

رغم كل ما استعرضته إنجازات عبدة الشمس من عظمة وجبروت ورقي ثقافي وعلمي مهيب إلا أنه لازال معظمنا يؤمن بكل ثقة أن الممارسة الدينية التي تدعو إلى سبي النساء وتشتيت الأسر وقتل الكفار أو دفع الجزية وهم صاغرين هي رحمة للعالمين بينما ممارسات أولئك القدماء كانت وحشية وغير أخلاقية! لكن من قال لك هذا؟ لماذا تقولها وأنت واثق جداً؟ هل كنت حاضراً في ذلك الزمن البعيد؟ تذكر أنك تحكم على أصحاب إنجازات عظيمة بحيث لازلنا حتى اليوم، في هذا العصر المتقدم، نشعر بالصغر وحتى الذلّ عندما نقف أمام آثارهم العملاقة التي خلفوها وراءهم! أتحداك أن تقف أمام الهرم الأكبر دون أن يراودك شعور بالذلّ والهوان لعظمة هذا الصرح! كيف ستكون الحال عندما تحضر أمام أحد بنائيه شخصياً؟! ماذا ستكون سوى صعلوك صغير؟! يبدو أن ***الكثير منا بحاجة إلى صفعة قوية*** على وجوههم لكي يصحون من هذا السبات الفكري الطويل الأمد بفعل التنويم المغناطيسي الذي مارسه عليهم الدعاة الخبثاء عبر العصور! تذكّر يا أيها المؤمن أن شيئاً لم يتغيّر في عبادتك، حيث لازلت أنت تعبد الشمس وكل ما حصل هو تغيير اسم المعبود! أي كما يقول المثل الشعبي: ".. غيّر اسمه وهاته.."، افهم يا أيها المغفّل المسكين!

ملاحظة: أصبح واضحاً أن عبادة الشمس الظاهرة أمامنا في السماء هي عبارة عن ممارسة دينية تتمحور حول الجانب الظاهري للحكمة السريّة التي في الحقيقة تتناول الشمس الباطنية في كيان الفرد. الجانب الباطني للتعاليم يبقى محفوظاً بين مجموعة قليلة من العارفين، بينما الجانب الظاهري للتعاليم يمارسه عامة الناس، حتى الملوك! يبدو أن لكل دين من الأديان جانب ظاهري عمومي وجانب باطني مخصص لمجموعة سرية تقبع في الخفاء وتتحكم بمصير الشعوب. هم يسيطرون لأنهم يعرفون بأنهم يعرفون. بينما الخاضعين تحت أقدامهم يجهلون بأنهم يجهلون! تذكر أن

مجموعة ***المتنورين*** Illuminati التي تسيطر على مجريات العالم اليوم هي مجموعة عائلات نافذة جداً ومعروف عنها أنها تعبد الشمس! والمصيبة أننا نحكم عليهم بالكفر والإلحاد! نقول أنهم شيطانيون! يا لها من مهزلة! عيش وتهنى يا أيها الجاهل المسكين.

إذاً، لم يتغيّر شيئاً في هدف عبادتنا حيث بقي المعبود هو ذاته، مع تغييرات شكلية في الاسم والوصف والممارسة. لكن تغيرت أمور كثيييييييييرة فينا كبشر. تغيّر مستوانا العقلي والروحي والأخلاقي وحتى الجسدي. التغيير طبعاً هو نحو الأسوأ! تغيّرت طريقة تفكيرنا بحيث أصبحنا أقرب إلى الوحوش الخبيثة بدلاً من البشر الشرفاء! يبدو أن الجاهلية المزعومة في تراثنا الديني هي أفضل بكثيير من التنوّر المزعوم! وبالتالي، إلى كل من يدّعي الإيمان والإلتزام الديني اليوم أقول له بكل ثقة وقناعة:

اخجل على نفسك وابحث عن مجال آخر تترزّق منه بدلاً من هذا المجال المقدّس الجليل! ابحث عن وسيلة أخرى للارتقاء الاجتماعي بدلاً من الوسيلة الخبيثة التي تتبعها والمجرّدة من الأخلاق! من خلال استخدام الدين كوسيلة للتقدم في الدنيا فأنت بذلك تحتال على نفسك قبل احتيالك على الآخرين.. أنت تخسر نفسك قبل أن تكسب الآخرين. حرام عليك! أنت تتلهّي وتشبع رغباتك الدنيوية الخسيسة في مجال مقدّس لا تفقه عنه شيئاً وتجهل مضمونه الروحي الأصيل!

رجل الدين الحقيقي هو لجميع الناس، للبشرية جمعاء، لكل المخلوقات، وليس متخصصاً ضمن حدود مذهب أو طائفة أو مجموعة منغلقة على نفسها. لذلك عندما يرتدي رجل الدين زيّ معيّن فهذا يعني أنه متخصص في طائفة معيّنة وهذا يعتبر حراام وفق الأصول الإسلامية الأصيلة التي تم تغييبها في إحدى مراحل التاريخ الغادرة مما أدى إلى مسحها تماماً من ذاكرتنا وإلى الأبد. هل تعلم أنه على رجل الدين الحقيقي أن لا ينحاز إلى أي مجموعة بشرية مهما كانت الأسباب، حتى لو كانوا أهله وذويه؟! كل مجموعة بشرية فيها أخيار وأشرار، وبالتالي على رجل الدين التحيّز دائماً مع الأخيار حتى لو كانوا أعداء قومه في الحرب! لكن ماذا علينا أن نفعل بعد أن رسخت تلك الدعوة التي تقول ".. أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً.." والتي هي عبارة عن عرف عسكري/استراتيجي بحت وليس له علاقة بالدين أبداً! لكنهم منحوها هالة مقدسة يستحيل انتقادها! هذه ليست سوى واحدة من مئات العبارات التي منحوها هالة مقدسة يستحيل انتقادها!! وعيش وتهنى يا مؤمن يا مسكين!

لكن في هذه الحالات الزئبقية المحيّرة بحيث تضيع وسطها الحقيقة، ما علينا سوى اللجوء إلى تلك الأفعال البشرية العفوية لتحديد مكمن الحقيقة. في هذه الحالات ليس هناك جدوى من اللجوء إلى أحد الفقهاء في الدين لأنه سيدخلك في متاهة تفسيرات زئبقية لا خروج منها. ما عليك سوى مراقبة تلك الأم البسيطة التي تدعو لولدها المسافر قائلة: ".. روح الله يبعث لك أولاد الحلال.."، مهما كانت هذه الأم ملتزمة دينياً فهي لم تقل: يبعث لك مسلم أو مسيحي أو يهودي أو بوذي أو طاوي... هي لم تحدّد المذهب أو الدين بل فقط الوصف والخاصية، أي أولاد الحلاااال! وهؤلاء موجودين في كل مكان وليسوا محسورين في مجتمع واحد أو طائفة واحدة أو مذهب بعينه. بناء على هذا المعيار الجديد عليك أن تسأل نفسك: هل أنت متديّن أو ابن حلال؟ تذكر أنك، وفق مفهومنا العصري للدين، لا تستطيع الجمع بين الاثنين أبداً ومطلقاً!!





وفق مفهومنا العصري للموضوع، أصبح الدين أقرب ارتباطاً بالفاجرين من أولاد الحلال

تغييب الإسلام الحقيقي مقابل رسوخ الإسلام المزوّر

قد يتساءل الفرد: إذا كانت السيرة النبوية (مرجع التاريخ الإسلامي الرسمي الوحيد) مجرّد خيال محض، وهي التي تمثل المرجع الوحيد الذي يروي تفاصيل بدايات ظهور الدعوة الإسلامية، ومعاوية ويزيد شخصيات خرافية (أبطال حكايا رمزية) من أين إذاً بدأ التاريخ الإسلامي الحقيقي؟ هذا سؤال مهم جداً. من هنا يبدأ مفعول القنبلة التي سوف تنسف كل شيء!

جميع المراجع التاريخية والدلائل الأثرية الثابتة (وليس المزاعم الكاذبة) تقول أن الدين الإسلامي الفعلي بدأ في زمن عبد الملك بن مروان! كل ما سبقه هو اختلاق من خيال كتاب العصر العباسي! حتى أصول تلك الأسرة الأموية لازالت مثار جدل حيث هناك من يزعم أنهم ساسانيين مسيحيين من شرقي إيران، والبعض الآخر جعلهم عرب غساسنة. لا نستطيع الاعتماد على مؤرخي تلك الحقبة الزمنية الغامضة جداً والتي يسمونها العصر الأموي ولا يوجد سوى بعض العمل النقدية المهترئة. والأمر الغريب العجيب هو أن نقوش تلك العمل النقدية تكشف عن أمور يصعب علينا اليوم تصديقها رغم أنها ماثلة أمامنا. لقد خضعت أجيال وأجيال من الرعايا المساكين لما يمكن تسميته عملية غسيل دماغ جماعي من قبل المتحكمين برقابهم وحياتهم ومصيرهم لدرجة أنهم لا يصدقون ما يمثل أمامهم من أدلة ملموسة! العملة النقدية الأموية تظهر نقوش ذات طابع مسيحي ويهودي!



عملة اموية تحمل الشمعدان اليهودي على احد جهاتها و محمد رسول الله على الجهة الاخرى.





عملة اموية تحمل كلمة محمد على الجهتين واضافة لرجل يحمل صليب في الجهة الاخرى.

رغم أنك سوف تتعرف على هذا الاسم بشكل بديهي وتقول إنه صيغة فنية لاسم سيدنا محمد(ص)
لكنه ليس كذلك بل هو اسم سيدنا يسوع باللغة الآرامية (السريانية) ويلفظ "يشوع"
... افهم إذا كنت تستطيع...

تذكر أن كامل المؤسسات الرسمية الممثلة لإدارة الدولة والديوان الملكي في العصر الأموي كانت تستخدم اللغة السريانية، وبقي الحال كذلك حتى مجيء عبد الملك بن مروان! وفي عهده بدأ استخدام اللغة العربية التي نألفها اليوم، وبالإضافة إلى أن هذا الخليفة أوّل من صكّ العمل النقدية العربية الإسلامية. هذا ولم نتكلم عن بناء المساجد الأولى وتحويل جهة الصلاة نحو القدس (لكن بعد صدور السيرة النبوية في العصر العباسي تحولت جهة الصلاة نحو القبلة أي مكة!!)

هل صُدمت لمعرفة هذه الحقيقة؟! هذا يعني أن الذين عاصروا تلك الحقبة الزمنية كانوا يقرأون القرآن الكريم بطريقة مختلفة تماماً! كانوا يفهمون الإسلام بطريقة مختلفة أيضاً! أصبح معظم الناس (المثقفين منهم طبعاً وليس الرعاع) يعلمون بكل يقين أن الكلمات والعبارات الغير مفهومة في القرآن الكريم هي كلمات سريانية! (وأغلبية الفقهاء اليوم، إن لم نقل كلهم، يتجاهلون وحتى ينكرون هذه الحقيقة، إذ لازالوا يتمسكون بأكذوبة اللغة العربية المقدسة المُنزلة من السماء) إذا لم تستوعب مدى أهمية هذه الحقيقة ودرجة الانحراف في تفكير المؤمنين الحاليين نتيجة سوء الترجمة والتفسير، دعني

أذكر مثال واحد فقط، مثال واحد وحيد يوضح لك مدى فداحة الأمر: حور العين اللوات يرنو ويصبو ويلهث إليهن المجاهدون في سبيل الله، تبيّن أنهن لسن كما جعلونا نتصوّر. وفقاً للغة السريانية، فإن "حور عين" تعني العنب الأبيض! وكلمة زوجناهم التي تسبق عبارة [حور عين] في الآية كانت مجرّدة من التنقيط أي: روحناهم. وبالتالي إذا قرأنا الآية بطريقة سليمة تكون كالتالي [وروحناهم بحور عين] فنكتشف بالنهاية أن الجنّة ليست ماخور دعارة مليء ببائعات الهوى والمتعة الجنسية، بل عبارة عن مروج وبساتين وحدائق الكرمة أي العنب الأبيض! لكن هذا الإغراء لا يجدي نفعاً بالنسبة لرعاع دنيوية وضيعة لا تفقه شيئاً عن العالم السماوي، بالتالي راحت القيادة السياسية العباسية تبحث عن عوامل مؤثرة وفعالة لإغواء الأفراد لدفعهم إلى الموت في ساحات الجهاد في سبيل تحقيق الغايات الدنيوية للأسرة الملكية، فما كان عليهم سوى اللجوء إلى تحريف التفسيرات الدينية! فحولوا العنب الأبيض إلى حسناوات يقدمن الجنس مجاناً! هذا النوع من التزوير طال عدد كبير من النصوص والمفاهيم الدينية. وجب العلم أن العنب الأبيض له رمزية خاصة لها أهمية كبرى في عبادة بعض المذاهب المسيحية ونراها واضحة في فنون الكنائس.

ملاحظة: أشتق الخط العربي من الخط النبطي المتأخر والمشتق بدوره من الخط الآرامي السرياني، فصورة الخط العربي الذي به دونت المصاحف القديمة لا تبتعد عن صورة الخطوط السريانية أو النبطية والأثنان مشتقان من الآرامية القديمة. اللغة السريانية هي الأصل، وهي مفتاح للكلمات المبهمة في القرآن الكريم، فالكثير من الكلمات لم تكن مفهومة لدى قدماء المفسرين للقرآن حيث احتاروا في تفسيرها فأعطوها معاني متضاربة لكن بعودتهم الى اللغة السريانية يمكن تفسير تلك الكلمات بسهولة. حاول المسلمين العرب طمس الحقائق بطمس اللغة السريانية ومحاربتها بقوة! لهذا السبب نجد أنه حتى اليوم لا يسمح بتدريس اللغة السريانية التي هي أقدم لغات المنطقة في الجامعات العربية والتركية خوفاً من وصول الأبحاث والدراسات الى حقائق تزعج الإسلام المزوّر الذي فُرض على الشعوب المسكينة فتقوم بالتشويش على ادعاءات المشايخ المنافقين حول هذه الحقائق. عيش وتهنى يا أيها المؤمن الجاهل... واستمرّ في ذمّي ولومي وسبّي وتهديدي بدلاً من ملاحقة المجرمين الخبثاء الذين سلبوا تاريخك ونغصوا عليك حياتك عبر فرض ممارسة دينية قاسية وشاقة واستعبدوك عبر القرون كما يستعبدون الحيوان من خلال السيطرة عليك عبر معتقداتك وممارستك الدينية اليومية وهذه أكبر لعنة يمكن أن تصيب الإنسان الحرّ! وها أنت الآن تقاتل في ساحات الأحداث الدولية لأن القتال بالنسبة لمعتقدك المزوّر يعتبر فريضة دينية، لكن ليس في سبيل الله بكل تأكيد، بل في سبيل تحقيق مصالح خبيثة للمسيطرين القابعين في الخفاء. استمرّ إذاً في الصراخ ".. الله أكبر.." بأعلى صوتك ربما يحلّ عليك الفرج يا أيها المغفّل المسكين!!

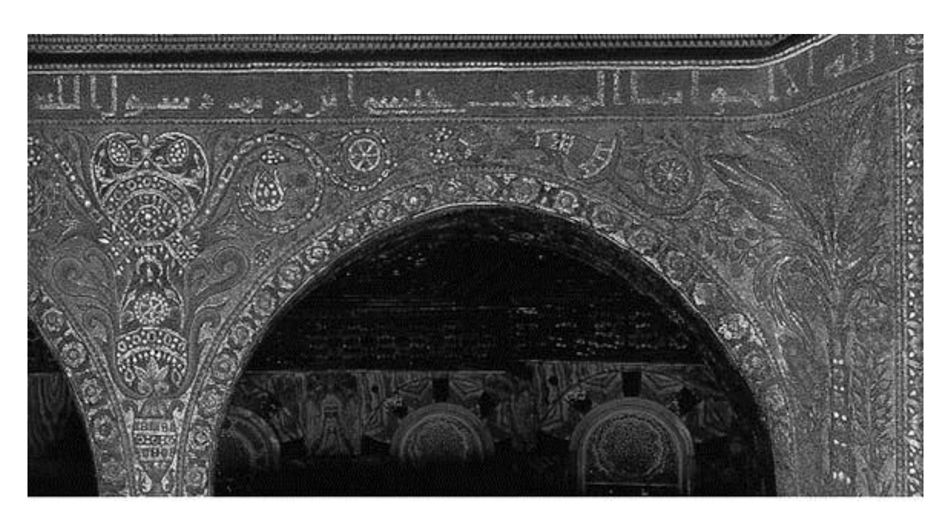
اللغة العربية القرآنية هي مجموعة لغات مركّبة

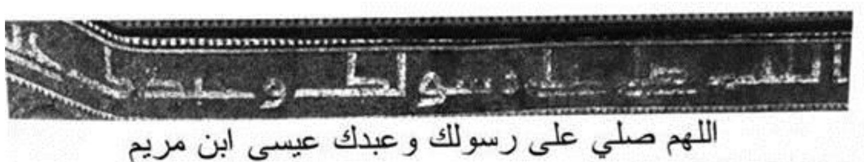
من أجل أن تفقه النص القرآني بشكل جيّد عليك أولاً أن تجيد ثلاثة لغات سامية شقيقة: [١] العبرية و[٢] السريانية و[٣] العربية القديمة. اللغة القرآنية هي لغة مركّبة من هذه اللغات الثلاثة، وتذكر أن العربية الفصحى التي نألفها اليوم تم استحداثها في العصر العباسي، أي بعد ظهور اللغة القرآنية بـ ١٥٠ سنة. في هذه الفترة المتأخرة تم تشكيل النص القرآني (نقطة، فتحة، ضمة،.. إلى آخره) بينما قبل هذا التاريخ كانت النصوص مجرّدة من أي تشكيلات وهذا سبب مشكلة كبيرة خلال تفسير معاني الكلمات حيث كل كلمة غير منقّطة كانت توحي بعشرات المعاني المختلفة وكان الفقهاء العباسيون يختارون تلك المعاني التي تناسب أهواءهم ومصالح أسيادهم السياسية.

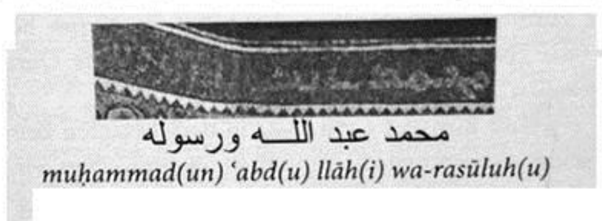
الكارثة الأكبر التي تسببت بها عملية التحريف هذه تتمثل بالمعاجم العربية التي ظهرت لاحقاً والتي هي مجرّدة من الجذور اللغوية التاريخية للكلمات الواردة في النص القرآني، وهذه الحالة تتفرد بها معاجم اللغة العربية فقط، بخلاف كافة معاجم اللغات الأخرى. بالتالي فالمعاجم العربية الحديثة والقديمة هي مجرّد قواميس للغة العربية الفصحى وليست قواميس للغة العربية القرآنية. هذه الحالة ترافقت مع منع تعليم اللغة السريانية الغنية جداً في المدارس الأكاديمية رغم أنها اللغة الأصل في منطقة واسعة من الشرق الأوسط مما زاد غموض الكلمات القرآنية الغامضة أصلاً وتغييب كامل لمعانيها الأصلية لأنها سريانية الأصل. والأمر ذاته ينطبق على اللغة العبرية. لهذا السبب نجد الباحثين يدرسون اللغة القرآنية وكأنهم يدرسون لغة منقرضة وجب فكّ رموزها كما لو أنها لغة هيروغليفية، فيبحثون في هذا الموضوع دون فهم دقيق لمعظم كلمات وألفاظ القرآن. فما على المؤمن المسكين سوى اللجوء إلى كتب التفسيرات التقليدية والتي هي أعمال مفسرين منافقين عجزوا أصلاً عن شرح غرائب النصوص القرآنية لكنهم اختلقوا أحاديث وهمية منسوبة للنبي وراحوا يفسرون على هواهم رغم أنهم ليسوا علماء حياديين بل مجرّد أشخاص مذهبيون فسروا القرآن حسب مذاهبهم ومصالح أسيادهم الخبيثة. مئات من الكتب التي كتبوها عبر ١٤ قرن ما هي إلا آراء شخصية ليس لها قيمة روحية من أي نوع...!

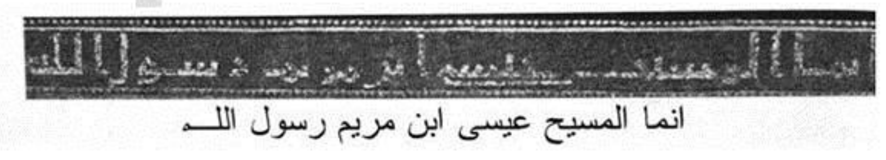
هل لا زلت تعتقد بأن العباسيين وما يحيطهم من رجال الدين (المنافقين) لم يجرؤوا أن يحدثوا تغييرات حتى في النصوص الدينية المقدسة؟ أستطيع تقديم الكثير من الأمثلة، لكن مثال واحد يكفي. أنظر إلى هذا الإثبات الصارخ الموجود في المسجد الأقصى، وهو الصرح الذي يعود تاريخ

بناءه إلى زمن عبد الملك بن مروان (أي منذ بداية ظهور الإسلام). الكتابات الموجودة في المسجد الأقصى تجعل سيدنا عيسى بن مريم رسول الله! وكلمة محمد جاءت بصيغة صفة لسيدنا عيسى! بينما الآية ذاتها تم تحريفها في القرآن الكريم، فجعلت سيدنا يسوع ورسول الله شخصيتين مختلفتين! ... افهم إذا كنت تستطيع...









الآيات التي تجعل يسوع المسيح هو رسول الله ووصفته بـ "محمّد"

فيما يلي مثال بسيط على إمكانية تغيير معنى الآية بشكل كامل من خلال استبدال كلمة واحدة فقط

الآية المنقوشة على قبة الصخرة

يا أهل الكتاب لا تعلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق * إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقيها إلى مريم وروح منه * فآمنوا بالله **ورسوله** ولا تقولوا ثلثة * انتهوا خيرا لكم * إنما الله إله وحد * سبحانه أن يكون له ولد * له ما في السموت وما في الأرض * وكفى بالله **شهيدا**

الآية في القرآن الحالي

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ **وَرُسُلِهِ** وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۘ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ **وَكِيلًا**

كلمة محمد ليست اسم شخص بل صفة للمسيح

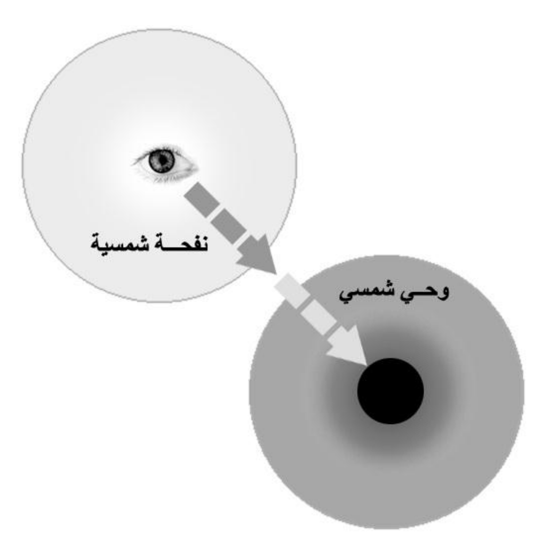
كلمة محمد كانت مستعملة عند المسيحيين العرب (في الشام والعراق وإيران..) كنعت تمجيدي للمسيح. وعبارة [مبارك رسول الله] تعني بالضبط [محمد رسول الله]. قبل ظهور الإسلام العباسي كما نعرفه اليوم حوالي ٧٥٠م/١٣٠هـ، كانت كلمة [محمد] لا تشير إلى اسم شخص بل إلى نعت شخصي معناه [مبارك أو مختار أو محبوب]. وبالتالي فإن عبارة [مبارك رسول الله] تعني بالضبط [محمد رسول الله]. وهذا بالضبط ما يقصده القرآن الكريم عندما قال مثلاً [قال إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً] (سورة مريم)، وكذلك [إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته] (سورة النساء).

ظهرت كلمة محمد لأوّل مرة في التاريخ الموثّق في منطقة "ميرف" Merv شرقي إيران حيث يسكنها العرب المسيحيون، وذلك على عملة نقدية ساسانية عربية أصدرها أمير عربي مسيحي. كانت كلمة محمد تستعمل عموماً لتمجيد المسيح، وبالإضافة إلى شيوع عبارات مسيحية أخرى مثل: [بسم الله] و[عبد الله] و[رسول الله] و[لا حكم إلا لله] ... وهذه العبارات أصبحت اليوم حكراً حصرياً على الثقافة الإسلامية. رغم آلاف المكتشفات الأثرية في الحجاز والشام لا يوجد برهان تاريخي واحد (نقوش، نقود، شهادات غير إسلامية..) يشير إلى وجود شخص اسمه محمد ظهر في مكة بين ٥٧٠م و ٦٣٢م.



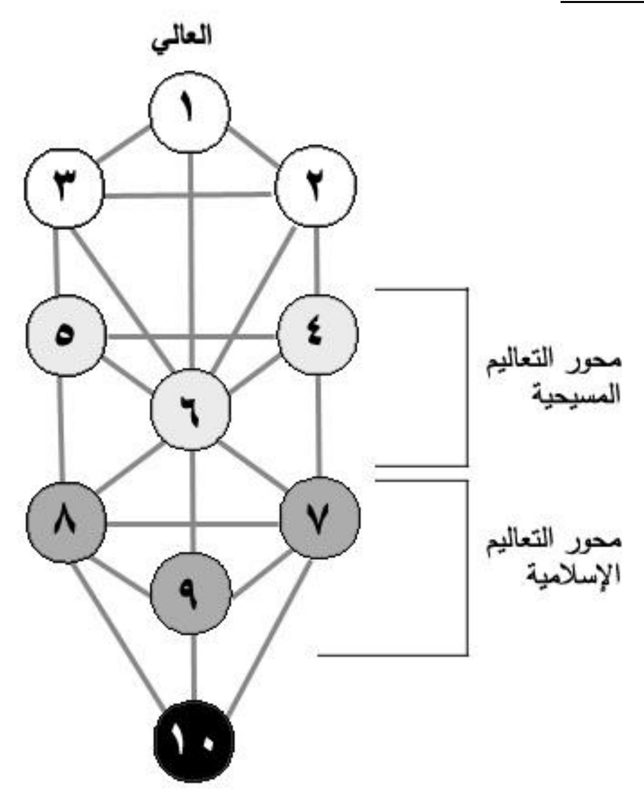
عملة ساسانية عربية من شرقي إيران (٦٩٠م/٧٠هـ)، الجانب الأوّل يصور أمير عربي وحوله عبارة بسم الله ومحمد رسول الله. وعلى الجانب الآخر صورة مقام زردشتي لمعبد النار.

الاسلام بصفته الدين الذي نألفه اليوم قد تأسّس في بلاد الشام في عصر الأمويين، ويبدو واضحاً أنه رسخ في فترة عبد الملك بن مروان. بالإضافة إلى نقطة مهمة جداً، رسول الله هو ذاته، إن كان سيدنا يسوع أو سيدنا محمد، لكن بالنسبة للتعاليم السرية يوجد فرق واحد فقط: سيدنا يسوع يمثل الشخصية المثالية التي تخلقها النفحة الشمسية بعد أن تتجلّى بكامل روعتها في الفرد، بينما سيدنا محمد يمثل الإنسان العادي (بني اسماعيل) الذي نزل عليه الوحي الإلهي ونجح في التجلّي في كيانه الدنيوي فقرر الخلاص عبر الجهاد في سبيل الله والتحرر من قيود الدنيا عبر تطهير النفس.



وفقاً للتعاليم الباطنية، الوحي الشمسي يمثل إنعكاس النفحة الشمسية في العالم الدنيوي. سيدنا يسوع يمثل النفحة الشمسية بينما سيدنا محمد يمثل المريد الذي تجلى فيه الوحي الإلهي

الدين الاسلامي يختلف فعلاً عن الدين المسيحي (أو كلاهما يمثلان جزأين متممين لدين واحد أساسي) بحيث أن الإسلام انشغل كلياً في معالجة الكينونة الدنيوية بعد تجلّي الوحي الإلهي حيث الاجتهاد ينصبّ كلياً على تنقيتها من ملوثات الدنيا المادية، لهذا نراه يتخذ غالباً صبغة قمرية أنثوية. بينما الدين المسحي يتمحور حول النفحة الشمسية بعدما تتجلى في المستوى الوسيط بين العالمين العلوي والدنيوي (كما هو مبين في الشكل التالي) وهو ما يمكن تسميته المستوى الفكري/العقلي/الذهني من الإنسان وليس المستوى الجسمي الممثل بالكينونة الدنيوية. لهذا نراه يتخذ غالباً صبغة شمسية ذكرية.



مخطط شجرة الحياة وبيان موقع عمل كل من الدين الإسلامي (الكينونة الدنيوية) والدين المسيحي (النفحة الإلهية) في كيان الفرد

الخلاصة: الدينان المسيحي والإسلامي يمثلان جانبين مختلفين لدين واحد أساسي، إنهما يكملان بعضهما البعض، ولا يمكن أبداً أخذ كل منهما لوحده حيث لا يستطيع المريد الحصول على نتيجة مجدية في حال اتبع تعاليم دين واحد وترك تعاليم الآخر. هذا أكبر دليل على أن الدين الإسلامي

جاء من أصل مسيحي أساساً لأن تعاليمه مكمّلة للتعاليم المسيحية. أما كيف اتخذ هذه الصبغة المعادية للمسيحية فيما بعد، فاسألوا من كان يوجّه سياسة الدولة في العصر العباسي. ومن جانب آخر، بخصوص إلغاء هذا الجزء من التعاليم المسيحية التي أصبحت تمثل اليوم الدين الإسلامي فما علينا سوى توجيه السؤال إلى من اتخذ قرارات جذرية في اجتماع نيقيا عام ٣٢٥م وذلك بأمر من الامبراطور الروماني قسطنطين الكبير، حيث وضعت المبادئ الرئيسية للدين المسيحي الذي أصبح يمثل دين الدولة الرسمي، وقد تم إلغاء الكثير من المبادئ الأساسية في المعتقد المسيحي أهمها الإيمان بظاهرة التقمّص. أما باقي المذاهب المسيحية المعارضة فقد لوحقت وسُحقت تماماً.

بدايات الإسلام المسيحي

عندما نتحدث عن بدايات ظهور الإسلام أوّل ما يأتي على البال هو مكة المكرمة وتفاصيل الأحداث التي تمحورت حول هذه المدينة، لكن هنا تكمن المفاجأة الصادمة! حيث لا وجود لمدينة مكة قبل العصر العباسي! حتى أنه لا يوجد أي وثيقة تاريخية أو برهان تاريخي واحد يشير إلى وجود مكان اسمه مكة قبل حقبة العباسيين أي قبل حوالي ٧٤٠م/١٢٠هـ. لا توجد أي خريطة جغرافية قبل عام ٩٠٠م/٢٨٠هـ تبيّن مكة عليها. لا يوجد ولا رحالة أو مستكشف أو مسافر واحد تكلم عن مكة قبل ٧٤٠م/١٢٠هـ. لا توجد آثار أو بقايا معمارية في مكة المعاصرة أو في الحجاز عموماً تشير إلى وجود مكة قبل ٧٤٠م/١٢٠هـ. في خريطة الجغرافي الإغريقي بطليموس ptolemy مثلاً والتي رسمها للجزيرة العربية في القرن الثاني الميلادي وحدّد مدنها وقراها بدقة هائلة، لا توجد مكة أبداً! هنا تكمن المصيبة التي لا يمكن حلها بسهولة. إذا أردنا أن نبحث في الأمر بطريقة أكاديمية خالية من المزاعم والكلام الفارغ الخالي من أي دليل مادي، لا نستطيع التسليم بحقيقة أن مكة تمثل مكان ولادة وانتشار الدعوة الإسلامية. وهنا يفرض السؤال الكبير نفسه: من أين بدأ الإسلام إذاً؟!! إذا أردنا البحث في الأمر بطريقة أكاديمية نجد أن كافة الخيوط تؤدي إلى عبد الملك بن مروان في بلاد الشام!!

أوّل الخلفاء الأمويين الذي خلف دلائل مادية هو عبدالملك بن مروان وهو أوّل أمير للمؤمنين والذي حلّ مكان هيرقليوس heraclius في الشام فبدأ تأسيس وحماية ديانة التوحيد بدلاً من المسيحية الرومانية وعاصمتها القدس. البعض يقول أصل الأمويين ساساني من شرق إيران، والبعض الآخر

يجعلهم عرب الغساسنة الذين ترأسوا الحكم الذاتي التابع لبيزنطة بعد التغلب على الفرس. لكن هذا سرّ تاريخي محيّر وسيبقى مدفوناً إلى الأبد.

أسس عبدالملك بن مروان مذهب مسيحي توحيدي لا يعترف بألوهية سيدنا المسيح ويجمع بين كافة الديانات التوحيدية الأخرى المضادة للثالوث المقدس monotheistic anti trinitarian التي كانت منتشرة في ذلك الزمان. لهذا السبب نجد النص القرآني مؤلف من ثلاثة لغات رئيسية، وسميناها اللغة القرآنية والتي أصبحت فيما بعد اللغة العربية الفصحى التي نألفها اليوم. هذا المجهود يمثل دليل واضح على المشروع التوحيدي لعبد الملك بن مروان.

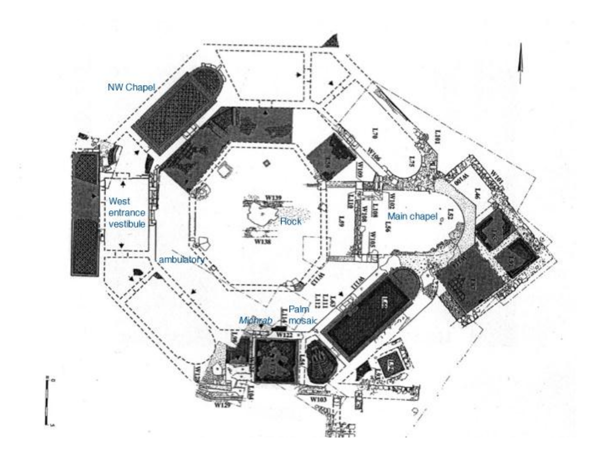
في هذا المشروع الديني السياسي، أراد عبدالملك بن مروان توحيد الأديان المسيحية/اليهودية تحت خلافة عربية تحلّ محلّ الامبراطوريتين الساسانية الفارسية والبيزنطية الرومانية، اللتان بدأتا تضعفان وتندثران في تلك الفترة بعد إنهاك بعضهما البعض إلى حد الزوال. في هذه الفترة بدأ الأمراء العرب المسيحيون يوسعون نفوذهم وسلطتهم حتى ظهر عبدالملك بن مروان. قبل هذا التاريخ لا أحد يعلم ماذا حصل وكيف حصل إذ كل ما نعرفه من المؤرخين هو مجرّد تحليلات وتنظيرات ليس لها قيمة. تاريخ تلك الفترة غامض جداً بحيث يصعب تحديد معالمها بوضوح.

لكن يوجد تاريخ محدد ورد ذكره في النقود والنقوش العائدة لتلك الفترة وهو [٦٢٢م] وقد أشاروا إليها غالباً بـ"سنة العرب"، ربما تكون سنة تسلم العرب لحكم الشام بعد بيزنطة، أما كيف لزموا هذا التاريخ لاحقاً بالهجرة النبوية والخالية من أي أساس تاريخي فما علينا سوى سؤال العباسيين الذين اختاروا هذا التاريخ لاختلاق قصة الهجرة النبوية ثم اختلاق قصة التقويم الهجري الذي أوجده عمر بن الخطاب.

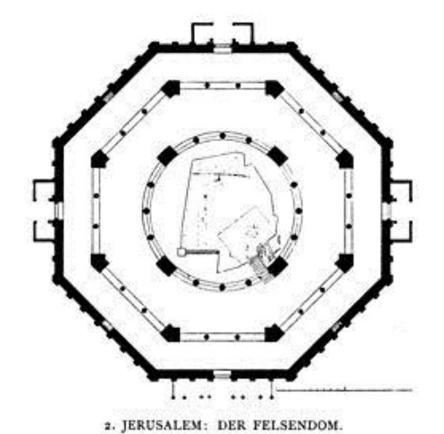
في مشروعه الامبراطوري الديني، سعى عبدالملك بن مروان إلى تطبيق مختلف تماماً للتعاليم الدينية المسيحية/اليهودية التي تحولت إلى أديان دنيوية بحتة بفعل عوامل سياسية واقتصادية مختلفة مرت بها عبر العصور وبالتالي لا تنفع للممارسة الدينية السليمة المؤدية للخلاص الأبدي (هذه كانت حجته الظاهرية). من أجل تحقيق خطته أنجز عبدالملك بن مروان ثلاثة مشاريع أساسية وثورية: [١] جمع كتاب مقدس جديد وهو ما أصبحنا نعرفه بالقرآن. [٢] فرض اللغة العربية على حساب اللغة السريانية التي كانت منتشرة وراسخة. [٣] بناء قبة الصخرة التي تمثل محور العبادة الجديدة.

إذا راودكم الشكّ في شرعية القرآن ككتاب مقدس فاطمئنوا، الذي كان يقف وراء عبدالملك بن مروان في الخفاء (وكافة عروش الأرض في حينها) كانوا يعلمون ماذا يفعلون. لقد قدموا للناس كتاب حكيم له أهمية روحية كبرى تفوق القدسية المزعومة التي منحها اياه المنافقون. هو مجدي روحياً لكن بشرط أن تكون نسخته أصلية ومن ثم وجوب فكّ رموزه بحيث تتبيّن معانيه الباطنية الجليلة.

أما قبة الصخرة فقد بناها عبدالملك بن مروان حوالي ٦٩٠م (٧٠هجري)، ويحمل هذا الصرح أولى آيات القرآن المؤرخة وهذا الموقع لم يكن مسجداً. وقد بني على نمط كنيسة الكاتيسما kathisma التي شيدت عام ٤٥٦م على طريق بيت لحم والتي كان في مركزها صخرة مريم العذراء. أما قبة الصخرة فأرادها عبدالملك بن مروان رمزاً للعقيدة التوحيدية الابراهيمية الجديدة.



كنيسة الكاتيسما التي شيدت عام ٤٥٦م وكان في مركزها صخرة مريم العذراء بحيث يحج إليها المسيحيون.



2. JERUSALEM: DER FELSENDOM.

قبة الصخرة التي بناها عبدالملك بن مروان حوالي عام ٦٩٠م/٧٠هـ، وفي مركزها صخرة أيضاً ويحج إليها المسلمون.

أما بخصوص ذلك التغيير الجذري الكبير والمخيف الذي طال الواقع الاجتماعي/الديني/السياسي في كل من الجزيرة العربية والعراق وبلاد الشام ومن ثم مصر والمغرب العربي.. إلى آخره، فتلك الأحداث التي نسميها اليوم فتوحات إسلامية مباركة كانت في الحقيقة أحداث سياسية دنيوية محضة! ليس لها علاقة بالدين أو نشر الدعوة السماوية. كانت مؤامرة سياسية/اجتماعية/ثقافية شاملة وواسعة المدى ولا مكان لذكرها هنا لكن المهم هو أنه ليس لها علاقة بالإسلام، لا من قريب ولا من بعيد. ويوجد دلائل كثيرة على هذه الحقيقة المخفيّة عن الشعوب بحرص وحذر. لقد دخلوا مصر قبل تجميع القرآن الكريم بفترة طويلة، هذا إذا استخدمت التواريخ التي وضعوها هم بنفسهم (قارن بين التواريخ)، لم يكونوا قد وضعوا حتى الأسس الأولية للدين الجديد، ولا حتى الأركان الخمسة! فلماذا إذاً دخلوا إلى مصر طالما أن الدعوة لم تكتمل بعد؟! عشرات الآلاف من النساء المصريات خطفن من أزواجهن وأولادهن وأرسلوا سبايا إلى الجزيرة العربية واليمن وبلاد الشام (عمر ابن العاص)! ٢٠٠ ألف جارية وغلام دخلوا بوابات دمشق عند احتلال أقصى المغرب العربي (موسى ابن النصير) حيث يعيش الأمازيغ. أستطيع الحديث ساعات وساعات لكن هذين المثالين يكفيان احتراماً لمستوى هذا الكتاب (اقرأ المغازي وتمتع بهكذا بطولات زخر بها التاريخ الإسلامي المزعوم). صحيح أنها كانت فترة مزدهرة، لكن الازدهار لم يكن للمؤمنين المتعبدين بل كان ازدهاراً هائلاً للإجرام والقتل والإخضاع المذلّ بالقوة والتسلّط والبطش! في فترة كهذه لا يمكن أن يحكم دين حنيف، لا يزدهر سوى المجرمين وذوي النفوس السوداء والقلوب المتحجّرة والقسوة منقطعة النظير! لا مكان للدين في هكذا ظروف. الكل مشغول بالكسب وجمع الجواري والغلمان والأموال والغنائم والمزيد المزيد من المجد الدنيوي القبيح. ها نحن اليوم نشهد إعادة استنساخ لتلك الفترة السوداء حيث لا نرى رحمة ولا تسامح بين الثوار الاسلاميين المزعومين بل إجرام ما بعده إجرام. زعران الزمان يعرعرون ويزدهرون في ساحات الأحداث... يحاولون اتباع خطى أجدادهم الفاتحين الأبطال!!!!





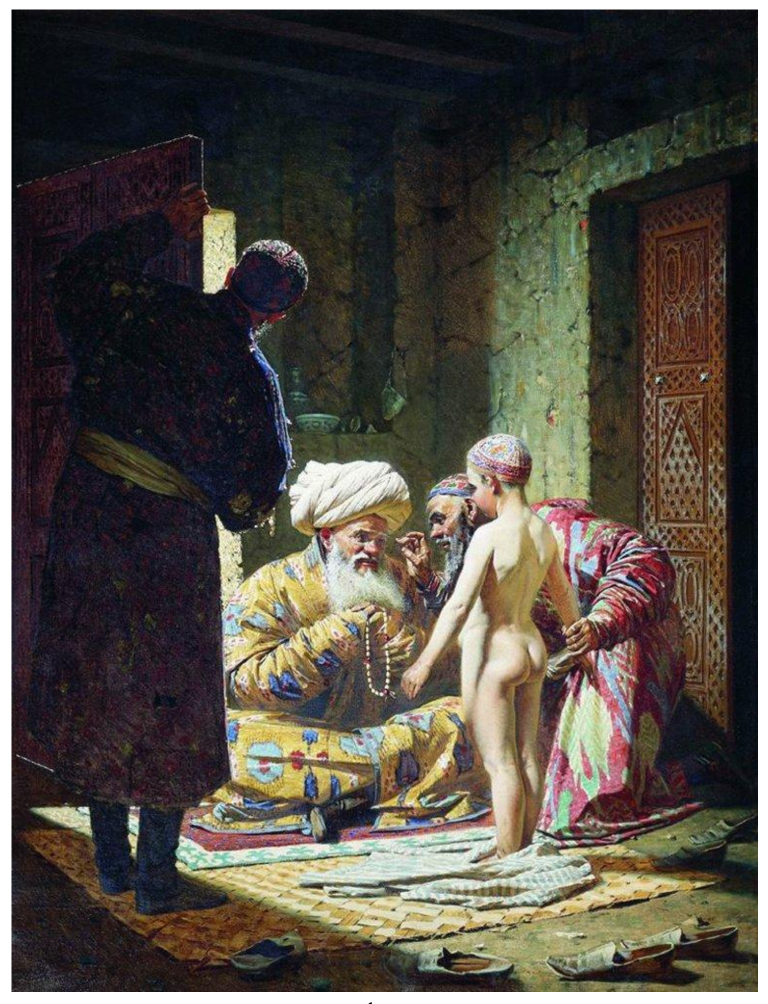


لماذا نجد بعض المسلمين اليوم يكون طموحهم كما تظهره الصورة: جواري، غلمان، قصر مرفّه.. رقص وفقس!!.. إلى آخره.. بالله عليكم، أين الممارسة الدينية هنا؟!!



عندما تملّ وتقنز نفسك من مجموعة الجواري التي تملكها فلا تقلق، سوق النخاسة قريب من منزلك، ارسل وراء تاجر الجواري ليجلب لك طاقم جديد!! لا تخف، سوف تجد الكثير من الجواري الجدد،

سوق النخاسة لن ينضب أبداً، فالمجاهدين المؤمنين الأبطال يفتحون بلاد جديدة كل يوم! ادعوا لهم بالتوفيق والنصر الإلهي المبين!... الله أكبر!!! يا لها من ممارسة دينية ممعتة فعلاً!



إذا زهدت نفسك من النساء فلا تقلق، يوجد وسيلة أخرى لإشباع رغباتك الجنسية. إليك بالغلمان! جرب وسوف لن تندم! تذكر أن سعرهم أرخص بكثير من الفتيات!

تذكر أنني لا استهزئ ولا أتهجم بالسخرية على أي دين إطلاقاً، بل على الممارسة الدينية المنحرفة، والفرق بين الموضوعين كبير جداً. لكن ما فعلته ومارسته المجموعات المسلحة الإسلامية في كافة المناطق التي احتلوها لفترة من الوقت في سوريا خلال الثورة المزعومة تكشف عن العقيدة المنحرفة التي خلقتها تعاليمهم الدينية المُحرّفة. من أين أتوا بتعاليمهم الدينية التي مارسوها فعلياً على أرض

الواقع؟ هذا سؤال كبير وجب الإجابة عليه ومن ثم التصرف حيال المسألة فوراً! هذا واجب مفروض على المؤسسات الدينية الرسمية وإلا صارت هذه المؤسسات تمثل عبئ ثقيل على الناس!

كل الحكايا الخرافية المتعلقة بالفتوحات ونشر الدين تم زعمها في العصر العباسي. بينما في العصر الأموي لم تكن هذه القصة رائجة بعد حيث كان الهدف والغاية من التوسّع السياسي/الاجتماعي مكشوفاً تماماً. تلك الحقيقة السياسية الكبرى بخصوص ذلك التحوّل الاجتماعي الكبير الذي أصاب رقعة واسعة من البلاد والتي لازال الجميع يجهلها كانت في حوزة الأمويين لكنها اندثرت معهم تماماً حيث العباسيين لم يتركوا أثر توثيقي خلال قضائهم على الأمويين عبر المجازر المخيفة التي طالت حتى القبور! فتم قلع جذورهم كلياً من الوجود. كل ما زُعم بخصوص الأمويين من قبل العباسيين هو كذب وافتراء. تاريخنا بالكامل مزوّر!

نحن لا نعرف أصلنا! نحن نعتبر من بين الشعوب التي تاريخهم بالكامل مزوّر! أوهام بأوهام! لقد لزمونا بتاريخ قبيح ومعيب ملؤه القتل والغدر وسبي النساء وخطف الأطفال والتعذيب الوحشي للمعارضين... تاريخنا أسود ملؤه الخوف والذلّ والهوان، بينما المجد والعزّة والفخار بقيت محصورة ضمن أسوار قصور الخلفاء والسلاطين! حيث الجواري والغلمان والشعراء والخمر وبهجة الحياة الدنيوية بكل مسراتها! بينما خارج الأسوار نجد مجتمعات خانعة تماماً تراقب بعضها البعض وتفرض على بعضها البعض الامتثال! كان الفرد ملزوم بفرائض دينية ثقيلة على كاهله فينشغل بممارستها خوفاً من انتقاد جيرانه وأصحابه وحتى أقرباءه وأهله الذين قد يصنفونه ملحد أو كافر وهذا أمر معيب وحتى خطير! وبالتالي يغفل نفسه عن ظلم وانحراف وفساد السلاطين وأعوانهم من الزعماء المحليين. على ماذا تظنّ اعتمد العثمانيون الذين تمكنوا من السيطرة على أرواحنا ومصائرنا مدة خمس قرون؟! مؤسساتنا الدينية لازالت نسخ طبق الأصل لتلك التي ازدهرت في العصر العباسي. لقد مُحيت ذاكرة الشعوب تماماً بحيث لم يبقى في الذاكرة سوى هذه الممارسة الدينية التي نألفها اليوم. هي الممارسة التي صممها العباسيون وجعلوها تتمحور حول مجموعة معتقدات خرافية!

الممارسة الدينية التي ابتكرها العباسيون ليس لها علاقة بالإسلام الأصيل! أبداً! هي إعادة استنساخ لممارسة دينية ابتكرها كهنة بابل قبل آلاف السنين لتحويل المجتمعات البشرية إلى حضائر من الأغنام الخانعة تماماً. كما ذكرت سابقاً، أغنام تراقب بعضها البعض وتفرض على بعضها البعض الامتثال. الفرائض الدينية تشير بوضوح إلى هذا الأمر. فرائض الصلاة والصيام وغيرها من شكليات

دينية لا تقدم ولا تؤخر، جميع هذه الفرائض تستند على أحاديث وليس نصوص دينية. الأركان الخمسة للإسلام مستمدة من أحاديث وليس نصوص دينية! لو أن أحد المؤمنين قرأ بعض الكتب التاريخية المستقيمة لأكتشف أن هذه الفرائض الدينية (الصلاة، الصيام، الحجّ..) كانت سائدة في فترة تاريخية تسبق التاريخ المزعوم لظهور الإسلام بقرون مديدة. افهم إذا كنت تستطيع. لقد صمموا ممارسة دينية استبدادية بكل ما تعنيه الكلمة! لهذا السبب أُعجب السفاح تيمورلنك (وما أدراك من هو تيمورلنك) بهذا الدين وفرضه على رعايا بلاده (أوزبكستان اليوم) لأنه أثبت جدواه في السيطرة المطلقة على الرعايا. الحاكم يجلس في قصره ويتمتع بالجواري والغلمان والخمر وما توفر من مسرات، بينما رعايا بلاده مشغولون بالفرائض الدينية القاسية ويراقبون بعضهم البعض ويفرضون على بعضهم البعض الامتثال! في الحقيقة، هذا هو السبب الرئيسي الذي دفع عدد كبير من الملوك والسلاطين إلى جلب هذه الممارسة الدينية العباسية وفرضها على رعايا ممالكهم! خصوصاً في آسيا. إنه بكل بساطة جهاز سيطرة مطلقة على الشعوب! إنه أفيون الشعوب فعلاً! فلذلك لا تفرح كثيراً يا أيها المؤمن المعتدّ بنفسك بحيث تتباهى بالانتشار الواسع لهذا الدين! لقد انتشر بفعل السلاطين المستبدّين وليس الدعاة المتعبدين.



لا يمكن لأي سلطان، مهما بلغت طموحاته الدنيوية، أن يرفض هكذا منظومة دينية تعتبر هدية من السماء! ماذا يريد أكثر من شعب خانع تماماً بحيث يراقب بعضه البعض ويفرض على بعضه البعض الامتثال؟! الامتثال إلى حد أن يدفن الفرد نفسه تحت حجاب عازل سميك يمنعه من التواصل مع محيطه المباشر!! وكلها تحت عنوان الممارسة الدينية الحنيفة؟!!



ماذا يريد هذا السلطان أكثر من شعب خانع تماماً وممتثل كلياً بحيث يكون مستعد دائماً وأبداً للقتل أو حتى الموت في سبيل تحقيق طموحاته السلطوية/التوسعية، وكلها تحت عنوان الممارسة الدينية الحنيفة؟!!

أصبح واضحاً، بكل تأكيد ودون أدنى شكّ، أن هذه الممارسة الدينية المنحرفة هي أعظم اختراع في تاريخ البشرية! صحيح أنه أروع هدية ثمينة بالنسبة للسلاطين، لكنه أكبر لعنة يمكن أن تصيب المجتمعات البشرية!!

هل أصبحتم مؤمنين صالحين؟ .. برافووو... حضروا أنفسكم إذاً للحرب العالمية الثالثة!

يبدو أن هناك جهات عالمية نافذة تعمل بإصرار اليوم على إعادتنا بالقوة إلى ذلك الزمن التاريخي المقيت! حيث السلاطين تتمتع بمسرات الدنيا بينما الرعايا المساكين تلتهي بالفرائض الدينية الصارمة! والجهاد المزعوم في سبيل الله هو في الحقيقة جهاد في سبيل عزّة السلاطين! لكن سؤال أطرحه عليكم يا أيها المتدينين العابدين: في الستينات والسبعينات وحتى الثمانينات من القرن الماضي، معظم الناس كانوا يساريين وقوميين وعلمانيين، لكن ماذا حصل؟ هل نزل الوحي الإلهي

فجأة على الشعوب فغيّر لونهم العقائدي بهذه السرعة؟ أم هناك جهات عالمية نافذة تقبع وراء الكواليس عملت جاهدة وبكدّ وإصرار وعزم لإحداث هذا التحوّل الاجتماعي المريع؟! أصبح الدين اليوم موضة العصر وليس حالة إلهامية نقية تجلّت في قلوب الناس فجأة! أصبح الدين يستقطب كل من طلب الارتقاء الاجتماعي والمالي وحتى السياسي! الدين أصبح البوابة الوحيدة لنيل المجد الدنيوي ومتاع الدنيا بأنواعها!! أليس هذا وحده يثير الشكّ في النفوس؟ الوصوليون الخبثاء هم أوّل من يسعى للانتساب للجمعيات والأحزاب الدينية حيث يلتحق الجميع إلى هذا التيار الديني الجارف والهائج والمخيف وذلك طمعاً بالمجد الدنيوي وليس حسن الآخرة.!!!

هذا التحوّل الاجتماعي السريع يكشف عن فضيحة ما بعدها فضيحة! هذا يعني أن المجتمع الذي أصبح بمعظمه ديني التوجّه اليوم كان هو ذاته معاصراً للعلمانية قبل سنوات قليلة (عقد أو عقدين فقط) وكان هو ذاته علماني التوجه! أنا شخصياً أعرف بعض من الذين كانوا شيوعيين متعصبين لكنهم بسحر ساحر صاروا دينيين متعصبين!! هذا يدلّ على مدى السهولة التي يمكن بها تغيير مجتمع وتحويله من توجه معيّن إلى توجّه معاكس تماماً! فقط القيام ببعض الاجراءات التي يتخذها المسيطرون هنا وهناك، أهمها دفع الأموال الطائلة وتمرير بعض القوانين وعدة مكائد سياسية/استخباراتية هنا وهناك ويكون الأمر قد تحقق! هذا ولم نتكلم عن مدى نفاق المجتمعات الدنيوية والذي أظهرته في هذا التحول السريع! المجتمع الأصيل والثابت والراسخ والأخلاقي والمستقيم لا يتحول بهذه السرعة أبداً. نحن مجتمعات منافقة! نجري بالاتجاه الذي يوفر لنا الرخاء الدنيوي مما يجعلنا عديمي المبدأ ومجردين من الأخلاق!

إذاً، يا أخي المؤمن الوديع، لقد أصبحت شخص متديّن ومؤمن ليس بالإلهام والصحوة المزعومة ولا من خلال تجلّي نور الإله في وجدانك، بل لأنك دنيوي خبيث أقرب إلى الحيوان من الإنسان! لأنك وقعت بسهولة في شباك غادرة نصبت لك وتتمثل بالمال المشبوه! بدسائس الاستخبارات! بشخصيات دينية خبيثة تلاعبت بعقلك! وبتآمر وغدر من قبل الكثير الكثير من ضعفاء النفوس الذين صار معظمهم اليوم أسياد مجتمعات! بفضل هذه العوامل أصبحتم اليوم مجرّد حضائر دينية تراقب بعضها البعض وتفرض على بعضها البعض الامتثال! بعد أن حولوكم إلى أغنام مطيعة تراقب بعضها البعض جاء دور الفصل الثاني من المؤامرة وهو قيادتكم كما القطعان إلى المسلخ! إلى حروب طاحنة وشرسة ليس لها جدوى روحية من أي نوع! يبدو أن المنظومة الدينية التي اخترعها كهنة بابل قبل آلاف السنين لازالت مجدية حتى اليوم! يبدو أن الدين مجدي فعلاً بالنسبة

للمتحكمين! إنه فعلاً جهاز عظيم للسيطرة المطلقة! عيش واتهنى يا أيها المتديّن المسكين! وصيح الله أكبر بأعلى صوتك! ربما يأتيك الفرج بهذه الطريقة!

احذروا يا أيها الغافلين الأغبياء! احذروا من ما ينتظركم في المستقبل القريب! الذين حولوكم إلى مجتمعات متديّنة تخدع بعضها وتتناحر فيما بينها بدأوا يحضرون لكم الفصل التالي من المسرحية التي عملوا جاهدين لإطلاقها منذ عقود! إنها الحرب العالمية الثالثة! وهي حرب دينية بكل تأكيد! لطالما حذر منها أشخاص مطلعين شرفاء منذ عقود طويلة لكن دون جدوى، لم يرغب أحد تصديقها في حينها. لكن ماذا الآن؟ ألا ترون البوادر تتكشف أمام عيونكم؟ هذه المرة لن تُستخدم قنابل نووية ولا هيدروجينية، بل رعاع من المتعصبين المتوحشين تفلت على بعضها البعض! الكل يقتل الكل باسم الدين! تبيّن أنها الوسيلة الأقلّ كلفة بالنسبة للمتآمرين! مجتمعات تمحو بعضها باسم الدين بدلاً من قنابل نووية! يا لها من خطة ذكية ونظيفة من التلوث البيئي! لكن من ناحية أخرى، يا ليتهم أسقطوا علينا قنابل نووية! فهذه القنابل الفتاكة لا تشتت أسر بكاملها نتيجة عمليات الخطف والسبي واغتصاب الفتيات أمام والديهن! والتفنّن بالتعذيب بأبشع الطرق (مُرفق دوماً مع الصراخ الله أكبر!) مع غياب تام للرحمة أو الشفقة! والتهديد والوعيد والتهجير والرعب الشديد! القنبلة النووية تقتل فوراً ويكون الفرد حينها قد ارتاح من مآسي هذه الحياة الدنيوية المقيتة، بينما الحروب الدينية تجعل الفرد يتمنى الموت مئات المرات في اليوم طلباً للخلاص! إذا كان المسيطرون المتآمرون بهذه الدرجة من الذكاء فحلال عليهم! نحن الوحوش الذين يستحقون الإبادة فعلاً وليس هم. المجتمعات المجرّدة من الأخلاق تستحق أكثر من ذلك بكثير!.. عيش وتهنى يا أيها المؤمن بالخرافات وانصر دينك لكي ينصرك الله! والله أكبر!!!

....

انتهــــى

في الجزء التالي

إذاً، لقد تنبّه القدماء إلى تلك الحقيقة الرائعة بخصوص عظمة الذات أو الشمس المركزية في الإنسان واستهدفوها بدراستهم وتحليلهم وبحثوا في خفاياها وإمكانياتها اللامحدودة لكنهم لم يكتفوا بذلك بل حددوا المعوقات التي تمنع إشعاعها بكامل قوتها، فوجدوا أنه من بين الأسباب التي تعيق هذا الإشعاع هي حالة الخلل في معايير المقومات التي تتألف منها كينونة الإنسان. بعد تحديد هذه المقومات عرفوا كيف يضبطوا معاييرها بحيث تسمح بعدها بإشعاع الشمس المركزية وتجلّى القوى الكامنة في جوهر الإنسان وبطريقة سهلة وميسّرة.

وفقاً للتعاليم السرية، الإنسان مقيّد بمجموعة من المعيقات التي تمنعه من التواصل مع الذات المركزية لديه، وبناء على هذه الحقيقة تم تصميم منهج تدريبي يساعد الإنسان على التحرر من هذه القيود ليتمكن في النهاية من إزالة كافة المعيقات التي تمنعه من التواصل مع الذات المركزية لديه. هذا المنهج التدريبي يعتمد على المنظومة الذهنية لدى الفرد، فالمنظومة الذهنية هي المسؤولة عن ما يعيشه ويختبره في حياته الشخصية. هي التي تصيغ كيانه الجسدي والنفسي وحتى واقعه الدنيوي عموماً. تحدثت في أحد الأجزاء السابقة عن جودة الوعي وعلاقتها بالارتقاء الروحي للإنسان وزيادة شدّة الطاقة الحيوية لديه، والفكرة الحالية تساهم في إكمال الصورة إن لم تتوضّح في حينها.

إذاً، وجب إعادة برمجة طريقة تفكير الفرد بالكامل قبل أي إجراء آخر في مسيرة تطوره الروحي. لكن هذه العملية ليست سهلة إطلاقاً إذ يوجد العديد من المعوقات والعقبات التي وجب إزالتها وهي ذاتها الوحوش التي صورتها الأساطير وعلى الأبطال مقارعتها والتغلب عليها. وقد توضحت الفكرة أكثر في هذا الكتاب.

عندما يحرز الإنسان هذه المرتبة، أي التواصل مع الذات الحقيقية لديه، يُشار إليه بعدها باسم "كا..هن" أو "كا.. هنا" وهي كلمة مركّبة تعني بأن الفرد أحرز حالة الاندماج مع الـ"كا" KA وهذه الأخيرة تمثّل مصطلح مصري قديم يستخدم للإشارة إلى الذات أو الشمس المركزية في كيانه. الـ"كا" تعني أسمى مستويات الكينونة البشرية إذ هي الذات أو الشمس المركزية التي تناولتها في هذا الكتاب، وهذا ما قصده المصريون عندما رمزوا إليه في نصوصهم بيدين مرتفعتين للأعلى.



تُصوّر الـ"كا" في النصوص المصرية على شكل يدين مرفوعتين للأعلى. وهو إشارة إلى شيء مقدّس، سامي، وتجاوزي. إنها الذات الإلهية للفرد.

إذاً، الكاهن في الزمن القديم لم يكن كما الكاهن الذي نتصوّره اليوم حيث يمثّل رجل الدين الذي مهمته تسويق الخرافات. الكاهن الأصيل هو السيّد والحكيم الذي يتمتع بالمعرفة والقوة الكافية لتطويع الطبيعة المحيطة به وكذلك السيطرة على ظروف الحياة التي يعيشها. هو المريد الذي أحرز التواصل مع الـ"الكا" أي النفس العليا أو الذات أو الشمس المركزية في كيانه. هذا هو صاحب الحوزة الذي كان يفتن قلوب الناس بإنجازاته الخارقة المذهلة.

صحيح أن مصطلح "كا..هن" تأصّل في مصر القديمة، لكن انتشاره بين ثقافات عديدة حول العالم يشير بوضوح إلى أن منهج فلسفي/ديني واحد كان سائداً على نطاق واسع في أحد العصور الغابرة. يمكننا ملاحظة استخدام هذا المصطلح بصيغ وألفاظ متنوعة في معظم حضارات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وآسيا، إذ استخدمه الفينيقيون والكلدانيون مثلاً للإشارة إلى رجال الدين لديهم (كاهن). ويستخدمه البربر في شمال أفريقيا للإشارة إلى الساحر أو طبيب القبيلة (كايهون). واستخدمه اليهود للإشارة إلى رجال الدين (كوهين). تم تعديل هذا المصطلح في بعض المناطق لاستخدامه للإشارة إلى مراتب سامية مثل "خان" (كهان) في أسيا الوسطى. وفي جزر هاواي استخدموا مصطلح "كاهونا" للإشارة إلى السحرة لديهم. وكذلك القبائل في جنوب ووسط أمريكا استخدموا مصطلح "كونا" (كهونا) للإشارة إلى سحرتهم أو أطبائهم الشعبيين.. وهكذا إلى آخره.

تذكّر أن الممارسة الدينية في الزمن القديم كانت طريقة حياة ولم يكن الأمر كما هو قائم اليوم حيث يمثّل الدين مجرّد جانب من الجوانب المختلفة لحياة الفرد. كان التعامل مع العالم الماورائي مقسوم إلى اختصاصات. هناك من امتهن الدين اللاهوتي الزاهد بشؤون الدنيا، بينما هناك من تعامل مع العالم الماورائي لامتاهن شيء مختلف عن العبادة الدينية اللاهوتية إذ يتعلّق بتطوير الحياة الدنيوية (طب وعلاج وهندسة معمارية وغيرها من خدمات مفيدة للمجتمع) لكننا في جميع الأحوال نعتبره اليوم سحر ولكنه لم يكن كذلك في ذلك الزمن المجيد، حيث يعتمد كلياً على تنمية القوى الباطنية للإنسان والتي هي عظيمة جداً لو أنكم تعلمون! إن البحث في هذا الموضوع يفيدنا كثيراً في التعرّف

على بعض الحقائق المتعلقة بالذات الحقيقية لدينا والصيغ أو الآليات التي اتبعها الكهنة القدماء للتواصل معها والاستعانة بها لتحقيق معجزات حقيقية لا يمكن سوى اعتبارها سحرية. وهذا ما سنستكشفه في الجزء التالي، من خلال الحديث عن الكاهونا، أصحاب الحوزة، ومعنى الحوزة هنا هو حوزة تلك القوة الخارقة التي كانوا يستحضرونها لمساعدتهم في تحقيق معجزات مذهلة.

تذكر أننا نتحدث عن أصحاب إنجازات عظيمة بحيث لازلنا حتى اليوم، في هذا العصر المتقدم، نشعر بالصغر وحتى الذلّ عندما نقف أمام آثارهم العملاقة التي خلفوها وراءهم! أتحداك أن تقف أمام الهرم الأكبر دون أن يراودك شعور بالذلّ والهوان أمام عظمة هذا الصرح!

السؤال الكبير هو: رغم كل تلك الإنجازات العظيمة التي لازالت بقايا بعضها صامداً عبر العصور، ماذا حصل؟ وكيف حصل؟ لماذا هذا الانحدار المريع من القمة إلى الحضيض، بدلاً من المسيرة العكسية حيث وجب التقدم تدريجياً من الحضيض إلى القمة، من الأسفل إلى الأعلى، من تحت إلى فوق؟ أليس هذا ما تعلمناه في المدرسة؟ الم نتعلم أن التطور هو دائماً إلى الأمام؟ من قرود إلى بشر؟ من بيئة متوحشة إلى بيئة متحضرة؟

الجواب على هذا السؤال الكبير والمصيري هو حاضر أمامنا منذ البداية لكننا لم نفطن له أبداً. لم تعد حقيقة عظمة الماضي البعيد مجرّد فرضية واهمة، إنها حقيقة تاريخية ثابتة! وعلينا الاعتياد على هذه الحقيقة. والأمر الآخر الذي علينا الاعتياد عليه أيضاً هو السبب الذي أدى إلى هذا الانحدار المريع للحضارات الذهبية من القمة إلى الحضيض. لازال هذا السبب بعيد كل البعد عن مسرح المعرفة الإنسانية رغم وضوحه وضوح الشمس. وهذا ما سوف نتعرف عليه في الجزء التالي الذي يحمل العنوان: ***دورة الزمان ومصير أصحاب الحوزة***.

....

المراجع

التعاليم الباطنية

.... الرجل الحكيم الجالس هناك تحت الشجرة ....

اصبحت محركات البحث على الشبكة العالمية تمثل وسيلة أكثر جدوى من الالتزام بمراجع محددة. يمكنك التأكّد من صحة أي فكرة وردت في هذا الكتاب مطلعاً على عدد كبير من المراجع المختلفة.

....